الرحلة الزيدانية

تصنيف خديم الحضرة المحمدية، ومحب آل البيت الطيبين،

أبي العباس أحمد بن العياشي سكيرج الخزرجي

الأنصاري، أمنه الله في الدارين آمين



دراسة وتحقيق

ذ : محمد الراضي كنون الحسني الإدريسي

رقم الإيداع القانوني

ردمك

مطبعة

المؤلف ... محمد الراضي كنون

الهاتف ... 0661683399

الموقع الإلكتروني: www.cheikh-skiredj.Com

مقـــــدمـة

بسم الله الرحمان الرحيم

اللهم صل على سيدنا محمد الفاتح لما أغلق، والخاتم لما سبق، ناصر الحق بالحق، والهادي إلى صراطك المستقيم، وعلى آله حق قدره ومقداره العظيم.

أود في صدر هذه المقدمة أن أتوجه بالشكر الجزيل والثناء الجميل إلى كل من ساعدني على إنجاز هذا التقييد المبارك. المنسوب لعالم فاضل. صاحب فكر ومنهج وصدق وإخلاص. وسلوك قائم على أسس الإسلام و قواعده الصحيحة. ومقومات الشخصية المغربية الفذة. كيف لا وقد أعطى لوطنه أجزل العطاء. وكانت حياته سجلا ناصعا لمرحلة هامة من حياة المغرب العلمية والثقافية.

وبدون إطالة فالعلامة سيدي أحمد سكيرج هو واحد من أبرز الشخصيات التي جمعت بين فضائل العلم والأدب والأخلاق. والتصوف والأصالة والوطنية الصادقة. أضف إلى ذلك اعتزازه العظيم بالعقيدة الإسلامية السمحة. وهي صفة بارزة من خلال مواقفه وقيمه وسلوكه. فقد كان عالما فذا. يجسد شخصية الفقيه المغربي المدافع عن حوزة الدين. المتصدي ببسالة لكل من خولت له نفسه الإساءة لشيء من أركانه أو واجباته ومكوناته.

كما كان محبا لوطنه. دائم التغني بخصائصه ومميزاته. وفيا لملكه. صادق الولاء لعرشه. مؤمنا بدوره العظيم في حماية المقدسات الدينية والوطنية.

ترجمة المؤلف

ولادتـه

هو من مواليد مدينة فاس خلال منتصف شهر ربيع الثاني عام 1295 هـ - أبريل 1878 م. وبها نشأ داخل أسرة فاضلة. ذات مآثر جليلة ومزايا جمة. وقد أنجبت هذه الأسرة نخبة من علية العلماء والأدباء والمؤرخين الكبار. إذ يكفينا أن نذكر منهم الأديب الشاعر الكاتب محمد بن الطيب سكيرج.. والمؤرخ الفقيه عبد السلام بن أحمد سكيرج. مؤلف كتاب: نزهة الإخوان وسلوة الأحزان. في الأخبار الواردة في بناء تطوان، ومن حكم فيها أو تقرر من الأعيان. والعلامة المهندس الزبير بن عبد الوهاب سكيرج.

نشأته وتحصيله

وبمسقط رأسه المذكور تلقى مختلف مراحل تعليمه. تحت عناية دقيقة من والده الحاج العياشي بن عبد الرحمان سكيرج. الذي أولاه اهتماما خاصا. نظرا لما لاحظه فيه منذ البداية من شفوف ونبل وتطلع إلى المعالي والكمالات. وذكاء وفطنة عجيبة.

وعموما فقد أدرك مراده في الدراسة والتحصيل. وبلغ منيته في التربية والسلوك. فحصل معظم ما كانت تعج به جامعة القرويين من علوم وفنون مختلفة. حيث برع في الفقه والنحو واللغة. والسيرة والحديث والتصوف.والأدب والحساب والشعر.

وقد أسهمت في تكوينه نخبة من خيرة علماء الجامعة المذكورة. كعبد الله البدراوي. وعبد المالك العلوي الضرير. والحبيب الداودي. وابراهيم اليزيدي. وعبد الله بن خضراء وغيرهم.

مؤلفاته

للعلامة سكيرج مؤلفاته كثيرة. تزيد على مائة وستين تصنيفا. مما يدل على غزارة علمه ورصيده المعرفي الواسع. وتعود كثرة تآليفه إلى حبه الكبير للكتب. وتعلقه بها. وإقباله على مطالعتها. فقد كان يمضي جل أوقاته منشغلا بها. ولوعا بمحتوياتها. يقرأ ويكتب. ويعلق ويشرح ويؤلف.

وللإشارة فقد تعرضنا لذكر عناوين مؤلفاته بتدقيق في كتابنا: رسائل العلامة القاضي أحمد سكيرج. فلينظرها من أراد التوسع في هذا الباب.

وظائفه

تنقل العلامة سكيرج بين عدة وظائف. نجملها في ما يلي:

ناظر لأحباس فاس الجديد ما بين عامي 1332 هـ - 1336هـ موافق 1914م- 1918م.

قاضي لمدينة وجدة ونواحيها ما بين عامي 1337هـ - 1340هـ موافق 1919م – 1922م.

عضو ثاني بالمحكمة العليا بالأعتاب الشريفة بالرباط ما بين عامي 1340هـ - 1342هـ موافق 1922م – 1924م.

قاضي لمدينة الجديدة ونواحيها ما بين عامي 1342هـ - 1347هـ موافق 1924م-1928م.

قاضي لمدينة سطات ونواحيها ما بين عامي 1347هـ - 1363هـ موافق 1928م-1944م أي إلى حين وفاته رحمه الله.

سلوكه

كان رحمه الله مضرب المثل بفاس وبغيرها من المدن التي استوطنها. وذلك بجده وتدينه وعلمه. وورعه وشكره وقناعته. فقد كان متواضعا. بعيدا عن الكبر والإدعاء. غير ميال للتفاخر ولا محب للظهور. على درجة عالية من الورع والتقوى والثبات على الحق. يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر. وكثيرا ما كان يغير المنكر بيده. لطيف الروح. عذب الحديث. رائع النكتة. يخفي الألم. ويبدي الإبتسام. لم يقعده مرضه (داء السكري) عن خدمة دينه وجيله وأبناء وطنه.

انخراطه في الطريقة التجانية

أتيح للمؤلف التدرج بين يدي كبار مشايخ عصره. لاسيما بمدينة فاس مسقط رأسه. وناهيك في هذا الشأن بالعلامة سيدي محمد (فتحا) كنون. وأحمد العبدلاوي. وعبد المالك العلوي الضرير. وحميد بناني. وعبد الله البدراوي. وعبد الكريم بنيس. وغيرهم من جلة علماء الطريقة المذكورة.

وعلى هؤلاء تمسك بهذه الطريقة. وانضوى في سلك رجالها الأبرار. ولم يقتصر على مجرد الأخذ والإنضواء فقط. بل عمق معارفه بكثرة المطالعة لكتبها. والإعتكاف على ذكر أورادها الساعات الطوال. كما سعى إلى لقاء العديد من مشاهير رجال هذه الطريقة. خصوصا منهم العارف بربه سيدي أحمد العبدلاوي. فقد كان يقضي الكثير من وقته في مذاكرته. لا يمل من ذلك ولو جلس إليه النهار بأتمه.

وخلاصة القول فقد انخرط في الطريقة التجانية عام 1316هـ - 1898م. وكان عمره إذذاك لا يتجاوز الإحدى وعشرين خريفا.

اهتمامه العريض بالشعر

يعتبر الشعر واحدا من أهم المجالات التي تجلت فيها شخصية صاحبنا المذكور. فقد قرضه منذ حداثة سنه. وظل على ذلك إلى حين وفاته رحمه الله. حيث ترك ثروة شعرية مهمة. توزعت بين كافة الأغراض السائدة إذ ذاك. من مدح ووصف وغزل ورثاء ومولديات ومساجلات وإخوانيات. وما إلى ذلك من موضوعات مختلفة.

ويتميز شعره بالقوة والجزالة. وحسن الصياغة. ودقة المعاني. مما ينم على اطلاعه الواسع بقواعده وأدواته. ذلك الإطلاع الذي جعله أحد جلة شعراء جيله. فكان محط إعجاب كثير من القراء والدارسين. وذوي الاهتمام بالقريض وشؤونه.

ويمكننا تلخيص ثروته الشعرية فيما يلي:

مدح النبي صلى الله عليه وسلم: 15 ديوانا

مدح شيخه أبي العباس سيدي أحمد التجاني: 3 دواوين

إلى غير ذلك من مئات القصائد المتنوعة الأغراض. لاسيما في المجال التربوي. مع ميادين السلوك والنصح والمواعـظ.

تلامذتـه

تخرجت بصاحبنا المذكور طائفة من الفقهاء والأدباء الكبار. ممن استفادوا من خبرته واقتبسوا من أنواره. نذكر منهم السلطان الأسبق المولى عبد الحفيظ العلوي. ومحمد الحافظ المصري. وأحمد بن الحسين الدويراني. ومحمد امغارة. ومعاوية التميمي التونسي. والشيخ ابراهيم انياس الكولخي. وأخويه محمد الخليفة ومحمد زينب.

وفاتـه ومدفنـه

كان رحمه الله مصابا بداء السكري. يعاني من شديد مضاعفاته. لاسيما في آخر حياته. حيث استفحل عليه المرض. مما اضطره للخضوع لعملية جراحية بإحدى مستشفيات مدينة مراكش. وقد توفي إثر هذه العملية بقليل. وذلك يوم السبت23 شعبان عام 1363هـ- 12غشت 1944م.

وشيعت جنازته في اليوم الموالي إلى ضريح القاضي أبي الفضل عياض. فدفن فيه بعد أن عاش ثمانية وستين سنة. كانت كلها رحلة حياة مليئة بالمواقف العلمية الموفقة والتضحيات الجسام.

وقد تألمت لوفاته جل الأوساط العلمية والثقافية. سواء بوطنه المغرب. أو بغيره من الدول المجاورة كالجزائر وتونس ومصر وسنغال والسودان.

دراسة الكتاب

السبب الباعث لهذه الرحلة

بدأ التفكير الجدي من طرف العلامة سيدي أحمد سكيرج في هذه الرحلة أواخر شهر محرم الحرام عام 1326هـ ـ 1908م عقب توصله برسالة في الموضوع من طرف صديقه وزميله في الدراسة

العلامة النقيب سيدي عبد الرحمان بن زيدان العلوي الإسماعيلي، الذي كان آنذاك حديث العهد بحفل زفافه بموطنه بمدينة مكناس.

وكان هذا الأخير قد أرسل من قَبْلُ رسائل كثيرة في هذا الصدد، وقد وقفت على بعضها، غير أن بعض الصعوبات كانت تحول دون إتمام هذا المسعى، لعل من أبرزها انشغال العلامة سكيرج بجانب التدريس، حيث كان حينها أستاذا لمادة الفرائض بجامع القرويين بفاس، وذلك ضمن الطبقة الثانية من أساتذة الجامع المذكور.

ثم ارتأى العلامة ابن زيدان بعد ذلك أن يبعث له أحد أعوانه بغية اصطحابه على الفور للعاصمة الإسماعيلية [مكناس]وأقسم عليه وأوصاه أن لا يعود إلا به مهما كانت ظروفه،وعموما فقد حل هذا العون بمدينة فاس يوم الجمعة فاتح شهر ربيع الأول عام 1326هـ ــ 3 أبريل 1908م، فأقام بها مدة أسبوع، إلى أن تسنى له القيام بهذه المأمورية ضمن يوم الأحد التاسع من الشهر المذكور.

المنهج المتبع في كتابة هذه الرحلة

بمجرد انطلاق هذه الرحلة بدأ العلامة سكيرج في تدوينها وتسجيل أحداثها، وذلك ضمن أوراق كان قد اصطحبها معه للغرض نفسه، وقد وقفت عليها بالخزانة السكيرجية، غير أنها مبعثرة هنا وهناك، ومعظمها مكتوب على وجه السرعة دون ترتيب، أو تقييد بنظام الأسطر، بل كان يكتب فيها حسبما يتيسر له، سواء من أعلى الصفحة أو وسطها، أو على يمينها أو في الهامش وغيره.

وهو ما يدل على أنه كان يسجل وقائع هذه الرحلة تلقائيا وارتجالا، غير أن هذا لا يمنع من كونه أخضعها بعد ذلك إلى التنقيح والتنظيم وترتيب الأشعار، واستعمال بعض الأسجاع، وإلحاق بعض النصوص، إلى أن أصبحت هذه الرحلة فيما هي عليه الآن من شكلها النهائي، لاسيما إذا علمنا أنه أعطى لبعض علماء مدينة مكناس عند تواجده بها وعدا لإنجاز هذه الرحلة وتدوينها أحسن تدوين، ومن هذا المنطلق يخاطبه العلامة سيدي عبد القادر العرائشي العلمي في إحدى رسائله له بقوله :

لا زلت أنتظر التي وعدت بها * من رحلة منك لم يظهر لها أثر
لعلها أهملت كناس بلدتها * وناسها ما نسوكم أينما حضروا
فالوعد من شيم الأشراف إن وقفوا * وإن هم ذهلوا فوعدهم هدر

الظروف الأمنية إبان هذه الرحلة

بخروج العلامة سكيرج من مدينة فاس صوب العاصمة الإسماعيلية[مكناس] كان لزاما عليه صحبة رفيقه المرور بسهل سايس وقبيلة بني مطير، مع العلم أن المرور بهذه المنطقة كان مغامرة، إذ السفر بها محفوف بالأهوال والأخطار، نظرا لانعدام الأمن وانتشار اللصوص وقطاع الطرق وظهور الفوضى والإضطراب، وكثيرا ما كانت القوافل المارة بهذه المنطقة تتعرض للسلب والنهب، خصوصا في ظل تلك الظروف والأحوال الأمنية التي كان يعيشها المغرب آنذاك، وأقل ما توصف به هذه الأوضاع أنها كانت سيئة للغاية، مملوءة بالفتن والأحداث المستعصية.

وعموما فقد عمد العلامة سكيرج لدى المرور بهذه الجهات إلى تلاوة بعض الآيات والأحاديث والأوراد ذات الصلة بالتحصين ودفع المكاره والمحن، كآية الكرسي وآية الحرص وحزب البحر، وما إلى ذلك من أذكار آخرى، وبالتالي فقد سلمه الله وحفظه على طول الطريق التي سلكها دون أن يواجه فيها أية متاعب تذكر.

الوضعية الإجتماعية للعلامة سكيرج خلال هذه الرحلة

كان عمر العلامة سكيرج عند هذه الرحلة 31 سنة، ولم يسبق له السفر قبل هذا التاريخ خارج مدينة فاس، وقد صرح بهذا بنفسه ضمن هذه الرحلة، ولا يفوتنا التنبيه على أنه كان خلالها متزوجا وأبا لطفل واحد، وهو ولده سيدي عبد الكريم الذي لم يكن يتجاوز حينئذ خريفه الرابع، كما لا ننسى أنه كان حينها متصدرا للتدريس بجامع القرويين بفاس، ضمن أساتذة الطبقة الثانية، حيث كان مدرسا لعلم الفرائض، بل من أبرز مدريسيها على الإطلاق بفاس آنذاك.

ونشير أيضا على أن والدي العلامة سكيرج كانا لازالا وقتئذ على قيد الحياة، إذ لم يتوفى والده [الحاج العياشي] إلا بعد مرور سنتين كاملتين من تاريخ هذه الرحلة.

أما ظروفه المعيشية فلم تكن على أحسن حال، بل كانت وسطا، وكان يسكن أولا مع والديه وأخويه في دار واحدة بحي الشرابليين، ثم انفرد قبل هذه الرحلة بثلاثة أشهر بسكن خاص مع زوجته وطفله[عبد الكريم] وذلك بحي البليدة على مقربة من الزاوية التجانية الكبرى بفاس،لا تفصله عنها سوى أمتار قليلة.

أما إخوانه فقد توفي أحدهم وهو الفقيه سيدي محمد [فتحا] سكيرج قبل هذه الرحلة بسنتين، وكان يصغره بسبع سنوات، بينما أخاه الأكبر سيدي حماد سكيرج [المؤرخ] كان قد انتقل لمدينة طنجة واستوطنها قبل هذا التاريخ بما يناهز ثمان سنوات.

الجو العام في المغرب إبان هذه الرحلة

كان المغرب إبان هذه الرحلة يعرف تقلبات سياسية مختلفة، فقد كان السلطان المولى عبد الحفيظ آنذاك حديث العهد بالتولية، لم يمر على دخوله لمدينة فاس ومبايعة أهلها له سوى خمسة أشهر لا غير، وكان الجو العام مشحونا، اعتبارا لما تعرفه البلاد من قلاقل وأهوال ومحن عديدة، لعل من أبرزها فتنة الثائر الجيلاني الزرهوني الملقب ببوحمارة، والتي لم يتم القضاء عليها إلا في السنة الموالية لهذه الرحلة.

كما كانت الأطماع الإستعمارية الفرنسية تتوسع يوما بعد آخر، لاسيما بعد احتلالها لمدينتي وجدة والدارالبيضاء، وما صاحب ذلك من خسائر فادحة في الأرواح والأموال.

ثم تأتي بعد ذلك أحداث الشاوية وتوغل الجيش الفرنسي في رقعة شاسعة منها، بما فيها مدينة سطات وغيرها، وذلك في شهر محرم الحرام عام 1326هـ ـ فبراير 1908م، أي قبل موعد هذه الرحلة بشهرين لا غير، ولا ننسى أيضا الفتن التي كانت تثيرها بعض القبائل المتناحرة، لاسيما منها المجاورة لمدينة فاس، وما يتبع ذلك من السيبة وعدم استتباب الأمن وضعف الدولة وتمرد القبائل واضطراب الوضع.

ولا يفوتنا التنبيه أن العلامة سكيرج سيفقد بعد مرور هذه الرحلة بأربعة أشهر لا غير أحد أبرز شيوخه وأكثرهم إقبالا عليه واعتناء به، وهو العلامة الشهير سيدي محمد [فتحا] كنون المتوفي يوم الجمعة 28 شعبان عام 1326هـ ـ 25 شتنبر 1908م، وقد حضر لتشييع جنازته بعض علماء مكناس، يتقدمهم تلميذه العلامة سيدي عبد الرحمان بن زيدان العلوي، الذي مكث بفاس حينها طوال أسبوعا كاملا، تواصل فيه مع صديقه العلامة سكيرج، واستعرضا معا جملة من القضايا العلمية والأدبية التي تهم الطرفين.

اهتمام العلامة سكيرج بأدب الرحلات

لا يفوتنا التنبيه على أن للعلامة سكيرج سبع رحلات، وأنه كان يهتم بالكتابة في هذا الجانب أكثر من غيره، وتتطرق رحلاته في معظمها إلى مضامين مختلفة منها المضمون الجغرافي والتاريخي والإجتماعي والعلمي والأدبي وغيره.

ولا بأس أن نضع في هذا المحل تعريفا شاملا لعناوين هذه الرحلات، مصحوبا بتواريخها والمدة التي استغرقتها كل رحلة منها، مع نوعها وحدود آفاقها:

1 ـــ الرحلة الزيدانية : هي رحلة داخلية من مدينة فاس إلى مكناس، استغرقت مدة أسبوعين، انطلاقا من يوم الأحد 9 ربيع الأول عام 1326هـ ـ11 أبريل 1908

2 ـــ الرحلة الحبيبية الوهرانية : هي رحلة خارجية من مدينة طنجة إلى مدينة وهران، على متن الباخرة، استغرقت الرحلة مدة شهر، انطلاقا من يوم الثلاثاء 15 جمادى الثانية 1329هـ ـــ 13 يونيه 1911م،

3 ـــ غاية المقصود بالرحلة مع سيدي محمود : هي رحلة داخلية، انطلقت من مدينة فاس صوب مكناس إلى زرهون فالقنيطرة وسلا والرباط، واستغرقت أربعة أشهر، انطلاقا من يوم الإثنين 14 ذي القعدة الحرام عام 1329هـ ـ 6 نونبر 1911م،

4 ـــ البعثة المكية : هي رحلة خارجية رسمية، انطلقت من مدينة فاس إلى الدار البيضاء، إلى مرسيليا، ثم منها إلى العاصمة الفرنسية باريس، ثم إلى مصر فالحجاز، ولدى عودته مر بفرنسا ثانيا، قبل أن يعود إلى المغرب، ثم انتقل على وجه السرعة إلى الجزائر في مهمة رسمية تتعلق بجمعية أوقاف الحرمين التي كان عضوا بارزا بها، ثم عاد ثانيا إلى المغرب، واستغرقت هذه الرحلة مدة تزيد على الشهر، انطلاقا من يوم السبت 10 شوال عام 1334هـ ـــ 10 غشت 1916م

5 ـــ الرحلة لتدشين مسجد باريس : رحلة خارجية رسمية، انطلاقا من مدينة الجديدة إلى العاصمة الفرنسية باريس، قصد تدشين مسجدها الكبير، استغرقت هذه الرحلة ما يناهز الشهر ، انطلاقا من يوم الأحد 21 محرم الحرام عام 1344هـ ـــ فاتح غشت 1926م،

6 ـــ تاج الرؤوس في التفسح بنواحي سوس : هي رحلة داخلية، من مدينة سطات إلى الدار البيضاء ثم الجديدة ثم آسفي والصويرة وآكادير وتارودانت وغيرها من جهات منطقة سوس، وذلك على متن سيارته التي كان وقتئذ حديث العهد بشرائها،وكان بصحبته تلميذه الفقيه محمد بن علي السوسي، مقدم الزاوية التجانية العتيقة بالدار البيضاء، بالإضافة لسائقه السيد حمو، واستغرقت هذه الرحلة مدة أسبوع، وذلك عام 1356هـ ـــ 1937م

7 ـــ شبه رحلة إلى الجزائر : هي رحلة خارجية رسمية، إلى مدينة الجزائر العاصمة، استغرقت أسبوعين، انطلاقا من يوم الثلاثاء 25شوال عام 135هـ ـ 26 نونبر 1940م،

تعدد مضامين هذه الرحلة

نحا العلامة سكيرج رحمه الله في هذه الرحلة مضامين مختلفة، منها المضمون الجغرافي الذي نجده حاضرا بقوة منذ انطلاق هذه الرحلة من فاس إلى غاية انتهائها برجوعه للمدينة ذاتها أواخر شهر ربيع الأول عام 1326هـ ــ أبريل 1908م، حيث وصف لنا كثيرا من الطرق والقبائل والأودية والجهات التي سلكها.

كما اهتم أيضا بالمضمون التاريخي فتحدث عن بعض الآثار القديمة التي زارها بالعاصمة الإسماعيلية مكناس، وعن أبوابها وأسوارها ومساجدها وزواياها وأضرحتها وقصورها، فسلط الضوء في هذا الصدد عن مآثر حبس قارة وقبة الخياطين وصهريج السواني والهري الشهير وأكدال وجنان ابن حليمة، دون أن ننسى الضريح الإسماعيلي الذي وصفه لنا بدقة متناهية لم تغفل أي شيء من معالمه ومرافقه، حتى الأشعار التي نقشت على جدرانه أو دارت بحائط قبته.

أما المضمون العلمي فقد كان بارزا في هذه الرحلة، يتجلى في لقاءاته بعلماء وأدباء مكناس، وما دار بينه وبينهم من مناقشات علمية ونشاط فكري وأدبي عميق، أضف إلى ذلك ما صدر من جميع هؤلاء من رسائل وأشعار وكتب، وغير ذلك مما هو من صميم هذه الرحلة، ولا ننسى بعد هذا وذاك اطلاعه على محتويات الخزانة الزيدانية التي تعد وبدون منافس من أشهر الخزانات العلمية والأدبية إذ ذاك، ليس على مستوى مدينة مكناس فحسب، بل على صعيد المغرب كله.

ولم يغفل رحمه الله كعادته المضمون الإجتماعي، بل تحدث عنه ضمن فقرات مختلفة من هذه الرحلة، أما المضمون الأدبي فهو السائد على الإطلاق في رحلته، إذ ساق فيها نصوصا أدبية كثيرة في الشعر والنثر لا يمكن الإستهانة بها، ولا الإستغناء عنها في دراسة أدب هذه الفترة، فقد حرص كل الحرص على الترجمة لعلماء هذه المدينة [مكناس] ونقل أشعارهم ورواياتها وتوثيقها، مخافة أن تتعرض أو يتعرض بعضها للنسيان والإندثار، ويتجلى هذا واضحا في بعض العلماء الإحدى عشر الذين ترجم لهم في هذه الرحلة، حيث أن بعضهم لا تعرف له أشعار إلا من خلال ما أتبثه في هذا النص.

بعض محتويات هذه الرحلة

قسم العلامة سكيرج هذه الرحلة إلى إحدى عشر ترجمة، عرف من خلالها ببعض من التقى بهم في هذه المدينة من كبار العلماء والأدباء والأخيار، فتحدث عن مستواهم العلمي والثقافي، ومكانتهم الإجتماعية، ثم ساق بعضا من انتاجاتهم العلمية والأدبية.

فمن ذلك النص الكامل لكتاب بهجة الفكر، في اشتمال الخطبة على أبيات الشعر، للعلامة القاضي سيدي محمد بن عبد السلام الطاهري، كما ساق لمضيفه العلامة سيدي عبد الرحمان بن زيدان قصائد كثيرة، لعل من أبرزها قصيدته المسماة كفاية المحتاج، في مدح صاحب اللواء والتاج، تقع في 208 أبيات، وقصيدته بغية المستهام، في مدح النبي عليه السلام، التي عارض بها قصيدة البردة للبوصيري، وتقع هي الأخرى في 162بيتا.

التزامه بالصدق ودقة الرواية

انصب العلامة سكيرج في رحلته هذه إلى وصف الطريق التي سلكها نحو مدينة مكناس، مع ما واكبه خلالها من أحداث، أو ما اختلج في ذهنه من أفكار وخواطر ونكت طريفة، وهو نفس ما التزمه طيلة هذه الرحلة التي استغرقت أسبوعين.

وبناء عليه لم يكن رحمه الله متساهلا في انتقاد ما كان يراه غير عادي، سواء في أخلاق الناس أو عاداتهم وأعرافهم، لدرجة أن بعض علماء مكناس وصفه بالرجل الجريء، ومما هو جدير بالملاحظة أنه لم يكن متسرعا في إصدار الأحكام والإنتقادات وهجاء الناس ولومهم، بل كان منهجه التريث والتثبت تماشيا مع أسلوبه المتسم بدقة الرواية والصدق والصراحة في إبداء الرأي، فلا يجامل أحدا ولا يهادنه ولا يخافه، وقد لازمه هذا السلوك حتى في رياض مضيفه العلامة النقيب سيدي عبد الرحمان بن زيدان، وبحضور من كان به من علماء وشرفاء وأدباء كبار.

ومن أطرف ما يمكنني ذكره في هذا المحل وصفه لسهل سايس، ولما لاقاه من تعب من جراء طول مسافته، حيث قال :

يَا سَائِساً مِنْ طُولِهِ * أَمْسَيْتُ فِي هَمٍّ طَوِيلْ
فِي أَيِّ وَقْتٍ تَنْقَضِي * أَجَابَنِي بَعْدَ العَوِيلْ

وقال فيه أيضا :

مَا كُنْتُ أَحْسِبُ أَنَّ سَائِسَ يَنْقَضِي * مِنْ كَثْرَةِ الطُّولِ الَّذِي قَدْ حَازَهُ
لَوْ كَانَ سَائِسُ قَائِماً بَلَغَ السَّمَا * فَهُوَ الصِّرَاطُ يَجُوزُهُ مَنْ جَازَهُ

ومن ذلك قوله لما مَرّ بساقية على حافة الطريق، فهوت به دابته فيها وسقط في الماء،وابتلت ثيابه دون أن يصاب بضرر، فقال يهجو الساقية مع الحافة والطريق.

تَبّاً لَهَا مِنْ سَاقِيَهْ * وَمِنْ طَرِيقٍ شَاقِيَهْ
تَـبّـاً لَـهَـا فَـإِنَّـهَـا * مِـنَ الرَّشَادِ خَالِيَهْ

ومن ذلك أيضا قوله لما نزل للإستراحة في عزيب الشريف الأمراني الكائن وسط الطريق الرابطة بين مدينتي فاس ومكناس، ومفاده أنه لما دخل إلى بيت من بيوت هذا العزيب وجد بعضا من التجار المسافرين قد استولى على ذلك البيت، ولم يترك له موضعا للجلوس، بل أملأه عن آخره بحقائبه وأغراضه، غير مبال بأحد أيا كان، فقال فيه هاجيا له : إن التجار فُجّارٌ، لا يراعون ذمة الجار، إلا إذا عليهم جار، فدعهم عني ودعني عنهم، فليسوا مني ولا أنا منهم، ثم قال :

يَا نَفْسُ قُومِي عَنِ الجُهَّالِ وَارْتَفِعِي * مِـنْ مَـوْضِـعٍ لَـمْ يُـرَاعَ فِـيهِ ذُو أَدَبِ
وَاطْـلُـبْ مَـحَـلاً سِـوَى هَذَا فَـإِنَّ بِـهِ * تَـنَـالُ غَـايَـةَ مَـا تَـبْـغِيهِ مِـنْ طَـلَـبِ

ويذهب التزامه بالصدق إلى أكثر من هذا حيث يقول الحق ويعتاده ولو على نفسه، فقد حدث في هذه الرحلة أنه دخل صحبة العلامة سيدي عبد الرحمان بن زيدان إلى جنان ابن حليمة، أحد أعظم المنتزهات وقتئذ بمدينة مكناس، وقد جرت عادة أهل المخزن أن لا يدخل إلى هذا الجنان أحد راكبا، بل راجلا لا غير، قال العلامة سكيرج : ونحن دخلناه راكبين، وفيه قلت :

لَمْ تَـرَ فِـي الـجِنَانِ عَـيْنِيَ رَوْضـاً * مِثْلَ رَوْضٍ يُعْزَى إِلَى ابْنِ حَلِيمَهْ
هُـوَ رَوْضٌ عَـنِ الـجِنَانِ تَـبَدَّى * غَـيْـرَ أَنِّـي دَخَـلْـتُـهُ بِـالـبَـهِـيمَهْ

الفرجة والفكاهة في هذه الرحلة

لا يفوتنا التنبيه على أن العلامة سكيرج لم يكن رجلا جامدا منغلقا على نفسه، بل كان رجلا نشيطا دائم الإبتسامة، بعيدا عن التشدد، هينا لينا، لا تخلو رحلته هذه التي بين أيدينا من جانب الدعابة

والهزل، فكثيرا ما تحدث فيها عن ضرورة خروج المرء للتفسح وتسريح الخاطر، كما قال منشدا قول الشاعر :

أَفِدْ طَبْعَكَ المَكْدُودَ بِالجِدِّ سَاعَةً * يُـجَمُّ وَعَـلِّلْهُ بِشَـيْءٍ مِـنَ الـمَزْحِ
وَلَـكِنْ إِذَا أَعْـطَيْتَهُ الـمَزْحَ فَلْيَكُنْ * بِمِقْدَارِ مَا يُعْطَى الطَّعَامُ مِنَ المَلْحِ

ومما ذكر في هذه الرحلة ضمن هذا الصدد أن العلامة سيدي عبد الله بن محمد العلوي أحد أبناء عمومة العلامة النقيب عبد الرحمان بن زيدان، جاء مرة بين العشائين زائرا للعلامة سكيرج في مكان نزوله برياض النقيب ابن زيدان المذكور، ولم يكن هذا الأخير متواجدا ساعتئذ بالمنزل، بل كان في أشغال منعته من الحضور إلى غاية ساعة متأخرة من تلك الليلة،

وكان قَصْدُ العلامة الفقيه سيدي عبد الله بن محمد العلوي مؤانسة العلامة سكيرج وتناول وجبة العشاء معه، مع الحديث عن مشروع كتاب يود العلامة المذكور تأليفه، فمرت الساعة تلو الساعة إلى أن حان منتصف الليل دون أن يقدم صاحب المنزل العلامة سيدي عبد الرحمان بن زيدان، فالتفت العلامة سكيرج إلى الفقيه الشريف المذكور وقال له :

يَا شَرِيفاً قَدْ بَاتَ عِنْدِيَ ضَيْفَا * وَنَـوَى مَـا يُرَى مِـنَ الـمَشْرُوعِ
إِنَّـنِـي قَـائِـلٌ وَقَـوْلِـيَ حَــقٌّ * أَبْـشِـرَنْ أَنْــتَ بَـائِـتٌ بِـالجُوعِ

ومع ذلك كان العلامة سكيرج رحمه الله لا يحب الإفراط في الهزل، وما يجر إليه من العبث واللهو، فقد اجتمع بالمدينة نفسها [مكناس] صحبة مضيفه العلامة ابن زيدان برجل من أهل مدينة مراكش، كثير الضحك والفكاهة، لا يفتر لسانه عنهما، وكان العلامة ابن زيدان يعتقده وينعته بالصلاح، فالتفت إليه العلامة سكيرج وقال : الذي يحلق ببصره ويطوف شرقا وغربا ليرى حال المسلمين اليوم لا يمكن أن يكون هذا حاله.

تنشيط الحركة الأدبية في مكناس خلال فترة هذه الرحلة

للعلامة سكيرج سبع رحلات مختلفة الأغراض، منها الداخلية والخارجية والرسمية والسياحية، وتعتبر الرحلة الزيدانية فاتحة هذه الرحلات السبع، كما أنها أكثرها غناء بالنصوص الأدبية شعرا

ونثرا، إذ تضم 74 قصيدة، غير المقطعات والأشعار الكثيرة التي لا يزيد عدد أبياتها على العَشْرِ، ولهذا تكاد تكون كلها نظما، إذ النثر فيها قليل لا يزيد في نسبته على سدس الكتاب، مع العلم أن هذه الرحلة تضم بين أطرافها 2265 بيتا شعريا، وهو عدد لا يستهان به بالمقارنة مع غيرها من الرحلات الآخرى.

والحق أن العلامة سكيرج رحمه الله ساهم بشكل فعال في تنشيط الحركة الأدبية بمدينة مكناس، وذلك خلال الأسبوعين اللذين قضاهما بها، وهما عُمُرُ هذه الرحلة الميمونة، كما أنه لقي تجاوبا عظيما من طرف علماء وأدباء هذه المدينة، وكان له الفضل في تحفيزهم ودفع الكثير منهم نحو الإنتاج.

ولا يخفى على القارئ الكريم أن مكان نزول العلامة سكيرج بهذه المدينة [رياض العلامة ابن زيدان] لم يخلو يوما من علماء وأدباء كبار، وشرفاء وأخيار، وأشخاص من مستويات مختلفة، كان لبعضهم الدور في توجيه الحياة الفكرية والثقافية والسياسية لذلك العصر.

الرحلة الزيدانية

وتسمى أيضا

الرحلة العلوية المكناسية

تصنيف خديم الحضرة المحمدية، ومحب آل البيت الطيبين،

أبي العباس أحمد بن العياشي سكيرج الخزرجي

الأنصاري، أمنه الله في الدارين آمين



دراسة وتحقيق

ذ : محمد الراضي كنون الحسني الإدريسي

بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد وآله

مقدمة الكتاب

إن أحسن ما نطق به القلم في ابتداء الخطاب، ورسمه في وجه صفحات الكتاب، حمد الله المحمود في الأرض والسماء، المشهود له بالألوهية في العوالم الموجودة من نور أو نار أو طين أو ماء، لا إله إلا هو المنفرد بالوحدانية، المنعم على جميع الخلائق بالمواهب الإمتنانية :

عَمَّ الوُجُودَ بِفَضْلِهِ وَبِجُودِهِ * وَالفَضْلُ مِنْهُ لاَ يَزَالُ عَمِيمَا
مَــنْ ذَا يُـوَافِـيهِ بِـحَـقِّ ثَـنَائِهِ * وَثَـنَـاؤُهُ مِـنْـهُ يَـكُـونُ نَـعِـيمَا

فسبحانه من إله كريم، ذي فضل عظيم :

بِـفَـضْـلِهِ عَـلَّـمَـنَا * وَعَـمَّـنَـا بِـأَنْـعُـمِهِ
فَالحَمْدُ وَالشُّكْرُ لَهُ * عَـلَى جَزِيـلِ كَـرَمِهِ

ونصلي ونسلم على من كان واسطة فيها للعباد، والهادي إلى طريق الرشاد :

أَجَــلُّ الـعَـالَـمِينَ عُــلاً وَعِـلْـماً * وَأَتْـقَـاهُـمْ وَأَقْــوَاهُـمْ عِــبَـادَهْ
رَسُــولُ الـلَّـهِ خَـيْرُ الـنَّـاسِ طُـرّاً * وَمَنْ بِهِ قَدْ هَدَى المَوْلَى عِبَادَهْ

وعلى آله ذوي السيادة التامة، وأصحابه أولي السعادة العامة :

فَـأَعْـظِمْ بِـهِـمْ مِــنْ سَــادَةٍ فُـضَـلاَءِ * لَـهُمْ فِـي مَـرَاقِي الـمَجْدِ أَعْلَى العَلاَءِ
فَهُمْ فِي العُلاَ بَيْنَ الوَرَى أَنْجُمُ الهُدَى * بَـدَوْا فِـي طَـرِيـقِ الـحَقِّ أَهْلَ اهْتِدَاءِ

التعريف بالشريف الذي شدت إليه هذه الرحلة

وهو العلامة النقيب سيدي عبد الرحمان بن زيدان

أما بعد : فإن من نعم الله على العبد الفقير أن انعم عليه بمعرفة السيد الأريحي المضياف، غطريف الأشراف، محي ما اندثر من دروس الأدب، وجامع أشتات المكرمات والفضل والحسب، من توجه الله بتاج القبول، وألبسه رداء التقوى بوراثة جده الرسول، عليه السلام، على طول الدوام، ألا وهو يتيمة الدهر، وصفوة أهل العصر، ذو الأخلاق الغالية، والهمم العالية، والفضائل الفاشية، في الحضرة المكناسية والفاسية، سلالة المجد الشامخ، والفضل الراسخ، نقيب السادة الشرفاء العلويين بمكناسة الزيتون وزرهون، أبو المكارم مولانا عبد الرحمان بن محمد بن عبد الرحمان بن زيدان الشريف العلوي الإسماعيلي[1]، زاده الله عزا وإجلالا، وفضلا وكمالا.

---

(1) العلامة الأديب مولاي عبد الرحمان بن محمد بن عبد الرحمان بن علي بن زيدان بن السلطان الشهير مولانا إسماعيل. هو نقيب الشرفاء العلويين بمدينتي مكناس وزرهون. ولد في شهر ربيع الثاني عام 1295هـ - أبريل 1878م بالقصر الملكي المعروف بـ "قصر المحنشة" بمكناسة الزيتون.وبها حفظ القرآن الكريم. ثم التحق بفاس. حيث أخذ عن كبار فقهاء القرويين بها. فبرع في الأدب والتاريخ والبلاغة والفقه والحديث والسيرة وغيرها من العلوم الأخرى.

وشيوخه رحمه الله كثيرون. منهم قاضي مكناس العلامة محمد بن القصري المكناسي. وأحمد بن الخياط الزكاري. وسيدي عبد الكريم بنيس، وأحمد بن الجيلالي الأمغاري. وسيدي محمد [فتحا] كنون، والعلامة محمد بن قاسم القادري، بالإضافة لمؤلف هذا الكتاب العلامة سيدي أحمد سكيرج، وغيرهم من العلماء الآخرين. كما أجازه من خارج المغرب عدة شيوخ من الحجاز ومصر والشام والهند وتونس والجزائر.

وتقلد رحمه الله بعهد الطريقة الأحمدية التجانية عن العارف بربه العلامة سيدي العربي العلمي اللحياني الموساوي. أما وظائفه : فقد انتخب من بين علماء وقته مدرسا لتلامذة المدرسة الحربية بمكناس. ثم مديرا للمدرسة المذكورة.

وله رحمه الله مصنفات كثيرة منها : إتحاف أعلام الناس بجمال أخبار حاضرة مكناس. وإرشاد المستفيد لما للأئمة من التفضيل في طبقات أهل التقليد. والدرر الفاخرة بمآثر الملوك العلويين بفاس الزاهرة. والعز والصولة في معالم نظم الدولة. والمناهج السوية في مآثر الدولة العلوية. والعلائق السياسية للدولة العلوية، نشر في ملحق لمجلة المغرب العدد 16 شوال 1352 يناير 1934 في 25 صفحة، والنهضة العلمية في عهد الدولة العلوية. والعقود الزبرجدية، وهو اسم تأليف مطول دَوَّنَ فيه تاريخ رحلة جلالة المغفور له السلطان سيدي محمد الخامس في بعض أنحاء المغرب عام 1360 هـ ـ 1941م، وتوسع فيه في تاريخ سجلماسة، يقع في مجلد كبير. والمنزع اللطيف، في التلميح لمفاخر مولاي إسماعيل بن الشريف، والمؤلفون على عهد الدولة العلوية ، يقع في مجلد. والنور اللائح بمولد الرسول الخاتم الفاتح. وبلوغ الأمنية في مدح خير البرية. وله غير ذلك من التأليف والرسائل والتقاليد.

وكانت وفاته رحمه الله ظهر يوم السبت 21 ذي الحجة سنة 1365هـ - 16 نونبر 1946م. وحضر جنازته صاحب السمو الملكي ولي العهد إذ ذاك جلالة المغفور له الحسن الثاني، ودفن داخل ضريح جده السلطان الشهير المولى إسماعيل

آمِينَ آمِينَ لاَ أَرْضَى بِوَاحِدَةٍ   *   حَتَّى أُضِيفَ لَهَا آلاَفُ آمِينَا

وقد صرت متيما بحبه وهواه، لا أميل من أهل الأدب إلى سواه، لما أولاه الله من مكارم الأخلاق والأدب وحسن المعاشرة بين ذوي الألباب.

شَرِيفٌ مَالَهُ فِي الفَضْلِ مِثْلٌ   *   بِمَا قَدْ حَازَ مِنْ حُسْنِ الصِّفَاتِ
فَضَائِلُهُ يقرُّ بِهَا الأَعَادِي   *   وَقَدْ طَارَتْ إِلَى كُلِّ الجِهَاتِ

غير أنه مشغوف بالأدب وأهله، وذلك مما يدل على فضله، تجرد عن رداء الكبر والافتخار، وتحلى بحلل التواضع والوقار، ويا لله ما أحلى تواضع ذوي الرتب العالية، وما أحسن تودد ذوي الشيم الغالية، فهو حفظه الله.

يَلْقَاكَ فِي شَرَفِ العُلاَ مُتَوَاضِعاً   *   حَتَّى تَرَى المَقْصُودَ مِثْلَ القَاصِدِ
وَإِذَا دَنَتْ يُمْنَاهُ مِنْ مُسْتَرْفِدٍ   *   لَمْ تَدْرِ أَيُّهُمَا يَمِينَ الرَّافِدِ[1]

قد جاد لي به دهري في الأنام، وظفرت بمتمنى أبي تمام إذ قال :

مَنْ لِي بِإِنْسَانٍ إِذَا أَغْضَبْتَهُ   *   وَجَهِلْتُ كَانَ الحِلْمُ رَدَّ جَوَابِهِ
وَإِذَا صَبَوْتُ إِلَى المُدَامِ شَرِبْتُ مِنْ   *   أَخْلاَقِهِ وَشَرِبْتُ مِنْ آدَابِهِ
وَتَرَاهُ يَصْغَى لِلْحَدِيثِ بِطَرْفِهِ   *   وَبِقَلْبِهِ وَلَعَلَّهُ أَدْرَى بِهِ

فهذه بعض أوصافه على الإجمال، وأما ذكرها على التفصيل فهي كما قيل:

---

(1) البيتان للشاعر ابن القيسراني، أحد شعراء العصر العباسي، من قصيدة له قال في مطلعها :

لَيْتَ القُلُوبَ عَلَى نِظَامٍ وَاحِدٍ   *   لِيَذُوقَ حَرَّ الوَجْدِ غَيْرُ الوَاجِدِ
فإلام يهوى القلب غير مساعف   *   بهوى ويلقى الصب غير مساعد

لاَ يُدْرِكُ الوَاصِفُ المُطْرِي خَصَائِصَهُ * وَإِنْ يَكُنْ سَابِقاً فِي كُلِّ مَا وَصَفَا[1]

السبب الباعث لهذه الرحلة

زاد الله في محامده، وبلغه جميع مقاصده. ولما انبرم حبل المودة بيننا ازدادت فيه مودة، وقد كان أيام إقامته بالحضرة الفاسية، ذات المحاسن الفاشية، يتودد إلي في الظاهر والباطن، ويتردد علي في بعض المواطن، لنتذاكر في الآداب والفنون، ونقتطف من الأفنان أزهار الجد في غالب الأوقات، وفي بعضها ندير كأس المجون، والحديث شجون[2]،

وما زلنا على هذه الحالة، أحسن الله حاله، إلى أن سافر بالسلامة إلى حضرته المكناسية من الحضرة الفاسية، فترك أدباء فاس لا يقر لهم قرار بعده، وغالبهم سافر إليه وأقام مدة عنده، وكنت ممن يتمنى رؤيته، ويطلب نظرته وعودته، فبينما أنا كذلك أمني النفس التي بين جنبي به متيمة، ونيران الأشواق بين أضلعي مضرمة، إذ هبت علي نفحة من نفحاته، تبشرني بملاقاته، فأحيا الله بها روحي، وقلت حين أتاني البشير لنفسي في فداه روحي.

يَا نَفْسُ هَذَا الحَبِيبَ بِاللِّقَا وَعَدَا * فَـسَـارِعِي لِلُقَيِّهِ تَـنَـلْ رَشَــدَا
وَبَادِرِي لِلَّذِي دَعَا إِلَيْهِ عَسَى * تَـرَى مُحَيّاً يُزِيلُ الـهَمَّ وَالـنَّكَدَا

فاقترح علي أبقى الله حرمته الوفود على جانبه الأعلى، وأكد علي في ذلك مرارا، ولم أجد لي بعد ذلك في مقري قرارا، فاعتذرت إليه بأني ما تعودت السفر، ولا فارقت الحضر، ولم أقدر على مغادرة فاس، فلم يقبل مني عذري المنعوت، الذي رآه أوهن من بين العنكبوت، ومازال يكاتبني في ذلك برسائل، وأنا أستعفيه من ذلك ولعفوه سائل، إلى أن أرسل لي هذا الشريف العلوي في شهر ربيع النبوي، من سنة 1326من هجرة من أكرمه الله بمكارم الأخلاق، وأكمل وصفه عليه

---

(1) البيت للشاعر أبي الفتح البستي، وهو البيت الأخير من قصيدة فائية قال في مطلعها:

من كان يبغي علو الذكر و الشرفا * أو يبتغي عطف دهر قد نبا وجفا
أو كـان يأمل عـند الله منزلة * تـنيله قـرب الأبـرار والزلفا

(2) الحديث شجون : مَثَلٌ، قال صاحب كتاب زهر الأكم، في الأمثال والحكم :ومعنى هذا المثل : إنَّ الحديث ذو فنون وأغراض وطرق يدخل بعضها في بعض، ويتشعب بعضها من بعض كالطرق المشتبكة المتقاطعة أو الأغصان والعروق. ويضرب هذا المثل في الحديث سيذكر به حديث غيره. ومن ثم يضربه القصاص والأئمة عند استطراد المسائل والخروج من غرض إلى آخر.

أفضل الصلاة والسلام، على طول الدوام، من يذهب بي إليه، مع ما يحملني عليه، مؤكدا علي في ذلك في كتاب، لا يكون غير قدومي عليه في الجواب، فعندئذ تحتمت علي مساعفته، وحرمت علي مخالفته، فجهزت نفسي، والمؤونة في الحقيقة من عنده،

انطلاق الرحلة

وخرجنا من فاس على الساعة الثامنة صباح يوم الأحد تاسع الشهر المذكور، وهو يوم خروج الطوائف العيساوية من فاس بالعادة، على ما جرت به العادة فودعت فاسا والأهل والأصحاب، وكل من ودعته ودعني أذكى سلام عليه، نؤديه إليه.من جملتهم أديب فاس صاحب الشعر المعجز المعجب الشريف العلوي مولاي عبد السلام المحب[1] ودعته قبل ظعني، بيوم في وطني، بزاوية شيخنا العارف الرباني، سيدنا ومولانا أحمد التجاني، رضي الله عنه، لما ذهبت للزيارة بقصد الوداع، فألفيته هنالك، فانشدني ارتجالا بعد الموادعة في ذلك :

بَــلِّــغْ تَــحِـيَّـةَ حُــــبٍّ * لِابْــنِ الـمَـفَـاخِرِ زِيـدَانْ
مَنْ مِنْهُ مَكْنَاسُ أَضْحَتْ * عَـلَى الـمَـكَانِسِ تَـزْدَانْ

ولما خرجنا من فاس، أنشدت ما قلته فيها بطيب الأنفاس[2] :

---

(1) مولاي عبد السلام المحب العلوي، أديب، شاعر، فقيه جليل، ولد بمدينة فاس، وبها أخذ العلم عن جماعة من أعيان العلماء، فبرز نجمه في علوم وفنون كثيرة، وتولى الكتابة مدة على عهد السلطانين المولى عبد العزيز وأخيه المولى عبد الحفيظ، ومن مصنفاته : مقامتان على طريقة المقامات الحريرية، وكانت وفاته رحمه الله في أوائل شهر شوال عام 1331هـ ـ شتنبر 1913م، ورثاه الأديب الكاتب محمد غريط بقصيدة قال في مطلعها :

نغـالط بـالآمـال والـحكم واجب * ونستوهب الإمهال والعمر ذاهب
ولـولا أمـانينا وحـجب نـفوسنا * عـن الغيب ما لذت لدينا مشارب

أنظر ترجمة في فواصل الجمان لمحمد غريط ص 224-306، وفي الأعلام للزركلي ج 4 ص 7. إتحاف المطالع، لابن سودة 2 : 405

(2) إشارة لكتاب طيب الأنفاس، بجغرافية فاس،يقع في 16 صفحة، غير تام، قال في خطبته بعد كلام، أما بعد فهذا تويلف لطيف أسميه بطيب الأنفاس، بجغرافية فاس، حملني على وضعه وجمعه بعض المحبين، عسى ينتفع به من يطالعه من الأقربين والأبعدين، فجئت به على هذا الأسلوب، مقربا للمرام المطلوب، وأرجو من المولى أن يجعله للكل نافعا، ولعلم جغرافيتها رافعا، إنه رب ذلك والقادر عليه إلخ ...

يَا فَاسُ يَا فَاسُ أَنْتِ مَسْكَنِي وَإِلَى * مَنِ ارْتَحَلْتُ لَهُمْ هُمْ فِي الوَرَى نَاسِي
إِنْ كُنْتِ لِي وَطَناً نَفْسِي تَطِيبُ بِهِ * فَهُمْ أُنَاسٌ بِهِمْ تَطِيبُ أَنْفَاسِي

المرور بسهل سايس

وعنها صرنا راحلين، نرى في الطريق الناس راكبين وراجلين، وصرنا من سائس نقطع تلك المسافات، خوف الوفاة قبل الموافات، وكلما جبت مفازة، قلت هذه لي مفازة، فلم أقطع بعض تلك المسافات، حتى قلت هذه المسافات، فصرت والقلب آيس، من أن نتم في نهاري مسافات سايس:

يَا سَائِساً مِنْ طُولِهِ * أَمْسَيْتُ فِي هَمٍّ طَوِيلْ
فِي أَيِّ وَقْتٍ تَنْقَضِي * فَأَجَابَنِي بَعْدَ العَوِيلْ

الوصول إلى عزيب الشريف الأمراني والمبيت به

فتحققت عند ذلك أن السفر قطعة عذاب، وأنه لو كابد السفر حجر بنفسه على تلك المسافة لذاب، ولم نصل إلى عزيب الشريف الأمراني[1] إلا بعد التي والتي وجهد جهيد، وكان وصولنا إليه على الساعة الواحدة بعد الزوال، بعد قطع غالب تلك المفازات الطوال، وكنت قلت لما أضجرني المسير، مخاطبا الشريف المذكور مخاطبة الأسير، تسلية لنفس:

إِلَيْكَ المَطَايَا النَّفْسِ بِالشَّوْقِ سُقْنَاهَا * وَفِي كُلِّ مَا يُرْضِيكَ إِن تَرْضَ بِعْنَاهَا
فَلَيْسَ لَنَا فِيمَا أَرَدْنَا سِوَى الرِّضَى * إِلَيْكَ وَمِنْكَ فِي أُمُورٍ حَمِدْنَاهَا
فَنَحْنُ أُنَاسٌ مَا لَنَا عَنْكَ مَعْدَلٌ * وَإِنْ عَنْكَ تَعْدِلْ ذَاتُ عَدْلٍ عَذَلْنَاهَا
وَإِنْ نَفْسُنَا صَارَتْ تَلُومُ وَتَشْتَكِي * بِمَا قَدْ حملنَاهَا مِنْ أَجْلِكَ لُمْنَاهَا
نَقُولُ لَهَا يَا نَفْسُ مَا لَكِ فَاصْبِرِي * قَلِيلاً فَهَا مَكْنَاسَةٌ قَدْ وَصَلْنَاهَا

---

(1) كان هذا العزيب في ملكية الشريف سيدي محمد بن محمد بن عبد الله بن الطاهر الأمراني، أحد الشخصيات السياسية البارزة بالمغرب وقتئذ، حظي بوظائف سامية على عهد السلطانين المولى عبد العزيز وأخيه المولى عبد الحفيظ، كما عينه السلطان المولى يوسف عاملا على مدينة مكناس، بيد أنه لم يمكث في طويلا في منصبه المذكور، حيث توفي بمدينة الدار البيضاء بتاريخ 14 رمضان المعظم عام 1331هـ ـ 17 غشت 1913م أنظر ترجمته في معلمة المغرب 2 : 693

نُعَلِّلُهَا بِالوَصْلِ وَهْيَ عَلِيلَةٌ * وَنُلْزِمُهَا بِالصَّبْرِ حَتَّى عَذَرْنَاهَا
نُكَلِّفُهَا بِالصَّبْرِ وَهْيَ قَدِ اكْتَسَتْ * مِنَ الضَّجَرِ المُرْدِي رِدَاءَ قطعنَاهَا
إِلَى أَنْ حَلَلْنَا فِي مَنَازِلِ رَوْضَةٍ * حَمِدْنَا السُّرَى بَيْنَ الوَرَى قَدْ حَلَلْنَاهَا

ولما دخلنا للعزيب المذكور، تلقانا بعض عزاب صاحبه المشهور، فقابلنا بكلام إنسان، يظهر منه الإحسان، فدفع له صاحب الشريف الذي هو معي بطاقة، ولما قرأها رحب بنا بحسب الطاقة، وأخذ الدابة للمراح، ودخلت للجنان بقصد الاستراحة، وذهب تم راح، وطلب منا دخول المنتزه العالي، في ذلك العزيب المتسع الغالي، ولما ذهبت إليه وجدت به بعض أهل فاس من التجار استولى عليه، ولم يتركوا لي موضعا أجلس فيه، واللبيب نظرته تكفيه، فقمت من بينهم بعد الدخول، وصرت أنشد وأقول :

يَا نَفْسُ قُومِي عَنِ الجُهَّالِ وَارْتَفِعِي * مِنْ مَوْضِعٍ لَمْ يُرَاعَ فِيهِ ذُو أَدَبِ
وَاطْلُبْ مَحَلاً سِوَى هَذَا فَإِنَّ بِهِ * تَنَالُ غَايَةَ مَا تَبْغِيهِ مِنْ طَلَبِ

ولما نزحت عنهم، وفررت منهم، فرار ذي نفس أبية، لا ترضى بدنية، أتاني قيم العزيب معتذرا، وأنه ليس على إخراج جمعيهم مقتدرا، وقال لي: إن رضيت أن أخرج البعض منهم، فهل ترضى عنهم، فقلت له : إن التجار فجار، لا يراعون ذمة جار، إلا إذا عليهم جار، فدعهم عني ودعني عنهم، فليسوا مني ولا أنا منهم، وأنشدت في الحال :

أَرَى كُلَّ ذِي عَقْلٍ يَمِيلُ لِجِنْسِهِ * وَإِنْ لَمْ يَجِدْ جِنْساً أَقَامَ بِخَلْوَتِهْ
وَمَنْ مَالَ فِي شَيْءٍ إِلَى غَيْرِ جِنْسِهِ * فَذَاكَ الَّذِي فِي الخَلْقِ رَاحَ بِشِقْوَتِهْ

ولما رآني بعض طلبة فاس، ممن قدم على ذاك العزيب من الناس، قام إلي راغبا، وللمبيت معه هنالك طالبا، فقلت : هذه هي بغيتي التي أريد، ومالي عنها محيد، فبت في أمان معهم، بمكان وسعني ووسعهم، وسم الخياط[1] مجال للمحبين[2]، في حالة القرب والبين، ثم قدم إلي ذلك العزاب

(1) سم الخياط : ثقب الإبرة والمخيط

(2) مثال شائع ونصه : لا يضيق سم الخياط على متاحبين، ولا تتسع الدنيا لمتباغضين

جملة من الناس، ممن قصدوا مكناس، والطوائف تتوارد بقصد المقام، إلى أن سقط ستر الظلام، فبتنا تلك الليلة إلى الصباح، والناس في نشاط وارتياح، ولم نتكل على عشاء أولئك العزاب، لما معنا من الزاد المستطاب، ولكن من حق الكرماء أن يشكروا مبيتهم، وأن يشربوا فيه جرعة ماء، ولولا حرمة الحسب، وحق الأدب، لمدحنا هؤلاء العزَّابِ، بما يقال لمادحهم شاعر كذاب،

ولما صلينا صلاة صبح الاثنين، وأدينا الفريضة والحمد لله بلامين، شددنا الرحيل في الساعة الخامسة، وكل منا ذهب مع من كان مجالسه، وودعنا العزيب بسلامة، وغضضنا الطرف عما يستحق العزاب من الملامة، وسرنا مع طريق عسير، بقصد اختصار المسير، فبينما أنا كذلك فيه سالك، في شعب تلك المسالك، إذ قفزت الدابة على ساقية، فوقعت بي هاوية، ولكن الله سلم عبده، فأطال بعد قيامه شكره وحمده، وقام يهجو تلك السقية، وتلك الدابة الشقية :

تَبّاً لَهَا مِنْ سَاقِيَهْ * وَمِنْ طَرِيقٍ شَاقِيَهْ[1]
تَـبّـاً لَـهَا[2] فَـإِنَّـهَا * مِـنَ الرَّشَادِ خَالِيَهْ

الوصول لمدينة مكناس

ولما وصلنا للطريق وجدنا الناس المارين فيه لا يحصون كثرة ما بين رجال ونساء وولدان وشيوخ وشبان، قادمين من المهدومة، بعد الليلة المعلومة، وكل مرتعد الفرائس، بمكابدته مسافات سائس، إلى أن أشرفنا على مدينة مَكْنَاسَهْ، والكُلُّ يَرْفَعُ لَهَا رَاسَهْ، وارتاحت نَفْسُنَا للوصول، بما حصل لها من الفرح ببلوغ السول، واسترح من كان قلبه من وصولها آيس، بما لاقاه من طريق سايس.

مَا كُنْتُ أَحْسِبُ أَنَّ سَائِسَ يَنْقَضِي * مِـنْ كَـثْرَةِ الطُّولِ الَّذِي قَدْ حَازَهُ
لَـوْ كَـانَ سَـائِسُ قَـائِماً بَـلَغَ الـسَّمَا * فَـهُـوَ الـصِّـرَاطُ يَـجُوزُهُ[3] مَـنْ جَـازَهُ

---

(1) شاقية : بمعنى عسيرة وصعبة

(2) تبا لها : بمعنى بئس لها

(3) يجوزه : يعبره

ثم دخلنا لمكناسة الزيتون، من أبي العمائر المصون، على الساعة التاسعة من النهار، ثم ملنا إلى الستينية، التي بها محل سكنى النقيب المذكور، صاحب السعي المشكور، فوجدناه منتظرا للقدوم، في مجلسه المزيح للغموم،وتلقانا مع من كان عنده، من أهل الفضل بالترحيب والتاهيل والمودة.

فَلَمْ أَرَى مِثْلَ ذَاكَ اليَوْمِ يَوْماً * بِـهِ قَدْ صِـرْتُ مَرْفُوعَ المَقَامِ
تُلاَحِظُنِي الأُسُودُ بِلَحْظِ وِدٍّ * وَيَـأْتُـونَا لِـتَـأْدِيَّةِ الـسَّـلاَمِ

وفرح بقدومنا، وما قصر من التبجيل بين رهطه السادة، ذوي الفضل والمجادة، عشيرته الأقربين، وذويه المقربين، ساداتنا الشرفاء العلويين الإسماعليين والأمرانيين، وفر الله جمعهم ورعاهم، وأخصب في كل زمان ومكان مرعاهم، فإنهم عجنوا من طينة واحدة، وأفرغوا في قوالب التواضع التام مع الفضائل المتزايدة، ما رأت عيني في رفع الهمة وخفض جناح التواضع مثل أولئك السادة، لا في فاضل ولا مفضول من غيرهم بين ذوي السيادة، ولما رأيته أبقى الله حرمته قلت ارتجالا :

أَبَـا زَيْـدٍ لَـقَـدْ حَـقَّ التَّـهَانِي * بِـرُؤْيَـةِ وَجْـهِـكُـمْ مُـحْـيِّي الـجَـنَـانِ
فَـقَـدْ عَـادَتْ إِلَـيَّ الـرُّوحُ لَـمَّا * رَأَيْـتُـكَ يَـا مُـنَـايَ وَيَـا أَمَـانِـي
فَدُمْ فِي الحِفْظِ تَرْقَى فِي المَعَالِي * مَـحُـوطاً بِـالـسَّـلاَمَةِ فِـي الـزَّمَانِ

ولما استرحنا في مجلسه السعيد، وكان عندي وعنده ذلك اليوم يوم عيد، نهض بنا لروضه الوريف، وبيته المنيف، وكان في ذلك الروض من أنواع الأزهار والأنوار، ما يزيد النور في الأبصار، ويزيل من البصيرة الأغيار، ولما اطمأن بنا المجلس في تلك الحال، نظرت هناك إلى نوار يعرف باليزيدي، كوجوه مبتسمة، فقلت فيه بالارتجال :

وَوَجْهُ مِـنَ الأَنْوَارِ قَابَلَ بِالبِشْرِ[1] * يُـبَـشِّرُ مَـوْلاَنَـا بِـعِزٍّ مَـدَا الـدَّهْرِ

(1) البشر : طلاقة الوجه

يَقُولُ انْظُرُوا وَجْهِي فَإِنِّي مُبَشِّرٌ * لِـمَنْ قَدْ رَآنِي بِالنَّجَاحِ وَبِالخَيْرِ

ترجمة العلامة سيدي محمد بن الحسين العرائشي

وقد اجتمعت عنده بجماعة من الأدباء، وتعرفت في محله بأجلة من العلماء، وأول من اجتمعت به هناك من علماء مَكْنَاسَهْ، التي شرف الله بمكارم الأخلاق نَاسَهْ، الفقيه العلامة أبو عبد الله سيدي محمد بن الحسين بن عبد القادر العرائشي المكناسي[1]، وهو من أشياخ سيدنا النقيب

---

(1) محمد بن الحسين بن عبد القادر بن علال بن اليمني بن علي بن القاضي عبد الوهاب بن الحاج محمد المدعو حم العرائشي العرائشي، شيخ الجماعة بالعاصمة الإسماعيلية [مكناس] ولد بمكناس عام 1280هـ ـ1863م، أخذ العلم عن جماعة من كبار علماء عصره منهم : الفقيه إدريس بن محمد بن عبد الهادي الوالي الإدريسي السجلماسي، والعلامة الطاهر بوحدو المكناسي، وعمه العلامة أحمد بن عبد القادر العرائشي، والمفضل بن الحاج المكي بن أحمد السوسي، وأحمد بن الطالب ابن سودة المري الفاسي، والعلامة محمد بن عبد السلام كنون، وغيرهم.

ثم اشتغل بالتدريس، فاستمر فيه مدة تناهز أربعين عاما، عكف فيها على الإقراء والإفادة دون فتور، ومن الكتب التي كان يدرسها كتاب الموطأ، وصحيح البخاري، ومختصر خليل، وتحفة ابن عاصم، وألفية ابن مالك، والمقدمة الأجرومية، والمرشد المعين، والجمل للمجرادي، ولامية الأفعال، وغير ذلك من كتب كثيرة أخرى.

وقد تخرج به جماعة من الفقهاء نذكر منهم عبد الله بن الجيلاني العلمي المعروف بـ جمعان، وعبد الرحمن بن محمد بن الفضيل العلوي الإسماعيلي، محمد بن سعيد بن عبد السلام بن أحمد الدكالي، والحسن بن محمد بن الحسين المنوني، وعبد الرحمان بن زيدان، عبد العزيز بن محمد الأمغاري وغيرهم .

من مؤلفاته عنوان السعادة والإسعاد، لطالب رواية الحديث بالإسناد، إسم فهرسة أشياخه وأسانيده، فرغ من تقييدها عشية الأحد 14 شعبان، عام 1350هـ، تقع في 83 ص، من الحجم المتوسط..وإتحاف الطالب القانع، بفهم معنى النظم المسمى بالدرر اللوامع، شرح فيه أرجوزة الدرر اللوامع، في مقرأ الإمام نافع، لأبي الحسن علي بن محمد بن علي بن بري، والتحذير والتنفير، من الأفعال التي تؤدي إلى التكفير، فرغ من تأليفه في 11 محرم، عام 1351هـ، ويقع في 21 ص من الحجم المتوسط، وتعليق على أرجوزة الوزير محمد بن إدريس العمروي في صلحاء مكناس، ودرة الولدان، في معرفة ما يجب على الأعيان، [كتيب وجيز في شرح قواعد الإسلام الخمس] ومجموعة فتاوي، جمع فيها إلى فتاويه ما عثر عليه من فتاوي شيخيه المفضل ابن عزوز ومحمد بن أحمد العلوي، وفتح الحي القيوم على مقدمة ابن آجروم، وغيرها من التآليف الآخرى

واشتغل المترجم له بخطة العدالة فترة طويلة من عمره، ثم عمل بعد ذلك نائبا عن قاضي أحواز مكناس، ثم اشتغل بالتدريس، وتوقيت الجامع الأعظم، مع الخطابة بجامع قصبة هدراش، كما كان إماما راتبا بمسجد الورزيغي

توفي بعد عشاء ليلة الأحد 10 شوال عام 1351هـ ـ 4 فبراير 1933م ودفن بالزاوية الكنتية، بحي سدراتة بمكناس، ملاصقا للمحراب عن يمين المستقبل، وقد رثاه تلميذه العلامة النقيب عبد الرحمان بن زيدان بقصيدة قال في مطلعها :

رزء عظيم فتت الأكبادا * ولطود صبر العالمين أبادا

المذكور، تلقى عنه جملة كافية من الفنون الأدبية والفقه والحديث، وهو ذو لهجة فصيحة، وأنظار صحيحة، يود من جالسه عدم قيامه لما آتاه الله من مكارم الأخلاق، وحسن التواضع على سنن أهل الأذواق، مع حبه للخمول، والتخلق بأخلاق الرسول،

ومما يدلك على أدبه، وحسن نيته في طلبه، أنني سألته هل له تأليف استعمله، فقال لي : أمثلي من يقدر على ذلك أو يقدم عليه، ولست ممن يحقق في العلم تفاصيله ولا جمله، وذلك منه تنزل عالم عامل، وفاضل كامل، فقلت له على سبيل المذاكرة : ينبغي للطالب أن لا يترك التصنيف، وإن كان قليل الإطلاع بدون تحريف، لأنه بمنزلة ولد صالح للإنسان، وقد ذكر بعضهم أنه داخل في قوله عليه السلام : إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاث، صدقة جارية، وعلم يبثه في صدور الرجال، وولد صالح يدعو له[1]

وعندي أنه داخل في الثلاث كلها، أما في العلم المبثوث فهو ظاهر، وأما في الصدقة الجارية فإن الكلمة الطيبة صدقة، كما ورد بها الحديث،[2] وهل التأليف في العلم إلا من أطيب الكلام، وهو صدقة من صاحبه تبقى جارية بعده في الأنام، وأما دخوله في الولد الصالح فلا شك أن التأليف ولد لمؤلفه في المعنى، ينتفع به وبدعاء من نظره، ولاسيما إن أخلص المؤلف فيه، فلما سمع مني هذا الكلام قال لي : نسأل الله التوفيق لما فيه رضاه وقد لازمنا الفقيه المذكور طول النهار، وما خرج ساعة إلا ورجع لمجالستنا للمذاكرة، لما جبل عليه من حسن المعاشرة،

---

(1) أنظر صحيح مسلم (كتاب الوصية) باب ما يلحق الإنسان من الثواب بعد وفاته رقم 4177.

(2) إشارة لقوله صلى الله عليه وسلم : كُلُّ سُلَامَى مِنْ النَّاسِ عَلَيْهِ صَدَقَةٌ، كُلَّ يَوْمٍ تَطْلُعُ فِيهِ الشَّمْسُ يَعْدِلُ بَيْنَ الِاثْنَيْنِ صَدَقَةٌ، وَيُعِينُ الرَّجُلَ عَلَى دَابَّتِهِ فَيَحْمِلُ عَلَيْهَا أَوْ يَرْفَعُ عَلَيْهَا مَتَاعَهُ صَدَقَةٌ، وَالْكَلِمَةُ الطَّيِّبَةُ صَدَقَةٌ، وَكُلُّ خُطْوَةٍ يَخْطُوهَا إِلَى الصَّلَاةِ صَدَقَةٌ، وَيُمِيطُ الْأَذَى عَنْ الطَّرِيقِ صَدَقَةٌ، أنظر صحيح البخاري [كتاب الجهاد والسير] باب من أخذ بالركاب ونحوه رقم الحديث 2767

إحياء ليلة عيد المولد النبوي بضريح السلطان المولى إسماعيل

وبعد انقضاء هذا اليوم المبارك خرجنا بقصد إحياء ليلة المولد الشريف بضريح[1] جد الشريف المذكور، وهو فخر سلاطين المغرب، تاج المملكة العلوية، ذات المفاخر العلية، من أبناء الحضرة النبوية، عليها السلام، حضرة الجناب المحفوف بالاجلال والتبجيل، أبي المكارم مولانا اسماعيل، فدخلنا لروضته العالية، ذات المفاخر الغالية، المسدول عليها رواق الهيبة والوقار، فصلينا صلاة المغرب في مجمع حفيل، اشتمل على جماعة من العلماء والأشراف، أولي الفضل الجلي، والمقام العلي، وبعد الصلاة وزعت الأجزاء القرآنية على تلك الجماعة، فختمنا القرآن المجيد، في ذلك المجلس السعيد، وبعد ختمه الشريف، في ذلك المقام المنيف، قرأ بعد الفاتحة أحد الشرفاء الحاضرين بصوت فخيم، يسلي كل قلب حزين، مع تضرع وخشوع، وسكينة وخضوع، قصيدة من قصائد سيدنا الشريف المذكور من لفظه أملاها :

إِلاَهِـيَ فَـرِّجْ مَـا عَـرَى وَاغْـفِرَنْ وِزْرِي * فَقَدْ لَمَّتِ الأَشْجَانُ مِنْ حَيْثُ لاَ أَدْرِي
وَقَـابَـلَنِـي الـدَّهْـرُ الـغَـدُورُ بِـغَـدْرِهِ * وَضَاقَتْ عَلَيَّ الأَرْضُ فِي السَّهْلِ وَالوَعْرِ
فَكُنْ يَـا نَـصِيرُ نَـاصِراً لِي عَلَى العِدَا * وَلاَ تَـهْـتِكِ الأَعْـرَاضَ يَـا عَـالِيَ الأَمْـرِ
وَيَـسِّـرْ لِـيَ الخَيْرَاتِ وَارْحَـمْ تَمَلُّقِي * وَكُـنْ لِـي حَـفِيظاً عِـنْدَ حَـادِثَةِ الدَّهْرِ
وَهَـبْ لِـي مِـنَ التَّقْوَى مَلاَبِسَ عِـزَّةٍ * وَكُنْ لِي إِذَا وَافَيْتُ فِـي عَـالَمِ الحَشْرِ
وَكُـنْ لِي عَـوْناً فِـي جَمِيعِ مَقَاصِدِي * وَكُـنْ لِـي وَكِـيلاً وَاكْفِنِي فِتْنَةَ القَبْرِ
وَعَـمِّـرْ فُــؤَادِي بِـالـمَوَاهِبِ وَالـتُّقَى * وَيَـسِّرْ أُمُـورِي كُلَّهَا وَاشْرَحَنْ صَـدْرِي
وَبَــدِّلْ كُـرُوبِـي بِـالـمَسَرَّةِ وَاكْـفِنِي الـ * ـنَّــوَائِـبَ ثُــمَّ بَــدِّلِ الـعُـسْرَ بِـالـيُسْـرِ

---

(1) قال عنه الأستاذ المصطفى بنفايدة في كتابه مكناس جولة في التاريخ والمعالم : ينقسم هذا الضريح إلى قسمين، يشمل الأول منهما مسجد الرخام الذي كان قد بناه المولى إسماعيل، لكن هذا المسجد تهدم ولم يبق منه ظاهرا سوى المحراب وبعض الأعمدة ، وتحول مكانه إلى مقبرة الشرفاء، أما القسم الثاني فيشتمل على الضريح وملحقاته

ويجمع هذا الضريح كل آيات الفن المعماري، حيث توجد في مرافقه مجموعة من النقوش والزخارف سواء على الزليج والجبس، تحيط بها مجموعة من القصائد الشعرية بخط مغربي وكوفي، إلى أن قال : وأجمل ما في الضريح القبة التي تحتوي على قبر السلطان المولى إسماعيل، وكذا قبر ابنه المولى أحمد الذهبي باني الضريح، إضافة إلى قبري السلطان العلوي المولى عبد الرحمان بن هشام، وزوجة المولى إسماعيل السيدة خناتة بنت بكار المغافرية

وتحتوي هذه القبة أيضا على بعض المآثر التاريخية، منها أربع ساعات دقاقة كان قد أهدها ملك فرنسا لويس الرابع عشر إلى السلطان المولى إسماعيل،

وَأَجْمِلْ أُهَيْلَ الـوِدِّ وَاحْـفَظْ جَمِيعَهُمْ * وَبَـلِّـغْـهُمُ الآمَـــالَ بِـالـعِزِّ وَالـنَّـصْـرِ
وَأَلِّـفْ عَـلَـى الـخَيْرَاتِ رَبِّ قُلُوبَهُمْ * وَنَـجِّ جَـمِيعَ الـمُسْلِمِينَ مِـنَ الـمَكْرِ
وَنَـكِّلْ ذَوِي العُدْوَانِ وَاعْـكِسْ مَرَامَهُمْ * وَرُدَّ إِلاَهِـي الـكَيْدَ مِنْهُمْ إِلَـى النَّحْرِ
وَتَـوِّجْـهُـمُ تَـــاجَ الـرَّذَائِـلِ وَالـخَـنَـا * بِنَيْلِهِمُ أَعْـــلاَ الـوَبَـالِ مَـعَ الـخُسْرِ
وَحَـلِّـهِـمُ حُــلَـى الـمَـذَلَّـةِ وَالـعَـنَـا * وَبَــدِّدْ جُـمُـوعَ الظَّالِمِينَ ذَوِي الـمَكْرِ
بِـخَاتِـمَةِ الأَرْسَـــالِ أَحْـمَـدَ مَـــنْ بِـهِ * إِلَى السَّبْعِ قَدْ أَسْرَيْتَ أَكْرِمْ بِمَنْ يسْرِي
مُـحَـمَّدٍ الـمَـحْـمُودِ أَفْـضَـلِ مُـنْـبَـئٍ * وَأَكْـرَمِ مَخْصُوصٍ مِـنَ الخَلْقِ بِالسِّرِّ
وَبِـالـخَتْمِ فَـاخْتِمْ لِـي بِحُسْنَى تَسُرُّنِي * غَـداً إِذْ أُوَافِـي فِـي مُـرُوطٍ مِـنَ الـوِزْرِ
كَـذَلِـكَ شَـيْـخِـيَ الـتِّـجَانِـي أَحْـمَـدَ * إِمَـامِ ذَوِي الـعِرْفَانِ فِـي الطَّيِّ وَالنَّشْرِ
وَصَـــلِّ عَـلَـى الـمُـخْـتَارِ وَالآلِ كُـلِّهِمْ * وَأَصْـحَـابِـهِ وَالـتَّـابِـعِـينَ ذَوِي الـبِـشْـرِ

ولما ختمت القصيدة وصلينا صلاة العشاء، بعد العشاء، ألقى سيدنا النقيب على المسامع تنويها بالمولد النبوي الشريف مصنف أبي عبد الله سيدي محمد بن جعفر الكتاني[1]، وهو مصنف بديع في

---

(1) محمد بن جعفر بن إدريس الكتاني الحسني، فقيه، مؤرخ، محدث، من مواليد فاس عام 1274هـ، وبها أخذ العلم عن جماعة من الفقهاء منهم : والده العلامة جعفر الكتاني، والعلامة أحمد بناني كلا، والعلامة الطيب بن كيران، وآخرون،و له مصنفات كثيرة تزيد على 80 تأليفا، منها سلوة الأنفاس، وتحفة الأكياس، فيمن أقبر من العلماء والصلحاء بفاس، والأزهار العاطرة الأنفاس، بذكر محاسن قطب المغرب وتاج مدينة فاس، والدعامة، في أحكام العمامة، وغيرها.

توفي في الساعة الحادية عشر من ليلة الأحد 16 رمضان المعظم عام 1345هـ ــ 20 مارس 1927م، ودفن خارج باب الفتوح بجوار الولي الصالح مولاي الطيب الكتاني، ونقل جثمانه بعد عشرين شهرا من دفنه، ووجد على حالته لم يتغير منه شيء، ودفن داخل مدينة فاس، بزاوية بنيت له قرب درب اللمطي، عدوة فاس الأندلس، ورثاه العلامة سكيرج بقصيدة قال في مطلعها :

نعى البرق من في فقده فقد الصبر * ومن كاد أن ينشق من أجله الصبر
نعى حبر فاس وابن بجدتها الذي * يُرى دائمًا بين الصدور له الصدرُ
نعى عالما بالعلم قد كان عاملا * ومَن مثله لم يات يوما به الدّهر
نعى علَم الأعلام وهْو ابن جعفر * محمّد الكتاني العالِم البحرُ

أنظر ترجمته في شجرة النور الزكية، لمخلوف 1 :619 رقم 1719، فهرس الفهارس، لعبد الحي الكتاني 1 : 515 - 518 .معجم الشيوخ لعبد الحفيظ الفاسي 1 : 64 رقم 23 . إتحاف المطالع 2 : 444 . معجم المطبوعات المغربية، للقيطوني 300-301 رقم 678. الأعلام، للزركلي 6: 72-73. أعلام المغرب في القرن الرابع عشر 64. موسوعة أعلام المغرب 8: 2961-2964. معلمة المغرب 20: 6762. نيل المراد في معرفة رجال الإسناد، للعلامة الحجوجي 1: 28-40 (مخطوط خاص) قدم الرسوخ، للعلامة سيدي أحمد سكيرج رقم الترجمة 10. عمدة الراوين في تاريخ تيطاوين، للرهوني 9: 3-83. معجم المؤلفين 9: 150. جامع القرويين، لعبد الهادي التازي 3: 819 رقم 225. مختصر العروة الوثقى، للحجوي 14 رقم

حسن ترصيف، لم يجمع في المولد مثله تصنيف، وقرأه بلهجة، زادته رونقا وبهجة، فعظم في ذلك المجلس موقعه في القلوب، وزالت عنا به جميع الكروب،

ولما تم سرده المستطاب، في ذلك المحفل المحتف بالآداب، شرع الحاضرون الذين لُحِظُوا بعين المودة، بقراءة همزية الإمام البوصيري مع البردة، وسردوا في خللهما بغية المستهام، في مدح النبي عليه السلام، لسيدنا الشريف المذكور، مع هزيمته المسماة كفاية المحتاج، وذلك كله على أحسن أسلوب ونمط غريب، إلى أن ختمت القصائد المذكورة، بعد الساعة الواحدة من تلك الليلة التي فضائلها مشهورة، وسنذكر طرفا منها بحول الله،

وقد حضر معنا قرب التمام، في ذلك المقام صاحب الفتوحات الربانية، أبو عبد الله الشيخ سيدي محمد بن الشيخ سيدي عبد الكبير الكتاني[1] وهو أحد من اجتمعت بهم من أهل فاس في الحضرة المكناسية في هذا المجلس وبعده أيضا، ورأيته مهتما بأمر ما وقع من خلع الشريف مولانا عبد العزيز ونصر الأمير مولانا عبد الحفيظ، وكانت إقامته بمكناسة الزيتونة لإتمام النصر للحضرة الحفيظية، ذا جد واجتهاد في ذلك، يحض القبائل على الجهاد، وحفظ جميع المسالك مما عسى أن يقع من التعدي والفساد في الأرض والبلاد،

ولما انفض ذلك المجلس رجعنا للروض المنيف، وبتنا في أمن وآمان، ولم يزل الفقيه العرائشي المذكور مصاحبا لنا ومجالسا في غالب إقامتي بالحضرة المكناسية، نتذاكر في الفنون، ونقتني من كنزها الدر المكنون، حتى رجعت لفاس، ومما أتحفنا به من نظمه في مدحه لدلائل الخيرات، وهو أول مقولاته المنظومات قوله :

شَــوَارِقُ أَنْــوَارِ الـحَبِيبِ مُـحَـمَّدٍ * أَضَـاءَتْ لَـنَا مِـنْ خَتْمِ هَذَا المُجَلَّدِ
دَلاَئِــلِ خَـيْرَاتٍ يَـطِـيبُ لِسَـامِعٍ * وَقَـارِئُهُ لَــهُ الـمَسَرَّةُ فِـي غَـدِ

---

(1) محمد بن عبد الكبير بن محمد الكتاني من أكابر علماء فاس، ولد بالمدينة المذكورة سنة 1290هـ وتوفي في سجن أبي الخصيصات بفاس الجديد عام 1327هـ - 1907م، في عهد السلطان مولانا عبد الحفيظ، له تآليف كثيرة منها : المواقف الإلاهية في التصورات المحمدية، واللمحات القدسية في متعلقات الروح بالكلية، والكمال المتلالي والإستدلالات العوالي، وحياة الأنبياء، ولسان الحجة البرهانية في الذب عن شعائر الطريقة الأحمدية الكتانية، وخبيئة الكون، وغير ذلك من التآليف الكثيرة،

وللفقيه الأستاذ محمد بن محمد السرغيني كتاب في مناقب العلامة سيدي محمد الكتاني، سماه : روض الجنان، بما لشيخنا أبي عبد الله الكتاني من الخصوصية والعرفان، أنظر معجم الشيوخ، لعبد الحفيظ الفاسي ج 1 ص 44 - 49. وفي معجم المطبوعات، لسركيس 1546، وفي الأعلام، للزركلي ج 6 ص 214،

كِتَابٌ جَلِيلُ القَدْرِ وَالنَّفْعِ وَالنَّدَا * مَحَاسِنُهُ لَيْسَ لَهَا مِنْ تَعَدُّدِ
مُضَمَّنُهُ فَضْلُ الصَّلاَةِ عَلَى النَّبِي * شَفِيعِ الوَرَى يَوْمَ الخُرُوجِ المُحَدَّدِ
وَكَثْرَتُهَا رَفْعاً لِمَنْ طَلَبَ العُلاَ * بِتَقْرِيبِهِ عِنْدَ النَّبِيِّ المُمَجَّدِ
عَلَيْهِ صَلاَةُ اللَّهِ ثُمَّ سَلاَمُهُ * وَآلِهِ وَالأَصْحَابِ مَعْ كُلِّ مُقْتَدِ
أَيَا طَالِباً فَضْلَ الصَّلاَةِ عَلَيْهِ لُذْ * بِهِ تَنَلِ المَطْلُوبَ فِي كُلِّ مَشْهَدِ
وَدَاوِمْ عَلَيْهِ فِي المَجَالِسِ كُلِّهَا * تَفُوزُ بِرِضْوَانٍ وَعِزٍّ وَسُؤْدَدِ
وَتَقْضِي لبانات وَتَمْحُو خَطِيئَةً * بِتَفْرِيجِ هَمٍّ ثُمَّ غَمٍّ مُبَدَّدِ
وَإِنْ تَكُ مَحْزُوناً لِفَقْرٍ تَنَلْ بِهِ * سُرُوراً بِيُسْرٍ فِي نَعِيمٍ مُسَرْمَدِ
بَنَاهُ إِمَامُ العِلْمِ وَالزُّهْدِ وَالتُّقَى * حَفِيدُ سُلَيْمَانَ الجَزُولِي المُسَدِّدِ
هُمَامٌ لَهُ فِي المَكْرُمَاتِ تَقَدُّمٌ * مَوَارِدُهُ تَصْفُو عَلَى كُلِّ مَوْرِدِ
جَزَاهُ إِمَامُ العَالَمِينَ عَنِ الوَرَى * جَزَاءً جَمِيلاً فِي النَّعِيمِ المُخَلَّدِ

ولما رأيتها قلت مجاريا له :

بِنَظْمِكَ هَذَا تحرزُ الأَمْنَ فِي غَدٍ * وتحرزُ مِنْ خَيْرِ الوَرَى كُلَّ مَقْصِدِ
وَتَحْظَى بِمَا قَدْ رُمْتَهُ مِنْ مَطَالِبٍ * بِدُنْيَا وَأُخْرَى فِي كَمَالٍ وَسُؤْدَدِ
أَسَيِّدَنَا المَوْلَى مُحَمَّد الرِّضَى * أَعَرْشَ الهُدَى العَالِي إِلَى خَيْرِ مَقْعَدِ
رَعَاكَ إِلَهُ العَالَمِينَ مِنَ الرَّدَى * وَلاَزِلْتَ بَيْنَ الخَلْقِ بِالعِزِّ مُرْتَدِي

ومن الفوائد التي تلقيناها عنه قول شيخه العلامة سيدي الطاهر بوحدو[1] :

---

(1) الطاهر بن الهادي بن العناية بوحدو المكناسي، من حفدة الشيخ سيدي عبد الله الجزار[دفين مدينة مكناس] فقيه مشارك، أديب ، أخذ عن جماعة من جلة علماء عصره، كالعلامة الولي الصالح سيدي محمد العربي بن السائح، والعباس بن كيران، والعربي البصري، والمهدي ابن سودة
وتصدى بعدئذ للتدريس، فتتلمذت عليه نخبة من خيرة فقهاء مكناس، وبها كانت وفاته عشية يوم الأربعاء 13 ذي الحجة الحرام عام 1306هـ ـ 21 غشت 1889م ودفن بضريح جده سيدي عبد الله الجزار، أنظر ترجمته في إتحاف المطالع، لابن سودة 1 : 303، معلمة المغرب 5 : 1653 ، موسوعة أعلام المغرب 8 : 2778

وَلَمْ يُلْفَ فِعْلٌ مِنْ ثَلاَثَةِ أَحْرُفٍ * قَدِ اتَّحَدَتْ جِنْساً سِوَى مَا يُقَيَّدُ
وَذَلِكَ قَقْ صَصٍ هَهٍ وَدَدٍ وَقَدْ * أُضِيفَ إِلَيْهَا بَبْ زَزٍ فَتَفَرَّدِ

ومن ذلك قوله أيضا :

حَجَوْتُ[1] إِلَى أَنْ حَجَوْتُ[2] العُلُومَا * فَلَمْ أَحْجُهَا[3] إِذْ حَجَوْتُ[4] العَلِيمَا
وَمَا إِنْ حَجَا[5] ذُو حِجَا[6] سَائِلاً * وَعَنْهُ حَجَا[7] فَحَجَا[8] مُسْتَدِيمَا
وَإِنْ أَحْجُهُ[9] مُعْنِتاً أحجهُ[10] * عَنِيفاً وَأَحْجُو[11] عَفِيفاً كَرِيمَا

وقد خمس الأبيات التي كنت حفظتها في المنام بقوله :

يَا مَنْ يُرِيدُ رَشَاداً جَامِعاً وَهُدَى * وَقَدْ رَسَا قَلْبُهُ فِي النُّصْحِ مُجْتَهِدَا
إِسْمَعْ مَقَالَ ذَوِي الإِرْشَادِ وَاعْتَمِدَا * خُذْ سُنَّةَ اللَّهِ بَيْنَ خَلْقِهِ أَبَدَا
وَلْتَجْعَلَنْهَا لَدَيْكَ خَيْرَ قُسْطَاسِ
أَكْرِمْ بِهَا خَصْلَةً تجْنِي بِهَا ثَمَرَا * وَإِنْ تُرِدْ رِفْعَةً تَعْلُو بِهَا قَمَرَا
عَظِّمْ ذَوِي البَيْتِ وَالْحَظَنَّهُمْ أُمَرَا * مَا عَظَّمَ المَرْءُ آلَ البَيْتِ دُونَ مِرَا

---

(1) بمعنى أقمت
(2) بمعنى جمعت
(3) بمعنى اكتمها
(4) بمعنى قصدت
(5) بمعنى رد
(6) بمعنى عقل
(7) بمعنى بخل
(8) بمعنى وقف
(9) بمعنى أظنه
(10) بمعنى أسوقه
(11) بمعنى أغلب

إِلاَّ وَعُـظِّـمَ عِـنْدَ الـلَّـهِ وَالـنَّـاسِ

وَإِنْ تُـــرِدْ أَنْ تُـؤَدِّيَـنَّ شُـكْـرَهُمْ * وَأَنْ تُـرَى حَافِظاً لِـلأَمْـرِ أَمْرَهُمُ

وَأَنْ تُـرَى نَـاشِراً لِـلْـفَوْزِ ذِكْرَهُمُ * فَالْحَظْ بِعَيْنِ كَمَالِ الفَضْلِ قَدْرَهُمُ

وَاخْـضَعْ لَهُمْ دَائِماً بِالقَلْبِ وَالرَّاسِ

وَقَدْ خَمَّسَهَا أَيْضاً الشَّرِيفُ مَوْلاَيَ مَحَمَّدُ [فَتْحاً] الصِّقِلِّي لَمَّا رَآهَا بِقَوْلِهِ عِنْدَ اجْتِمَاعِنَا بِهِ :

يَـا غَـافِلاً عَـنْ أَوَامِـرِ الإِلَـهِ بَدَا * فِـي جَهْلِهِ يَتَخَطَّى عَـادِماً رَشَدَا

فُزْ بِـالنَّصِيحَةِ مِنِّي وَاقبلنْ مَدَدَا * خُـذْ سُنَّةَ اللَّهِ بَيْنَ خَلْقِهِ أَبَـدَا

وَلْـتَجْعَلَنْهَا لَدَيْكَ خَيْرَ قُسْطَاسِ

وَاعْـلَمْ بِـأَنَّ جَزَاءَ النَّاسِ مـنْ كبرَا * إِنْ هُمْ لَهُمْ عَظَّمُوا حَازُوا بِهِمْ وَطَرَا

فَـعَـظِّمِ الآلَ مِـنْ بَيْتِ الـنَّبِيِّ تَـرَا * مَـا عَـظَّمَ الـمَرْءُ آلَ البَيْتِ دُونَ مِرَا

إِلاَّ وَعُـظِّـمَ عِـنْدَ الـلَّـهِ وَالـنَّـاسِ

وَشَـرِّفَـنْ بَـيْـنَ كُـلِّ الـنَّاسِ ذِكْرَهُمُ * تَـحُوزُ بَـيْـنَ الـوَرَى وَاللَّهِ سِرَّهُمُ

وَحَـيِّـهِـمْ أَبَـــداً تَـنَــالُ بِـرَّهُـمُ * وَالْحَظْ بِعَيْنِ كَمَالِ الفَضْلِ قَدْرَهُمُ

وَاخْضَعْ لَهُمْ دَائِماً بِالقَلْبِ وَالرَّاسِ

ترجمة العلامة محمد[فتحا] بن يحيى الصقلي

وقد تعرفنا بجماعة من أفاضل الأدباء والعلماء بحضرة سيدنا النقيب المذكور، كما اجتمعنا عنده ببعض الفضلاء ممن نعرفه من قبل بفاس، وبمحله اجتمعت بالأديب النجيب الشريف أبي الفتح

سيدي محمد [فتحا] ابن يحيى الصقلي[1] يوم قدومي لحضرته السعيدة، وحضر معنا بالضريح الإسماعيلي ليلة المولد الشريف، وبعد صلاة العشاء ذهب إلى موضع نزوله، ثم اجتمعنا به بباب الملاح لما خرجنا للفرجة وتسريح الخاطر، عملا بقول الشاعر :

أَفِدْ طَبْعَكَ المَكْدُودَ بِالجِدِّ سَاعَةً * يُـجَمُّ وَعَـلِّلْهُ بِشَـيْءٍ مِـنَ الـمَزْحِ
وَلَـكِنْ إِذَا أَعْـطَيْتَهُ الـمَزْحَ فَلْيَكُنْ * بِمِقْدَارِ مَا يُعْطَى الطَّعَامُ مِنَ المَلْحِ

فذهب مصاحبا لنا لموضع الفرجة خارج الباب قرب ضريح الولي الصالح سيدي سعيد[2]، والطوائف العيساوية داخلة في هيجانها، والخيل تلعب بميدانها، فوقفنا ننظر الحلبات البربرية في مضمار السباق في تنظيم على أحسن نسق، وهي تركض وتضرب ساقا بساق، وإذا بفارس ينفث في عقل كل من رآه السحر، كأنه بلعبه بفرسه غزالة تلعب في بساطها، فقال بإجازة سيدنا النقيب بصدري هاذين البيتين :

أُنْـظُـرْ إِلَـى رشـا كَـأَنَّـهُ قَـمَـرٌ * فِـي حَالَةِ التَّمِّ سُبْحَانَ الَّذِي خَلَقَهْ
قَدْ صَارَ يَلْعَبُ فِي مِيدَانِ مُهْجَتِنَا * زَيَّـنَـهُ فَـرَسٌ يـسْبِي الَّـذِي رَمَـقَهْ

---

(1) محمد بن يحي الصقلي الحسيني. فقيه أديب شاعر. من مواليد مدينة فاس، وبها نشأ وشب وتعلم. ثم انتقل إلى الدار البيضاء. فربط بها صلات بالعديد من مشاهير العلماء المغاربة إذ ذاك. لاسيما منهم من يميل للأدب وشؤونه. وقد فتح بالمدينة المذكورة مكتبة لبيع الكتب و الصحف والمجلات. عرفت باسمه. كما اكتسب شهرة واسعة لدى مختلف الأوساط العلمية. خصوصا بالعاصمة الاقتصادية.

وله إلى جانب ما ذكرناه إسهامات في مجال الكتابة والتأليف منها : الخريدة الغيداء في وصف الدار البيضاء. وتنبيه المستبد حيث على جهله يعتمد. والرحلة التركية. نشرت تباعا ضمن صفحات جريدة السعادة. ونيل الأماني بتشطير قصيدة أم هاني. ونبذة الزهريات. وهي عبارة عن مساجلات مع شعراء من معاصريه. وديوان شعر.

توفي بالدار البيضاء عام 1354هـ - 1936م. أنظر ترجمته في موسوعة أعلام المغرب 8 : 3043. تاريخ الشعر والشعراء بفاس 110. معجم المؤلفين، لكحالة 12 : 104. معجم المطبوعات المغربية، للقيطوني 207. دليل مؤرخ المغرب الأقصى 241 ع 1528. معلمة المغرب 16 : 5550 - 5551.

(2) الشيخ الجليل أبو عثمان سعيد بن أبي بكر المشنزائي، صوفي جليل، قال في حقه صاحب مرآة المحاسن : وكان من أكابر أكابر الأولياء، ومشاهير المشايخ، من ذوي الهمم الغالية، وقال في محل آخر : وشهرته بالولاية والبركة بلغت الغاية إهـ... وهو من تلامذة الشيخ الشهير سيدي سعيد الداعي الدغوغي، أنظر ترجمته في ممتع الأسماع، لمحمد المهدي الفاسي ص 124-127 رقم الترجمة 73، وفي الإعلام بمن حل مراكش، للعباس بن إبراهيم 10 : 141.

وقال والعجز[1] له أيضا :

أَلاَ فَانْظُرُوا ظَبْياً بِعَقْلِي يَلْعَبُ * وَفِـي القَلْبِ مِنِّي شُعْلَةٌ تَتَلَهَّبُ
وَفِي خَاطِرِي قَدْ صَارَ يَنْفُثُ سِحْرَهُ * فَـهَـاآنَذَا مِـــنْ صَـــدِّهِ أَتَـقَـلَّبُ

وقلت :

وَقَـوْمِي رَأَوْنِـي ذَا عَـجَبٍ * وَلَمْ أَكُ مِنْ قَبْلِ ذَا أَعْجَبُ
فَـقُلْتُ لَـهُمْ انْظُرُوا أَسَداً * وَمِــنْ تَـحْتِهِ فَـرَسٌ يَلْعَبُ

وقال متغزلا ، وأتاني به بعد افتراقنا ، وعجز البيت الثاني من إجازة سيدنا النقيب :

بِـنَفْسِيَ أَفْـدِي ضَـبْيَةً قَـدْ لَـحَظْتُهَا * تُحَاكِي سَنَاهَا الشَّمْسَ إِنْ هِي تُسْفِرُ
مُـهَـفْهَفَةَ الأَعْـطَافِ مَعْسُولَةَ اللَّمَا * مُـزَجَّـجَةَ القَوْسَيْنِ لِلْعَقْلِ تُـسْـحِرُ
كَـسِيرَةَ جَفْنٍ بِـالجَفَا كَـسَرَتْ حَـشَا * فَـزَادَ اشْتِعَالاً فِـي فُـؤَادِي يُـسْعِرُ
مِـــنَ الإِنْـــسِ إِلاَّ أَنَّـــهَا بَـرْبَـرِيَّةٌ * مُـوَشَّـحَـةٌ بِـالـوَشْيِ دُرّاً يُـسَـطِّرُ
أَصَـابَتْ قُـلَيْبِي رَمْـيَةٌ مِـنْ لِـحَاظِهَا * فَـصِرْتُ طَـرِيحَ الـوَجْدِ رَبِّـي يَـغْفِرُ

وفي صباح الجمعة أتى لحضرته الشريفة وقال :

لِـمَوْلَانَا الـنَّقِيبِ سَمَا فَخَارٌ * وَفَـضْـلٌ لاَ يُـعَدُّ وَلاَ يُـرَامُ
تَضِيءُ بِهِ دُجَى الأَيَّامِ دَوْماً * حَـبَـاهُ الـلَّـهُ عِـزّاً لاَيُـضَـامُ

وبعدما طاب المجلس بالحاضرين، حضر سيدنا النقيب وبيده ليمونة في خلقة عجيبة قد خرجت منها أربع أصابع مضمومة فقلت فيها :

---

(1) العجز في الشعر: هو الشطر الثاني من بيته

وَلَيْمُونَة ضَمَّتْ أَصَابِعَ كَفِّهَا * وَمِنْ عَجَبٍ لَيْمُونَةٌ وَلَهَا كَفُّ
يَقُولُ لِسَانُ الحَالِ مِنْهَا أَلاَ انْظُرُوا * صَنِيعَةَ رَبٍّ عَنْهُ قَدْ عَجَزَ الوَصْفُ

وقال فيها الشريف مولاي محمد الصقلي :

وَلَيْمُونَة أَعْجَبَتْ كُلَّ مَنْ * رَآهَا وَمِنْهَا لَهَا إِصْبَعُ
أَرَتْنَا عَجَائِبَ قُدْرَةِ مَنْ * تَجَلَّى وَبِالقَوْلِ كُنْ يَصْنَعُ

ثم أخذها من يد من تناول النظر إليها بعضُ الخدام، وأزال منها إصبعاً، فقلت :

وَلَيْمُونَة بِالأَصَابِعِ قَدْ * رَمَى الوَجْهَ مِنْكَ لَهَا إِصْبَعُ
أَسَاءَتْ عَلَيْكَ بِهِ أَدَباً * فَقُمْتَ بِغَيْظٍ لَهُ تُقْطَعُ

التفسح ببعض مآثر ومشاهد مدينة مكناس

ثم قصدنا الضريح الإسماعيلي[1] للتبرك به وزيارة المشاهد التي بالمدينة من أضرحة الشهداء والصالحين، فشاهدت في هذه الروضة من مآثر الملوك العظام، ما هو عبرة لرائيه بين الأنام، ولله در من قال :

إِنَّ آثَارَنَا تَدُلُّ عَلَيْنَا * فَانْظُرُوا بَعْدَنَا إِلَى الآثَارِ

قد اشتملت على أضرحة أبرار، محتفة بأنوار، وفي زواياها خبايا، عبرة للبرايا، إلا أن يد الزمان، قد غيرت محاسن تلك البنيان، بإزالة الستور، وهدم قواعد تلك القبور، الموجودة في ساحة

---

(1) نسبة للسلطان المولى إسماعيل بن محمد بن علي الشريف العلوي، من خيرة ملوك الدولة العلوية الشريفة، اتخذ مدينة مكناس عاصمة لحكمه، بويع له بعد وفاة أخيه المولى رشيد عام 1082هـ، وكانت أيامه أيام ظفر وفتوحات، ومن أهم منجزاته تحرير الكثير من المدن الشاطئية من الإحتلال البرتغالي والإسباني، وكانت وفاته رحمه الله بعاصمته مكناس، عام 1139هـ، ومدة حكمه 57 سنة، انظر ترجمته في إتحاف أعلام الناس، لابن زيدان 2 : 50-76. الدرر الفاخرة، لنفس المؤلف ص 29. الأعلام، للزركلي 1 : 324.

تلك الروضة الشريفة، والمقامات المنيفة ، وهاك بعض ما وجدته منقوشا في جدران تلك القبة العالية، من الأمداح الغالية، ففي وجه الجدار المواجه لداخل هذا المكان، وما قبله دخل في خبر كان، ما نصه :

لِسَاكِنِهَا السَّعَادَةُ وَالسَّلاَمَهْ * بِطُولِ الدَّهْرِ مَا غَنَّتْ حَمَامَهْ
وَعِــزٌّ لاَ يُـدَانِـيـهِ هَــوَانٌ * وَإِقْـبَـالٌ إِلَـى يَـوْمِ الـقِـيَامَهْ

وفي الخد الأيمن من الضريح الشريف منقوشا في رخامة عرضها أربعة أشبار :

بَابُ ضَرِيحِ إِمَامِ الغَرْبِ ذَا فَبِهِ * بَدْرُ الثَّنَاءِ وَنَجْمُ الأَمْنِ قَدْ غَابَا

وفي الخد المقابل كذلك :

افْسَحْ لَهُ يَا عَظِيمَ المُلْكِ مَنْزِلَةً * فِي الخُلْدِ وَافْتَحْ عَلَى الغُفْرَانِ أَبْوَابَا

وقد دارت القبة الشريفة بحائط من زليج متوجا بقصيدة قد تلاشت جل أبياتها، وهاك ما قرأته من ذلك النقش العجيب الصنع:

فَـتَـحَ الـمَـدَائِنَ وَالـحُـصُونَ بِـجُنْدِهِ * وَجِــهَــادِهِ وَحُــسَـامِـهِ الـبَـتَّـارِ
نَشَرَ العَطَا غَفَرَ الخَطَا سَدَلَ الغِطَا * أَعْـطَـى الـحَـيَا مِـنْ حِلْمِهِ الـسَّتَّارِ
مَـدَّ الأَمَـانَ عَـلَى الأَنَـامِ بِظِلِّهِ * وَسَـقَـا الـحَـيَا مِـنْ كَفِّـهِ الـمِدْرَارِ
قُـلْ لِلْمُفَاخِرِ لاَ تُـفَاخِرْ وَاعْـتَـرِفْ * لِـكَـمَـالِـهِ بِـالـعَـجْزِ وَالإِقْـصَـارِ
مَـاذَا تَـقُـولُ لِـفَـضْـلِ آلِ مُـحَـمَّـدٍ * وَهُـمُ الـغِـيَاثُ لِـكُلِّ خَطْبٍ طَارِي
وَهُـمُ الـكِـرَامُ إِذَا حَـلَلْتَ بِـجَاهِهِمْ * وَهُـمُ الأَمَـانُ لِأَرْضِـهِمْ وَالـجَارِ
وَهُـمُ هُـمُ مَـنْ أَمَّـهُـمْ وَأَتَـوْهُمُ * مُـتَـوَسِّـلِـينَ بِـجَـاهِـهِمْ لِـلْـبَـارِي
مَـنْ ذَا يَعُدُّ عَلَيَّ فَضْلاً فِي الوَرَى * وَأَنَـا طَـوِيتُ الـمَجْدَ تَـحْتَ جِدَارِي

فَلِيَ الفَخَارُ عَلَى المَبَانِي كُلِّهَا * آثَــارُهُ تُنْبِيكَ عَـــنْ أَخْبَـارِي
قَدْ شَادَنِي البَانِي وَلِلَّهِ مَا بَنَى * وَأَطَالَ فِي سَمْكِ السَّمَاءِ مَنَارِي

إلى أن قال :

غَيْثُ البِلاَدِ إِذَا البِلاَدُ قَدَ امْحَلَتْ * غَيْثُ الأَنَـامِ لِكُلِّ هَـوْلٍ ضَـارِي
جَبَرَ الإِلَـهُ بِـهِ الأَنَـامَ وَصَدْعَـهَا * وَكَسَا بِهِ فِي الفَضْلِ مَنْ هُوَ عَارِي
وَرِثَ الخِلاَفَةَ عَـنْ أَبِـيهِ وَأُمِّـهِ * أَهْـلٌ لَـهَا فِـي سَـائِرِ الأَقْـطَارِ
عَـقْلاً وَدِيـناً سُـؤْدَداً وَشَجَاعَةً * حَـزْماً وَجُــوداً دَائِـمَ الإِقْـطَارِ
مَـا مَـاتَ وَالِـدُهُ الـمُخَلِّفُ مِثْلَهُ * فَـكَأَنَّهُ مَـا غَـابَ عَـنْ أَبْـصَارِ
حَسَبٌ عَلَى حَسَبٍ تَكَامَلَ مَجْدُهُ * وَكَــذَا ذَوُو الأَحْـسَابِ وَالأَقْـدَارِ
أَبْـقَاكَ مَـوْلاَنَا لِـنُصْرَةِ دِيـنِـهِ * ظِـلاًّ ظَلِـيلاً فِـي سَمَا الأَمْصَـارِ
تَـغْشَاكَ أَمْـطَارُ الإِلَـهِ وَنَـصْرُهُ * يَـتْلُو عَـلَيْكَ مَـعَالِي الأَطْـيَارِ

وعثرت هنالك على قصيدة لا بأس بنقلها هنا نصها :

أَيَـا زَائِـراً قَـبْرَ الإِمَـامِ أَبِـي النَّصْرِ * تَأَدَّبْ لَهُ وَاخْضَعْ وَقُلْ فُزْتَ بِالبِشْرِ
سَلاَمٌ كَعَرْفِ المِسْكِ وَالعَنْبَرِ الشحْرِي * عَـلَيْكَ أَنَجْلَ المُصْطَفَى الطَّيِّبِ الذِّكْرِ
وَرَحْـمَـةُ مَـوْلاَنَا وَأَزْكَـى تَـحِيَّةٍ * وَرِضْـوَانُهُ البَاقِي إِلَـى غَابِرِ الدَّهْرِ
لِمَوْلاَيَ إِسْمَاعِيلَ مَـنْ خَضَعَتْ لَهُ * رِقَـابُ عُتَـاةِ العُـرْبِ وَالعَجَمِ الصُّفْرِ
تَـوَفَّـاهُ مَـوْلاَنَـا عَـزِيـزاً مُـكَـرَّماً * إِلَى المَلَإِ الأَعْلَى الَّذِي جَاءَ فِي الذِّكْرِ
وَكُـنَّا نُـرَجَّى مِنْـهُ مَـا تَرْتَجِي الرُّبَا * إِذَا مَا عَـرَاهَا المَحْلُ مِنْ وَابِلِ القَطْرِ
وَكَـانَ لِـوَاءُ النَّصْرِ يَـخْدُمُ بَابَـهُ * وَيَحْفَظُهُ الرَّحْمَانُ مِنْ كُلِّ ذِي مَكْرِ
لَـهُ هِـمَمٌ تَسْـمُوا عَـلَى كُـلِّ هِـمَّةٍ * وَأَقْرَبُهَا فَـوْقَ السِّمَاكِ لِمَنْ يَـدْرِي
وَيَحْمِي حِمَى الإِسْلاَمِ نُصْحاً وَرَحْمَةً * وَيُكْسِبُ مَعْدُوماً وَيُجْبِرُ ذَا كَسْرِ
وَكَـانَ لَـدَا الهَيْجَا إِمَاماً مُقَدَّماً * إِذَا طَاشَتِ الأَحْلاَمُ مِنْ شِدَّةِ الذُّعْرِ
إِلاَهِـيَ بِالرِّضْوَانِ أَكْرِمْهُ وَالمُنَى * وَعَامِلْهُ يَا ذَا الفَضْلِ بِالعَفْوِ وَالغَفْرِ

لَئِنْ كَانَ هَذَا الفَضْلُ غَيَّبَهُ الثَّرَى * فَإِنَّ الثَّنَا أَبْدَاهُ فِي كُلِّ مَا قُطْرِ
مَكَارِمُ لاَ يُحْصَى مَدَا الدَّهْرِ عَدُّهَا * وَهَلْ لِنُجُومِ الأُفْقِ يَا صَاحِ مِنْ حَصْرِ
مَضَى وَمَضَتْ تِلْكَ الخِصَالُ وَغُيِّبَتْ * مَحَاسِنُهُ مُذْ حَلَّ فِي رَوْضَةِ القَبْرِ
عَنِ البَحْرِ حَدِّثْ مَا بَقِيتَ بِمَا تَشَا * وَلاَ حَرَجُ فِيمَا يُحَدَّثُ عَنْ بَحْرِ
وَفِي عَامِ تِسْعٍ وَالثَّلاَثِينَ بَعْدَهُ * إِلَى مِائَةٍ مِنْ بَعْدِ أَلْفٍ مِنَ الدَّهْرِ

وقد ذكروا لنا أن الخلالة الموضوعة على القبة الخضراء المشيدة على الضريح الإسماعيلي مفروغة من الذهب الخالص في شكلها الجميل فقلت :

خَلاَلَةٌ مِنَ الذَّهَبْ * تُبْهِرُ عجْماً وَعَرَبْ
مِثْلُ الهِلاَلِ فِي العُلاَ * يَعْلُو عَلَى أَعْلَى الرُّتَبْ

وفي الخد عن يمين الداخل لضريح العارف المجذوب منقوشا :

يَا رَبِّي بِالمُصْطَفَى بَلِّغْ مَقَاصِدَنَا * وَاغْفِرْ لَنَا يَا عَظِيمَ الجُودِ وَالكَرَمِ

مع أبيات هناك تركنا ذكرها لما داخلها من الخلل في الوزن، مثل ما قرأناه في الخد منقوشا عن يسار الداخل :

يَا رَبَّنَا ذَا العُلاَ اغْفِرْ ذُنُوبَنَا * وَاجْعَلْ مَنَازِلَنَا فِي جَنَّةِ النّعمِ

وقد جلسنا مع سيادة النقيب بروضه الأنيق أياما، ونحن في تمتع بالنعيم الذي انتعشت به الأرواح والأشباح، مع العكوف على دراسة الأدب مذاكرة ومطالعة، ومحاضرة ومناظرة، في مسائل علمية فرعية وأصولية معه ومع زائريه، الذين كانوا يتواردون علينا حين سمعوا بقدومي من أعيان ونجباء وعلماء وأدباء

ولا عجب إذا قلت أن محل سيدنا النقيب كعبة القصاد، ومنهل الوراد، لا يخلو من زائرين في سائر الأوقات، ولا أحتاج إلى أن أذكر في هذا الموضوع ما هو مشتغل به في مجالسه من ولوعه

بالإفادة والاستفادة، مع تيسر جميع ما يتوقف عليه الطالب من كتب وغيرها عنده، مما يستحضره له في أي فن تقع المذاكرة فيه، بما يسره الله له من ذلك، ولا يدع الوقت يمضي فارغا بلهو ولغو،

ولما رأى منا التشوف إلى الإستطلاع على أحوال المدينة خرج معنا للتفسح داخل البلد وخارجها، راكبين وراجلين، فشاهدنا البناءات الإسماعيلية ومآثرها البديعة، وأنه لا يكفي في شرحها سوى المشاهدة لمن يشهد الغرائب، ويجاري في وصف ذلك كمثل بين سكان المشارق والمغارب، ولذلك نضرب صفحا عن البناءات الضخمة والمآثر الجمة ونذكر شيئا من ذلك باستطراد،

الإجتماع بالملامتي الشهير سيدي منصور

وقد كنت متشوقا غاية للإجتماع بالملامتي الشهير المجدوب سيدي منصور[1] المقيم بضريح سيدي سعيد، فقصدناه بعدما اتفقت مع سيدنا النقيب على الاجتماع به هناك يوم الجمعة، وفي أثناء مذاكرتنا مع النقيب قلت له : اليوم يوم الأربعاء وغدا الخميس وبعده الجمعة، فقال لي : لا اليوم يوم الخميس وغدا الجمعة، وداخلني الشك في ذلك حتى تحقق ما قاله النقيب، فذهبنا إلى محل سيدي منصور، فتلقانا مرحبا بنا، وفسح لنا في المجلس، وأول ما بدأنا به أن قال : اليوم يوم الأربعاء وغدا الجمعة، لا اليوم يوم الخميس وغدا الجمعة، وكأنه كاشفنا بما راج بيننا، فتعجبنا من ذلك،

وقد لاطفناه حتى خرجنا من عنده، ونحن في استعجاب من أحواله، مسلمين لأهل الأحوال أحوالهم، ومحل جلوسه في هذا المسجد قرب ضريح العلامة أبي الحسن اليوسي، عن يمين الداخل للصحن.

---

(1) أبو عبد الله سيدي محمد منصور بن محمد بن عبد القادر، من ذرية الولي الشهير سيدي سعيد بن أبي بكر المشنزائي، دفين خارج باب الخميس من مدينة مكناس، مجذوب ساقط التكليف، ذو كشف واضح وأحوال خارقة، أخذ عن الولي الصالح سيدي عبد القادر العلمي، ثم بعده عن سيدي عبد الكريم بن الرضي الوزاني، توفي عند ظهر يوم الأحد 22 ربيع الثاني عام 1334هـ ــ 26 فبراير 1916م، ودفن من يومه بضريح جده المذكور، في قبة الذكر، انظر ترجمته في إتحاف أعلام الناس، لابن زيدان 4 : 296.

المرور بجانب ضريح الشيخ سيدي محمد بنعيسى
الفهدي وتفقده من جهة الخارج

وقصدنا ضريح الشيخ الكامل سيدي محمد بنعيسى[1] رضي الله عنه، فشاهدنا ضريح السر الواضح في قبة مشيدة[2]، وداخلنا من الإعتبار ما تحققنا به بركته، أبقى الله حرمته، وقصدنا أيضا الضريح الاسماعيلي، وبمجاورة صحن الروضة قبة ضريح الولي الصالح الشهير سيدي عبد الرحمن المجذوب، [3]وقربه ضريح الولي الصالح سيدي عبد القادر العلمي[4] الشهير، رضي الله عن الجميع،

---

(1) الشيخ سيدي محمد فتحا بن عيسى الفهدي السفياني المختاري المكناسي، من أكابر مشائخ الصوفية في القرن العاشر الهجري، ولد بفرقة مختار من قبيلة بني حسن بمنطقة الغرب بالمغرب عام 872 هـ ـ 1468م، أخذ عن جماعة من الشيوخ منهم : الشيخ أبو العباس أحمد الحارثي السفياني، والشيخ الكبير سيدي عبد العزيز التباع، وعلى يده فتح له، والشيخ سيدي الصغير السهلي، وأخذ هؤلاء الثلاثة مباشرة عن الشيخ سيدي محمد بن سليمان الجزولي.

توفي رحمه الله بمقر سكناه بمدينة مكناس عام 933هـ ــ 1527م، ودفن بمقبرة شيخه أبي العباس الحارثي خارج باب السيبة، وضريحه مقصود يتبرك به، ويحظى هذا الضريح بمكانة كبيرة لدى أهل مكناس، لدرجة أن اسم هذه المدينة أصبح أحيانا مرتبطا باسمه حيث يقال [مولى مكناس]

أنظر ترجمته في إتحاف أعلام الناس، لابن زيدان 4 : 11، وفي سلوة الأنفاس، لابن جعفر الكتاني 1 : 186، وفي شجرة النور الزكية، لمخلوف ص 264 رقم الترجمة 971، وفي ممتع الأسماع، لمحمد المهدي الفاسي ص 80 رقم الترجمة 32. وقد أفرده العلامة أحمد بن المهدي الغزال بكتاب سماه : النور الشامل، في مناقب فحل الرجال الكامل

(2) يقع ضريح الشيخ محمد بن عيسى الفهدي في الجهة الشمالية الغربية للمدينة العتيقة، داخل مقبرة باب السيبة المنسوبة إلى الباب المندثرة

(3) عبد الرحمان بن عياد الدكالي، عرف بالمجذوب، ولي صالح، تنسب له بين العامة والخاصة كرامات كثيرة، توفي بمدينة مكناس سنة 976هـ ـ 1568م، وقبره بضريح السلطان المولى إسماعيل، حيث توجد قبته بالموضع الذي كان يعرف بصحن البئر، وراء الباب الواقعة يمين النافورة الرخامية التي تتوسط ساحة الضريح المذكور، وقد ترجم العلامة الشيخ سيدي عبد الرحمان الفاسي بكتابه المعنون بـ ابتهاج القلوب، بخبر الشيخ أبي المحاسن وشيخه المجذوب، أنظر ترجمته في إتحاف أعلام الناس بجمال أخبار حاضرة مكناس :5 276 - 278.

(4)عبد القادر[سيدي قدور] بن محمد بن أحمد العلمي الحمدوني، صوفي جليل، من ذرية القطب الشهير المولى عبد لسلام بن مشيش، يعد من أشهر شعراء الملحون في عصره، أخذ عن كثير من شيوخ عصره كسيدي المختار البقالي، والفقيه العميري، وعلي بن عبد الرحمان العمراني المعروف بالجمل، ومولاي الطيب بن محمد الوزاني، وله تلامذة كثيرون، لا يحصون عدة، لعل من أشهرهم العلامة الولي الصالح سيدي محمد العربي بن السائح رضي الله تعالى عنه،

توفي بتاريخ 26 رمضان المعظم عام 1266هـ ـ 5 غشت 1850م، أنظر ترجمته في إتحاف المطالع، لابن سودة 1 : 193، معلمة المغرب 18 : 6145 ـ 6146 ، موسوعة أعلام المغرب 7 : 2590

التفسح في مآثر حبس قارة، وقبة الخياطين

ومن المحلات التي تعد من عجيب البنيان الدهليز المعروف بحبس قارة[1]، وهو بناء ذو أقوس، ممتد تحت قبة الخياطين[2] إلى امتداد بعيد تحت الأرض، وقد اضطربت الناس في المقصود من هذا البناء على الكيفية المذكورة، والذي تقرر لدى الخبيرين مادل عليه اسمه، وهو حبس قارة، كان المولى إسماعيل يستودع فيه الأسارى المكلفين ببناءاته الشاهقة، يغدون منه ويروحون إليه صباحا مساء، وقد قيل بأنه جعله مطامير لخزن مؤن الجيش وإيداع العدة التي لابد منها عندما تدعو الضرورة إليها، كما أن الهري[3] الشهير العجيب ذا الأسطوانات الضخمة القريب من صهريج السواني[4] هناك، كان معداً لربط الخيل والبغال ونحوها مما كانت به دولة المولى إسماعيل ذات عدد وعدد واعتبار تام في نظر الدول التي حاربها وغيرها

المرور بحدائق أكدال وجنان ابن حليمة

ودخلنا للموضع المعروف بأكدال، وهو في أرض واسعة، رأينا فيه من الأنعام والنعامات والغزالات والخيل، وغير ذلك من النعم شيئا كثيرا، مع أنواع الشجر والأنوار النباتية، وفيه قلت هناك:

---

(1) حبس قارة : ترجع تسميته إلى المهندس البرتغالي[قارة] الذي وعده السلطان بإطلاق سراحه إذا ما قام ببناء هذا السرداب ليستوعب عددا كبيرا من الأسرى، وهو سرداب هائل، يقوم على أساطين محكمة البناء، وأقواس ضخمة تتخلل أوائلها تقوب سقفية للإضاءة، لايعرف مدخلها الأصلي، والباب الحالي مجرد مدخل وضع في القرن العشرين الميلادي، ويقال إنه من جملة السجون التي كانت معدة لكل المجرمين والمخالفين للقانون

(2) قبة الخياطين : تسمى أيضا بقبة السفراء، وهي من أهم المعالم التاريخية بمدينة مكناس، وهي قبة ذات سقف مغطى بالقرميد الأخضر، بينما زينت جدرانها الداخلية بالزليج، يعلوه شريط من الجبس مزينة بكتابة منقوشة عليه، وفي هذه القبة استقبل السلطان المولى إسماعيل بعض السفراء الأجانب الذين كانوا يأتون في الغالب للتفاوض حول الأسرى، ثم أصبحت بعد ذلك مكانا لتجمع الخياطين الذين يخيطون الملابس العسكرية، ومن هنا اشتقت تسميتها بقبة الخياطين

(3) الهري : ويعرف بهري السواني، كان خزانا للحبوب في عهد السلطان المولى إسماعيل، وهو هري عظيم طوله 180 مترا وعرضه 69 مترا، وكان كله مقبوا إلا أن جزءا من سقوفه تداعت بسبب الزلزال المهول الذي ضرب مدينة مكناس عام 1169هـ ـ 1755م

(4) صهريج السواني : يبلغ طوله أزيد من 300 متر، أما عرضه فهو 148 مترا، بالإضافة لعمقه الذي يتجاوز ثلاثة أمتار، وكان الهدف من إنشاء هذا الصهريج تأمين الماء للقصبة أيام السلم وأيام الحرب، وكذا أيام الجفاف، واقترن اسمه بالآبار ذات الدواليب، والتي كانت تعرف بالسواني، ومن هنا تسميته بصهريج السواني،

وَزَرْبِيَّـةٍ مَـطْـرُوزَةٍ بِـجَـوَاهِـرٍ * مُـنَـظَّمَةٍ يُسْبِي العُقُولَ جَمَالُهَا
تَـرَاهَا سَـمَاءً فِـي بَـهَاءٍ وَرَوْنَـقٍ * وَأَنْـوَارُهَا يَـحْكِي الـنُّجُومَ مِثَالُهَا
تَـلَأْلَأَتِ الأَنْـوَارُ فِـي عَـرَصَاتِهَا * وَفِيهَا غَدَا يَرْعَى النُّجُومَ غَزَالُهَا

وخرجنا من باب جنان ابن حليمة، وهو أعظم البساتين، ورأينا فيه منتزها يقال له قبة الناعورة، ومنتزها آخر يقال له القبة الزاهية، وفيه من أنواع الأشجار ما يزيد في نور الأبصار، وقد جرت عادة المخزن أن لا يدخل إليه أحد راكبا ولا يخرج راكبا، ونحن دخلناه راكبين، وفيه قلت :

لَمْ تَـرَ فِـي الـجِنَانِ عَـيْنِيَ رَوْضـاً * مِثْلَ رَوْضٍ يُعْزَى إِلَى ابْنِ حَلِيمَةْ
هُـوَ رَوْضٌ عَـنِ الـجِنَانِ تَـبَدَّى * غَـيْـرَ أَنِّـي دَخَـلْتُهُ بِـالـبَـهِـيمَةْ

ومما نقلناه من بعض المنقوشات من تلك البناءات الشاهقة هذه الأبيات :

دَارُ الـخِلَافَـةِ لَاحَ نُـورُ قِـبَابِهَا * تَـخْـتَالُ بَيْنَ رِيَاضِهَا وَهِضَابِهَا
فَـكَأَنَّـمَا الأَنْـهَارُ فِـي جَنَّـاتِهَا * يُمْنَى المَلِيكِ الفَخْرِ يَوْمَ عُبَابِهَا
مَـوْلَايَ إِسْـمَاعِيلَ مِـنْ جُرْثُومَةٍ * نَـقَلَ الأَئِـمَّةُ : جَدُّهُ أَوْصَى بِهَا
يَـا رَاصِـداً لِـمَطَالِعٍ مِـنْ سَعْدِهَا * فَـنِظَامُ شَمْلِكَ فِي عِضَادَةِ بَابِهَا [1]

ترجمة العلامة الأديب محمد بن كبور ابن الحاج السلمي

وممن اجتمعنا به عند سيدنا النقيب بروضه المنيف من أدباء فاس، سلالة الأدب، الموروث لابن من أب فأب، أبو الفتوح السيد محمد بن كبور بن الحاج، وقد أثبتنا من أدبياته هنا ما تتزين به الطروس، ويكون حُلًى وحللا لكل عروس، فمن ذلك قوله يخاطب سيدنا النقيب بعدما رجع لموطنه

---

(1) هذه الأبيات منقوشة على جدار الباب الرئيسي للدار الكبيرة بمدينة مكناس، وتسمى هذه الدار أيضا بدار الخلافة، وتضم مجموعة من القصور الشامخة، التي ما زالت بعض الأزقة تحمل أسماءها، كقصر مولاي زيدان، وقصر الكشاشين، وقصر شعشاع، وقصر سوارت الكعبة، وقصر النصر المعروف أيضا بقصر لالة باني، وهو أول قصر بناه وأقام به المولى إسماعيل حينما كان واليا لأخيه المولى الرشيد على مدينة مكناس، وكان كل قصر من هذه القصور يضم مسجدا وحماما وملحقات آخرى، بل منها ما كان يحتوي على مدرسة

: سيدي أعزك الله، وكان لك بما كان به لمن انتقاه، تعلم أني مشتاق إلى قربك، مملوء الجوانح والجوارح بحبك، وقد أُبْتُ من السفر ، وهيهات لا خبر، فهاجت أشواقي، وذرفت آماقي، وصال علي النوى بجنوده الوافرة، وَكَرَّ علي ببنوده المتظافرة، أرجو من علياك وصلاً وارفاً، أكون به من قاموسك غارفاً،

أما بعد : فقد صدحت ورق السعود والتهاني، فأملت علينا من ريق الأغاني، ما يسلي عن العشاق وأصبهان، وينسى الرباب وسعاد وجنان، فثملنا ولا ثمل ابن هاني[1]، ورقصنا بالأدب رقص الغواني، فحينئذ حَيَّانَا الضحاك بن بسام، بثغره البسام، يقول :

رَشْفُ المُدَامَةِ مِنْ ثُغُورِ السَّاقِي * أَحْلَى مِنَ العُشَّاقِ لِلْعُشَّاقِ
فَاخْلَعْ عِذَارَكَ فِي المَلاَحَةِ إِنَّ مَنْ * خَلَعَ العِذَارَ يَنَالُ سِرّاً رَاقِي
وَاشْرَحْ أُمُورَ صَبَابَةٍ لاَقَيْتُهَا * فَعَسَى الخَلِيلُ يَرِقُّ لِلأَشْوَاقِ
لاَقِيتُ مِنْ كلفِ التَّصَابِي مَا عَفَتْ * مِنْهُ الحَشَا بِاللاَّعِجِ المِحْرَاقِ
أَيْنَ السَّبِيلُ إِلَى الوُصُولِ وَبِي رَشَا * مَلَكَ القُلُوبَ بِحُسْنِهِ الرَّقْرَاقِ
يَسْطُو بِصَارِمِ طَرْفِهِ يَا حَيْرَتِي * مِنْ صَارِمٍ يَسْطُو عَلَى الأَعْنَاقِ
أَنْفَقْتُ عُمْرِي فِي هَوَاهُ وَمَا انْقَضَى * عَنِّي الدَّلاَلُ وَمَا رَثَى لِفِرَاقِ
يَا صَبْوَتِي كَيْفَ السَّبِيلُ لِسَلْوَتِي * فَالرُّوحُ قَدْ بَلَغَتْ أَوَانَ تَرَاقِ
لَمْ تَدْرِ يَا مَوْلاَيَ مَا صَنَعَ النَّوَى * فَاسْئَلْ بِحَقِّكَ عَنْ رَمِيمٍ بَاقِي
مَنْ ذَاقَ مِثْلِي كَاسَةً مِنْ حُبِّكُمْ * لاَ غَرْوَ صَارَ بِهِ مِنَ السُّبَّاقِ
وَأَنَا مَزَجْتُ سَرَائِرِي بِوِدَادِكُمْ * مَزْجاً رَقِيقاً مِثْلَ مَزْجِ السَّاقِ
يَا حَائِزَ الشَّرَفِ الرَّفِيعِ وَرَاقِياً * شَأْواً عَلاَ عَنْ فَاضِلِ الحُذَّاقِ
أَحْكَمْتَ مِنْ أَخْلاَقِكَ الغَرَّاءِ مَا * هُوَ كَالأَزَاهِرِ مِنْحَة الخَلاَّقِ
أُولِيتَ فِي أَوْجِ العَلاَءِ تَرَفُّعاً * مَنْ ذَا يَرُومُ تَدَانِياً بِلِحَاقِ
وَلَقَدْ أُوتِيتَ مِنَ الفَضَائِلِ وَالفَوَا * ضِلِ مَا يعزُّ بِسَائِرِ الآفَاقِ
وَحَوَيْتَ مِنْ أَصْنَافِ مَجْدٍ رُصِّعَتْ * تَرْصِيعَ دُرٍّ فَائِقٍ مِشْرَاقِ

---

(1) محمد بن هانئ بن محمد بن سعدون الازدي الاندلسي، يتصل نسبه بالمهلب بن أبى صفرة: أشعر المغاربة على الاطلاق. مولده بإشبيلية سنة 326هـ ـ 938م، وكان ذا حظوة عند صاحب إشبيلية. وهو عند أهل الأندلس كالمتنبي عند أهل المشرق. وكانا متعاصرين. توفي عام 362هـ ـ 973م، أنظر ترجمته في الأعلام، للزركلي7 : 130

إنَّ الـسَّـعَـادَةَ خَاطَبَتْكَ لِتَعْتَلِي * بِجَنَابِكَ الأَوْفَـى البَدِيعِ الرَّاقِي
فَقَبِلْتَ مَسْعَاهَا وَمِنْكَ تَشَرَّفَتْ * نَـالَـتْ بِـهِ وَالـلَّـهِ ذِكْـراً بَـاقِـي
أَنْـتُمْ بَنُوا الزَّهْرَاءِ شَمْسُ عِنَايَةٍ * وَمَـنَـارُ فَـضْـلٍ فَضْلُكُمْ مُتَرَاقِي
قَدْ أَوْجَبَ الرَّحْمَانُ عِـزَّ جَنَابِكُمْ * وَبِـــهِ أَتَـانَـا طَـيِّـبُ الأَعْـــرَاقِ
مَـنْ أُمُّـهُ الـزَّهْرَاءُ مَـنْ ذَا جَـدُّهُ * خَـيْرُ الـوَرَى هَاجَتْ لَـهُ أَشْوَاقِي
فِـي حُبِّكُمْ عِـزٌّ وَمَـجْدٌ شَـامِخٌ * فِـي الضِّدِّ كُلُّ شَقَا وَمَا بِـهِ وَاقِـي
يَـا عَـابِـدَ الـرَّحْـمَـانِ إنَّ الـدُّرَّ لاَ * يُهْدَى إِلَـى الجَامُوسِ بِالإِطْلاَقِ
بَـلْ نَـفْحَةٌ مِـنْكُمْ سَرَتْ لِسَجِيَّتِي * وَالـعُـذْرُ مَـأْمُـولٌ لَـدَى الـحُذَّاقِ
مِـنِّـي عَـلَـيْـكَ تَـحِيَّـةٌ نَـدِّيَّـةٌ * مَـا ارْتَـاحَ وُرْقٌ فِـي ذُرَى الأَوْرَاقِ
أَوْ قَـــالَ يُنْشِدُنَا أَنِيسٌ مُـطْرِبٌ * رَشَـفَ الـمُدَامَةَ مِـنْ ثُغُورِ الـسَّاقِي

وقولـــــــه :

الــــرَّاحُ رَاحَـــــةُ أَرْوَاحٍ تُـوَاتِـيـهَـا * إِنْ كَانَتِ الـخُودُ بِالأَحْدَاقِ تُعْلِيهَا
نُدِيرُهَا فِي كُؤُوسِ عَسْجَدٍ صُنِعَتْ * مِـنَ الـصَّـفَاءِ وَلِلْعُشَّاقِ صَافِيهَا
لِـلَّـهِ لِـلَّـهِ أَنْـفَاسُ العَـبِيرِ صَـبَتْ * مِنْهَا فَحَيَّتْ وَأَحْيَتْ مَنْ يُعَاطِيهَا
يَـا رَبَّـةَ القُرْطِ مِنِّي اللُّبُّ مُنْقَرِضٌ * بَلَغْتُ فِـي غَايَةِ الأَشْـوَاقِ تَوْلِيهَا
أَحْـكِـي النَّسِيمَ عَلِيلاً فِـي تَعَثُّرِهِ * لَـوْلاَكِ مَـا كُنْتُ لِلْعُشَّاقِ قَاضِيهَا
غُـصْنٌ بِـهِ كَلَفِي قَدْ جَلَّ بَلْ تَلَفِي * بَـلْ شَـبَّ بِـي شَغَفِي وَعَـزَّ تَنْزِيهَا
فِي سَاطِعِ النُّورِ بَانَ الدُّرُّ مُبْتَسِماً * وَفِي الجَبِينِ شُمُوسُ الحُسْنِ تُبْدِيهَا
أَقُــولُ يَـا رَبَّـةَ الـسِّرِّ البَدِيعِ لَقَدْ * أُوتِيتِ سُـؤْلاً أَنِـلْ نَفْسِي أَمَانِيهَا
وَقَـفْتُ عِـنْدَ حُـلاَكِ مُذْنِباً قَلِقاً * أَنَـــا مُـعَـنَّـى صَـبَابَاتٍ أُقَاسِيـهَا
هَـاذِي سُلُوكُ يَـدِ التِّذْكَارِ تُنْظِمُهَا * حَـقّاً وَحُـقَّ لِنَائِي الـدَّارِ يُبْكِيهَا
مَـا لِلْمُحِبِّ اضْطِبَارٌ عَـنْ حَبَائِبِهِ * مَــنْ رَاحَ ذَلِـكَ مِـنْهُ جَـاءَ تَـمْوِيهَا
يَا لَيْتَ شِعْرِي مَتَى الأَيَّامُ تَجْمَعُنَا * بِـــكُمْ وَنَـبْـلُغُ بِـالإِسْعَادِ وَافِـيهَا
نَـظَلُّ نَـشْكُرُهَا شُـكْرَانَ صَـبٍّ لَـهُ * صِرْفُ الـمَحَبَّةِ فِي القِرْطَاسِ يُمْلِيهَا
آهٍ عَـلَى مَـا جَنَـاهُ البَيْنُ مِنْ حُرَقٍ * لَـوَاعِـجٍ طَـالَـمَا بِـالصَّدْرِ أُخْفِيـهَا

مُنُّوا عَلَى رِقِّكُمْ رِقُّوا لَـهُ كَرَماً * أَنْتُمْ بَنُوا المُصْطَفَى المُخْتَارِ تَنْوِيهَا
مَـوْلاَيَ يَـا عَـابِدَ الرَّحْمَانِ وِدُّكَ لاَ * يَـــزْدَادُ إِلاَّ نَـمًـى وَالـلَّـهُ يَـدْرِيـهَا
أَنْتَ الَّذِي فِـي الفَخَارِ مَا لَـهُ شِبَهٌ * رُكْـنُ الـمَعَالِي وَمَوْلًى مِـنْ أَعَـالِيهَا
أَنْتَ الأَدِيبُ الَّذِي الآدَابُ عُنْصُرُهُ * أَنْــتَ البَلِيغُ أَمَــامَ الـقَـوْمِ غَـالِـيهَا
لِـعِـزِّكُمْ خَـضَـعَ الـيَـرَاعُ تَـكْرِمَـةً * فَـحُزْتَ مِـنْ قَصَبَاتِ السَّبْقِ قَاصِيهَا
لِـمَجْدِكُمْ عَـنَّ كـلُّ الـمَجْدِ مِنْ شَرَفٍ * أَنْـتُمْ يَـنَابِيعُ فَـضْـلٍ جَـلَّ مُـنْـشِيهَا
أَنْفَاسُكُمْ بِـسعُودِ السَّعْدِ قَدْ قُرِنَتْ * أَسْـرَارُكُمْ عَـظُـمَتْ قَـدْراً لِـحَاوِيهَا
هَـذِي رَسَائِلُـكُمْ هَـذِي شَـمَائِلُكُمْ * هَذِي فَضَائِلُكُمْ فِـي الطِّرْسِ أُبْدِيهَا
وَرِدْتُــمُ مِـنْ حِيَاضِ الـسِّرِّ صَافِيَةً * رَشَـفْـتُـمُ مِــنْ مَـنَـاهِلٍ أَحَـالِيـهَا
حَتَّى غَدَا نُطْقُكُمْ أَشْهَى المَنَاطِقِ لِي * وَلِـلْـمَـسَامِعِ تَـشْـرِيـفٌ يُـوَافِـيـهَا
لاَزِلْتُمُ فِـي ظِلاَلِ العِزِّ مَا عَـظُمَتْ * آيَـاتُـكُمْ وَسَـعَـتْ فَـخْـراً وَتَـنْـوِيـهَا
مِـنِّــي إِلَــيْـكَ تَـحِـيَّاتٌ مُـعَـطَّـرَةٌ * مَـا رَنَّ لِـلعَيْشِ فِي البَيْدَاءِ حَادِيهَا
أَوْ غَـرَّدَتْ فِـي رِيَاضِ الـوِدِّ شَادِنَةٌ * بِــالـرَّاحِ رَاحَـــةُ أَنْـفَـاسٍ تُـوَاتِـيـهَا

وكاتبه أيضا برسالة ضمنها قصيدة نصها :

أَسَـعْـدُ بِـرَبِّكَ عُـجْ بِـالـحِمَى * وَعَرِّضْ لِمَنْ فِي الحَشَا خَيَّمَا
عَـرَتْـنِـي بِـبَيْنِ الرَّشَا لَوْعَةٌ * تَـزِيدُ بِـطُولِ الـمَدَا ضَـرَمَا
هُـبُـوبُ الـنَّـسِيمِ يُـؤَرِّقُـنِي * وَيـذْكِرُنِي النَّجْدَ وَالـعَلَمَا
مَـعَاهِدُ قَــدْ كُـنْـتُ آلَـفُـهَا * نَظَمْتُ عُـهُودِي بِـهَا مُحْكَمَا
أَظَـــلُّ وَعِـقْـدُ وِدَادِي بِـهَـا * يُـغِـيـرُ الـغَـزَالَةَ وَالـجَلَمَا
نَـعَمْ هِـي قَـدْ رَشَقَتْ فِلْذَتِي * غَـدَاةَ الـنَّوَى بَـلْ أَبَاحَتْ دَمَا
أُكَـفْـكِفُ يَـا غُـرْبَتِي عَـبْرَتِي * بِـهاراً وَطَـوْراً حَـكَتْ عَـنَمَا
فَـأَيْـنَ لَـيَالٍ رَشَـفْنَا الـهَوَى * رَحِـيقاً بِـكَأْسِ الـهَنَا اخْـتَتَمَا
تُـسَـامِرُنَا غُـــرَرٌ أَيْـنَـعَـتْ * بِـأَزْهَـارِ رَوْضٍ شَـــذَاهُ هَـمَـا
يَـبِـيـتُ الــهِـلاَلُ يُـثَالِثُنَا * وَهَـلْ تَـخْتَشِي مَـعَهُ وَصَـمَا
إِلَـيْـكَ أَبَـــا زَيْـــدٍ الـمُـنْـتَقَى * شَـكَـوْتُ جَـفاً عَـادَ لِـي سَقَمَا

وَمَا كُنْتُ أَعْهَدُ مِنْكَ الَّذِي * بَـدَا لِـي بَـعْدَ نَـوَالٍ نَـمَا
تَـذَكَّـرْ زَمَـاناً مَـضَى وَلَـنَا * بِــهِ خُـلَّـةٌ أَيْـنَعَتْ حِـكَمَا
نُـدِيرُ مِـنَ الأَدَبِ الغَضِّ مَا * بِـهِ كُـلُّ طِـرْسٍ زَهَـا عِـظَمَا
ثَـمِلْنَا بِـرَاحِ الـمَعَانِي الَّتِي * تَـفُـوقُ الزَّوَاهِـرَ أُفْـقَ الـسَّمَا
أَبَا الفَضْلِ يَا سَيِّدَ الفَخْرِ هَلْ * تَـغَـيَّرْتَ عَـنَّا وَحَـاشَـاكَ مَـا
وَأَنْتُمْ بَنِي المُصْطَفَى فَضْلُكُمْ * كَـنَـارٍ وَقَــدْ عَـلَتِ العَـلَمَا
فَـمَا الـمَجْدُ إِلاَّ الَّـذِي نِـلْتُمُ * طُـهِّرْتُمْ مِـنَ الرِّجْسِ مَا أَكْرَمَا
وَإِنَّ الـمَـكَـارِمَ قَــدْ خُـبِّئَتْ * لَـكُمْ مِـنْ إِلَـهِ الوَرَى عِـظَمَا
وَذَاكَ بِـطَـيْـبِـكُمْ طَـابَ فِـي * مُـحَـمَّدٍ الـمُصْطَفَى مَـنْ سَـمَا
عَـلَـيْهِ الـمَعَالِي لَقَدْ قُـصِدَتْ * وَثَـغْـرُ الـوُجُودِ بِــهِ ابْـتَسَمَ
عَـلَـيْـهِ صَــلاَةٌ وَآلِــهِ مَــا * أَدَارَ الـهَـزَارُ لَـنَـا الـنَّـغَـمَا
وَمِـنِّـي إِلَـيْـكَ التَّـحِيَّةُ مَـا * يَـهُـبُّ نَـسِيمُ الـرِّضَا نَـسَمَا
وَمَـا أَنْـشَدَ الـصَّبُّ عَـنْ قَلَقٍ * أَسَـعْـدُ بِـرَبِّـكَ عُـجْ بِـالـحِمَى

ووقفت بخطه على مساجلة جرت بينه وبين سيدنا النقيب قال فيها : هذه إنشادات وقعت بين كاتبه وبين أديب الأشراف، والمتسم بعظائم الأوصاف، الدرة المكنونة، واليتيمة المصونة، أبي زيد مولانا عبد الرحمن الزيداني، كلأ الله نجابته بالنبي العدناني، أنشدته يوما وقد مر وسيم، يحاكيه في رقته ولطافته النسيم، قولي :

خَلِيلُ شَفَا غَلِيلِي بِالوِصَالِ * وَعَنْ كُلِّ الحَلاَلِ لَقَدْ حَلاَ لِي

فأنشد :

فَحَيَّانِي مُحَيَّاهُ وَأَحْيَا * فُؤَاداً ظَلَّ مَسْكَنُهُ وَبَالِي

فأنشدت :

وَخَلَّلَ مُهْجَتِي حَتَّى امْتَزَجْنَا * كَمَزْجِ الرَّاحِ فِي كَأْسِ الجَمَالِ

فأنشد :

وَقَدْ غَابَ الوُشَاةُ وَلَا رَقِيبٌ * يُرَاقِبُ مَا مُنِحْتُ مِنَ الجَلاَلِ

فأنشدت :

إِذَا مَا غِبْتُ يَوْماً قَالَ رُوحِي * لَقَدْ ذَهَبَتْ وَعَقْلِي فِي خَبَالِ

فأنشد :

أَتَتْرُكُ مُهْجَتِي تَصْلَى سَعِيراً * بِبَيْنِكَ وَالحِمَامُ لَقَدْ دَنَا لِي

فأنشدت :

فَأَنْتَ ضِيَاءُ طَرْفِي وَابْتِهَاجِي * وَنُورُ القَلْبِ يَا سِرِّي وَمَالِي

فأنشد :

وَأَنْتَ الغَايَةُ القُصْوَى وَأَقْصَى * مُرَادِي أَنْ تَدُومَ عَلَى اتِّصَالِي

فأنشدت :

فَأَضْحَى الدَّهْرُ يَخْدُمُنَا بِرَغْمٍ * فَكُلُّ القَصْدِ حَقّاً فِي تَوَالِي

فأنشد :

وَقَدْ تَمَّ السُّرُورُ بِلاَ مِرَاءٍ * بِوَصْلٍ لاَ يُسَامُ بِالانْفِصَالِ

فأنشدت :

وَصَارَ الشَّمْلُ مُجْتَمِعاً عَلَيْنَا * وَأَهْلُ البُغْضِ أَضْحَوْا فِي نَكَالِ

وأنشدته يوما وقد أسعفت الأيام بالوصال، وبلغت النفس غاية الآمال، قولي:

سَقَانِي مِنْ رُضَابِ الثَّغْرِ رَاحَا * وَسِيمٌ بِالحَشَا وَالقَلْبِ رَاحَا

فأنشد :

وَقَدَّ بِقَدِّهِ المَيَّادِ قَلْبِي * وَقَابَلَنِي وَقَدْ أَرْخَى الوِشَاحَا

فأنشدت :

هِلاَلٌ قَدْ عَلاَ غُصْناً نَضِيراً * إِذَا مَا افْتَرَّ خِلْتُ بِهِ أَقَاحَا

فأنشد :

غَزَالٌ مَا لَهُ فِي الحُسْنِ شِبْهٌ * سَنَاءُ جَبِينِهِ عَمَّ البِطَاحَا

فأنشدت :

لَهُ سَجَدَتْ بُدُورُ التَّمِّ حَقّاً * وَأَخْجَلَ حُسْنُ طَلْعَتِهِ الصَّبَاحَا

فأنشد :

وَقَدْ كَمُلَتْ مَحَاسِنُهُ وَبَاهَا * بَهَاءً مَنْ بِهِ شِمْنَا الفَلاَحَا

ولما نظمتنا سلوك السعود، مع من منادتهم أشهى من ربات النهود، وشينا النادي من غرر الأشعار، بما تستحسنه الأفكار والأبصار، فدعانا داعي الغرام، إلى تغزل رقيق الانسجام، ونحن ثلاثة من أهل الأدب، ما هو أرق من الضرب، وأشهى من أنواع الطرب.

طَالَ اشْتِيَاقِي نَحْوَ مَنْ * مَنَعَ الجُفُونَ مِنَ الوَسَنْ
وَانْشَقَّ صَدْرُ المُسْتَهَـ * ـامُ لَدَى مُحَيَّاكَ الحَسَنْ
أَوْهَى هَوَاكَ مَحَاجِرِي * وَالعَظْمُ مِنِّي قَدْ وَهَنْ
فَالطَّرْفُ يَنْظُمُ نَثْرَهُ * بِنَوَاكَ مَعْ طُولِ الزَّمَنْ
بِالسِّحْرِ مِنْ طَرْفٍ حَوَى * حُوراً مُزِيلاً مَا سَكَنْ
فَارْحَمْ بِوَصْلِكَ مَنْ دَهَا * هُ بَهَاؤُكُمْ حَتَّى افْتَتَنْ
وَرَمَاهُ سَهْمُ الحَاجِبَيْـ * ـنِ فَزِنْدُ لَوْعَتِهِ كَمَنْ
أَوَلاَ فَعَبْدُ سَنَاكُمُ * مِنْ بُعْدِكُمْ هَجَرَ الوَطَنْ
وَجَفَا الرُّقَادُ جُفُونَهُ * بِكَمَالِ غَنْجِكُمُ الأَغَنْ

واستنشدني وقد هجع من الليل حراسه، وطابت من التصابي أنفاسه فأنشدته :

وَغَزَالٍ قَدْ غَزَانِي * بِسِهَامٍ رَاشِقَاتِ

فأنشد :

وَلِحَاظٍ كَرِمَاحٍ * وَجُفُونٍ نَاعِسَاتِ

فأنشدت :

وَعِذَارٍ مِثْلُ آسٍ * فِي غُصُونٍ زَاهِرَاتِ

فأنشد :

بِسَنَاهُ كُلُّ سَارٍ * يَهْتَدِي فِي الحَالِكَاتِ

فأنشدت :

وَخُدُودٍ وَثُغُورٍ * بَاسِمَاتٍ وَاضِحَاتِ

فأنشد :

قَدُّهُ أَغْصَانُ بَانٍ * مَائِلاَتٍ مَائِسَاتِ

فأنشدت :

قُدَّ مِنْهُ القَلْبُ حَتَّى * صَارَ يَصْلَى اللَّوعَاتِ

فأنشد :

قَدْ حَلاَ لِي عَنْ حَلاَلِي * سِحْرُ تِلْكَ الذَّابِلاَتِ

فأنشدت :

كَمْ أُقَاسِي فِي هَوَاهُ * لَوعَاتٍ قَاسِيَاتِ

فأنشد :

وَصْلُهُ لَوْ فِي مَنَامِي * هُوَ رُوحِي وَحَيَاتِي

فأنشدت :

أَضْرَمَ النَّارَ هَوَاهُ * وَأَسَالَ العَبَرَاتِ

فأنشد :

فَتَرَى وَابِلَ دَمْعِي * كَالسُّيُولِ الهَاطِلاَتِ

فأنشدت :

وَتَرَى نِيرَانَ وَجْدِي * بِهَوَاهُ مُوقِدَاتِ

فأنشد :

جاَءَ مِنْهُ النَّظْمُ وَالنَّثْـ * ـرُ شقِيقُ الوَجَنَاتِ

فأنشدت :

قَسَماً بِالخَالِ وَالأَشْـ * ـنَبِ وَالقَدِّ المُوَاتِي

فأنشد :

وَدُجَى شَعْرٍ بَهِيمٍ * وَعُيُونٍ دَاعِجَاتِ

فأنشدت :

وَمُحَيًّا وَرُضَابٍ * كَشُمُوسٍ عَاتِقَاتِ

فأنشد :

وَبَنَانٍ كَالثُّرَيَّا * وَخُصُورٍ دَائِرَاتِ

فأنشدت :

إِنَّهُ بَدْرُ تَمَامٍ * حَائِزٌ أَسْنَى الصِّفَاتِ

فأنشد :

ضَمَّخَ الأَرْجَا وَطَابَتْ * مِثْلَ مِسْكِ الخَاتِمَاتِ

وقلت مشطرا قوله :

كُـفَّ الـمَلَامَةَ يَـا عَـذُولُ فَإِنَّنِي * أَصْبَحْتُ مُضْنًى بِالَّذِي فَاقَ القَمَرْ
أَتَـخَالُنِي قَـلِقَ الـحَشَا مُتَكَلِّفاً * لاَ أَنْثَنِي عَـمَّا تَـخَالُ مِـنَ الـضَّجَرْ
كَيْفَ اضْطِبَارِي عَلَى البُعَادِ وَمُهْجَتِي * شَـرُفَتْ بِعِشْقِ جَمَالِهِ بَيْنَ البَشَرْ
لَـكِنَّـهَا إِذْ بَـانَ عَـنْـهَا حُـبُّـهَا * تَصْلَى الـجَحِيمَ وَمُقْلَتِي مَأْوَى السَّهَرْ

وخمستها أيضا بقولي :

وَمُهَفْهَفٍ كَالغُصْنِ لَـمَّا يَنْثَنِي * يُسْبِي اللُّبَابَ وَقَدْ قَضَى لاَ يَنْثَنِي
بِـتَغَنُّجٍ فِـي طَـرْفِـهِ قَـدْ قَـدَّنِي * كُـفَّ الـمَلَامَةَ يَـا عَـذُولُ فَإِنَّنِي
لاَ أَنْثَنِي عَـمَّا تَـخَالُ مِـنَ الـضَّجَرْ
حُلْوُ الشَّمَائِلِ قَدْ رَشَا فِي قَتْلَتِي * قَـوْس الـحَوَاجِبِ وَاسْتَطَالَ بِجَفْوَتِي
فِـي عِشْقِهِ لَـمْ أَدْرِ مَعْنَى سَلْوَتِي * كَيْفَ اضْطِبَارِي عَلَى البُعَادِ وَمُهْجَتِي
تَصْلَى الـجَحِيمَ وَمُقْلَتِي مَأْوَى السَّهَرْ

وقلت مخمسا قوله :

تَمَسَّكْ بِدِينِ الحُبِّ فِي السِّرِّ وَالمَلاَ * فَـمَا تَلَفُ الأَرْوَاحِ بِالحُبِّ قَدْ غَلَا
وَمَا كُنْتُ أَسْلُو عَنْ غَرَامِي وَقَدْ حَلاَ * إِذَا مَـا سَـلاَ يَوْماً خَلِيلُكَ فِي سَلاَ
فَـسَلْ كَمْ سَلَوْتُ بِالحَبِيبِ وَمَا سَلاَ
يَـقُولُ الَّـذِي أَهْـوَاهُ قَبْلَ شَقَائِقِي * وَفِـكْرِ بِطَرْفِ القَلْبِ حسن رَقَائِقِي
أَبَحْتُ وُصُولِي فِي الهَوَى لِشَوَائِقِي * وَكَمْ لَيْلَةٍ قَدْ بَاتَ حِبِّي مُعَانِقِي
وَبَاتَ العَذُولُ فِـي أَسَى خَطْبِهِ جَلاَ

نَعَمْ قَدْ قَضَيْنَا فِي الصَّبَابَةِ دِينَنَا * فَطَابَتْ بِذَاكَ الدِّينِ أَسْرَارُهَا لَنَا
وَزَالَتْ عَنِ العُشَّاقِ فِي حُبِّهَا العَنَا * وَعَمَّا قَرِيبٍ يَجْمَعُ اللَّهُ شَمْلَنَا
بِعِزٍّ وَتَأْيِّيدٍ عَلَى رَغْمِ مَنْ قَلاَ

واجتمعت بهاتيك المجادة في بعض الأيام، فسجع ورق الغرام، على أفنان الانسجام، والقلب بجميل المحاسن مشغوف، فأنشدني والكل إلى سيادته مصروف.

بِنَفْسِي شَادِناً قَدْ تَاهَ عجباً * لِأَنَّهُ مَالَهُ فِي الحُسْنِ ثَانِي

أنشدت :

فَوَجْنَتُهُ كَوَرْدٍ فَوْقَ غُصْنٍ * وَثَغْرُهُ بَاسِمٌ كَالأُقْحُوَانِ

فأنشد :

مُحَيَّاهُ يُغِيرُ البَدْرَ لَمَّا * تَثَنَّى مُخْجِلاً أَفْنَانَ بَانِ

فأنشدت :

سَبَا لَمَّا بَدَا قَمَرُ الدَّيَاجِي * لِذَاكَ تَرَى جَمَالَهُ فِي التَّفَانِي

فأنشد :

لَقَدْ شَهِدَتْ بِبَهْجَتِهِ الأَعَادِي * وَلِمْ لاَ وَقَدْ غَدَا فَرْدَ الحِسَانِ

فأنشدت :

عَذَابِي فِي هَوَاهُ أَرَاهُ عَذْباً * سُلُوِّي عَنْهُ ذَاكَ مِنَ الأَمَانِي

فأنشد :

بِعَذْلِ العَاذِلِينَ فَلاَ أُبَالِي * وَكَيْفَ وَحُسْنُ مَنْ أَهْوَى دَهَانِي

فأنشدت :

بِرَبِّكَ رِقَّ لِي وَارْحَمْ مُعَنَّى * بِطُولِ زَمَانِهِ يَرْجُو التَّدَانِي

فأنشد :

وَرِفْقاً بِالقَتِيلِ بِغُنْجِ شَكْلٍ * وَوَاصِلْ يَا حَبِيبُ بِلاَ تَوَانِي

فقلت :

فَوَصْلُكَ مُشْتَهَى لُبِّي وَرُوحِي * وَأَنْتَ المُنْتَهَى جُدْ بِالتَّهَانِي

وقال مخمسا بيتي جده أبي الفيض الشيخ حمدون ابن الحاج[1] :

يَـا ظَـبْيَ إِنَّـكَ بِـالـدَّلاَلِ فَـتَـنْـتَنِي * وَسَبَيْتَ لُـبِّي بِـالـبَهَا وَفَـضَـحْـتَنِي
بِـالـمَطْلِ مِـنْ بَعْـدِ الـجَفَاءِ أَذَيْـتَنِي * غُـصْـنَ الـخِلاَفِ وَيَـا هِلاَلُ وَعَدْتَنِي
بِـالـوَصْـلِ عِـنْـدَ تَـبَـسُّـمِ الأَصْـبَـاحِ
عَـجَباً لِـمَنْ مِنْ نُبْلِ طَرْفِكَ قَدْ نَجَا * وَلِنَاظِرٍ فِي الحُسْنِ مَا سَلَبَ الحِجَا
وَاعَـدْتَنِي بِـالقُرْبِ إِنْ ذَهَـبَ الدُّجَى * فَـعَـلِـمْتُ أَنَّـكَ مُـخْـلِفٌ لاَ تُـرْتَـجَى
هَـلْ مِـنْ هِـلاَلٍ لاَحَ عِـنْـدَ صَـبَاحِ

وقال أيضا :

عَـجِـبَ الـعُـذُولُ لِـدَمْعِ جَفْـنٍ نَـاهِـرِ * وَلِـمَـا بِـجِـسْمِي مِـنْ نُـحُولٍ ظَـاهِـرِ
فَـأَجَـبْـتُـهُ بِـلِـسَـانِ وَجْـــدٍ قَـاهِـرِ * إِنِّــي شَـغَـفْـتُ بِـثَـغْـرِ غُـصْـنٍ زَاهِـرِ
وَبَـكَـى زَمَـانِـي مُـذْ تَـبَـسَّـمَ وَانْـثَـنَى
رِفْـقاً بِـصَـبٍّ ذَابَ مِنْ حُرُقِ الجَوَى * وَالـلَّـهِ مَـا بِـالـبَيْنِ قَـلْـبِي قَـدْ نَـوَى
قَـدْ زَادَ بِـي كَـلَفِي وَتَـيَّـمَنِي الهَـوَى * وَسَقِمْتُ مِنْهُ وَطِرْتُ ضُعْفاً بِالنَّوَى
وَثَـمِـلْـتُ بِـالـنَّـفَحَـاتِ مِـنْ دُرَرِ الـثَّـنَا

(1) أبو الفيض حمدون بن عبد الرحمان بن الحاج السلمي المرادسي، من أكابر فقهاء وأدباء فاس، توفي سنة 1232هـ ـ 1817م، له مؤلفات منها : نفحة المسك الداري، لقارئ صحيح البخاري، وقصيدة ميمية في السيرة النبوية في نحو 4000 بيت، وشرح عليها في خمسة أسفار، وحاشية على تفسير أبي السعود ومتبوعه البيضاوي، بالإضافة لديوانه الذي سماه السليمانيات مع شرحه، ويحتوي على قصائد رائعة في مدح السلطان العادل المولى سليمان رحمه الله.
أنظر ترجمته في النبوغ المغربي، لعبد الله كنون 1 : 296 ،شجرة النور الزكية، لمخلوف ص 379 رقم الترجمة 1516 ، الإستقصا، للناصري 4 : 151 ، سلوة الأنفاس، للكتاني 3 : 4 ، الأعلام، للزركلي 2 : 275. وخصصه ابنه العلامة محمد الطالب بتأليف سماه : نيل السرور والإبتهاج، بترجمة الشيخ حمدون بن الحاج، وسماه أيضا : رياض الورد، إلى ما انتهى إليه هذا الجوهر الفرد.

أداء صلاة الجمعة بمسجد القصبة

وقد صلينا صلاة الجمعة بمسجد القصبة، ولما دخلت للمسجد الكبير[1] قلت بارتجال حين رأيت بناءه العجيب، وصنعه المحكم الغريب :

يَا مَسْجِداً مَا أَوْسَعَكْ * جَـلَّ الَّـذِي قَدْ رَفَعَكْ
فَـالـلَّهُ يَـرْحَـمُ الَّـذِي * عَلَى العُلَى قَدْ وَضَعَكْ

ورأيت مكتوبا على ساقية صحنه، منقوشا على لسانها :

تَأَمَّلْ بَعْدَ حَمْدِ اللَّهِ حُسْنِي * وَصَـلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ الشَّفِيعِ
فَمَا أَبْصَرْتَ فِي الدُّنْيَا كَشَكْلِي * أُذَكِّـرُ زَهْـرَ أَيَّـامِ الـرَّبِـيعِ
وَلِـلْـوُرَّادِ أَسْـقِـي سَلْسَبِيلاً * فَلِي فَخْرٌ بِذَاكَ عَلَى الجَمِيعِ
بِـجَامِعِنَا الـكَبِيرِ سَمَوْتُ قَدْراً * عَـلاَ شَـرَفِي بِجَانِبِهَا المَنِيعِ
بِـأَمْرِ إِمَامِنَا الـمَنْصُورِ[2] شَـادُوا * بِـنَاءِي الرَّائِقِ الأَبْهَى الرَّفِيعِ
وَتَـارِيـخِي أَمَـعْـطَاشٍ[3] هَنِيئاً * وَقَـاكَ اللَّهُ مِـنْ ظَمَأٍ وَجُـوعِ

ومنقوشا على الرخامة التي هناك :

بَنَى هَذَا الـمَقَامَ أَمِيرُ صِدْقٍ * مُحَمَّدٌ الرِّضَى[4] فِي عَامِ عِشْقٍ[5]
وَجَدَّدَ فِيهِ مَسْجِدَهُ فَحَازَتْ * بِـهِ مَـكْنَاسَةٌ قَـصَبَاتُ سَبْقِ

---

(1) أسست القواعد الأولى لهذا المسجد أواخر عهد الدولة المرابطية، وتبلغ مساحته 3500 مترا مربعا، وعدد أقواسه 143 قوسا، أما منارته فيبلغ علوها أزيد من 22 مترا، وعرض جدارها خمسة أمتار ونصف

(2) إشارة للسلطان المولى إسماعيل الذي يعود له الفضل في تجديد بناء هذا المسجد

(3) أمعطاش : هو رمز لتاريخ الفراغ من تجديد هذا المسجد وبناء ساقيته المذكورة، وذلك بحساب الجمل الكبير، وهو عام 1121هـ ـ 1709م، وحصل هذا التجديد قبل وفاة السلطان المولى إسماعيل بثمانية عشر سنة

(4) إشارة للسلطان المولى محمد بن عبد الله، أحد أشهر ملوك الدولة العلوية الشريفة

(5) عام عشق : هو رمز لتاريخ بناء هذه الرخامة وتجديد المسجد، وذلك بحساب الجمل الكبير، وهو عام 1170هـ ــ 1757م،

وفي وجه اللوح الموضوع في عنزة الصحن أبيات منها :

لَـكَ الـحَمْدُ يَااللَّهُ وَالأَمْـرُ كُلُّهُ * فَـصَلِّ عَـلَى سِرِّ الـوُجُودِ مُـحَمَّدِ
إِمَــامِ الــوَرَى طُــرّاً وَقِبْلَـةِ آدَمٍ * نَبِيٍّ أَتَى بِالخُمْسِ فِي كُلِّ مَسْجِدِ
وَمُـعْـجِـزَةُ الـقُـرْآنِ أَكْـبَـرُ آيَــةٍ * فَـطُوبَى لِـمَنْ يَـتْلُوهُ عِـنْدَ تَـهَجُّدِ

ومنها ما هو منقوش بنقش عجيب، بديع غريب :

بِـحَـمْدِ الــلَّـهِ يُفْـتَتَـحُ الـكَـلاَمُ * كَـذَاكَ صَــلاَةُ رَبِّــي وَالـسَّـلاَمُ
عَـلَى الـمُخْتَارِ مَـعْ آلٍ وَصَـحْبٍ * كَعَرْفِ المِسْكِ مَا انْسَكَبَ الغَمَامُ
أَدِمْ يَـا رَبِّ عِـزَّ الـدِّينِ وَانْصُرْ * إِمَــامــاً لاَ يُـعَـادِلُـهُ إِمَـــامُ

ترجمة العلامة القاضي سيدي محمد بن عبد السلام الطاهري

وبعد ذلك حضر لدينا بروض سيدنا النقيب حضرة الخطيب المصقع، قاضي الحضرة المكناسية، العلامة المتضلع، الشريف سيدي محمد بن عبد السلام الطاهري،[1] مع جماعة من الأعلام، فكان جمعهم سالما، وكل فرد منهم بحق الأدب مع من حضر معه قائما، قد لازموا الإنصاف، وحادوا عن طريق الاعتساف، وكأني بروض سيدنا النقيب روضة من رياض الجنة ما فيها خلاف، والحاضرون به إخوان على سرر متقابلين، وقد فرح بالإجتماع بنا هناك سيدنا القاضي المذكور، كما فرحنا بذلك، وقلت في ساعة الإجتماع به :

يَا سَاعَةً مَا لَهَا فِي الدَّهْرِ مِنْ ثَمَنِ * قَـدْ شَرُفَـتْ بِـحُضُورِ عَـالِمِ الـزَّمَنِ

---

(1) الفقيه العالم العلامة القاضي سيدي محمد بن عبد السلام الطاهري، قاضي مدينة مكناس، أخذ العلم عن جماعة من العلماء، منهم الفقيه محمد بن الجيلاني السقاط، وفضول بن عزوز، والمختار الأجراوي، وأحمد بن سودة، وغيرهم،
من مصنفاته : تأليف في جواز العمل في الصوم والإفطار وغيرهما من الأمور الشرعية بالتلغراف، ونظم رسالة الوضع، وحاشية على ورقات إمام الحرمين في الأصول،
توفي في غروب يوم الأحد 4 شوال عام 1339هـ ـ 11 يونيه 1921م، أنظر ترجمته في إتحاف أعلام الناس، لابن زيدان 4 : 299، إتحاف المطالع، لابن سودة 2 : 428، موسوعة أعلام المغرب 8 : 2918

قَاضِي القُضَاةِ مَحَلِّ الفَضْلِ سَيِّدِنَا * مُحَمَّدٍ سِبْطِ إِدْرِيسَ أَبِي المِنَنِ

وقلت أيضا :

مكْنَاسَةٌ صَارَتْ لَنَا أُمَّ القُرَى * بِوُجُودِ مَرْكَزِ ذَا الزَّمَانِ الغَابِرِ
بَدْرِ الهُدَى المَوْلَى الشَّرِيفِ مُحَمَّدٍ * نَجْلِ الرِّضَى عَبْدِ السَّلاَمِ الطَّاهِرِي

وقال في ذلك أيضا الشريف سيدي محمد الصقلي بيتين، وشطرهما الأديب السيد محمد [فتحا] ابن الحاج، وهما مع التشطير :

أَكْرِمْ بِهَا سَاعَةً بِجَمْعِكُمْ شَرُفَتْ * وَصَارَ ثَغْرُ الهُدَى وَاليُمْنِ فِي بَسَمِ
فِيهَا تَجَمَّعَتِ الآمَالُ وَابْتَسَمَتْ * نِلْنَا بِهَا الفَوْزَ فِي عِزٍّ وَفِي كَرَمِ
لاَزَالَ طَالِعُكُمْ بِالعِلْمِ مُبْتَهِجاً * وَنُورُكُمْ فِي الوَرَى يَهْدِي مِنَ الظُلَمِ
فَخَارُكُمْ مَالَهُ وَاللَّهِ مِنْ مَثَلٍ * يَا سَادَةَ الفَضْلِ وَالإِسْعَادِ وَالحِكَمِ

وقال السيد محمد ابن الحاج، وشطرهما سيدي محمد الصقلي وأجادا معا :

رَوْضُ النَّقِيبِ يَقُولُ وَهْوَ فِي طَرَبٍ * جَادَ الزَّمَانُ بِجَمْعِي لِلكَرَامَاتِ
وَتِهْتُ فَخْراً عَلَى غَيْرِي بِجَمْعِكُمُ * أَهْلاً وَسَهْلاً بِكُمْ أُولِي المَجَادَاتِ
شَرَّفْتُمُ مَنْصِبِي أَعْلَيْتُمُ رُتَبِي * وَزِدْتُمُ شَرَفِي كُلَّ السَّعَادَاتِ
لِذَا أَقُولُ وَقَدْ أَصْبَحْتُ فِي خَوَلٍ * لاَزَالَ جَمْعُكُمُ جَمْعَ السَّلاَمَاتِ

واجتمعنا أيضا بدار الفقيه الأديب، الشريف الحسيب، سيدي عبد القادر العرائشي، لما استدعانا من سيدنا النقيب المذكور دام حفظه، فقال فيه الشريف سيدي محمد الصقلي :

قَاضِي القُضَاةِ لَهُ فَضْلٌ عَلَى النَّاسِ * بِالعِلْمِ وَالحِلْمِ وَالأَفْضَالِ وَالحَسَبِ

أَعْنِي بِهِ الشَّيْخَ مَوْلاَنَا الإِمَامَ مُحَـ * ـمَّدِ بْنِ عَبْدِ السَّلاَمِ الطَّاهِرِ النَّسَبِ
قَاضٍ بِمِكْنَاسَةَ الَّتِي بِهِ شَرُفَتْ * عَلَى البِقَاعِ وَحَازَتْ أَعْظَمَ الرُّتَبِ

ومن نظم صاحب الترجمة قوله مخمسا للبيتين الذين خمسهما جمع من الأدباء، وهما للأديب الشاعر سيدي إدريس بن علي السناني، المعروف بالحنش[1] ونص تخميسه :

يَا مَنْ سَمَا رُتَبَ العَلْيَاءِ مُكْتَمِلاً * وَمَنْ غَدَا طَرْفُهُ بِالحُسْنِ مُكْتَحِلاَ
كُنْ قَابِلاً أَبَداً نُصْحِي وَمُحْتَفِلاً * جَانِبْ أَخَا اللُّؤْمِ مَا اسْتَطَعْتَ مُعْتَزِلاَ

---

(1) إدريس بن علي السناسي، المعروف بالحنش، من كبار شعراء عصره بالعاصمة العلمية [فاس] من مصنفاته : الروض الفائح، بأزهار النسيب والمدائح. والمقامة، المغنية عن المدامة. وغيرها

وهو من خاصة محبي الطريقة التجانية، وله في حضرة شيخها أبي العباس التجاني قصائد وأشعار كثيرة منها قصيدته اللامية التي قالها بمناسبة ورود الثابوت التونسي المرفوع هدية للضريح الأنور بفاس، وافتتحها بقوله :

أنخ ها هنا و انزل على الرحب و السهل * و أثلج غليل الشوق بالعل و النهل
و ألق عصا الترحال و لتك جازما * بنيل أطاييب المسرة و السؤل

إلى أن قال فيها :

تجانينا تاج الأكابر و الذي * كراماته عدا تنوف على الرمل
تضاءلت الأقدار في جنب قدره * فليس له في حلبة السبق من مثل
فيا حبذا قطب له الختم آية * تواتر عن أهل المعارف بالنقل
به جاءت الأنباء قبل زمانه * فكم عارف وافى لأوصافه يملي
على أنه القطب الذي صح كتمه * عليه مدار السر في العقد و الحل

ومما قال في مدحه أيضا قصيدته الرائية الجميلة التي يفتتحها بقوله :

ببابكم يا محل الفضل والفخر * أنخت راحلتي مؤملا وطري
فانظر لنحوي بعين عطفة ورضى * فأنت معتمدي ومنتهى نظري
يا صاحب الهمة التي لرفعتها * علت على زحل و الشمس و القمر
يا واحد الأولياء ممد جملتهم * من أول الدهر حتى منتهى العصر

إلى أن يقول فيها :

ذاك التجانيّ أحمد الهمام فلذ * بجاهه من صروف الدهر و الغير
يا سيدي يا أبا العباس يا سندي * وعدتي و الذي يشفي به ضرري
و من إذا ما هممت أن أخاطبه * رميت من مجده بالعيّ و الحصر

توفي رحمه الله يوم السبت 15 جمادى الأولى عام 1319هـ ـ 30 غشت 1901م، أنظر ترجمته في إتحاف المطالع، لابن سودة 1 : 351، معلمة المغرب ....موسوعة أعلام المغرب ....

فَـاصْرِمْ حِبَالَهُ إِنْ أَتَـى وَإِنْ غَـابَا * وَفِـرَّ مِـنْ لَـوْمِـهِ وَافْـرَحْ لِفُرْقَتِهِ
وَلاَ تَـكُـنْ سَاعِـياً فِـي نَـقْدِ مُهْجَتِهِ * وَالْـزَمْ هِـجَـاهُ وَلاَ تَـعْـبَأْ بِـرُؤْيَتِـهِ
هُـوَ الَّـذِي قَـدْ تَـرَاهُ حَـالَ نِـعْـمَتِهِ * يَـرَى الـرُّؤُوسَ مِـنَ الأَشْـرَافِ أَذْنَـابَا

وسيأتي لنا بعض التخاميس في ترجمة أخينا العلامة الأديب سيدي محمد الغالي السنتيسي

نص كتاب بهجة الفكر، في اشتمال الخطبة على أبيات الشعر.

للعلامة سيدي محمد بن عبد السلام الطاهري

ومما أوقفني عليه تقييده النفيس الذي حرره جوابا لمن سأله عن حكم الخطبة المشتملة على الشعر حين سمعه يخطب وضمن في خطبته بيتين من أبيات الشعر، ولا بأس بنقل هذا التقييد هنا تتميما للفائدة، ونصه :بسم الله الرحمن الرحيم، وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه

الحمد لله الذي له ما في السموات والأرض، والصلاة والسلام على سيدنا محمد خطيب الورى في موقف الحساب والعرض، وعلى آله البلغاء الفصحاء، وصحابته الهداة النصحاء، صلاة وسلاما دائمين ما لفظ بالصواب لافظ، ووعظ بفصيح خطبته واعظ

وبعد : فإني لما خطبت في بعض الجُمَعِ بالحث على الإستعداد، والترغيب في الرباط والجهاد، عند مفاجأة عدو الدين، وهجومه على بعض بلادات المسلمين، وقد كنت أوردت في الخطبة بيتين من الشعر اقتضاهما المقام، ومست الحاجة إليهما في ذلك المرام، واستكشف بعض الأجلة الأنجاد، من الشرفاء النبهاء الأمجاد، عن الحكم الشرعي فيما أوردته، وبيان الوجه فيما ذكرته وارتكبته، سالكا باستكشافه طريق الاستفادة والتعرف، لا طريق التعنت والتعسف، لاعترافه أنه لم يتكلم بلسان الإنتقاد، وإنما أراد الوقوف على نص أئمة الإجتهاد، ونقلهم الصريح في ذلك من غير شذوذ ولا ضعف ولا غرابة، لكونه لم يقتنع بظاهر عموم قول المختصر مما تسميه العرب خطبة، فوضعت هذا التقييد المفيد، لبيان الحكم للمنصف المستفيد، وسميته : بهجة الفكر، في اشتمال الخطبة على أبيات الشعر.

وبالله تعالى التوفيق، وهو الهادي إلى أقوم طريق، وينحصر في مقامين وخاتمة، المقام الأول في اشتقاق الخطبة وضبطها وبيان معناها ومسماها في لغة العرب، والثاني في حكم اشتمالها على ما ذكر، هل الجواز أو المنع أو الكراهة، وهل تبطل الخطبة بذلك أم لا ؟

فاعلم رعاك الله أن المقام الأول مرجعه إلى أئمة اللغة ونقل كلامهم ومراجعة كتبهم، قال في المصباح : خاطبه مخاطبة وخطابا، وهو الكلام بين متكلم وسامع، ومنه اشتقاق الخطبة بضم

الخاء وكسرها باختلاف معنيين، فيقال خطب القوم وعليهم، من باب قتل خطبة بالضم، وهو فعلة بمعنى مفعولة، نحو نسخة بمعنى منسوخة، وغرفة بمعنى مغروفة، وجمعها خطب، مثـل غرفة وغرف، فهوخطيب، والجمع الخطباء، وهو خطيب القوم إذا كان هو المتكلم عنهم إهـ .. [1]

وفي القاموس : خطب الخاطب على المنبر، يخطب خطابة بالفتح وخطبة بالضم، وذلك الكلام خطبة أيضا، وهي الكلام المنثور المسجع ونحوه [2]إهـ.. وفي تفسير الخازن في قوله تعالى : ولا جناح عليكم فيما عرضتم به من خطبة النساء[3] ما نصه : والخطبة بالضم الكلام المنظوم، وله أول وآخر، وفي تفسير الألولسي[4] : والخطبة بكسر الخاء قيل الذكر الذي يستدعى به إلى عقد النكاح أخذاً من الخطاب، وهو توجيهُ الكلام للإفهام، وبضمها الوعظ المتسق على ضربٍ من التأليف، وقيل أنهما من اسم الحالة غير أن المضمومة خُصَّتْ بالموعظة، والمكسورة بطلب المرأة والتماس نكاحها، وفي حواشي ابن عطية ما نصه : والخطبة بالكسر التماس الخاطب النكاح من جهة المخطوبة، وأما بالضم فكلام مشتمل على وعظ إهـ .. وأما الخطبة بالفتح فهي المرة من الخطابة، أي الوعظ، فهي مثلثة الفاء مع اختلاف معانيها قال في نيل الأرب :

وَمَرَّةُ الوَعْظِ تُسَمَّى خُطْبَة * ثُمَّ التِمَاسُ لِلْنِّكَاحِ خُطْبَة
وَمَا بِهِ يُخْطَبُ فَهْوَ الخُطْبَةُ

فهؤلاء أئمة اللغة أطلقوا ولم يقيدوها بسجع أو غيره، وإنما فسروها بالكلام، وهو يصدق بالنظم والسجع وغيرهما، كما هو ظاهر عبارة المصباح، وابن عطية، وأول كلام القاموس، وقوله آخره : وهي الكلام المنثور المسجع ونحوه، كالصريح في إرادة الشعر، فقوله ونحوه إذْ نحو السَّجَعِ النَّظْمُ، لأنه سيأتي عن بعضهم أن النظم قريب من السجع، وإلا فلا معنى لزيادة لفظة نحوه، وكلام

---

(1) أنظر المصباح المنير في غريب الشرح الكبير، للفيومي، حرف الخاء، مادة [خطب]

(2) أنظر تاج العروس، لمرتضى الزبيدي، حرف الخاء، مادة [خطب]

(3) سورة البقرة، الآية 235

(4) المراد به كتاب روح المعاني، في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، للعلامة شهاب الدين محمود ابن عبدالله الحسيني الألوسي

الخازن أصرح منه، إذ فسرها بالكلام المنظوم كما تقدم، وكان قس بن ساعدة[1] الأيادي الذي يضرب بها المثل في الفصاحة والخطابة، فيقال أبلغ من قس، وهو أسقف نجران، وهو من حكماء العرب، وكان مؤمنا بالله ومبشراً برسوله، وهو أول من خطب متوكئا على عصا، وأول من كتب من فلان إلى فلان، وفيه يقول الأعشى :

وأفصح من قس وأجرى من الذي [البيت]

كان يخطب بسوق عكاظ وينشد في خطبته الشعر، وفي الحديث عن مولانا رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : لقد رأيته بعكاظ يخطب على جمل له أورق، وهو يقول : أيها الناس اجتمعوا واسمعوا وعو، من عاش مات، ومن مات فات، وكل ما هو آت آت، ليل موضوع، وسقف مرفوع، ونجوم تغور، وبحر يمور، أما بعد فإن في السماء لخبرا، وفي الأرض لعبرا، ما لي أرى الناس يموتون ولا يرجعون، أرضوا بالإقامة فأقاموا، أم تركوا كما هم فناموا، أقسم بالله قس قسما حقا فما حنث ولا أثم، إن لله دينا هو أرضى من ديننا الذي نحن عليه، ثم قال أبياتا ما أحفظها، فقال رجل من الأنصار : أنا شاهد يا رسول الله بأبي أنت وأمي، قال : فأنشدنا، قال : سمعته يقول :

فِــي الذَّاهِبِينَ الأَوَّلِيــ * ـنَ مِنَ القُرُونِ لَنَا بَصَائِر
لَــمَّـا رَأَيْـــتُ مَــوَارِداً * لِلْمَوْتِ لَيْسَ لَهَا مَصَادِر
وَرَأَيْـــتُ قَـوْمِي نَحْـوَهَا * تَمْضِي الأَصَاغِرُ وَالأَكَابِر
أَيْـقَـنْـتُ أَنِّـــي لاَ مَـحَـا * لَةَ حَيْثُ صَارَ القَوْمُ صَائِر[2]

---

(1) قس بن ساعدة، من أكابر خطباء العرب في العصر الجاهلي، توفي سنة 23 قبل الهجرة. يقال إنه أول عربي خطب متوكئا على سيف أو عصا، وأول من قال في كلامه [أما بعد] وكان يفد على قيصر الروم، زائرا، فيكرمه ويعظمه. وهو معدود في المعمرين، طالت حياته وأدركه النبي صلى الله عليه وسلم قبل النبوة، ورآه في عكاظ، وسئل عنه بعد ذلك، فقال: يحشر أمة وحده، أنظر ترجمته في الأعلام، للزركلي 5 : 196

(2) أنظر مجمع الزوائد، للحافظ ابن حجر الهيثمي 9 : 418 ـ 419 وقال في آخره : رواه الطبراني والبزار، وفيه محمد بن الحجاج اللخمي، وهو كذاب.

وفي رواية ابن عباس عن الجارود الذي وفد مع وفد عبد القيس، قال النبي صلى الله عليه وسلم : يا جارود هل في جماعة عبد القيس من يعرف لنا قسا، قال : كلنا نعرفه يا رسول الله، وإني كنت من بينهم أقفوا أثره، وأطلع خبره، فقال النبي صلى الله عليه وسلم : يا جارود فلست أنساه بسوق عكاظ على جمل له أورق، وهو يتكلم بكلام مونق، ما أظن أحفظه، فهل منكم يا معشر المهاجرين والأنصار من يحفظ لنا منه شيئا؟ فوثب أبو بكر قائما، وقال : يا رسول الله أنا أحفظه، وكنت حاظرا بعكاظ حين خطب فأطنب ورهب ورغب وحذر وأنذر، وقال في خطبته :

أيها الناس اسمعوا وعو، وإذا وعيتم فانتفعوا، إنه من عاش مات، ومن مات فات، وكل ما هو آت آت، مطر ونبات، وأرزاق وأقوات، وآباء وأمهات، وأحياء وأموات، وجمع وشتات، وآيات بعد آيات، إن في السماء لخبرا، وإن في الأرض لعبرا، ليل داج، وسماء ذات أبراج، وأرض ذات رتاج، وبحار ذات أمواج، ما لي أرى الناس يذهبون فلا يرجعون، أرضوا بالمقام فأقاموا، أم تركوا هناك فناموا، أقسم قس بالله قسما حقا لا آثما فيه ولا حانثا،إن لله دينا هو أحب إليه من دينكم الذي أنتم عليه، ونبياً قد حان حينه، وأظلكم أوانه، وأدرككم إبانه، فطوبى لمن آمن به فهداه، وويل لمن خالفه وعصاه، ثم قال :

تبّاً لأرباب الغفلة من الأمم الخالية، والقرون الماضية، يا معشر إياد، أين الآباء والأجداد؟ وأين المريض والعواد؟ وأين الفراعنة الشداد؟ أين من بنى وشيد؟ وزخرف ونجد؟ وغره المال والولد؟ أين من بغى وطغى وجمع فأوعى وقال أنا ربكم الأعلى؟ ألم يكونوا أكثر منكم أموالا، وأبعد منكم آمالا، وأطول منكم آجالا، طحنهم الثرى بكلكله، ومزقهم بتطاوله، فترك عظامهم بالية، وبيوتهم خاوية، عمرتها الذئاب العاوية، كلا، بل هو الله الواحد المعبود، ليس بوالد ولا مولود، ثم أنشأ يقول : في الذاهبين الأولين إلخ.. الأبيات المتقدمة [1]

قال ثم جلس أبو بكر رضي الله عنه ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم رحم الله قسا إني لأرجو أن يبعثه الله أمة وحده، ولا خفاء أنه اشتمل كلامه على الشعر، وسماه النبي صلى الله عليه وسلم وأبو بكر رضي الله عنه خطبة كما تقدم، ولو لم يكن ذلك مسماها عند العرب ما سماه النبي صلى الله عليه وسلم وأبو بكر بذلك، إذ هو صلى الله عليه وعلى آله وسلم أفصح العرب على الإطلاق، وأشرف الخلق وأكملهم على العموم والاستغراق، فلا ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي

---

(1) أنظر دلائل النبوة، للبيهقي[باب ماجاء في إخبار الأحباروالرهبان بالنبي صلى الله عليه وسلم قبل مبعثه] ذكر حديث قس بن ساعدة الإيادي رقم الحديث 424

يوحى،وتقدم أن قسا يضرب به المثل في فصاحته وخطابته، وناهيك بها حجة، فإنها واضحة المسالك والمحجة،

فائدة : قيل أن قسّاً أول من نطق بِأَمَّا بَعْدُ، وهو أحد أقوال سبعة فيها، ثانيهما آدم عليه السلام، قال تعالى: وعلم آدم الأسماء كلها الآية،[1] ومن جملتها أما بعد ولا يقال الكلام في الأولية لا في التعليم، على أنه لا يلزم من التعليم النطق به، فلا دلالة في الآية على المدعي، لأنا نقول هو أبو البشر، وقد ثبت نطقه بجميع ما علمه من الأسماء بقوله تعالى : يا آدم أنبئهم بأسمائهم[2] فلزم أن يكون أول من نطق بها،

وقيل داوود عليه السلام لقوله تعالى: وآتيناه الحكمة وفصل الخطاب،[3] وفصل الخطاب هو [أَمَّا بَعْدُ] على أحد التاويلات، أو البينة على المدعي واليمين على من أنكر، وقيل يعقوب عليه السلام وقيل كعب بن لؤي[4] وقيل يعرب بن قحطان[5] وقيل سحبان بن وائل،[6] وجمع بين هذه الأقوال بأن الأولية بالنسبة لآدم حقيقية، وبالنسبة لغيره إضافية، أي بالإضافة إلى العرب أو القبائل، وقد نظم الأقوال السبعة من قال :

فَهَاكَ خِلاَفاً فِي الَّذِي قَدْ تَقَدَّمَا * بِنُطْقٍ بِأَمَّا بَعْدُ فَاحْفَظْ لِتَغْنَمَا
فَدَاوودُ يَعْقُوب وَآدَمُ أَقْرَبُ * فَقُسٌّ فَسَحْبَانُ فَكَعْبٌ فَيَعْرُبُ

---

(1) سورة البقرة، الآية 31

(2) سورة البقرة، الآية 33

(3) سورة ص، الآية 20

(4) كعب بن لؤي : هو الجد الثامن لسيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم، كان من كبار فصحاء قريش

(5) يعرب بن قحطان بن عابر، أحد ملوك العرب في جاهليتهم الأولى، يوصف بأنه من خطبائهم وحكمائهم وشجعانهم، وهو أبو قبائل اليمن كلها، وبنوه العرب العاربة، قال وهب بن منبه : يعرب أول من قال الشعر ووزنه ومدح ووصف وقص وشبب، إهـ . . . ولي إمارة صنعاء باليمن بعد موت والده، فغزا الأشوريين بالعراق، وحارب العمالقة ببلاد الحجاز.
أنظر ترجمته في تاريخ ابن خلدون 2 : 47، السيرة الحلبية 1 : 23، التنبيه والإشراف، للمسعودي ص 70، الأعلام، للزركلي 8 : 192.

(6)سحبان بن زفر بن إياس الوائلي ، خطيب مشهور ، يضرب به المثل في البلاغة و البيان ، يقال أخطب من سحبان ، و أفصح من سحبان ، و كان إذا خطب يسيل عرقا ، و لا يعيد كلمة و لا يتوقف ، ولا يقعد حتى يفرغ ، أسلم في عهد النبي صلى الله عليه و سلم ، غير أنه لم يَرَهُ ، توفي سنة 54 هـ . أنظر ترجمته في الأعلام ، للزركلي 3 : 79 .

وهذا يخالف ما في شرح خطبة مختصر الشيخ خليل للزرقاني، حيث ذكر بيتي ولد رضى الدين القرافي وهما :

جَرَى الخُلْفُ أَمَّا بَعْدُ مَنْ كَانَ بَادِياً * بِـهَا سَـبْعُ أَقْـوَالٍ وَدَاوودُ أَقْـرَبُ

بِفَصْلِ خِطَابٍ ثُمَّ يَعْقُوبُ قُسُّهُمْ * فَسَـحْبَانُ أَيُّـوبٌ فَكَعْبٌ فَيَـعْرُبُ

والمخالفة من وجهين في آدم وأيوب، وفي الأقرب والأصح الأول، وقد ثبت أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يقول : أما بعد في خطبه[1] وشبهها في الصحيحين : أما بعد مال أقوام، الحديث،[2] أما بعد أسلم تسلم يوتك الله أجرك مرتين[3]،الحديث، المقام الثاني في الحكم الشرعي أعلم وفقك الله أن في قصة قس المذكورة أقوى دليل على الجواز، لاستفادته من قوله صلى الله عليه وسلم وهو يخطب على جمل له أورق، وقد أنشد في خطبته الشعر، ولإقراره صلى الله عليه وسلم لأبي بكر رضي الله عنه على تسمية كلام قس المشتمل عليه خطبته، وهو صلى الله عليه وسلم لا ينطق عن الهوى، ولا يقر على منهى عنه، إذ لوكان إنشاده فيها منهيا عنه ما أقره صلى الله عليه وسلم على تلك التسمية، والتالي باطل، فالمقدم مثله،

وتقدم أن قسا من أفصح العرب وخطبائها، فلو كان مسماها عندهم لا يشتمل على الشعر ما أتى به في خطبته، فإتيانه به فيها دليل على أن ذلك مسماها عندهم، ولذا قال في المختصر مما تسميه العرب فأتيانه به فيها دليل على أن ذلك مسماها عندهم ولذا قال في المختصر مما تسميه

---

(1) إشارة لما جاء في صحيح البخاري عن عروة عن أبي حميد الساعدي أنه اخبره أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَامَ عَشِيَّةً بَعْدَ الصَّلَاةِ فَتَشَهَّدَ وَأَثْنَى عَلَى اللَّهِ بِمَا هُوَ أَهْلُهُ ثُمَّ قَالَ أَمَّا بَعْدُ، أنظر صحيح البخاري[كتاب الجمعة] باب من قال في الخطبة بعد الثناء أما بعد، رقم الحديث 873

(2) إشارة لحديث طويل في صحيح الإمام مسلم، يقول النبي صلى الله عليه وسلم في ضمنه : أَمَّا بَعْدُ فَمَا بَالُ أَقْوَامٍ يَشْتَرِطُونَ شُرُوطًا لَيْسَتْ فِي كِتَابِ اللَّهِ، مَا كَانَ مِنْ شَرْطٍ لَيْسَ فِي كِتَابِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ فَهُوَ بَاطِلٌ، وَإِنْ كَانَ مِائَةَ شَرْطٍ، كِتَابُ اللَّهِ أَحَقُّ، وَشَرْطُ اللَّهِ أَوْثَقُ، مَا بَالُ رِجَالٍ مِنْكُمْ يَقُولُ أَحَدُهُمْ أَعْتِقْ فُلَانًا وَالْوَلَاءُ لِي، إِنَّمَا الْوَلَاءُ لِمَنْ أَعْتَقَ ، أنظر صحيح مسلم [كتاب العتق] باب إنما الولاء لمن أعتق، رقم الحديث 2763

(3) إشارة للحديث الصحيح المتعلق بكتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى هرقل عظيم الروم، وهو حديث طويل جاء في آخره : ثُمَّ دَعَا بِكِتَابِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقُرِئَ، فَإِذَا فِيهِ : بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ، مِنْ مُحَمَّدٍ عَبْدِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ إِلَى هِرَقْلَ عَظِيمِ الرُّومِ، سَلَامٌ عَلَى مَنْ اتَّبَعَ الْهُدَى، أَمَّا بَعْدُ فَإِنِّي أَدْعُوكَ بِدِعَايَةِ الْإِسْلَامِ، أَسْلِمْ تَسْلَمْ، وَأَسْلِمْ يُؤْتِكَ اللَّهُ أَجْرَكَ مَرَّتَيْنِ، فَإِنْ تَوَلَّيْتَ فَعَلَيْكَ إِثْمُ الْأَرِيسِيِّينَ

العرب خطبة،[1] قال بعض المحققين : الخطبة عند العرب تطلق على ما يقال في المحافل من الكلام المنبه به على أمرهم لديهم، والمرشد فيه إلى مصلحة حالية أو مآلية تعود عليهم، وإن لم تكن فيه موعظة أصلا، فضلا عن تبشير أو تحذير أو قرآن يتلى إهـ.. من حاشية العلامة الشيخ بناني على الشيخ الزرقاني بلفظه، وسلمه العلامة الشيخ الرهوني بسكوته عليه فالكلام المنبه به إلخ.. لم يقيدوه بشيء فيشمل النظم والنثر سجعا أو غيره كما هو ظاهر،

ولا يصح الإستدلال هنا على طريقة المناطقة فيركب قياس من الشكل الأول نظمه أن يقال : الشعر المشتمل على الوعظ والحث على الوعظ إلخ.. كلام منبه به على أمر مهم إلخ.. وكل ما كان كذلك يسمى خطبة عند العرب، ينتج الشعر المشتمل على الوعظ والحث على الجهاد، يسمى خطبة عند العرب دليل الكبرى النقل المتقدم عن الشيخ البناني، وما في الخرشي وغيره من أنها كلام مسجع يخالف النظم والنثر قد تعقبه العلامة الدسوقي في حواشي المختصر بقوله : الظاهر أن كونها سجعا ليس شرط صحة، فلو أتى بها نظما أو نثراً صحت، نعم تستحب إعادتها إن لم يصل فإن صلى فلا إعادة قاله شيخنا[2] ونحوه للشيخ عليش في شرح المختصر

وفي حاشية المفتي علي ابن تركي : فإن أتى بها نثرا أعادها إن كانت قبل الصلاة، وتجزئ بعدها، والظاهر أن الحكم كذلك إن أتى بها نظما كما في الحاشية، ثم استظهر تبعا لشيخه أن لا إعادة فيها، والأظهر فيها إن أتى بها نظما تجزئه ولا يعيدها إن كان قبل الصلاة، لأن النظم قريب من السجع إهـ.. واعلم أن ما أخذ من قوله السابق تستحب إعادتها إلخ .. من كراهة نظمها أو نثرها، أو كونه خلاف الأولى، ومن الإعادة قبل الصلاة قد انفرد به العدوي، ولم ينسبوه لغيره،

ولذا صار شراح المختصر وغيره وأرباب الحواشي يتبرأون منه بقولهم قاله العدوي، وقاله شيخنا، وعلى تسليمه فمحل ذلك إذا نظمها أو نثرها كلها كما هو ظاهر ما تقدم، وأما إذا أتى فيها ببيت أو بيتين كل واحد من قصيدة فلا وجه لتوهم الجواز، ولا معنى للإعادة قبل الصلاة، لما يلزم على ذلك من تحميل الحاصل، إذ المطلوب فيها كما للعدوي من السجع موجود واقع فيها

وفي مجموع الشيخ الأمير ما نصه : ولا تبطل بنثرها أو نظمها، قال في شرحه نثرا ساذجا إهـ.. وذهب بعضهم إلى أن البيت الواحد ليس شعرا، ففي المزهر ما نصه : قال ابن فارس في فقه اللغة : الشعر كلام موزون مقفى دال على معنى، ويكون أكثر من بيت، وإنما قلنا هذا لأنه يجوز

---

(1) أنظر مختصر خليل، فصل بيان شروط الجمعة 1 : 37

(2) أنظر حاشية الدسوقي على الشرح الكبير، باب شروط صلاة الجمعة،

اتفاق شطر واحد يوزن بشبه وزن الشعر عن غير قصد، فقد قيل أن بعض الناس كتب في عنوان كتاب للإمام المسيب ابن زهير : من عقال ابن شيبة بن عقال، فاستوى هذا في الوزن الذي يسمى الخفيف إهـ . .

ويصح تخريج مسألتنا على هذا، ويكون وجها، إذ لا نظر هنا للوزن حتى يسمى شعرا، وإنما القصد الترغيب في الجهاد بما تضمنه من المعنى المراد، فقد أمر الله سبحانه نبيه صلى الله عليه وسلم بالتحريض على القتال، فقال سبحانه : يا أيها النبي حرض المومنين على القتال[1]، واعلم أن توهم النهي عن الشعر في الخطبة لا يخلو إما لكون الله عز وجل نزه نبيه صلى الله عليه وسلم بقوله سبحانه : وما علمناه الشعر،[2]الآية، أو لحرمة المسجد، أو لقبح الشعر في حد ذاته، لقوله صلى الله عليه وسلم : لأن يمتلئ جوف أحدكم قيحا خير له من أن يمتلئ شعرا[3]، إلى غير ذلك مما يأتي،

وأجيب عن الأول بأن ذلك من خصائصه صلى الله عليه وسلم دون أمته، فالتنزيه في حقه صلى الله عليه وسلم خاصة لا في حق أمته، قال الألوسي في تفسير روح المعاني : وإنما لم يعط صلى الله عليه وسلم القدرة على الشعر مع حفظه على إنشائه لأن ذلك سلب القدرة عليه في الإبعاد عما يخل بمنصبه الجليل صلى الله عليه وسلم، ونظيره ما ذكر في العصمة والحفظ،

ثم قال : وهل عدم الشعر خاص به عليه الصلاة والسلام أو عام لنوع الأنبياء، قال بعضهم : هو عام لنوع الأنبياء، قال بعضهم : هو عام بهذه الآية، إذ لا يظهر للخصوص نكثة، وقيل يجوز أن يكون خاصا، والنكثة زيادة التكريم، لما أن مقامه صلى الله عليه وسلم فوق مقام الأنبياء عليهم السلام، ويكون الثابت لهم الحفظ عن الإنشاء مع ثبوت القدرة عليه، وإن صح خبر إنشاء آدم عليه السلام يوم قتل ولده :

---

(1) سورة الأنفال، الآية 65

(2) سورة يس، الآية 69

(3) أنظر صحيح البخاري[كتاب الأدب] بابمَا يُكْرَهُ أَنْ يَكُونَ الْغَالِبَ عَلَى الْإِنْسَانِ الشِّعْرُ حَتَّى يَصُدَّهُ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَالْعِلْمِ وَالْقُرْآنِ، رقم الحديث 5688 ، صحيح مسلم[كتاب الشعر] باب منه رقم الحديث 4192

تَـغَيَّرَتِ الـبِلاَدُ وَمَـنْ عَلَيْهَا * وَوَجْـهُ الأَرْضِ مُغْبَرٌّ قَـبِيحُ
تَـغَـيَّرَ كُـلُّ ذِي طَـعْمٍ وَلَـوْنٍ * وَقَلَّ بَشَاشَةَ الوَجْهُ الصَّبِيحُ [1]

اتضح أمر الخصوص وعلم أن لا حفظ من الإنشاء أيضا، ولعل الحفظ مما فيه ما يشين ويخل بمنصب النبوة مطلقا، والنكتة في الخصوص ظاهرة على ما نقل عن ابن الحاجب، لأن أعظم معجزاته صلى الله عليه وسلم القرآن، فربما تحصل التهمة فيه لو قال صلى الله عليه وسلم الشعر إهـ.. أي على نحو ما قيل في قوله سبحانه : وما كنت تتلوا من قبله من كتاب ولا تخطه بيمينك إذا لارتاب المبطلون[2] وأياً ما كان لا يرد أنه عليه الصلاة والسلام قال يوم حنين وهو على بغلته البيضاء وأبو سفيان بن الحرث آخذٌ بزمامها، ولم يبق معه عليه الصلاة والسلام من الناس إلا قليل :

أَنَا النَّبِيُّ لاَ كَذِبْ * أَنَا ابْنُ عَبْدِ المُطَّلِبْ[3]

لأنا لا نسلم أنه شعر، فقد عرفوه بأنه الكلام المقفى الموزون على سبيل القصد، وهذا مما اتفق له عليه الصلاة والسلام من غير قصد لوزنه، ومثله يقع كثيرا في الكلام المنثور، ولا يسمى شعرا، ولا قائله شاعرا، على أن منهم من لم يعد الرجز مطلقاً ما كان على مستفعلن ست مرات شعرا، لذا يسمى قائله راجزاً لا شاعرا، وليس في الآية ما يدل على أن النبي صلى الله عليه وسلم لا ينبغي له التكلم بشعر، قاله بعض الشعراء، أما التمثل به ،ففي الأخبار ما يدل على وقوع التكلم بالبيت متزنا نادرا، كما روى أنه عليه الصلاة والسلام أنشد بيت ابن رواحة :

---

(1) أنظر جامع الأحاديث، للحافظ السيوطي[مسند علي بن أبي طالب] رقم الحديث 34659 ، أخبار مكة، للفاكهي، ذكر أوائل الأشياء الذي حدثت بمكة إلخ .. رقم الحديث 1913

(2) سورة العنكبوت، الآية 48

(3) إشارة للحديث الذي رواه البخاري عن أبي إسحاق قال : سَمِعْتُ الْبَرَاءَ وَسَأَلَهُ رَجُلٌ : أَكُنْتُمْ فَرَرْتُمْ يَا أَبَا عُمَارَةَ يَوْمَ حُنَيْنٍ ؟ قَالَ : لَا وَاللَّهِ مَا وَلَّى رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَلَكِنَّهُ خَرَجَ شُبَّانُ أَصْحَابِهِ وَأَخِفَّاؤُهُمْ حُسَّرًا لَيْسَ بِسِلَاحٍ، فَأَتَوْا قَوْمًا رُمَاةً جَمْعَ هَوَازِنَ وَبَنِي نَصْرٍ، مَا يَكَادُ يَسْقُطُ لَهُمْ سَهْمٌ، فَرَشَقُوهُمْ رَشْقًا مَا يَكَادُونَ يُخْطِئُونَ. فَأَقْبَلُوا هُنَالِكَ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَهُوَ عَلَى بَغْلَتِهِ الْبَيْضَاءِ، وَابْنُ عَمِّهِ أَبُو سُفْيَانَ بْنُ الْحَارِثِ بْنِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ يَقُودُ بِهِ، فَنَزَلَ وَاسْتَنْصَرَ ثُمَّ قَالَ : أَنَا النَّبِيُّ لَا كَذِبْ
أَنَا ابْنُ عَبْدِ الْمُطَّلِبْ، ثُمَّ صَفَّ أَصْحَابَهُ
أنظر صحيح البخاري[كتاب الجهاد والسير] باب من صف أصحابه عند الهزيمة ونزل عن دابته واستنصر رقم الحديث2713

يَبِيتُ يُجَافِي جَنْبَهُ عَنْ فِرَاشِهِ * إِذَا اسْتَثْقَلَتْ بِالمُشْرِكِينَ المَضَاجِعُ[1]

وروى أنه صلى الله عليه وسلم أصاب أصبعه الشريفة حجر في بعض غزواته، فدميت، فتمثل بقول الوليد ابن المغيرة على ما قاله ابن هشام في السيرة، أو ابن رواحة على ما صححه ابن الجوزي :

مَا أَنْتِ إِلاَّ إِصْبَعٌ دَمِيتِ * وَفِي سَبِيلِ اللَّهِ مَا لَقِيتِ[2]

وعلى وقوع التكلم بالبيت غير متزن مع إحراز المعنى كثيرا كما روى أنه عليه الصلاة والسلام أنشد:

سَتُبْدِي لَكَ الأَيَّامُ مَا كُنْتَ جَاهِلاً * وَيَأْتِيكَ مَنْ لَمْ تُزَوِّدِ بِالأَخْبارِ[3]

فقال أبو بكر رضي الله عنه ليس هكذا يا رسول الله، فقال عليه الصلاة والسلام : إني والله ما أنا بشاعر ولا ينبغي لي إهـ.. فهذا الكلام صريح في جواز إنشاد الشعر له صلى الله عليه وسلم متزنا وغير متزن، والممنوع في حقه عليه الصلاة والسلام إنشاؤه دون أمته، وإلا لبطلت

---

(1) إشارة للحديث الدي أخرجه البخاري عن الْهَيْثَمُ بْنُ أَبِي سِنَانٍ أَنَّهُ سَمِعَ أَبَا هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وَهُوَ يَقُصُّ فِي قَصَصِهِ، وَهُوَ يَذْكُرُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : إِنَّ أَخًا لَكُمْ لَا يَقُولُ الرَّفَثَ، يَعْنِي بِذَلِكَ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ رَوَاحَةَ، وَفِينَا رَسُولُ اللَّهِ يَتْلُو كِتَابَهُ :

إِذَا انْشَقَّ مَعْرُوفٌ مِنْ الْفَجْرِ سَاطِعُ * أَرَانَا الْهُدَى بَعْدَ الْعَمَى فَقُلُوبُنَا

بِهِ مُوقِنَاتٌ أَنَّ مَا قَالَ وَاقِعُ * يَبِيتُ يُجَافِي جَنْبَهُ عَنْ فِرَاشِهِ

إِذَا اسْتَثْقَلَتْ بِالْمُشْرِكِينَ الْمَضَاجِعُ

أنظر صحيح البخاري[كتاب الجمعة] باب فضل من تعار من الليل فصلى رقم الحديث 1087

(2) أنظر صحيح البخاري [كتابالأدب] بَاب مَا يَجُوزُ مِنْ الشِّعْرِ وَالرَّجَزِ وَالْحُدَاءِ وَمَا يُكْرَهُ مِنْهُ، رقم الحديث 5680

(3) أنظر فيض القدير لشرح الجامع الصغير، للمناوي، وجاء فيه : كان أبغض الحديث إليه الشعر، غير أنه تمثل مرة ببيت أخي قيس بن طرفة فقال : ويأتيك من لم تزود بالأخبار، فجعل آخره أوله، فقال أبو بكر : ليس هكذا يا رسول الله، فقال : ما أنا بشاعر،ومنه أيضا ما رواه الترمذي عن عائشة رضي الله تعالى عنها قالت : قِيلَ لَهَا هَلْ كَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَتَمَثَّلُ بِشَيْءٍ مِنْ الشِّعْرِ؟ قَالَتْ : كَانَ يَتَمَثَّلُ بِشِعْرِ ابْنِ رَوَاحَةَ، وَيَتَمَثَّلُ وَيَقُولُ : وَيَأْتِيكَ بِالْأَخْبَارِ مَنْ لَمْ تُزَوِّدِ

الخصوصية، والمراد بقوله سابقا على سبيل القصد إلخ.. القصد الذاتي، فلا ينافي وجود القصد التبعي، ولذا قال الشيخ جسوس في شرح الشمائل :

وأما ما وقع في الكتاب المكنون نحو : لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون[1] ، نصر من الله وفتح قريب[2]، فلا شك أنه مقرون بالإرادة والمشيئة التي هي معنى القصد، لأنه لا يقع في الكون شيء بدون المشيئة، ولعل الجواب أنه ليس مقصودا بالذات وأنه وقع تبعا قاله في جمع الوسائل إهـ.. والثاني وهو أن النهي لحرمة المسجد، يرده مارواه الترمذي من حديث سيدتنا عائشة رضي الله عنها قالت :

كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يضع لحسان بن ثابت منبرا في المسجد يقوم عليه قائما يفاخر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، أو قالت ينافح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، وبقول : إن الله يؤيد حسان بروح القدس، ما ينافح أو يفاخر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم. [3]

وفي شرح العلامة الشيخ جسوس على الشمائل ما نصه : لما دعا له النبي صلى الله عليه وسلم أعانه جبريل بسبعين بيتا[4]، ومن كلام سيدي حسان[5] في رده على أبي سفيان بن الحرب.

هَجَوْتَ مُحَمَّداً وَأَجَبْتُ عَنْهُ * وَعِنْدَ اللَّهِ فِي ذَاكَ الجَزَاءُ

هَجَوْتَ مُطَهَّراً بـرّاً حَنِيفاً * أَمِينَ اللَّهِ شِيمَتُهُ الوَفَاءُ

أَتَهْجُوهُ وَلَسْتَ لَهُ بِكُفْؤٍ * فَشَرُّكُمَا لِخَيْرِكُمَا الفِدَاءُ

---

(1) سورة آل عمران، الآية 92

(2) سورة الصف، الآية 13

(3) إشارة للحديث الذي رواه البخاري سَلَمَةَ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَوْفٍ أَنَّهُ سَمِعَ حَسَّانَ بْنَ ثَابِتٍ الْأَنْصَارِيَّ يَسْتَشْهِدُ أَبَا هُرَيْرَةَ، أَنْشُدُكَ اللَّهَ هَلْ سَمِعْتَ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ : يَا حَسَّانُ أَجِبْ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ اللَّهُمَّ أَيِّدْهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ، قَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ : نَعَمْ، أنظر صحيح البخاري[كتاب الصلاة] باب الشعر في المسجد رقم الحديث 434

(4) من ذلك ما جاء في كنز العمال، للمتقي الهندي، عن مسند بريدة بن الحصيب الأسلمي، عن بريدة قال: أعان جبريل حسان بن ثابت عند مدحه النبي صلى الله عليه وسلم بسبعين بيتا.

(5) حسان بن ثابت بن المنذر الخزرجي الأنصاري، صحابي جليل، وهو شاعر النبي صلى الله عليه وسلم، عاش 120 سنة، ستون منها في الجاهلية، ومثلها في الإسلام، توفي بالمدينة المنورة عام 54هـ قال المبرد في الكامل : أعرق قوم كانوا في الشعراء آل حسان، فإنهم يعدون ستة في نسق، كلهم شعراء، وهم : سعيد بن عبد الرحمان بن حسان بن ثابت بن المنذر بن حرام. انظر ترجمته في الإصابة لابن حجر العسقلاني ج 1 ص 326 وفي تهذيب التهذيب لابن حجر العسقلاني ج 2 ص 247 وفي الأعلام للزركلي ج 2 ص 175.

فَـإِنَّ أَبِي وَوَالِدَتِي وَعِرْضِي * لِعَرْضِ مُحَمَّدٍ مِنْكُمْ وِقَاءُ [1]

ففي وضع النبي صلى الله عليه وسلم له المنبر في المسجد لما ذكر دلالة واضحة على جواز التكلم بالشعر فيه، بل هو مطلوب هنا، قال ابن حجر : وفي الحديث حِلِّيَّةُ إنشاد الشعر في المسجد، بل ندبه إذا اشتمل على مدح الإسلام وأهله وهجاء الكفار وتحقيرهم والتحريض على قتالهم، وندب الدعاء لمن قال شعرا كذلك اهـ.

وهذا النص من أقوى الأدلة على مطلوبنا وهو استحباب إنشاد الشعر في المسجد للتحريض على قتال الكفار، إذ لا قصد بإدراجهما في الخطبة إلا ذاك، فالقصد حينئذ محمود، والفعل مندوب، والخطيب يثاب على ذلك، ويستحب الدعاء له كما في النص المذكور.

---

(1) رواها الإمام مسلم ضمن حديث طويل ونصه : عَنْ عَائِشَةَ رضي الله تعالى عنها أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : اهْجُوا قُرَيْشًا فَإِنَّهُ أَشَدُّ عَلَيْهَا مِنْ رَشْقٍ بِالنَّبْلِ، فَأَرْسَلَ إِلَى ابْنِ رَوَاحَةَ، فَقَالَ : اهْجُهُمْ، فَهَجَاهُمْ، فَلَمْ يُرْضِ، فَأَرْسَلَ إِلَى كَعْبِ بْنِ مَالِكٍ، ثُمَّ أَرْسَلَ إِلَى حَسَّانَ بْنِ ثَابِتٍ، فَلَمَّا دَخَلَ عَلَيْهِ قَالَ حَسَّانُ : قَدْ آنَ لَكُمْ أَنْ تُرْسِلُوا إِلَى هَذَا الْأَسَدِ الضَّارِبِ بِذَنَبِهِ، ثُمَّ أَدْلَعَ لِسَانَهُ فَجَعَلَ يُحَرِّكُهُ، فَقَالَ : وَالَّذِي بَعَثَكَ بِالْحَقِّ لَأَفْرِيَنَّهُمْ بِلِسَانِي فَرْيَ الْأَدِيمِ : فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : لَا تَعْجَلْ فَإِنَّ أَبَا بَكْرٍ أَعْلَمُ قُرَيْشٍ بِأَنْسَابِهَا، وَإِنَّ لِي فِيهِمْ نَسَبًا حَتَّى يُلَخِّصَ لَكَ نَسَبِي، فَأَتَاهُ حَسَّانُ، ثُمَّ رَجَعَ، فَقَالَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ قَدْ لَخَّصَ لِي نَسَبَكَ، وَالَّذِي بَعَثَكَ بِالْحَقِّ لَأَسُلَّنَّكَ مِنْهُمْ كَمَا تُسَلُّ الشَّعْرَةُ مِنْ الْعَجِينِ، قَالَتْ عَائِشَةُ : فَسَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ لِحَسَّانَ : إِنَّ رُوحَ الْقُدُسِ لَا يَزَالُ يُؤَيِّدُكَ مَا نَافَحْتَ عَنْ اللَّهِ وَرَسُولِهِ، وَقَالَتْ : سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ : هَجَاهُمْ حَسَّانُ فَشَفَى وَاشْتَفَى، قَالَ حَسَّانُ :

هَجَوْتَ مُحَمَّدًا فَأَجَبْتُ عَنْهُ * وَعِنْدَ اللَّهِ فِي ذَاكَ الْجَزَاءُ
هَجَوْتَ مُحَمَّدًا بَرًّا حَنِيفًا * رَسُولَ اللَّهِ شِيمَتُهُ الْوَفَاءُ
فَإِنَّ أَبِي وَوَالِدَهُ وَعِرْضِي * لِعِرْضِ مُحَمَّدٍ مِنْكُمْ وِقَاءُ
ثَكِلْتُ بُنَيَّتِي إِنْ لَمْ تَرَوْهَا * تُثِيرُ النَّقْعَ مِنْ كَنَفَيْ كَدَاءِ
يُبَارِينَ الْأَعِنَّةَ مُصْعِدَاتٍ * عَلَى أَكْتَافِهَا الْأَسَلُ الظِّمَاءُ
تَظَلُّ جِيَادُنَا مُتَمَطِّرَاتٍ * تُلَطِّمُهُنَّ بِالْخُمُرِ النِّسَاءُ
فَإِنْ أَعْرَضْتُمُو عَنَّا اعْتَمَرْنَا * وَكَانَ الْفَتْحُ وَانْكَشَفَ الْغِطَاءُ
وَإِلَّا فَاصْبِرُوا لِضِرَابِ يَوْمٍ * يُعِزُّ اللَّهُ فِيهِ مَنْ يَشَاءُ
وَقَالَ اللَّهُ قَدْ أَرْسَلْتُ عَبْدًا * يَقُولُ الْحَقَّ لَيْسَ بِهِ خَفَاءُ
وَقَالَ اللَّهُ قَدْ يَسَّرْتُ جُنْدًا * هُمْ الْأَنْصَارُ عُرْضَتُهَا اللِّقَاءُ
لَنَا فِي كُلِّ يَوْمٍ مِنْ مَعَدّ * سِبَابٌ أَوْ قِتَالٌ أَوْ هِجَاءُ
فَمَنْ يَهْجُو رَسُولَ اللَّهِ مِنْكُمْ * وَيَمْدَحُهُ وَيَنْصُرُهُ سَوَاءُ
وَجِبْرِيلٌ رَسُولُ اللَّهِ فِينَا * وَرُوحُ الْقُدُسِ لَيْسَ لَهُ كِفَاءُ

والثالث هو أن النهي عنه لقبحه في حد ذاته ليس على إطلاقه، بل محله إذا اشتمل على فحش أو خنا أو تزوير أو غير ذلك من أنواع السفه، وأما السالم من ذلك فلا شك في جوازه، روى الترمذي من حديث جابر بن سمرة قال : جالست النبي صلى الله عليه وسلم أكثر من مائة مرة، وكان أصحابه يتناشدون الشعر ويتذاكرون أشياء من أمور الجاهلية وهو صلى الله عليه وسلم ساكت، وربما تبسم معهم[1] إهـ.. فسكوته صلى الله عليه وسلم إقرار لهم، وهو صلى الله عليه وسلم لا يقر على منكر،

قال الشيخ جسوس في شرح الشمائل : يحتمل أن المراد الشعر السالم من الفحش والخنا، وإن كان مشتملا على ذكر شيء من أيام الجاهلية ووقائعهم في حروبهم ومكارمهم، ويحتمل أن المراد بالشعر الذي فيه الحث على الطاعة والمواعظ والأمثال التي يتعظ بها الناس، وإنشاد ما كان من قبيل الأول وسماعه مباح، وما كان من قبيل الثاني وهو المناسب لحال الصحابة مندوب إهـ.. ومن حديث أنس بن مالك رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم دخل مكة في عمرة القضاء وابن رواحة يمشي بين بين يديه وهو يقول :

خَلُّوا بَنِي الكُفَّارِ عَنْ سَبِيلِهِ * اليَوْمَ نَضْرِبْكُمْ عَلَى تَنْزِيلِهِ
ضَرْباً يُزِيلُ الهَامَ عَنْ مَقِيلِهِ * وَيُذْهِلُ الخَلِيلَ عَنْ خَلِيلِهِ

فقال له عمر : يا ابن رواحة بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم وفي حرم الله تقول الشعر، فقال صلى الله عليه وسلم : خل عنه يا عمر، فلهي أسرع فيهم من نضح النبل[2] إهـ.. قال الشيخ جسوس روي عن كعب بن مالك أنه قال للنبي صلى الله عليه وسلم : إن الله تعالى أنزل في الشعر ما أنزل، فقال النبي صلى الله عليه وسلم : إن المؤمن يجاهد بسيفه ولسانه، والذي نفسي بيده لكأنما ترمونهم بالنبل[3]، فالشعر المشتمل على مدح الإسلام ومكارم الأخلاق والحث على صدق اللقاء ومبايعة النفس لله تعالى وعدم المبالات بأعدائه ليس بمذموم، لأنه نوع من الجهاد في سبيل الله، وضرب من الإغلاظ على أعداء الله المأمور به في كتاب الله، فلا حرج في إنشاده بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم، وفي حرم الله، وليس الشعر مذموما على الإطلاق إهـ..

(1) أنظر سنن الترمذي [كتاب الأدب عن رسول الله صلى الله عليه وسلم] باب ما جاء في إنشاد الشعر رقم الحديث 2777

(2) أنظر سنن الترمذي [كتاب الأدب عن رسول الله صلى الله عليه وسلم] باب ما جاء في إنشاد الشعر رقم الحديث 2774

(3) أنظر سنن الكبرى، للبيهقي[كتاب الشهادات] باب شهادة الشعراء رقم الحديث 21638

وقد روي بإسناد حسن عن عائشة رضي الله عنها، قالت : سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الشعر فقال : هو كلام فحسنه حسن وقبيحه قبيح[1]، قال العلماء : معناه أن الشعر كالنثر لكن التجرد له والإقتصار عليه مذموم، وعليه يجعل قوله صلى الله عليه وسلم : لأن يمتلى جوف أحدكم في الحديث،[2] وكذا قول ابن مسعود : الشعر من مزامير الشيطان[3]، فإنه محمول على الإفراط والإكثار منه، أو على شعر فيه سخف أو هجو أو نحوهما مما غلب على الشعراء، وبه ضلوا وغووا

وفي الرسالة : ولا بأس بإنشاد الشعر، وما خف من الشعر أحسن، ولا ينبغي أن يكثر منه ومن الشغل به إهـ.. وآية وما علمناه الشعر وما ينبغي له تقتضي غضاضة على الشعر، وعن عائشة رضي الله عنهما كان الشعر أبغض الحديث إلى النبي صلى الله عليه وسلم[4]، لما فيه غالبا من تزوير القول والكذب ومجاوزة الحد في المدح والذم وتصوير الباطل بصورة الحق وعكسه، وغير ذلك مما يتحاشى عنه جانب النبوة، فحمى الله سبحانه نبيه منه ترفيعا له وتنزيها لقدره، وفي ذلك الشعر يقول المتنبي:

لاَ تَحْسِبَنَّ الشِّعْرَ فَضْلاً بَارِعاً * مَـا الـشِّـعْرُ إلاَّ هُـجْـنَةٌ وَخَـبَـالُ
الـهَـجْوُ قَـذْفٌ وَالـرِّثَـاءُ نِـيَـاحَةٌ * وَالـعَتْبُ ضِغْنٌ وَالمَدِيحُ سُؤَالُ

وفي مدحه يقول أبو تمام :

وَلَمْ أَرَ كَـالمَعْرُوفِ تُدْعَى حُقُوقُهُ * مَـغَـارِم فِـي الأَقْـوَامِ وَهْـيَ مَـغَانِمُ
وَلاَ كَـالعُلَى مَـا لَمْ يُرَ الشِّعْرُ بَيْنَهَا * فَكَالأَرْضِ غفْلاً لَيْسَ فِيهَا مَعَالِمُ
وَلَوْلاَ خِصَالٌ سَنَّهَا الشِّعْرُ مَا دَرَتْ * بُغَاةُ العُلَى مِنْ أَيْنَ تُؤْتَى المَكَارِمُ
يُـرَى حِـكْمَةً مَـا فِـيهِ وَهْـوَ فـكَاهَـةٌ * وَيُـرْضَـى بِـمَا يَـقْضِي بِهِ وَهْوَ ظَالِمُ[5]

---

(1) أنظرسنن الدارقطني [خبر واحد يوجب العمل] رقم الحديث4351

(2) سبق تخريجه في ص

(3) أنظر تهذيب الآثار، للطبري[ذكر الأخبار التي ادعى قائلوا هذه المقالة أنها للإخبار......] رقم الحديث 562

(4) إشارة للحديث الذي رواه الإمام أحمد عن أَبُي نَوْفَلِ بْنُ أَبِي عَقْرَبٍ قَالَ : سَأَلْتُ عَائِشَةَ هَلْ كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُتَسَامَعُ عِنْدَهُ الشِّعْرُ ؟ قَالَتْ : كَانَ أَبْغَضَ الْحَدِيثِ إِلَيْهِ، أنظر مسند الإمام أحمد[حديث السيدة عائشة رضي الله تعالى عنها]رقم الحديث 23871

(5) الأبيات من قصيدة للشاعر أبي تمام قال في مطلعها :

ألم يأن أن تروى الظماء الحوائم * و أن ينظم الشمل المشتت ناظم

وقال عمر رضي الله عنه : تعلموا الشعر فإن فيه محاسن تبتغى، ومساوي تتقى[1] إهـ. . من شرح الشيخ جسوس بتقديم وتأخير، الحاصل كما في الصاوي على الجلالين أن الشعر منه مذموم وهو مدح من لا يجوز مدحه وذم من لايجوز ذمه، وعليه تتخرج الآية الأولى، يعنى قوله تعالى : والشعراء يتبعهم الغاوون[2]، وقوله عليه السلام :لإن يمتلى جوف أحدكم الحديث، ومنه ممدوح وهو مدح من يجوز مدحه وذم من يجوز ذمه، وعليه تتخرج الآية الثانية يعنى قوله سبحانه : إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وذكروا الله كثيرا وانتصروا من بعد ما ظلموا،[3] وقوله صلى الله عليه وسلم: إن من الشعر حكمة [4]إهـ. .

وقال الشعبي : كان أبو بكر يقول الشعر، وكان عمر يقول الشعر، وكان عثمان يقول الشعر، وكان علي أشعر الثلاثة[5]، وروي ابن عباس أنه كان ينشد الشعر في المسجد ويستنشده، فروى أنه دعا عمرو بن أبي ربيعة المخزومي فاستنشده قصيدة، فأنشده إياها، وهي قريبة من تسعين بيتا، ثم إن ابن عباس أعاد القصيدة جميعها، وكان حفظها من مرة واحدة

وروى أنه عليه السلام قال يوم قريظة لحسان : أهج المشركين فإن جبريل معك[6] إهـ. . وقال الماوردي : الشعر في كلام العرب مستحب ومباح ومحظور، فالمستحب ما حذر من الدنيا ورغب في الآخرة، وحث على مكارم الأخلاق، والمباح ما سلم من فحش أو كذب، والمحظور نوعان كذب وفحش، وهما جرح في قائله، وقد ذكر المفسرون أن المراد بقول الله سبحانه : إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وذكروا الله كثيرا[7]، الآية، الشعراء المومنون الذين يكثرون ذكر الله عز وجل، وتكون أكثر أشعارهم في التوحيد والثناء على الله سبحانه وتعالى والحث على الطاعة والحكمة والموعظة والزهد في الدنيا، والترهيب عن الركون إليها والإغترار بزخارفها والإفتتان بملاذها الفانية، والترغيب فيها عند الله تعالى، ونشر محاسن رسوله الله صلى الله عليه وسلم ومدحه،

---

(1) أنظركتاب مكارم الأخلاق، لابن أبي الدنيا رقم الحديث 65

(2) سورة الشعراء، الآية 224

(3) سورة الشعراء، الآية 227

(4) أنظر صحيح البخاري[كتاب الأدب] باب ما يجوز من الشعر والرجزوالحداء وما يكره، رقم الحديث 5679

(5) أنظر كنز العمال، للمتقي الهندي[كتاب الفضائل] فضائل علي بن أبي طالب كرم الله وجهه، رقم الحديث 36365

(6) أنظر صحيح البخاري [كتاب المغازي] بَاب مَرْجِعِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْ الْأَحْزَابِ وَمَخْرَجِهِ إِلَى بَنِي قُرَيْظَةَ وَمُحَاصَرَتِهِ إِيَّاهُمْ، رقم الحديث 3814

(7) سورة الشعراء، الآية 227

وذكر معجزاته، ليتغلغل حبه في سويداء قلوب السامعين، وتزداد رغباتهم في اتباعه ونشر مدائح آله وأصحابه وصلحاء أمته إهـ.. من الألوسي[1]

ولا يخفى أن مما حكمه الندب والإسحباب ما اشتمل على الحث على الطاعة والمواعظ والأمثال والتحريض على القتال والثبات على الدين، والعض بالنواجذ على حب الإسلام والمسلمين، والأمداح النبوية كهمزية الإمام البوصيري، وبردة المديح، والبغدادية، وغير ذلك، وما تضمن علما شرعيا كجوهرة التوحيد والمرشد المعين والتحفة والخلاصة، إلى غير ذلك، ولذا تواطأ المسلمون في جميع الأقطار والأمصار على إنشاد مثل ذلك في المساجد بحضرة أهل العلم، وهو متوافرون في كل زمان ومكان، دون نكير منهم ولا تغيير، وقد قال عليه الصلاة والسلام : لا تجتمع أمتي على ضلال[2]، فقد اتضح الحكم دون شبهة فيه ولا إشكال.

وَلَيْسَ يَصِحُّ فِي الأَذْهَانِ شَيْءٌ * إِذَا احْتَاجَ النَّهَارُ إِلَى دَلِيلِ

الخاتمة : قد ثبث عن بعض الأئمة المقتدى بهم أنه ضَمَّنَ في خطبته بعض أبيات الشعر كالشيخ العلامة المشارك الخطيب البليغ سيدي أبي مدين الفاسي[3]، ونص المراد من خطبته في الإستفاء كما كما في تأليف خطبه رضي الله عنه، وروى العسقلاني أن قوما زرعوا زرعا فأصابته آفة، فاشتد ذلك عليهم، فقالت امرأة منهم : مالي أراكم متغيرة ألوانكم، ميتة قلوبكم، هو ربنا فليفعل بنا ما شاء، ورزقنا عليه، فليأتنا به من حيث شاء، ثم أنشأت تقول :

---

(1) أنظر روح المعاني، في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، لمحمود الألوسي، 19 : 147

(2) من حديث رواه الإمام أحمد والبزار ونصه : وعن أبي بصرة الغفاري صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : سألت ربي عز وجل أربعاً، فأعطاني ثلاثاً، ومنعنى واحدة. سألت الله عزوجل أن لا تجتمع أمتى على ضلالة، فأعطانيها، وسألت الله عزوجل أن لا يهلكهم بالسنين كما أهلك الأمم قبلهم، فأعطانيها، وسألت الله عزوجل أن لا يظهر عليهم عدوا، فأعطانيها، وسألت الله عزوجل أن لا يلبسهم شعيا ويذيق بعضهم بأس بعض، فمنعنيها . أنظر مجمع الزوائد، للحافظ ابن حجر الهيثمي 7 : 221

(3) العلامة الخطيب سيدي محمد أبو مَدين بن أحمد الفاسي الفهري، من مواليد مدينة فاس عام 1112هـ ـ 1700م، ولي الخطابة بالقرويين والتدريس به سنين طويلة، وكانت له وجاهة عند الكبراء وأعيان الدولة، من مؤلفاته : شرح النصيحة الكافية، وشرح توحيد الرسالة، والمحكم في الأمثال والحكم، وتحفة الأريب، وشرح سيرة ابن فارس، وغير ذلك. وقد جُمِعَت خطبه في مجلد رحيب، توفي يوم الجمعة بعد صلاة العشاء 11 شعبان عام 1181هـ ـ 2 يناير 1768م، ودفن من الغد بعد صلاة الظهر في زاوية جده بالقلقَليين قرب الخزانة،

لَوْ أَنَّ فِي صَخْرَةٍ فِي البَحْرِ رَاسِيَةٍ * صـمّـاً مُلَمْلَمَةٍ مَـلْسٌ نَـوَاحِيـهَا
رِزْقـاً لِـنَفْسٍ بَرَاهَا اللَّهُ لانْـفَلَقَــتْ * حَتَّـى تُـؤَدِّي إِلَيْـهَا كُـلَّ مَـا فِـيهَا[1]

وسمعت من مشايخنا رضي الله عنهم أن العارف بالله الأستاذ العلامة المتبرك به أبا العلاء سيدي إدريس البدراوي الوذغيري[2] خطب في بعض الجمعات بمسجد القرويين بفاس، حرسها الله وأهلها من كل بأس، وأنشد في خطبته بيتي الحريري:

يَـا خَـاطِـبَ الدُّنْيَا الدَّنِيَّة إِنَّهَـا * شِـرْكُ الـرَّدَى وَقَـرَارَةُ الأَكْـدَارِ
دَارٌ مَتَى مَا أَضْحَكَتْ فِي يَوْمِهَا * أَبْـكَـتْ غَــداً تَـبّـاً لَـهَا مِــنْ دَارِ

وفي بعض خطب مولده صلى الله عليه وسلم ما اشتمل على أبيات من الهمزية نحو :

وَإِذَا سَخَّرَ الإِلَهُ أُنَاساً * لِسَعِيدٍ فَإِنَّهُمْ سُعَدَاءُ

كما وقفت عليه في خطب قديمة، وكذا أخبرني بعض الثقات أنه وقف على مثل ذلك في عدة خطب عتيقة، ولا محذور في ذلك، لما علمت أن الحكم في ذلك كله الاستحباب، دون شبهة

---

(1) لهذين البيتين صيغة آخرى، كما لهما بيت آخر يذكر قبلهما ونص الجميع :

والله والله أيـمـانـاً مـكـررةً * .ثـلاثـةً مـن يـمينٍ بعد ثـانيها
لو أن في صخرة صما منمنمة * في البحر راسية ملس نواحيها
رزقـا لـعبد بـراه الله لانـفلقت * حتى تـؤدي إلـيه كـل مـا فيها

(2) إدريس بن عبد الله بن عبد القادر بن أحمد بن عيسى الحسني الإدريسي الودغيري ، الملقب بالبكراوي ، بالقاف المعقودة ، حامل راية علم القراءات في وقته ، له فيه مصنفات كثيرة تناهز العشرين، توفي بعد صلاة العشاء من ليلة الأربعاء 16 محرم الحرام عام 1257 هـ ـ مارس 1841م، و دفن بجوار قبة الولي الصالح سيدي أحمد اليمني .

أنظر ترجمته في شجرة النور الزكية ، لمخلوف 2 : 567 رقم 1592 . إتحاف المطالع ، لابن سودة 1 : 170 . معجم المطبوعات المغربية ، للقيطوني 30 - 31 رقم 64 . سلوة الأنفاس و محادثة الأكياس ، للكتاني 2 : 386 - 388 رقم 798 . الفكر السامي ، للحجوي 2 : 356 رقم 791 . اليواقيت الثمينة ، للأزهري 1 : 97 . الشرب المحتضر ، لجعفر الكتاني 60 رقم 46 . معلمة المغرب 4 : 1107 . موسوعة أعلام المغرب 7 : 2561 . جامع القرويين ، لعبد الهادي التازي 3 : 810 رقم 147 . وفيات الصقلي ، لمحمد الفاطمي الصقلي 36 - 37 رقم 1 . معجم المطبوعات ، لسركيس 414 . الدرر الفاخرة ، لابن زيدان 73 - 76 . الدرر البهية ، للفضيلي 2 : 125 - 127 . الأعلام ، للزركلي 1 : 279 . معجم المؤلفين ، لكحالة 2 : 217 - 218 .

ولا ارتياب، والله سبحانه الموفق للصواب، وعليه المرجع والمآب، وصلى الله على سيدنا محمد خاتم النبيين، وعلى آله وصحبه أجمعين، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين إهـ .. وقد قرظ هذا سيدنا النقيب بقوله :

أَرَى رَوْضاً بِهِ تَزْهُوا الحَدَائِقْ * وَحَازَ مِنَ البَهَا كُلَّ الرَّقَائِقْ
وَفِيهِ تَفَتَّحَتْ زُهْرُ المَعَانِي * فَصَارَ شَذَاؤُهَا فِي الكَوْنِ عَابِقْ
غَدَا يُسْبِي عُقُولَ النَّاسِ طُرّاً * وَلاَسِيَمَا فَتًى لِلْحُسْنِ عَاشِقْ
وَفِي أَفْنَانِهِ مِنْ كُلِّ فَنٍّ * ثِمَارٌ قَدْ دَنَتْ وَالغُصْنُ بَاسِقْ
جَنَيْنَا الحَقَّ مِنْهَا وَهْوَ غَضٌّ * وَغَيْرُ الحَقِّ عِنْدَ الحَقِّ زَاهِقْ
يُرَى فِي العِلْمِ بَهْجَةَ كُلِّ فِكْرٍ * وَلِلأَوْهَامِ بِالتَّحْقِيقِ مَاحِقْ
لِقُدْوَتِنَا الهُمَامِ أَبِي المَزَايَا * عَرِيقِ المَجْدِ مِفْتَاحِ الحَقَائِقْ
رَئِيسِ قُضَاةِ أَهْلِ الدِّينِ فِينَا * بِعِلْمٍ قَدْ عَلاَ بَيْنَ الخَلاَئِقْ
وَحَازَ مِنَ العَلاَ أَعْلَى مَقَامٍ * لَهُ تَعْنُوا المَغَارِبُ وَالمَشَارِقْ
وَبَيْنَ النَّاسِ لَيْسَ لَهُ نَظِيرٌ * بِمَا يُبْدِيهِ فِيهِمْ مِنْ خَوَارِقْ
مُحَمَّدٍ الرِّضَى بَحْرِ المَعَانِي * الَّذِي فِي الكَوْنِ بِالعِرْفَانِ دَافِقْ
سَلِيلِ أَبِي العَلاَ عَبْدِ السَّلاَمِ الـ * ـفَتَى المَخْصُوصِ مِنَّا بِالدَّقَائِقْ
رَعَاهُ اللَّهُ مِنْ كَيْدِ الأَعَادِي * وَمِنْ كُلِّ العَلاَئِقِ وَالعَوَائِقْ
وَخَيْرُ صَلاَةِ رَبِّي كُلَّ حِينٍ * عَلَى المُخْتَارِ مَا قَدْ ذَرَّ شَارِقْ
وَتَشْمَلُ آلَهُ وَالصَّحْبَ طُرّاً * وَمَنْ لَهُمْ يُرَى فِي الخَلْقِ وَامِقْ

وكتبت عليه هذه الأبيات بعدما طالعته :

بَهْجَةُ الفِكْرِ بِهَا ضَاءَ الظَّلاَمْ * فَغَدَتْ مُعْجِزَةً بَيْنَ الأَنَامْ
رَوْضَةٌ مِنْ جَنَّةِ الخُلْدِ بَدَتْ * كُلُّ عَقْلٍ مِنْ سَنَاهَا مُسْتَهَامْ
فِيهَا حُورٌ لِلْمَعَانِي بَرَزَتْ * وَأَمَاطَتْ عَنْ مُحَيَّاهَا اللِّثَامْ
وَرَمَانَا الشِّعْرُ مِنْ أَلْحَاظِهَا * فَغَدَا فِي أَسْرِهَا أَهْلُ الغَرَامْ
وَفُنُونُ العِلْمِ فِي أَفْنَانِهَا * ضَحِكَتْ أَنْوَارُهَا بَعْدَ احْتِشَامْ

فَـغَـدَتْ بَـهْـجَـةَ فِـكْـرٍ جَـمَـعَـتْ * دُرَراً فِــي حُـسْـنِ سِلْكٍ وَنِـظَـامْ
كَـيْـفَ لاَ وَهْــيَ تَـبَـدَّتْ لِـلـنُّـهَى * مِنْ صَنِيعِ العَالِمِ القَاضِـي الهُمَامْ
مَـنْ غَـدَا بَـدْراً بِـمِنْهَاجِ الـهُدَى * يَـنْجَلِي عَـنَّـا بِــهِ كُـلُّ ظَـلاَمْ
مَـــنْ تَـحَلَّى بِـخِـصَالٍ حُـمِـدَتْ * خُـمِّدَتْ مِـنْ أَجْلِهَا نَـارُ الـخِصَامْ
كَـوْثَـرِ الـعِـلْـمِ مُـحَـمَّـدِ الـرِّضَـى * نَـجْلِ مَـنْ حَازَ العَلاَ عَبْدِ السَّلاَمْ
مَـنْ لَـهُ بِـالـفَضْلِ حَـقّـاً شَـهِـدَتْ * فِـي الـوَرَى أَعْـدَاؤُهُ طُـولَ الدَّوَامْ
قَـدْ تَـرَقَّـى لِـمَـرَاقٍ فِــي الـعُـلَى * لَـمْ تَـزَلْ تَـعْلُوا عَـلَى أَعْـلَى مَـقَامْ
كَـيْـفَ لاَ وَهْـوَ سَـلِيلُ الـمُصْطَفَى * شَـافِـعُ الـخَـلْـقِ لَـدَى يَـوْمِ الـزِّحَامْ
فَـعَـلَـيْـهِ لَــمْ تَــزَلْ مِــنْ رَبِّــهِ * صَـلَـوَاتٌ وَصَـــلاَةٌ وَسَـــلاَمْ
وَعَــلَـى الآلِ جَـمِـيـعاً وَعَـــلَـى * سَـائِـرِ الـصَّـحْـبِ مَـصَابِـيحِ الـظَّلاَمْ

ترجمة سيدي عبد القادر العرايشي

وممن اجتمعنا به في روض سيدنا النقيب حضرة الأديب الشاعر، الناظم الناثر، نابغة زمانه، وجرير وقته وإبانه، الشريف العفيف، السيد عبد القادر بن الفقيه السيد أحمد العلمي العرائشي،[1] من

---

(1) عبد القادر بن أحمد العرائشي. فقيه أديب شاعر. من أعلام العاصمة الإسماعيلية (مكناس) وعلى وجه التحديد من بيت العرائشيين. أحد أشهر البيوتات العلمية بالمدينة المذكورة. ونسب هذه الأسرة معروف إلى قرية العرائش. من أرض (تلاجدوت) على مقربة من مدينة مكناس. وليس لمدينة العرائش الشهيرة بشمال المغرب.

ولمترجمنا المذكور ديوان شعر في مجلد. وهو صاحب ذوق أدبي رفيع. يتجلى ذلك بوضوح فيما أبدعته بنات أفكاره من قصائد وأشعار نفيسة. كقوله في مدح السلطان المولى يوسف :

إذا لاح ذاك الـوجه وابـتسم الثغر * فـما لي صبر عـن لقاه ولا عذر
ومـا لي لا أبـغي الـلقاء ووجـهه * مـليح بـهي زانـه الـحسن والـفخر
وقـلـت لأقـــوام فـإنـي قـاصـد * إمـام الورى من حفه العز والنصر
هـمـام لــه فـخـر وجـاه وسـؤدد * ومـجد أثـيل لـيس يـقدره قـدر
لـهـمته الـعـليا عـنـا كـل فـاضـل * وطأطأت الأقيال والسهل والوعر

إلى أن يقول في ختامها :

وما قال ذو التاريخ أبلغت حاجتي * إلـى مـلك قـد جـاد عـنا بـه الدهر
وذلـك بـعد الـزيد في العد واحدا * يـكون تـماما إذا بـه يـكمل الأمـر

توفي ببلده مكناس عام 1350هـ - 1932م. أنظر ترجمته في موسوعة أعلام المغرب 8 : 3011. اليمن الوافر الوفي في امتداح الجناب المولوي اليوسفي 1 : 223 - 224.

أفاضل أدباء مكناس، المشار إليه بأصابع التنويه، قد رضع ثدي الفصاحة والبلاغة، ولم يدرك أحد في الأدب بلاغه، فهو في الأدب ضيغم، ولسان سيفه على صبه الله علقم، دعانا لحضرته الشريفة فأتيناه على الرأس والعين، فتلقانا بما قرت به أعيننا، ولما استقر بنا المجلس أتحفنا بقوله :

مِـكْنَاسَةٌ شَرُفَتْ بِـمَنْ لَـهُمْ شَرَفُ * وَالـعِلْمُ وَالـدِّيـنُ وَالـتُّقَى مَعَ الأَدَبِ
وَأَهْـلُ فَـاسٍ سَـمَوْا بِـكُلِّ مَنْقَبَةٍ * رُوحِـي بِـوَصْلِهِمُ نَـالُوا مِـنَ الأَرَبِ
لاَسِيَمَا مِنْـهُمُ الـفَقِيهُ أَحْمَدُ مَـنْ * يَسْمُو عَلَى كُلِّ مَا يَسْمُوا مِنَ الرُّتَبِ
يُدْعَى سُـكَيْرَجُ مَـنْ قَدْ حَلَّ مَنْزِلَنَا * فَـاهْتَزَّ شَـوْقـاً لَـهُ بِـالـبِشْرِ وَالـطَّرَبِ
يَـا حُـسْـنـهُ مِـنْ فَـقِـيهٍ زَانَـهُ أَدَبٌ * وَصَـارَ رِقّـاً لَـهُ فِـي أَيٍّ مَـا طَلَبِ
فَـاهْنَأْ أَخَا الفَضْلِ أَنْتَ ضَوْءُ مَغْرِبِنَا * وَمَدْحُكُمْ صَارَ لِي مِنْ أَفْضَلِ القُرَبِ
الـلَّـهُ يَـحْـفَـظُـكُمْ بِـجَـاهِ مَلْجَئِنَا * مُـحَـمَّدٍ سَـيِّدِ الأَعْـجَامِ وَالـعَـرَبِ
هُـوَ الـشَّـهِيدُ عَـلَى قَـوْلٍ أَفُـوهُ بِـهِ * وَهْـوَ الَّـذِي يَـمْنَحُ الإِنْـسَانَ بِـالأَدَبِ

فأجبته بقولي :

يَا مَنْ سَمَا فَضْلُهُ فِي العَجْمِ وَالعَرَبِ * وَسَـادَ أَهْلَ الـتُّقَى وَالـفَضْلِ وَالأَدَبِ
يَا عَـالِيَ القَدْرِ يَا مَـنْ شَـاقَنَا شَرَفاً * وَمَـنْ بِـهِ يَـحْتَمِي يَنْجُو مِـنَ الـعَطَبِ
يَـا مَـنْ لَـهُ مُهْجَتِي طَـارَتْ بِـهِ طَـرَباً * وَكَـيْـفَ لاَ وَثَـنَـاكُمْ مُنْتِجُ الـطَّـرَبِ
يَــا أَهْــلَ مِـكْـنَـاسَـةٍ لِـلَّـهِ دَرُّكُـمُ * سَـمَوْتُمُ فِـي الـعَلاَ عَـلَى ذَوِي الـرُّتَبِ
فُـقْتُمْ جَـمِيعَ الـعِـبَادِ بِـالـتُّقَى وَلَـكُمْ * فَـضْلٌ عَـلَى غَـيْرِكُمْ مِـنْ كُلِّ مُنْتَخَبِ
إِنْ يَـفْتَخِرْ ذُو افْتِخَارٍ فِي ذَوِي شَرَفٍ * فَـلَيْسَ يَـلْحَقُكُمْ فِي الفَضْلِ وَالنَّسَبِ
بِـنُـورِكُمْ سُـبُلُ الـعِرْفَانِ قَـدْ شَـرَقَتْ * وَشَمْسُكُمْ فِي مَرَاقِي المَجْدِ لَمْ تَغِبِ
لاَزَالَ قَـدْرُكُـمُ بَـيْـنَ الأَنَــامِ يُـرَى * فِــي رِفْـعَـةٍ بِـمَـنَالِ غَـايَـةِ الأَرَبِ

وأجابه أيضا الشريف المنيف سيدي محمد الصقلي بقوله :

يَا مَنْ غَدَا فِي جَبِينِ الدَّهْرِ غُرَّتَهُ * وَسَادَ بِالعِلْمِ وَالأَفْضَالِ وَالأَدَبِ
فُزْنَا وَسُدْنَا وَنِلْنَا كُلَّ مَكْرُمَةٍ * بِمَدْحِكُمْ سَيِّدِي نَنْجُو مِنَ العَطَبِ
خَوَّلْتَنَا نِعَماً وَزِدْتَنَا شَرَفاً * نِلْنَا بِهِ الفَخْرَ فِي عَجْمٍ وَفِي عَرَبِ
جَزَاكُمُ رَبُّنَا خَيْرَ الجَزَاءِ وَلاَ * أَرَاكُمُ السُّوءَ طُولَ الدَّهْرِ وَالحِقَبِ
وَزَادَكُمْ فَوْقَ مَا تَرْجُونَ مِنْهُ عَلَى * مَدِّ السِّنِينَ وَرَقَّاكُمْ عُلَى الرُّتَبِ

وقد طلب من سيدنا النقيب أن يجمعه معنا بقوله :

أَيَا مَنْ قَدْ رَقَى دُرُجَ المَرَاقِي * وَفَخْرَ ذَوِي العُلُومِ بِلاَ شِقَاقِ
فَكَمْ وَقْتٍ يَكُونُ لَنَا التَّلاَقِي * بِحُبٍّ فِي سَمَا الإِسْعَادِ رَاقِ
أَدِيبِ زَمَانِنَا وَفَقِيهِ فَاسٍ * سُكَيْرِجِنَا الَّذِي لِلْقَلْبِ رَاقِ
شُغِفْتُ بِهِ وَفَارَقَنِي رُقَادِي * وَهِمْتُ بِهِ وَأَقْلَقَنِي اشْتِيَاقِي
فَيَا نَجْلَ الكِرَامِ بِهِ تَفَضَّلْ * عَلَى مَنْ صَارَ يَطْلُبُ لِلْوِفَاقِ
فَأَنْتَ الحِبُّ وَالخِلُّ المُوَافِي * وَنِعْمَ الخِلُّ يَا نُورَ الآمَاقِ
فَلاَزَالَتْ مَعَالِمُكُمْ تُرِينَا * أُهَيْلَ العِلْمِ سَادَتَنَا الرَّوَاقِي
مَدَى حِقَبٍ وَقَالَ الحِبُّ شَوْقاً * أَيَا مَنْ قَدْ رَقَى دُرُجَ المَرَاقِي

وقد أجبته بقولي :

إِلَيْكَ أَبَا العَلاَ دَامَ اشْتِيَاقِي * فَجُدْ لِي يَا حَبِيبِي بِالتَّلاَقِ
فَإِنِّي قَدْ جَفَا جَفْنِي مَنَامِي * وَكَادَتْ تَبْلُغُ الرُّوحُ التَّرَاقِي
بِفَضْلِكَ فَارْحَمَنْ صَبّاً غَرِيماً * لَقَدْ رَقَّتْ عِدَاهُ لِمَا يُلاَقِي
فَأَنْتَ البَدْرُ فِي نُورٍ وَحُسْنٍ * عَلَوْتَ عُلاً عَلَى كُلِّ المَرَاقِي
لِسَطْوَتِكَ العِدَا شَهِدُوا بِفَضْلٍ * فَزَالَ شَقَاؤُهُمْ بَعْدَ الشِّقَاقِ
وَمِنْكَ أَتَتْ لِعَبْدِكَ بِنْتُ فِكْرٍ * وَجَادَتْ لِي بِكَأْسٍ طِلاَ دِهَاقِ
وَجَاءَتْ مَعْ غَوَانٍ مِنْ مَعَانٍ * وَتَضْرِبُ فِي الهَوَى سَاقاً بِسَاقِ
فَهَاجَ بِمُهْجَتِي دَاءٌ كَمِينٌ * فَقُمْتُ لَهَا أُبَادِرُ بِاعْتِنَاقِ

وَصِــرْتُ مُـقَـبِّلاً لِـلـخَـدِّ مِـنْـهَـا * وَلَـمْ أَشْـعُـرْ بِـمَـنْ رَامَ اخْـتِـنَـاقِـي
بِـفَـضْـلِـكَ سَـيِّـدِي جُـدْ لِـي بِـوَصْـلٍ * وَلاَ تَـجْـعَـلْـهُ يُـوسَـمُ بِـالـفِـرَاقِ
نُـحِـبُّـكَ أَنْ تَـمُـنَّ بِــهِ صَـبَـاحـاً * فَـنَـحْـظَـى بِـالـصَّـبُـوحِ وَالاغْـتِـبَـاقِ
رَعَــاكَ الـلَّـهُ مِــنْ بَـيْـنَ الـبَـرَايَـا * وَأَنْـتَ عَـلَـى الـعِـدَا فِـي الـمَـجْـدِ رَاقِـي

وقد خمس أيضا أبيات سيدنا النقيب المشهورة بالرشاقة والطلاوة وحسن الإنسجام بقوله :

أَمَـحْـجُـوبـاً تَـحَـاجَـبَ عَــنْ بَـرَاحِـي * وَرَاحَـــةِ مُـهْـجَـتِـي وَنَـدِيـمِ رَاحِــي
أَمَــا تَـرْضَـى وَتَـسْـمَـعُ شِـعْـرَ صَـاحٍ * أَتَـلْـحَـانِـي الـلَّـوَاحِـي فِــي الـفَـلاَحِ
عَـلَـى مَـنْ فِـيـهِ يَـبْـدُو لِـي صَـلاَحِـي
فَــلاَ تَـسْـمَـعْ مَـقَـالَـةَ ذِي فُـجُـورِ * سَـلاَقَـتُـهُ تَـفـرقُ بَـيْـنَ حُــورِ
وَطِـبْ نَـفْـساً وَقُـلْ لِـذَوِي الـسُّـرُورِ * لَـقَـدْ رَامُــوا بِـزُخْـرُفِـهِـمْ غُــرُورِي
وَإِنِّــي فِــي الـهَـوَى رِقُّ الـمِـلاَحِ
أَمَــــا لَـــهُـمُ أُمُــــورٌ دَاهِـيَــاتٌ * بَـلَـى لَـهُـمُ قُـلُـوبٌ قَـاسِـيَـاتٌ
تَــقُــولُ لَـهَـا قُـلُـوبٌ عَـاشِـقَـاتٌ * مَـنَـاقِـبُ فِـــي الـغَـرَامِ فَـاشِـيَـاتٌ
وَعَـذْلِـي فِـي الـهَـوَى فِـيـهِ انْـشِـرَاحِـي
تَـرَفَّـقْ يَــا مَـلِـيـحُ بِــرُوحِ صَــبٍّ * أَضَــرَّ بِـهَـا غَـــرَامٌ دُونَ رَيْـــبِ
وَصَــارَتْ بِـالـهَـوَى تـحْـكِـي بِـحبٍّ * حَـلَـلْـتَ أَخَـا الـجَـمَـالِ بِـأُفْـقِ قَـلْـبِ
شَـجِـيٍّ فِــي الـهَـوَى بَـدْرِ الـصَّـبَـاحِ
وَإِنِّــي مِــنْ جَـفَـا الـمَـحْـبُـوبِ رَاضٍ * يُـسَـوِّفُـنِـي وَيَـشْـعُـرُ بِـانْـقِـبَـاضِ
وَقُـلْـتُ لِـمَـنْ غَـدَا فِـي الـحُـبِّ قَـاضٍ * جُـعِـلْـتُ فِـــدًى لِأَلْـحَـاظٍ قِـــرَاضِ
صِــحَــاحٍ فَــاتِــرَاتٍ كَـالـرِّمَـاحِ
مَـحَـاسِـنُـهُ تَـفُــوقُ سَـنَـاءَ بَــدْرِ * وَجَـوْهَـرُ ثَـغْـرِهِ، بِـالـدُّرِّ يُـــزْرِي
وَتِـهْـتُ بِــذِي وَقُـلْـتُ لِأَهْـلِ سِـرِّي * وَثَـغْـــرُ جَـــوَاهِـــرٍ أَزْرَتْ بِـــدُرِّي
نَـفِـيـسٍ قَــدْ تَـرَصَّـعَ فِــي الـوِشَـاحِ
عُـيُـونِـي مِـنْ سِـوَى الـمَـحْـجُـوبِ فَـاضَـتْ * وَنَـفْـسِـي مِــنْ سَـنَـاهُ إِلَـيْـهِ شَـاقَـتْ
وَصَــارَتْ تَـمْـدَحَـنْ حُـسْـنـاً وَقَـالَـتْ * بِـــهِ تَـمَّـتْ مَـحَـاسِـنُـهُ وَبَـاهَـتْ

وَعَــمَّ سَـنَـاؤُهَا كُـلَّ الـنَّـوَاحِي

وقد خمس أيضا أبيات تسبي النهى، بما أحرزته في الفصاحة والبلاغة من البها، لسيدنا ومولانا النقيب المذكور، ونصها مع التخميس :

غَـزَالٌ غَـزَا قَـلْبِي وَأَدْهَشَ نَـاظِرِي * وَعَـذَّبَـنِي تَـيْـماً وَلَـسْـتُ بِـصَـابِـرِ
إِلَـى حُسْنِهِ أَشْكُو وَهَلْ هُوَ عَاذِرِي * وَحَـقِّ الـهَـوَى وَالـنَّاعِسَاتِ الـفَوَاتِرِ
وَتِـلْكَ الـسُّيُوفِ الـقَاطِعَاتِ البَوَاتِرِ
أَمَـا يَـرْحَـمَنْ صَـبّاً كَـئِيباً مُـكَـبَّلاً * أَسِـيرَ الـهَـوَى وَالـقَـلْـبُ مِـنْهُ مُـبَتَّلُ
يَـقُـولُ لِـشِـبْهِ الـبَـانِ بَـلْ هُـوَ أَعْـدَلُ * وَقَــدٌّ بِـقَـدِّ الـقَـلْـبِ مِـنِّـي مُـكَـفَّـلُ
وَمَـبْـسَـمُ دُرٍّ كَـالـنُّـجُومِ الـزَّوَاهِـرِ
فَــرِقَّ لِـمُـضْـنَـى قَـدْ أَحَـبَّ لِـقَـاكُـمُ * وَمَــا لَــهُ إِلاَّ وَجْـهُـكُـمْ وَرِضَــاكُـمُ
أَمَـا تَـعْـلَـمَنْ مَـا قَـالَ وَقْـتَ نَـوَاكُـمُ * لَـقَـدْ ذَابَ جِـسْـمِي مِـنْ أَلِـيمِ جَفَاكُمُ
وَسَـحَّتْ جُـفُونِي بِـالدُّمُوعِ الـغَزَائِرِ
فَـهَـلاَّ رَحِـمْـتُمْ مُـغْـرَماً وَجَـبَرْتُمُ * كَـسِيراً رَمَـاهُ الـلَّحْظُ حِـينَ لَـحَظْتُمُ
وَصَــارَ يُـرَاجِـي قَـائِـلاً إِذْ أَبَـيْـتُمُ * وَمَـاذَا عَـلَـيْكُمْ لَـوْ رَثَـيْتُمْ وَصِـلْتُمُ
بِـوَصْـلِ رَهِـينَ الـحُسْنِ حِـلْفَ الـمَرَائِرِ

وقد جاء يوما لحضرة سيدنا الشريف، ثم بعث إليه بهذه الأبيات بعد خروجه :

حَدِّثْ أَخَا الفَضْلِ أَقْوَاماً لَهُمْ كَرَمٌ * وَقُلْ لَـهُمْ أَيْـنَ أَنْتُمْ مِنْ ذَوِي الكَرَمِ
لاَسِـيَـمَا مَــنْ بِـهِ طَـابَـتْ سَـوَائِغُنَا * قَـدْ ضُـمِّخَتْ بِـعَبِيرِ الـمِسْكِ وَالـنَّسَمِ
لِـلَّـهِ مِــنْ جِـلْـسَةٍ جَــادَ الـزَّمَانُ بِـهَا * فِــي رَوْضَــةٍ فُـتِّـقَتْ بِـالـزَّهْرِ وَالـنّعَمِ
أَحْـيَتْ رَبِـيعَ الـحَشَا بُـعَيْدَ مَا جُذِبَتْ * أَرْض لَــهُ بِـارْتِـكَابِ شُـغْـلِهِ الـعَـمِمِ
مَــعْ مَــاجِدٍ عَــالِمٍ أَدِيــبٍ مَـغْـرِبِـنَا * يَــمِّ الـنَّـدَا فَـائِـقِ الأَقْــرَانِ بِـالـشِّيَمِ
أَعْـنِي الـنَّقِيبَ أَبَا زِيدَانَ مَنْ خَضَعَتْ * لَــهُ الـقَـضَايَا وَكُــلُّ عَـالِـمٍ فَـهِـمِ
أَبْـشِرْ لَـقَدْ خَـصَّكَ الـمَوْلَى بِـشَنْشَنَةٍ * أَحْـرَزْتَـهَا بِـرُسُوخِ الـعَـقْلِ وَالـقَـدَمِ

يَـا حُسْنهُ مِـنْ شَـرِيفٍ زَانَـهُ خُلُقٌ * طَلْقِ الـمُحَيَّا عَـظِيمِ القَدْرِ وَالـهِمَمِ
مَـنْ ذَا يُـقَاوِمُهُ فِـي شِـعْرِ فِـكْرَتِهِ * أَزْرَتْ بَـلاَغَـتُـهُ بِـكُـلِّ مُـحْـتَـكِـمِ
لاَ تَـعْجَبَنْ مِـنْ حُلُولِ الدُّرِّ فِي وَطَنٍ * قَـدْ كَـلَّ عَـنْ سَـوْمِهِ قَـوْمٌ ذَوُو حِـكَمِ
يَـتِيمَـةٌ أُهْـدِيَـتْ لِـعُظْـمِ جَـاهِـكُمُ * فَـاقْبَلْ بِـضَـاعَتَهَا بِـالـجُودِ وَالـكَـرَمِ

وأجابه سيدنا النقيب رعاه الله بقوله :

أَخَـا الـوِدَادِ عَـزِيز الـقَوْمِ مِـنْ قِـدَمِ * أَهْـدَيْتَ مِـنْ لُؤْلُؤِ الأَسْـلاَكِ ذَا بَـسَـمِ
كَـوَاكِبٌ فِـي بُطُونِ الطِّرْسِ قَدْ لَمَعَتْ * مَا السِّحْرُ إِلاَّ الَّذِي فِي النَّظْمِ مِنْ حِكَمِ
لاَ غَـرْوَ أَنْتَ أَدِيبُ العَصْرِ قَدْ نُسِّقَتْ * بَـدَائِعُ الـفَـضْلِ فِـيكَ بَـلْ ذُرَى الـشِّيَمِ
لِـلَّـهِ لِـلَّـهِ مَــا أَحْـلَـى خِـطَابَكَ إِذْ * وَافَـى قَرِيـضُكَ كَالأَزْهَارِ فِي الـشَّمَمِ
أَنْـعَـشْـتَ رُوحـاً وَأَنْـتَ سِـرُّ رَاحَـتِـهَا * يَـا شَـهْمَ أُولِـي الـمَعَالِي دَوْحَةَ العَلَمِ
أَبْـدَيْتُمُ مَــدْحَ أَيَّــامِ الـوِصَالِ نَـعَمْ * وَأَنْــتَ غُـرَّتُـهَا يَــا عَـالِـي الـهِـمَمِ
شَـنَّـفْتَ سَـمْـعِي بِــآدَابٍ تَـنَاوَلَـهَا * بِـأَكْـؤُسٍ مِـنْ قَـرِيضٍ طَـيِّبُ الـكَلِمِ
تِـلْكَ الـمَكَارِمُ لاَ قِـعَابَ مِـنْ لَـبَنٍ * تِـلْـكَ الـمَحَامِدُ إِذْ تُتْلَى بِـكُلِّ فَـمِ
فَـاهْنَأْ وَصِـلْ مُغْرَماً بِـوَصْلِ طَلْعَتِكُمْ * فَـالوَصْلُ شَـأْنُ كِـرَامِ الـنَّاسِ وَالـحرمِ
لاَ زِلْـتَ فَــرْداً فَـرِيداً بَـالِغاً أَمَـلاً * مَــا لاَحَ بَـرْقٌ وَجَـادَ الأُفْـقُ بِـالدِّيَمِ
أَزْكَـى سَـلاَمٍ عَـلَى عُـلْيَاكَ يَـحْمِلُهُ * مِـسْـكُ الـخِتَامِ حَـلاَ بِـخَيْرِ مُـخْتَتَمِ

وفي سابع عيد المولد الشريف أتانا في صباحه طبق ما كنا خاطبناه به مع جماعة من الأفاضل، ولما خرج بعث لنا بهذه الأبيات، وهي:

رَوْضُ الـسَّـعَـادَةِ ضُـمِّنَا بِـسُعُودِ * فِـي يَـوْمِ سَابِعِ عِيدِنَا الـمَشْهُودِ
وَتَـمَايَلَتْ أَغْـصَانُهُ طَـرَباً بِـمَنْ * حَـلُّوا بِـهِ مِـنْ يَـوْمِنَا الـمَسْعُودِ
لاَسِـيَـمَا مِـنْـهُمْ فَـقِـيهُ أَحْـمَـدُ * مَـنْ صَـارَ فَـرْداً بِـالذَّكَا الـمَحْمُودِ
يُـدْعَى سُـكَيْرِجَ مَنْ غَدَتْ أَشْعَارُهُ * تَـحْكِي الـمُنَظَّمَ فِي سُلُوكِ سُعُودِ
لِـلَّـهِ دَرُّهُ مِــنْ أَدِيــبٍ مَـاهِـرٍ * يَـشْـفِي الـغَلِيلَ بِـفِكْرِهِ الـمَوْقُودِ

يَا حُسْنَ مَجْلِسِنَا تَكَامَلَ حُسْنُهُ * بِكَرِيمِهِ وَنَعِيمِهِ المَعْدُودِ
أَكْرِمْ بِهِ مِنْ مَاجِدٍ مُتَفَضِّلٍ * كَهْفِ السَّخَاءِ العَالِمِ المَقْصُودِ
مِنْ طِينَةٍ عَلَوِيَّةٍ شَادَتْ بِمَنْ * فَاقَ الوَرَى بِمَوَاهِبِ المَعْبُودِ
اللَّهُ يَكْلَؤُهُ وَيَكْلَأُ جَمْعَهُ * وَيَمُدُّهُمْ بِنَعِيمِهِ المَمْدُودِ
مَا سَبَّحَتْ طيرٌ وَقَالَ مُقَيِّدٌ * رَوْضُ السَّعَادَةِ ضَمَّنَا بِسُعُودِ

فأجبته بقولي:

لِلَّهِ رَوْضٌ فِي مَجَالِ سُجُودِ * نِلْنَا بِهِ أَبْهَى مَجَالِسِ جُودِ
كَادَتْ تُحَاكِيهِ السَّمَاءُ فِي بَهْجَةٍ * وَنَضَارَةٍ وَطَلَاوَةٍ وَصُعُودِ
أَضْحَى انْبِسَاطُ نُفُوسِنَا بِبِسَاطِهِ * لاَسِيَمَا فِي ظِلِّهِ المَمْدُودِ
قَامَتْ بِهِ الأَفْنَانُ تَرْفُلُ فِي الهَوَى * وَتَمِيسُ مِنْ رِيحِ الصَّبَا بِقُدُودِ
وَغَدَا بِهِ النَّمَّامُ يُفْشِي سِرَّهُ * فَاحْمَرَّ وَجْهُ الوَرْدِ فَوْقَ العُودِ
وَالزَّهْرُ يَضْحَكُ وَهْوَ يُسْتِرُ وَجْهَهُ * بِكَمَامِهِ لِبُكَاءِ ذَاتِ عُقُودِ
وَرَمَى عَلَيْنَا مِنْ دَرَاهِمِ كَفِّهِ * لَمَّا رَآنَا فِي مَقَامِ شُهُودِ
وَالسَّعْدُ سَاعَدَنَا بِجَمْعِ أَفَاضِلٍ * عِنْدَ النَّقِيبِ أَبِي التُّقَى وَالجُودِ
شَمْسِ الهُدَى فِي النَّاسِ بَيْنَ جَهَابِذٍ * هُمْ فِي العَلاَ حَقّاً أَجَلُّ سُعُودِ
مِثْلُ الأَدِيبِ المُنْتَقَى عَرْشِ الهُدَى * فِي النَّاسِ عَبْدِ القَادِرِ المَحْمُودِ
طَلْقِ المُحَيَّا وَالحَيَاءُ يَعُمُّهُ * إِنَّ الحَيَا فِيهِ رِضَى المَعْبُودِ
بِتَوَاضُعٍ قَدْ فَاقَ فِي أَقْرَانِهِ * إِنَّ التَّوَاضُعَ شِيمَةُ المَسْعُودِ
لاَ شَيْءَ أَحْلَى مِنْ سَمَاعِ حَدِيثِهِ * فَحَدِيثُهُ كَالجَوْهَرِ المَنْضُودِ
لاَزَالَ يَنْظُمُ لِلسَّعِيدِ جَوَاهِراً * وَهِجَاؤُهُ يَخْتَصُّ بِالمَطْرُودِ

ولما رجعت إلى فاس أعلمته بوصولي بسلامة، وكتبت له قصيدة ضمن الكتاب، وفاتني إبقاء نسخة منه لأثبتها في هذا المحل، كما ضاع من يدي ما كنت أعددته لإخراجه من مبيضته جملة وافرة، فنكتب هنا ما استحضرناه من غير تأنق في الخطاب، وننقل ما عثرنا عليه في هذا الكتاب، غير متصنع في المقال، ولا مبال بما يخالف غرض من طالعه في تفصيل وإجمال، وقد عثرت على جوابه مع تشوفه لما واعدناه به من تحرير هذه الرحلة، التي لم يتيسر لنا إبرازها إلا في

هذه الحلة، التي نهجنها ما على منهج التقصير، وطويناها على ما هي عليه من غير تنميق في تحبير التحرير.

ولنثبت هنا هذا الجواب، تنويها بعلى الجناب، قال زاد الله في معناه : الحمد لله العليم المنان، وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه ذوي الفصاحة والبيان.

ضَاقَ الفَضَاءُ جَمِيعُهُ فِي نَاظِرِي * وَتَكَدَّرَتْ مِنْهُ جَمِيعُ خَوَاطِرِي
مُذْ سَارَتِ الأَحْبَابُ صَفْوِي بَعْدَهُمْ * كَدَرٌ وَدَمْعِي فَائِضٌ بِمَحَاجِرِي
وَالنَّوْمُ فَارَقَ مُقْلَتِي لِفِرَاقِهِمْ * وَتَكَدَّرَتْ مِنِّي جَمِيعُ سَرَائِرِي

خلاصة ودنا، ومصباح غربنا، العلامة الذي افتخرت به الأواخر على الأوائل، الذي خضع إليه كل كاتب وقائل، الذي إذا جرى أقلامه في ميدان الطروس، أودع فيها من لآلئ البيان ما يفعل بالنفوس، فعل حميا الكؤوس، من معان حيرت المغاني، وفعلت بالألباب ما لا تفعله المثالث والمثاني، من لا زالت فرائد فوائده ممدوحة لذوي التحقيق، وفوائد فرائده محلاة بحلية التحرير والتدقيق، أعني به أبا عبد الله الذي هو راحة لقلوب الأحباء ومفرج، سيدي أحمد بن سيد الأماجد الأبر السيد الحاج العياشي سكيرج، حفظك الله ورعاك، وسلام تام على مجادة علاك، بوجود مولانا الإمام، حامي راية الإسلام

وبعد فلقد طال اشتياقي إلى ذلك المحيا الوسيم، والفضل الشامل للراحل والمقيم، ومما زادني رقا، وشوقا وقلقا، وورود رسالته المنمقة المعظمة الفخيمة المشرفة، وقرأتها وفهمت معناها، فلا عدم خاطر أملاما، فوجدتها أخذت من الملاحة أوفر حظ، رائقة فائقة ببديع اللفظ، مجلاة الجيد بدرر المعاني، عالية على الغواني، شاهدة بكمال فضل صاحبها، مترجمة على بلاغة ناظمها، ناطقة بلسان بيانه، نائرة درر لسانه وبنانه، فأوصلت الأنس إلى القلب، والنور إلى الطرف، فقيدت الخاطر بالورود وأطلقت اللسان بالوصف، وعند ذا نطق لسان الحال، مجيبا عن بعض تلك اللآل، راجيا منكم الإقبال، لأنكم معدن الجود والفضل والكمال.

يَا رَاحِلاً عَنْ سَوَادِ المُقْلَتَيْنِ لَقَدْ * أَسْكَرْتَ حبّاً بِمَا أَمْلَيْتَ مِنْ رَاحِ
حَتَّى غَدَا ذَاهِلاً بِسُكْرِهِ أَبَداً * وَصَارَ مُصْطَلِماً بِفَقْدِ أَرْوَاحِ
مَهْلاً عَلَى مُهْجَتِي فَإِنَّنِي كلفٌ * أَرْجُو الوِصَالَ لِبُغْيَتِي وَإِصْلاَحِي

ذَاكَ الفَقِيهُ أَبُو العَبَّاسِ أَحْمَدُ مَنْ * غَـدَتْ رَسَـائِلُهُ قُـوتـاً لِـلأَشْبَاحِ
سُـكَيْرِجٌ عَـالِـمُ الـذَّكَـاءِ وَالأُدَبَـا * مَنْ حُبُّهُ قَدْ سَرَى فِي الذَّاتِ كَالرَّاحِ
يَاحُسْنَهُ مِـنْ أَدِيـبٍ زَانَـهُ أَدَبٌ * وَعَـالِـمٍ ظَـافِـرٍ بِـكُـلِّ أَرْبَـاحِ
مَـنْ رَامَ أَوْصَـافَهُ بِـكُلِّ مَـحْـمَدَةٍ * لَـمْ يُـوفِ عُـشْراً وَلَوْ أَتَى بِإِفْصَاحِ
لَـكِـنَّ إِحْسَانَـكُمْ يَـعُـمُّنِي وَلَـكُمْ * فَـضْلٌ عَـلَى قَلَمِي مَا دُمْتَ يَا صَاحِ
إِنِّي عَـجَزْتُ وَلِـي فِي وَصْلِكُمْ أَمَلٌ * أُشَـاهِـدَنْ طَـلْـعَـةً تُـزِيـلُ أَتْـرَاحِـي
الـلَّهُ يَـعْلَمُ صِـدْقَ مَـا أَقُـولُ لَـكُمْ * مُـتَـيَّـمٌ بِـمَـلِـيحٍ رَاحَ إِفْـضَـاحِـي
كَيْفَ السَّـبِيلُ إِلَيْـهِ وَهْـوَ فِي بَلَدٍ * قَدْ عَاقَنِي عَنْ خُطَاهَا بَخْلُ أَشْبَاحِي
فَـاسٌ لَـعَـمْرِي هِي الدُّنْيَا بِأَجْمَعِهَا * قَدْ قَـالَ ذَا مَـنْ أَتَى بِبَعْضِ أَمْدَاحِ
فِـيـهَا الأَمَاجِدُ وَالأَشْـرَافُ وَالـعُلَمَا * مَـنْ حُـبُّـهُـمْ مَـتْـجَـرٌ لِـكُـلِّ أَرْبَـاحِ
لاَسِـيَـمَا حِـبُّـنَا الـمَـذْكُورُ قَبْلَـهُمُ * مَـنْ عِـلْـمُهُ قَـدْ بَـدَا بِـكُـلِّ إِفْـصَاحِ
نِـعْـمَ الـحَـبِيبُ الَّـذِي أَتَـتْ رِسَالَـتُهُ * وَجَـرَّحَـتْ كَـبِـدِي بِـدُونِ مِـجْـرَاحِ
يَـا حُسْنَ مَـا حَدَّثَتْنِي مِـنْ بَلاَغَتِهَا * قَـدْ طَـارَ قَلْبِي لَـهَا بِـكُلِّ أَفْـرَاحِ
لَـمْ أَنْسِيَنْ سَيِّدِي لاَ أُنْسِيَنَّ لَـكُمْ * عَـهْداً فَـأَنْتُمْ إِمْسَـاءِي وَإِصْبَاحِي
سَـلاَمُ عِـطْرٍ أَخِـي يَـهْدِيهِ صَبُّـكُمُ * مَـا هَـبَّ رِيـحُ الـصَّبَا بِطِيبِ أَرْوَاحِ

هذا وإن كنت عن بديع القول عاطلا، فاصفح وتجاوز عمن أذكرك باقلا، أبقاك الله موردا للفضائل، وظلا ظليلا لكل كاتب وقائل، وإن شئت أخي أن تتفضل علينا بما وعدتنا به من توجيه الرحلة المكناسية، أمنها الله تعالى من كل مكروه، وأسبل علينا وعليكم رداء العفو والعافية، ولعلها صارت عندكم في طي الإهمال، حتى قال فيها من قال :

لاَزِلْـتُ أَنْتَظِرُ الَّتِي وَعَـدْتَ بِـهَا * مِـنْ رِحْلَةٍ مِنْكَ لَمْ يَظْهَرْ لَـهَا أَثَـرُ
لَـعَـلَّـهَا أُهْـمِـلَـتْ كَـنَـاسِ بَلْدَتِـهَا * وَنَـاسُـهَا مَـا نَـسُوكُمْ أَيْنَمَا حَضَرُوا
فَالوَعْدُ مِنْ شِيَمِ الأَشْرَافِ إِنْ وَقَفُوا * وَإِنْ هُـمُ ذَهِـلُـوا فَـوَعْـدُهُمْ هَـدَرُ

وهذا ما خطته الأقلام عن قلق واشتياق، والسلام في 8 شعبان الأبرك عام 1326هـ، وقد أجبته عن هذا الكتاب برسالة ضمنها هذه الأبيات :

عَـرِّجْ بِمِـكْنَاسَةَ الزَّيْتُونِ يَـا صَـاحِ * فَـالقَلْبُ مِنِّيَ عَنْهَا لاَ يُرَى صَاحِي
بِـحُبِّهَا وَبِـحُـبِّ مَـنْ أَقَـامَ بِـهَـا * كَلِفْتُ رَغْـماً لِأَنْـفِ عَـاذِلٍ لاَحِـي
وَكَـيْفَ لاَ وَهْـيَ أَرْضٌ لاَ نَظِيرَ لَـهَا * وَأَهْـلُـهَا مَـعْـدِنٌ لِـكُـلِّ أَرْبَـاحِ
أُحِـبُّـهُـمْ وَأُحِـبُّ مَـنْ يُـحِـبُّـهُـمُ * وَلَـمْ يَـزَلْ حُبُّهُمْ يُـزِيـلُ أَتْـرَاحِي
لاَسِـيَـمَـا بِـمَـدِيحِ كَـعْـبَـةِ الأُدَبَـا * مَنْ لاَ تَفِي شُكْرَهُ فِي النَّاسِ أَمْدَاحِي
مَـنْ سَـادَ بَيْنَ الـوَرَى قَدْراً وَمَنْزِلَةً * حَـتَّى غَـدَا قُـدْوَةً لِـكُلِّ جَحْجَاحِ
عَـرْشِ الـمَحَامِدِ عَبْدِ القَادِرِ العَلَمِي * الـعَرَائِشِي مَـنْ بِـهِ تَرْتَاحُ أَرْوَاحِـي
شُغْلِي التَّفَكُّرُ فِـي حُسْنَى شَمَائِلِهِ * وَلَـيْـسَ قَـلْبِيَ بِـالسِّوَى بِـمُرْتَاحِ
يَا مَنْ شَغَلْتُ بِهِمْ عَنْ غَيْرِهِمْ وَلَهُمْ * سَـكِرْتُ حِينَ سَقُونِي أَكْؤُسَ الرَّاحِ
أَنْـتُـمْ بِـقَلْبِي حَلَلْتُمْ وَإِنْ بَـعُـدَتْ * مِنَّا الدِّيَارُ وَفِـي قُرْبِي لَـكُمْ رَاحِي
قَـدْ نِـلْـتُ كُـلَّ الـمُنَى لَـمَّا رَأَيْـتُكُمُ * وَمِـنْـكُمُ أَحْـرَزَتْ كَنْزَ الغِنَى رَاحِـي
يَا هَلْ تُرَى عِنْدَكُمْ مَا عِنْدَ عَبْدِكُمُ * مِـنْ بَـعْـضِ أَشْـوَاقِنَا وَقَلْبُكُمْ صَـاحِي
أَلْـوَاحُ صَـدْرِي بِـهَا مَرْقُومُ حُبِّكُمُ * وَلَيْسَ تَمْحُو صُرُوفُ الدَّهْرِ[1] أَلْـوَاحِي
إِنِّــي وَحَــقِّـكُـمُ لاَزِلْــتُ رِقُّـكُـمُ[2] * وَحُـبُّـكُمْ فِـيـهِ إِفْـلاَحِي وَإِصْـلاَحِي
لَـمْ تَـلْتَفِتْ بَعْدَكُمْ نَفْسِي لِغَيْرِكُمُ * وَكَـيْـفَ لاَ وَبِـكُـمْ تُـضِـيءُ أَشْـبَاحِي
مِنِّي السَّـلاَمُ عَـلَيْكُمْ كُلَّمَا انْفَتَحَتْ * مِـنْـكُمْ عَـلَى القَلْبِ مِنَّا طِيبُ أَرْوَاحِ

ونص ما صدرتها به :

أَحِبَّتَنَا مَـا فِـي اللِّقَا هَكَذَا كُنَّا * وَلاَ كَـانَ ظَنِّي فِيكُمُ تُعْرِضُوا عَنَّا
وَبَـعْـدَكُمُ مَـا ذُقْـتُ نَـوْماً لِبُعْدِكُمْ * وَبَعْدَ اتِّسَاعِ القَلْبِ مِنْ بُعْدِكُمْ ضِقْنَا

كنت أعزك الله أظن أن الدهر لا يفصل بيننا، ولا يوجب بيننا، حتى أعنته على عناءي، مع طول النوى، ونال العذول الكاشح فينا ما نوى، فهلا رحمت كئيبا بالوصال، وأشفقت من حال من

---

(1) صروف الدهر : نوائبه وحدثانه

(2) رقكم : عبدكم ومملوككم

حال بينك وبينه زمان بغى عليه وصال، فوحق الهوى وما حوى من عجائب اللواعج، وآية النوى التي يفتضح بها العاشق الذي ما لدائه غير الوصلى من معالج، ما نسيت ودكم ولا أنساه أبدا، وكيف لا والروح مني عندكم أقامت، والجسم مني برداء النحول بالشوق إليكم ارتدى.

جِسْمِي مَعِي غَيْرَ أَنَّ الرُّوحَ عِنْدَكُمُ * فَالجِسْمُ فِي غُرْبَةٍ وَالرُّوحُ فِي وَطَنِي
لِيَعْجَبِ النَّاس مِنِّي أَنَّ لِي بَدَناً * لاَ رُوحَ فِيهِ وَهَا رُوحِي بِلاَ بَدَنِي

فمن منصفي منك يا سيدي عبد القادر، وعبدك على حمل هجرك ليس بقادر، تركت موصلتي بمكاتبتك، وأكثرت في معاتبتك، وأعرضت عمن حللت منه القلب، وأقصى مرامه منك القرب لكشف الكرب

فَإِذَا تَطَلَّعَ مِنْ سَمَائِكَ بَارِقٌ * أَوْ طَافَ طَيْفٌ مِنْ خَيَالِكَ يَطْرُقُ[1]
خَفَقَتْ[2] لِذِكْرِكَ مُهْجَتِي فَكَأَنَّ لِي * فِي كُلِّ جَارِحَةٍ جَنَاحاً يَخْفُقُ[3]
فَابْعَثْ بِطَيْفِكَ رَاضِياً أَوْ كَيْفَمَا * قَدْ شِئْتَهُ إِنِّي إِلَيْكَ لَشَيِّقُ
وَصِلِ التَّحِيَّةَ إِنَّ عَهْدَكَ زَهْرَةٌ * رَاقَتْ[4] وَذِكْرُكَ نَفْحَةٌ[5] تُسْتَنْشَقُ

وقد راجت بيني وبينه مكاتب، ووجه إلي من جيوش أفكاره في ميدان العتاب كتائب، فلنقتصر منها على أخيرها الذي بعثه لي وأنا بمدينة وجدة مقيم، بعدما طالع ديواني المسمى

---

(1) يطرق : يأتي ليلا

(2) خفقت : اضطربت وتحركت

(3) يخفق الطائر بجناحه : يطير

(4) رقت : صفت وازينت

(5) النفحة : الطيب الذي ترتاح له النفس

بالنفحات الربانية، في الأمداح التجانية،[1] ونصه بعد التصدير، سلالة الأجلاء الأفضال، وياقوتة أهل العلم والمجد والكمال، العالم العلامة المدرس الأنبل، قاضي قضاة العدل، من هو واحة للقلوب ومفرج، الفقيه السيد أحمد بن البركة السيد الحاج العياشي سكيرج، حفظك الله ورعاك، وسلام تام على مجادة علاك، بوجود مولانا محمد الفاتح لما أغلق، والخاتم لما سبق، ثم مولانا الإمام، المنسحب ظله على الأنام،

وبعد : اعلم أن الله تبارك وتعالى أنعم علي بالوقوف على ديوان لسيـــادتك تضمن مدح

---

(1) النفحات الربانية في الأمداح التجانية، كتاب من 126 صفحة، وهو ديوان شعر، جمع فيه المؤلف بعض القصائد التي مدح بها الشيخ التجاني رضي الله عنه، مرتبة على حروف المعجم، بما يناهز الخمسين قصيدة، اشتملت على الثناء على الشيخ قدس سره بذكر بعض مناقبه وفضائل طريقته، والتعلق بجنابه في الأخذ باليد، وبلوغ المقصد، بواسطته من الحضرة المحمدية عليها الصلاة السلام، الموصلة للحضرة العلية على حسب اعتقاد الصوفية، ومن انتهج منهجهم في حسن الظن في أهل الله، إلى آخرها وقد طبع هذا الديوان بالمطبعة الفاسية عام 1333 هـ ـ 1915 م

وقد كتبت عليها ثمانية تقاريظ، أولها تقريظ العلامة أحمد بن التهامي المكناسي، ثم عبد الكريم بن العربي بنيس، والمهدي بن عبد الرحمن بن سودة القرشي، ومحمد بن الأعرج السليماني، ومحمد التونسي ابن شقرون، وعبد الرحمن بن زيدان، ومحمد الغالي السنتيسي، ومحمد سالم الشنقيطي

وحول هذا الكتاب القيم يقول العلامة الأديب سيدي عبد الرحمان بن زيدان في مطلع تقريظه :

نَفيس الدُّرر في جِيد الغواني * تَـلألأ مُزْريًا فيـهَا الـجُمَانِ
تـناسق نـظمه فَازدَاد حُسنا * تَسَـامَى عَـن مثيل أوْ مُوَان
تـفَـردَ بـالفرائد فـي انـتظام * بـعقدٍ مـا لـهُ في الـحُسن ثان
بُـدُور الـتم تـخجل مـن سناهُ * وتخسفُ في مطالعها الحِسان

إلى أن يقول فيه :

أديب العصر أحمد من ترقّى * سـماء الـعلم فـي قـدر وَ شان
سـكيرج من به أهْل المعاني * يُـفـاخر بـالـمزايا مَـن يُـعان
فـلا زالـتْ مـكارمه ترينا * مـآثـره الـجلـيلة بـالـعِيان

ومن ذلك أيضا تقريظ العلامة الأديب محمد بن الأعرج السليماني، ونصه :

لـــلـهِ ديـــوان تـكـامـل طـبـعـه * يـحوي مـفَاخر مـن نـسيج عـبقري
فـي جـانب الـشيخ الـهُمام المرتضى * الـواصل الـغـوث الـفـريد الأشـهـر
مـا شـئت مـن مدح تناهى في العلى * يـغني الـولي عـن الـطراز الأخضر
فَـهْوَ الـتجاني الـذي عـم الـملا * أنــواره حـتـى قُـبـا والـمـشـعر
جَــادت بــه أفـكـار شـهـم قـد غـدا * في مصرنا الفرد الزعيم ابن السري
مــن نـخـبة الأنـصـار آل سـكـيرج * فـخـرًا لأحـمـد ذي الـقنا والـسمهري
لـمَّـا تـبـدَّى قـلـتُ فــي تـاريـخـه * أوَمَـا سَـمَـا قـوْل مَـاجدِ لـلمُشتري

الشيخ الرباني، القطب العارف بربه مولانا أحمد التجاني[1]، ولما طالعته ألفيته اجتمع فيه ما تفرق في غيره، فحمدت الله على ذلك حق حمده، وكدت أن أطير من شدة الفرح، لكونه أزال ما بي من الترح، واشتريته وجعلته ذخيرة في خزانتي، نسأله جل وعلا أن ينفعني به في محياي وبعد مماتي، واشتاقت نفسي لرؤية محياك، ولم أجد سبيلا لذلك، فأنشأت هذه القصيدة محبة في سيادتك الفخيمة، عَلَّهَا تحيي ما اندرس من الوداد، لأنه طال بيني وبينك البعاد،

وكنت قبل هذا سمعت بأنك جئت إلى مكناس، ونزلت عند الشريف العلوي الطيب الأنفاس، الفقيه العالم العلامة النحرير، ذي القلم البارع في مقامات التحرير، نقيب الشرفاء مولانا عبد الرحمان الزيداني، أدامه الله رافلا في حلل السعادة والتهاني، وتألمت لذلك أشد الألم، وصبرت بالله بعدما اعتراني السقم لكوني لم أرى محياك الوسيم، الذي هو شفاء لكل عليل وسقيم، هذا وإن كنت عن بديع القول عاطلا، فاصفح وتجاوز عمن اذكرك باقلا، ونصها :

حَـدِّثْ أَخِـي فِـي الـسِّرِّ وَالإِعْـلاَنِ * عَـنْ سَيِّدٍ قَـدْ غَـابَ عَـنْ أَعْـيَانِي
وَغَــدَوْتُ مُـشْـتَـاقاً لِـرُؤْيَـةِ وَجْـهِـهِ * أَشْـكُـو الـنَّوَى وَأَقُــولُ لِـلإِخْـوَانِ
بَـعُـدَتْ عَـلَيَّ مَـسَافَةُ الـحُبِّ الَّـذِي * مِــنْ بُـعْـدِهِ قَـدْ صِـرْتُ ذَا أَحْـزَانِ
قَـــدْ حَــلَّ مـكْـنَـاساً وَلَـمْ أَرَهُ فَـهَ * ذَا مِـــنْ زِيَـــادَةِ شُـعْـلَـةِ الـنِّـيـرَانِ
حَقٌّ عَلَى الأَرْضَى الأَجَلِّ المُرْتَضَى * يَــمٍّ الـسَّـخَـاءِ الـعَـالِـمِ الـزَّيْـدَانِـي
حَـيْـثُ حَـلَلْـتُمْ رَوْضَــهُ أَنْ يُـعْـلِمَنْ * لِـنَـرَاكُـمُ كَــيْ تَـنْـزَحَـنْ أَشْـجَـانِـي

---

(1) الشيخ أبو العباس سيدي أحمد بن محمد التجاني الحسني، صاحب الطريقة التجانية، أحد أشهر الطرق الصوفية وأكثرها انتشارًا في العالم، خصوصا في القارة الإفريقية السمراء، هو من مواليد قرية عين ماضي بالصحراء الشرقية عام 1150 هـ ـ1737م، كان أجداده يقطنون سابقا بمنطقة عبدة من إقليم مدينة آسفي بالمغرب، ثم انتقل جده الرابع إلى الصحراء، واستوطن قرية عين ماضي، وبها بقيت نسبة كبيرة من أبنائه إلى الآن.

أما الشيخ سيدي أحمد التجاني فقد استوطن بمدينة فاس خلال العقدين الأخيرين من عمره، ووجد بها ترحابا كبيرًا من طرف سلطان المغرب وقتئذ المولى سليمان، الذي صار فيما بعد من جملة تلامذته وأتباعه، كما أهدى له دارًا فخمة بمدينة فاس كانت تسمى إذ ذاك بدار المراية.

توفي رضي الله عنه بمنزله المذكور بمدينة فاس يوم الخميس 17 شوال عام 1230 هـ ـ 2 أكتوبر 1814م، ودفن بزاويته الكبرى بحي البليدة بفاس، وقد أُلِّفَتْ في حقه عشرات الكتب إن لم نقل المآت، منها كتاب جواهر المعاني وبلوغ الأماني، من فيض الشيخ أبي العباس التجاني، لتلميذه العارف بالله سيدي الحاج علي حرازم برادة، والجامع لما افترق من درر العلوم الفائضة من بحار القطب المكتوم، لتلميذه العارف بالله سيدي محمد بن المشري، والإفادة الأحمدية لمريد السعادة الأبدية، لتلميذه الشريف سيدي الطيب السفياني وغيرها.

أَوْ أَنْـتَ تُـوقِـظُهُ وَتَسْأَلُهُ عَـنِ الـ * ـغُـربَـاءِ وَالـبُـعَـدَاءِ وَالإِخْـــوَانِ
وَتَـأَلَّمَتْ ذَاتِـــي وَقَـالَـتْ جَـهْـرَةً * يَـا قَـوْمِ حِبِّي قَـدْ نَـأَى وَجَفَانِي
أَوَمَـا عَلِمْتَ بِـأَنَّ قَلْبِي مُـولَعٌ * بِـهَـوَاكُمُ مَـا دُمْـتُ فِـي الأَزْمَـانِ
الـلَّـهُ فِـي حِـبٍّ يُـحِبُّ جَنَابَكُمْ * وَالـحُـبُّ فِـيكُمْ رَاحَــةُ الأَبْـدَانِ
قَـدْ قِيلَ مَـنْ هَذَا فَقُلْتُ لَهُمْ نَعَمْ * أَشْـعَـارُهُ تُـغْـنِـي عَــنِ التِّبْيَانِ
لـكــن أُبَـيِّـنُـهُ لِـرِفْـعَـةِ قَـــدْرِهِ * عِـنْدَ الـتِّجَانِي الـعَـارِفِ الرَّبَّانِي
مَــا ثَــمَّ إِلاَّ عَـطْفَةٌ قَـدْ نَـالَهَا * مِـنْـهُ فَـحَـازَ مَـوَاهِـباً بِـبَـيَانِ
مِـنْ ذَاكَ دِيـوَانٌ لَـهُ فِـي مَدْحِهِ * فَـرَأَيْـتُـهُ كَـقَـلاَئِـدِ الـعِـقْـيَانِ
أَوْ أَنَّـــهُ عِـــقْــدٌ تَـنَـظَّـمَ دُرُّهُ * فِـي جِيدِ ذَاتِ الحُسْنِ وَالإِحْسَانِ
وَغَـدَا لِحُسْنِ نِظَامِهِ فَوْقَ السَّمَا * وَلِأَجْـلِ ذَا قَـدْ شَـاعَ فِـي البُلْدَانِ
لِـلَّـهِ دَرُّهُ مِـــنْ أَدِيـــبٍ شَـاعِـرٍ * مُـتَـوَاضِـعٍ لِإِلاَهِـــهِ الـرَّحْـمَـانِ
ذَاكَ الـفَـقِيهُ الـعَـالِمُ العَلَمُ الَّـذِي * قَـدْ صَـارَ مَـحْـمُوداً بِـكُلِّ لِـسَانِ
أَعْـنِـي سُـكَيْرِجَ أَحْمَدَ الفَرْدَ الَّذِي * لَـمْ يَـخْـتَلِفْ فِـي فَضْلِهِ اِثْـنَانِ
قَـاضِي الـقُضَاةِ بِـوَجْدَةٍ[1] مَنْ حُكْمُهُ * يُـرْضَـى بِـمَجْلِسِ شِرْعَةِ الإِيـمَانِ
نِـعْمَ الأَجَـلُّ الـمُرْتَضَى مِـنْ نَبْعَةٍ * شَـرُفَتْ بِنُصْرَةِ أَحْمَدَ الـعَدْنَانِي
أَكْـرِمْ بِـهِ مِـنْ عَـالِمٍ مَنْ قَدْ عَـلاَ * قَـــدْراً عَـلَـى الأَمْـثَالِ وَالأَقْـرَانِ
الـلَّـهُ أَعْـطَـاهُ الـمَـعَالِي كُـلَّـهَا * بِـمَدِيحِ شَيْخِهِ أَحْمَدَ الـصَّمَدَانِي
قُـطْبِ الـوُجُودِ وَمَنْبَعِ السِّرِّ الَّذِي * ظَـهَـرَتْ مَـزَايَـاهُ عَـلَى الأَكْـوَانِ
يَـا سَـيِّدَ الـعُلَمَاءِ يَـا طَـوْدَ النُّهَى * قَـدْ نِـلْتَ مَـا تَرْجُوا مِـنَ المَنَّانِ

---

(1) تولى العلامة سيدي أحمد سكيرج رحمه الله مناصب قضائية مختلفة، منها ثلاث سنوات كقاض لمدينة وجدة ابتداء من سنة 1337هـ -1919م، لكنه لم يجد بهذه المدينة وقتذاك معينا على الحق والفضيلة التي يتوخاها، فطلب الإستعفاء منها من الحضرة السلطانية الشريفة، وأرسل في صدد ذلك قصيدة لوزير العدلية الشيخ أبي شعيب الدكالي،افتتحها بقوله :

شد المطية للامام الأوحد * وببابه احطط ثقل حملك تسعد

إلى أن يقول فيها :

يا أيها الوزر الوزير المرتضى * المـرتدى بـرداء عز أحمدي
أنـي إلـيك شـددت رحلة طالب * يـرجو تـخلصه لـنيل المقصد
إن الـقضاء قـضى عـلي بوجدة * يـا لـيت وجدة أو أنا لـم توجد
إني بها قد ضقت ذرعا والفضا * قد ضـاق بي فيها لفقد المسعد

لاَزِلْتَ بَدْراً كَامِلاً يَزْدَادُ نُو * رُهُ فِي سَمَا الإِسْعَادِ وَالحُسْبَانِ
بِمُحَمَّدٍ جَدِّ التِّجَانِي أَحْمَدٍ * مَنْ سِرُّهُ شَهِدَتْ بِهِ الثَّقَلاَنِ
صَلَّى عَلَيْهِ اللَّهُ فِي مَلَإِ العُلَى * مَا سَبَّحَتْ طَيْرٌ عَلَى الأَغْصَانِ
وَالآلِ وَالأَصْحَابِ أَعْلاَمِ الهُدَى * مَنْ أَوْضَحُوا الإِسْلاَمَ لِلإِنْسَانِ
وَكَذَاكَ مَا قَدْ قَالَ حِبٌّ صَادِقٌ * حَدِّثْ أَخِي فِي السِّرِّ وَالإِعْلاَنِ
وَالقَصْدُ رَدُّ جَوَابِكُمْ عَنْ عَاجِلٍ * لِلكَاتِبِ المَشْغُوفِ بِالدِّيوَانِ
وَلِحُبِّهِ أَرَّخْتُ عَامَ مَسَكْتُهُ * شَمْسُ الضُّحَى قَدْ أَشْرَقَتْ بِمَكَانِ

ترجمة العلامة سيدي محمد بن أحمد السوسي[1]

واجتمعنا أيضا لديه بالعلامة المحقق، ذو الفصاحة العذبة، والبلاغة العالية الرتبة، أبي الفتح السيد محمد بن أحمد السوسي وقد استدعانا لمحله مع بعض الأدباء النازلين معنا بروض

---

(1) الفقيه العلامة المدرس القاضي السيد محمد فتحا بن أحمد بن الحاج المكي بن أحمد بن علي السوسي الهشتوكي نسبا، المكناسي مولدا ووفاتا وإقبارا، حيث أن الوافد على مدينة مكناس هو جده الأعلى سيدي أحمد بن علي السوسي.

ازداد بمدينة مكناس عام 1285هـ ـ 1868م، وبها تابع دراسته العلمية بعد حفظه للقرآن الكريم على يد المدرر الفقيه سيدي محمد بن العياشي القبري، برواية ورش عن نافع، وبقراءة ابن كثير،

وشيوخه في العلم كثيرون منهم : عمه محمد المفضل بن المكي السوسي، وهو عمدته، ثم أخوه العلامة محمد بن أحمد السوسي، والفقيه محمد القصري العبدري، والفقيه محمد التهامي بن عبد القادر السوسي المعروف بالحداد، والفقيه محمد بن عبد السلام الطاهري، والفقيه محمد المفضل بن عبد الهادي بن عزوز، والفقيه أحمد بن يوسف الناصري، والفقيه عبد الله بن إدريس البدراوي، والفقيه القاضي أحمد بن الطالب بن سودة المري، وغيرهم.

أما عن وظائفه فقد عين عدلا بالسماط بمكناس عام 1311هـ ـ 1893م، ثم نائبا لقاضي مكناس، ثم عضوا بمجلس الإستئناف الشرعي الأعلى بالرباط عام 1342هـ ـ 1924م، ثم قاضيا على مكناس في شهر شعبان الأبرك عام 1346هـ ـ فبراير 1928م، وبقي في منصبه الأخير إلى حدود عام 1359هـ ـ 1940م

من مصنفاته : شرح موسع لهمزية الإمام البوصيري، وحاشية على شرح أرجوزة مصطلح الحديث للشيخ أبي حامد سيدي العربي الفاسي، وعون الموصوف بالجلالة، على ألفاظ خاتم الرسالة [ختم للرسالة لأبي زيد القيرواني]، وعون الطالب السائل، على فهم الأثرين المختوم بهما الشمائل [ختم الشمائل الترمذية]وختم مختصر خليل، وختم المرشد المعين، وختم الألفية لابن مالك.

وقد اشتغل بالتدريس قرابة ستين عاما ابتداء من عام 1311 هـ إلى حين وفاته، وكان أكثر تدريسه ببلدته مكناس، حيث واظب على الإقراء في جدية ومثابرة : بمعدل ثلاث حصص في الأيام الدراسية : في الصباح، وعند الزوال، وبين العشاءين.

توفي بمدينة مكناس ليلة الثلاثاء 3 شوال عام 1369هـ ـ 19 يوليوز 1950م، وصلي عليه بالجامع الكبير قبل الزوال، ثم حمل جثمانه إلى الزاوية الكنتية، ودفن بها في بيت أضافه لها وهيأه ليكون به مأواه الأخير، أنظر ترجمته في إسعاف الإخوان لابن الفاطمي الشهير بابن الحاج ص 161.

سيدنا النقيب، ولما اطمأن بنا الجلوس، ورأيت بمحله ما طابت به النفوس، قلت :

دَارٌ عَـلَـيْـهَا رَوْنَـــقٌ وَجَـلاَلَـةٌ * مِـنْ أَجْـلِ سَاكِنِهَا الإِمَـامِ مُـحَمَّدِ
ذِي الفَتْحِ وَالعِرْفَانِ مِنْ بَيْنِ الوَرَى * مَـنْ حَـازَ كُـلَّ فَـضِيلَةٍ مَعْ سُؤْدَدِ

وقلت أيضا :

وَدَارٍ دَخَلْنَاهَا عَلَى الفَضْلِ أُسِّسَتْ * وَفِيهَا أُنَاسٌ قَدْ سَمَوْا فِي الأَنَامِ
يُحِبُّونَ إِكْـرَامَ الـضُّيوفِ لِأَنَّهُمْ * كِـرَامٌ وَقَـدْ فَـاقُوا جَمِيعَ الـكِرَامِ

وقال الشريف سيدي محمد الصقلي :

يَـا رَعَـى اللَّهُ رِجَـالاً بِـالتُّقَى * أَحْرَزُوا مَجْداً وَفَضْلاً فِي الأَنَامْ
جَـمَـعَـتْـنَا بِـهِـمُ دَارُ الَّـــذِي * قَدْ حَوَى بَيْنَ الوَرَى أَعْلَى مَقَامْ

وقال الأديب السيد محمد بن الحاج :

بِـحَيِّـكُمُ يَـسْـمُـو الـنَّـزِيلُ وَيُـكْـرَمُ * وَفِي سِلْكِ أَهْلِ الفَضْلِ وَاللَّهِ يُنْظَمُ
وَمَنْ حَلَّ فِي أَرْضِ الكِرَامِ تَحَزَّبَتْ * عَـلَيْهِ الـمَعَالِي بَلْ غَدَتْ بِهِ تَعْظُمُ
وَلَـمْ أَنْـسَ لَـمَّا أَنْ وَفَيْتُ مُـحَمَّداً * هِـلاَلَ الوَرَى وَهْوَ الهُمَامُ الغَطَمْطَمُ
لَقَدْ أَسَّسَ الـمَجْدَ الأَصِيلَ جَلاَلَةً * فَـلُـقِّـبَ بِـالـسُّـوسِيِّ إِذْ هُـوَ أَكْـرَمُ

ولما نهضنا للخروج قلت :

يَـا دَارُ حَيَّاكِ الـحَيَا الـمِدْرَارُ * بِـسَـلاَمَةٍ مَـا دَامَـتِ الأَمْـطَارُ
وَرَعَى أَهَالِيكِ الَّذِينَ مَقَامُهُمْ * بَـيْنَ الأَنَـامِ لَهُمْ عَلاَ المِقْدَارُ

وقلت مادحا له :

فِـي أَهْـلِ مِـكْنَاسٍ فَـقِيهٌ قَدْ سَمَا * وَهْـوَ الـهِزَبْرُ مُـحَمَّدُ السُوسِي
حَازَ التُّقَى وَالفَضْلَ مِنْ بَيْنِ الوَرَى * لاَزَالَ مَـرْقَـاهُ عَـلَـى الـبِرْجِيسِ [1]

واستدعانا مرة ثانية لمحله، فدخلناه بسلام، وقلت فيه بعدما بالغ في الاعتذار مما قام به من الإحتفال والإحترام :

عَـلَـوْتُمْ بِـفَضْلٍ عَـلَى غَـيْرِكُمْ * وَتَـعْـتَذِرُونَ لِـنَـقْلِ الـقَـدَمْ
هَـلِ الـفَضْلُ بَيْنَ الأَنَامِ سِوَى * لَكُمْ فِي الحَدِيثِ يُرَى وَالقَدَمْ

وقلت:

يَـا أَهْـلَ مِـكْنَـاسَةَ الزَّيْتُونِ إِنَّـكُمُ * وَاللَّهِ بَيْـنَ الـوَرَى كَـالرُّوحِ لِلذَّاتِ
فِي الأُنْسِ لَسْتُ بِنَاسٍ حُسْنَ أُنْسِكُمُ * لِـمْ لاَ وَمِـنْ فَـضْلِكُمْ تَـحْظَى بِـلَذَّاتِ

ترجمة العلامة الصدر الحاج المختار بن عبد الله البخاري

وممن حظيت بالاجتماع به عنده حضرة شيخ الجماعة المكناسية، الفقيه العلامة السيد الحاج المختار بن عبد الله بن أحمد البخاري[2]، وقد أنسنا بلطفه، وعطر المجلس بعرفه، ومما قلته فيه ارتجالا :

---

(1) البرجيس هو كوكب المشتري، وفي الحديث ، سئل النبي صلى الله عليه وسلم عن الكواكب الخُنَّسِ فقال : هي البِرْجِيسُ وزُحَلُ وبَهْرَامُ وعُطارِدُ والزُّهَرَةُ

(2) المختار بن الباشا عبد الله بن احماد السوسي البخاري، فقيه مشارك، تولى الصدارة العظمى بعد وفاة قريبه الوزير احماد بن موسى، ثم عزل عنها بعد مدة قليلة، أخذ عن العلامة عبد القادر العراقي المتوفي بالإسكندرية في ربيع الأول عام 1288هـ ،والعلامة إبراهيم التادلي الرباطي، وفضول السوسي، وأحمد بن سودة، وغيرهم
توفي بمكناس في أواسط شهر شعبان الأبرك عام 1335هـ ـ مايو 1917م،ودفن بالزاوية الكنتية من حومة صدراتة. انظر ترجمته في إتحاف المطالع، لابن سودة 2 : 417، موسوعة أعلام المغرب 8 : 2898 . إتحاف أعلام الناس، بجمال أخبار حاضرة مكناس، لابن زيدان 4 :306 ـ 308

مِـكْنَـاسَـةٌ جَنَّـةُ الـدُّنْيَا وَبَـهْـجَتُهَا * لاَسِيَمَا مُذْ بِـهَا قَدْ حَلَّ مُـخْتَارُ
بَدْرٌ سَمَا فِي مَرَاقِي المَجْدِ مَنْزِلُهُ * وَفِـي الـبَـرَايَا لَـهُ قَدْ جَلَّ مِـقْدَارُ

وقلت أيضا في جماعة ذلك المجلس الرفيع :

يَـا سَـاعَـةً جَـادَ الزَّمَـانُ لَـنَـا بِـهَـا * يَـسْـمُـو لَـهَـا بَـيْـنَ الـوَرَى مِـقْـدَارُ
فِي مَجْلِسٍ يحْكِي السَّمَاءَ سُمُوُّهُ * لَـكِـنَّـهُ طَـلَـعَـتْ بِـــهِ أَقْـمَـارُ
أَعْظِمْ بِهِمْ مِنْ سَادَةٍ صَعَدُوا العَلاَ * بَـيْـنَ الأَنَـــامِ وَكُـلُّـهُمْ مُـخْـتَارُ
فَـاللَّهُ يَـحْـفَـظُـهُمْ وَيَـرْعَـى جَـمْـعَـهُمْ * بِـسَـعَـادَةٍ تُـنْـفَـى بِـهَـا الأَغْـيَـارُ

وأنشدنا من حفظه في البرابر البيت الأول من قول العلامة أبي مروان عبد الملك التاجموعتي :

هُـمُ الـبَـرَابِـرُ لاَ تَـرْجُـوا نَـوَالَـهُـمُ * وَسَلْ مِنَ اللَّهِ تَعْجِيلَ النَّوَى لَهُمُ
لاَ بَـلَّـغَ الـلَّـهُ قَـلْـباً مِـنْـهُمُ أَمَـلاً * وَبَلَّغَ اللَّهُ قَلْبِي مَا نَـوَى لَـهُمُ

فقلت له : إن التاجموعتي[1] ما قال هذين البيتين إلا تخفيفا لما نزل به، مما داخله من أبي علي

(1) عبد المالك بن محمد التجموعتي، قاضي سجلماسة توفي عام 1118هـ ـ 1706م، من مصنفاته : كتاب في العلم النبوي سماه : ملاك الطلب، في جواب أستاذ حلب، رد فيه على سؤال في هذا الموضوع وجهه إليه العلامة أبو العباس أحمد بن عبد الحي الحلبي، دفين فاس، ومن تصانيفه أيضا : خلع الأطمار البوسية، بدفع الأمطار السوسية، في نحو ثلاث كراريس، رد به على العلامة الشهير سيدي الحسن اليوسي، وذلك في نفس الموضوع المتعلق بسعة علم النبي ، وكان العلامة سيدي الحسن اليوسي يقول بأن النبي صلى الله عليه وسلم قد أحاط بالعلم الحادث، ويستدل على ذلك بنصوص صحيحة، بينما كان معاصره العلامة التجموعتي يخالفه في الرأي، وللفقيه عبد المالك التجموعتي شرح نفيس على رائية العارف بالله سيدي محمد بن ناصر الدرعي في قواعد الدين،
أنظر ترجمته في فهرس الفهارس، لعبد الحي الكتاني ص 255 رقم الترجمة 97، وفي الأعلام، للزركلي ج 4 ص 164 .

اليوسي،[1] الذي شهد بفضله الأعلام، ونشرت له كل علم الأعلام، وما كان من حقه أن يذم البربر، وبرهم شاع في البحر والبر، وإني لأقول في معارضته غير معرض بغيرهم، فهم الشجعان في أوطانهم، والفرسان في ميدانهم[2] :

هُــمُ الـبَـرَابِرُ لاَ تـذمـهُـمُ فَـهُـمُ * لَدَى النَّوَائِبِ لَمْ يَرْضُوا نَوَى لَهُمُ
هُمُ البَرَى بِرُّهُمْ قَدْ شَاعَ بَيْنَهُمُ * مَـعَ الـبُرُورِ بِـمَـنْ رَامُـوا نَـوَالَهُمُ

وقد اتسع ميدان المذاكرة في هذا الموضوع بما أفضى لقيل وقال، بعد الإتفاق على أن العرب من أجل النبي صلى الله عليه وسلم هم أهل الإجلال، مع أن الأفضلية ترجع للحكم الفصل من قول الله تعالى : إن أكرمكم عند الله أتقاكم،[3]

---

(1) العارف بربه العلامة سيدي الحسن بن مسعود بن محمد اليوسي، نسبة إلى أيت يوسي، قبيلة في عداد بربر ملوية، من أكابر علماء المغرب في عصره، فقيه، محدث، لغوي، أديب ، مؤرخ، صوفي فاضل، قال في حقه صاحب الرحلة العياشية.

من فاته الحسن البصري يدركه * فليصحب الحسن اليوسي يكفيه

له مؤلفات نفيسة منها : المحاضرات ، و ، قانون أحكام العلم، و ، زهر الأكم، في الأمثال والحكم، و، منح الملك الوهاب، فيما استشكله بعض الأصحاب من السنة والكتاب، و ، الكوكب الساطع، في شرح جمع الجوامع، والقصيدة الدالية وشرحها وقد سماه : نيل الأماني من شرح التهاني وغيرها،توفي عقب قفوله من الحج يوم الإثنين 15 ذي الحجة الحرام عام 1102 هـ 8 شتنبر 1691م، ودفن ببلدته تمزرنت بمزدغة.

أنظر ترجمته في شجرة النور الزكية، لمخلوف ص 328 رقم الترجمة 1284، النبوغ المغربي، لعبد الله كنون 1 : 285، فهرس الفهارس، لعبد الحي الكتاني ص 1154 رقم الترجمة 658، الأعلام، للزركلي 2 : 223 ، معجم المطبوعات، لإليان سركيس 1959، الفكر السامي، للحجوي 2 : 337 رقم الترجمة 754، جامع القرويين، لعبد الهادي التازي 3 : 795، موسوعة أعلام المغرب لحجي 5: 1801-1818.

(2) للعلامة سيدي أحمد سكيرج علاقات طيبة بالبربر، تتجلى في وفرة أصدقائه وأحبائه وتلامذته المنتسبين لهذا الجنس الكريم، ويطول بي الأمر لو أردت إحصاء بعضا من هؤلاء المذكورين، ولا ننسى في الصدد نفسه ما كان يكنه له أصدقائه من أهل منطقة سوس من محبة ومودة كبيرة، ولعل أبرز شاهد على هذه المحبة رحلته السوسية العجيبة، التي سماها : تاج الرؤوس، بالتفسح في نواحي سوس، وقد لاقى بها إقبالا عظيما، واجتمع هناك بعشرات العلماء والأدباء والأخيار.

(3) سورة الحجرات، الآية 13

ترجمة العلامة سيدي الغالي بن المكي السنتيسي المكناسي

واجتمعنا في روضه أيضا ببهجة الكتاب، المتحلي بمحاسن الآداب، أبو بكر السيد الغالي بن المكي السنتيسي المكناسي[1]، فقرت العيون بحضوره، وكانت بيننا وبينه مودة وألفة أيام إقامته بفاس، يجمعنا مجلس عم الحضرة الشريفة، ذي السريرة المطهرة، والهمة العالية، الأديب الأوحد، أبي فارس مولاي عبد العزيز ابن السلطان المقدس مولاي محمد، وكانت الرابطة قوية في اتصال حبل الحب بين الجميع في سلوك الطريقة الأحمدية التجانية، وجرت بيني وبينه مكاتبات، بقي منها بخط يده تحت يدي رسالتان، ننقلهما هنا حفظا لإنشائه،

نص الأولى : الحمد لله وحده، والصلاة والسلام الأتمان الأطيبان على سيدنا ونبينا ومولانا محمد وآله وصحبه الطيبين الأكرمين، السيادة التي أزرت بسائر المحاسن محاسنها، وأمدت بفنون

---

(1) الغالي بن المكي السنتيسي المكناسي. فقيه أديب شاعر كاتب مدرس. من مواليد مدينة مكناس. وبها نشأ وشب. فأخذ عن ثلة من فقهائها. كالمفضل السوسي. والمفضل ابن عزوز. ثم انتقل لاستتمام دراسته بالعاصمة العلمية (فاس) فتتلمذ بها لجماعة من كبارعلماء القرويين. كمحمد بن المدني كنون. ومحمد بن التهامي الوزاني وآخرين.

عمل كاتبا في بلاط السلطان المولى الحسن الأول. وهو نفس العمل الذي زاوله إبان عهد السلطانين المولى عبد العزيز وأخيه المولى عبد الحفيظ. قبل أن يتم تعيينه ناظرا على الأحباس الصغرى بمدينة مكناس.

له مؤلفات كثيرة منها : حاشية على الرسموكي شارح الجمل. وشرح لقصيدة كفاية المحتاج في مدح صاحب اللواء والتاج، للمؤرخ الأديب عبد الرحمان بن زيدان، في جزءين، وتأليف في إعراب (أما بعد) وقصائد عشرينيات، رتبها على الحروف الأبجدية، ودرة التاج وعجالة المحتاج.وهي قصيدة في فقه الطريقة التجانية قال في مطلعها :

حمدا لمن أوضح ذي الطريقة * أعني التجانية للخليقة

وجعل الأخذ لها عباده * إن صدق المريد في الإرادة

وكان العلامة سيدي أحمد سكيرج كثير بهذا الرجل، وقد أقدم على شرح نظمه الموسوم بدرة التاج، وذلك بكتابه المسمى نور السراج في شرح إضاءة الداج، وقال في مطلع هذا التأليف منوها به :

بَدْرُ الدَّيَاجِي الَّذِي بَيْنَ الأَنَامِ يُرَى * قَدْ حَازَ كُلَّ مَقَامٍ فِي العَلاَ عَالِي

أَعْنِي الَّذِي قَدْ عَنَتْ كُلُّ الأُسُودِ لَهُ * مَنْ لَمْ يَزَلْ كَاسْمِهِ بَيْنَ الوَرَى غَالِي

ولصاحب الترجمة أبيات نقشت في مقابل ضريح مولانا الشيخ أبي العباس التجاني رضي الله تعالى عنه، ونصها

هذا المزار فخذ للقلب مثواه * وابشر بنيلك ما ترجو وتهواه

وابسط يمينك والأخرى قبالة من * مقامه منزل المختار مأواه

ذاك التجاني أبو العباس سيدنا * ملاذنا أحمد بشرى بلقياه

ختم الولاية سر الحق مظهره * بحر المعارف حقا ربٍّ رضاه

رد ورده وتضمخ من عواطره * واملأ بفاتحة وقتا ليَرْضاه

توفي بمسقط رأسه المذكور ليلة الاثنين 17 شعبان 1338هـ - 6 ماي 1920م. ودفن بالزاوية الكنتية من حومة صدراته. أنظر ترجمته في إتحاف أعلام الناس بجمال أخبار حاضرة مكناس 5 : 508.

الكمالات زهر الرياض أفانينها، والمجادة التي سايرت أسعد الكواكب، وسبقت الجوزاء بمديد المناكب، عالم العلماء، وأديب الأدباء، أحد أعلام هذه الطريقة الغراء، الدالة بالمطابقة على معالم السراء، الفقيه النزيه، الألمعي النبيه، أبي العباس سيدي أحمد بن سيدي الحاج العياشي سكيرج، الذي هو لأسرار هذه الطريقة الأحمدية التجانية صهريج :

أَعَـزُّ سَـلاَمٍ طَـيِّبِ الـنَّشْرِ أَذْكَـاهُ * أَغَـرُّ أَخَـصُّ أَبْـرَكُ ثُـمَّ أَزْكَـاهُ
حَـرِيٌّ بِـذَاكَ الـبَدْرِ بَـدْرِ سَعَـادَةٍ * حَقِيقٌ بِمَنْ فِي حَضْرَةِ الحَمْدِ بُغْيَاهُ
يُـقَـبِّلُ عَـنِّـي إِذْ يَـعُـزُّ وِصَـالُـهُ * يَمِينَهُ ذَاتَ الـيُمْنِ حَـقّاً وَيُسْرَاهُ
وَيَسْكُبُ مُزْنَ الشَّوْقِ تَجْرِي جَدَاوِلاً * تَـكُونُ لِقَلْبِ الـصَّبِّ رَيّـاً وَسُقْيَاهُ
تَـحِيَّةُ خِـلٍّ خَالِصِ الـحُبِّ وَامِـقٍ * بِـأَمْـكَـنِ عَـهْـدٍ وَاثِـقٍ يَـتَـرَجَّاهُ
سَـلاَمـاً كَمِسْكٍ أَظْفَـرٍ عَـمَّ عَرْفُـهُ * يَـضُـوعُ كَـوَصْلِ الـخِـلِّ إِذْ يَـتَمَنَّاهُ
يُـوَالِـي حَبِيباً مَـا تَـوَلَّى مُـؤَيَّداً * بِنَصْرٍ وَعِـزٍّ مَـنْ بِـهِ قَـدْ تَـوَلاَّهُ

أما بعد : فقد وافى بل وفى كتابك، وحل بل حلا خطابك، وغنت بل أغنت ألفاظك، ورنت بل رنحت ألحاظك، وسرت بل سرت معانيك، وأطرت بل أطربت مغانيك، منبئة عما انطويتم عليه من صميم الوداد والصفاء، وانطبقتم عليه من قواعد الخلة والإخاء، ولهجتهم به من تمني اجتماع الشمل بعد الفراق، والتحرق والتشوق إلى الظفر بضالة اللقاء، معترفا بحلول جزء السيرة الحلبية[1]، براحتكم ذات الجمل الإنشائية العلمية.

لِـلَّـهِ رَاحَــةُ حَـبْـرٍ كُـلُّـهَا دُرَرٌ * أَنْبَـاؤُهَا فِـي المَعَالِي كُلُّهَا عِبَرُ
كَانَتْ لِـسُبْلِ الـهُدَى مَعُونَةً وَيَداً * وَلِـلتِّجَانِيَةِ الـسَّمْحَاءِ تَـنْتَـصِرُ
أَبْدَتْ تَآلِيفَ فِي فِقْهِ الطَّرِيقِ وَفِي * طِــبٍّ[2] وَضَبْطِ رِجَـالٍ يَـا لَـهُ أَثَـرُ

---

(1) السيرة الحلبية : تسمى أيضا إنسان العيون، في سيرة الأمين المأمون، لمؤلفها العلامة علي بن برهان الدين الحلبي، نسبة لمدينة حلب السورية، من الكتب المشهورة في السيرة النبوية، جمعها من كتاب عيون الأثر، لابن سيد الناس، وذكر أنه أحسن ما ألف في السيرة

(2) إشارة لبعض مؤلفات العلامة سيدي أحمد سكيرج، التي هي ذات صلة بالطب والحكمة وأسرار الحروف، كنيل الأماني، في الطب الروحاني والجثماني، المروي عن الشيخ التجاني. وكفاية العاني، بالطب التجاني. والبدر المنير، في الطب التجاني المرفوع لمولانا الكبير، إلى غير ذلك من مؤلفات آخرى

بـنـانُـهَـا آلَـــةٌ لِـلـرُّشْـدِ يَـعْـرِفُـهَـا * مَـنْ كَـانَ فِـي طَـرَفِ الهُدَى لَهُ خَبَرُ

ملتمسا منا بعض ما يلائم بصدد جمعه من التآليف الذي عنونتموه في الطريقة بكشف الحجاب،[1] وألممتم فيه من تراجم أولئك الكلمة بما بينتموه من أعداد ذلك الباب، وقد كشف لكم الفحصي عما أومأتم إليه مما يناسب تلك التراجم، ناسبا كل فائدة لمفيدها الذي قبلتم عليها منه البراجم، واضطربتم في اسم أو لقب الصاحب المرسوم في الجواهر، ورفعتم ذلك إلينا لنفيدكم فيه تحقيقا كشمس الهواجر، وأن ننبئكم بتحقيق من أخذ عن سـيدنا رضي الله عنه مبـاشرة من آل مكناس

---

(1) كشف الحجاب، عمن تلاقى مع الشيخ التجاني من الأصحاب، لمؤلفه العلامة سيدي أحمد سكيرج، طبع بالمطبعة الحجرية بفاس للمرة الأولى في أواسط جمادى الثانية عام 1325هـ في 498 صفحة، ثم طبع للمرة الثانية بتصحيح العلامة سيدي الحاج عبد الكريم بنيس بالمطبعة الحجرية بفاس عام 1340هـ في 489 صفحة، ثم طبع للمرة الثالثة بتصحيح الشيخ محمد الحافظ المصري في ليلة الجمعة 1 ذي القعدة الحرام عام 1381هـ موافق 7 أبريل سنة 1962م، بالقاهرة في 560 صفحة.

وللعلامة النقيب سيدي عبد الرحمان بن زيدان تقريظ على طبعته الأولى، افتتحه بقوله :

أروض أريض زاهر طيّب النشر * على غصنه المياس قد غرد القمري
و هل هذه سلمى أماطت خمارها * و راحت تجر الذيل في حلل الفخر
معدلة الأعطاف تقصر دونها * أشعة أنوار الغزالة و البدر

إلى أن قال فيه :

بلى إن ذا كشف الحجاب بدا لنا * و أبدى ذوي العرفان والفضل و الخير
كتاب عديم المثل وتر ببابه * غـدا غرة و الله في جبهة الدهر
كتاب بديع الشكل عز نظيره * أعز من العقيان عند ذوي الذخر
كتاب حوى و الله كل يتيمة * فدونكه فهو الحلال من السحر
كتاب نظيم من لآل نفيسة * بسلك نضار قد ترصع بالدر

أما الطبعة الأولى فقد طبعت على الحجر بفاس، في 498 صفحة، وذكر المؤلف في كتابه حديقة أنسي في التعريف بنفسي أن الشريف سيدي محمد العبدلاوي أطلع والده العارف بالله سيدي أحمد العبدلاوي على نسخة من هذا الكتاب، فاستحسنه غاية الإستحسان، وبشره ببشارات كبرى وقال له :

احمد الله على ما أنعم به عليك، وإنك والله خليفة عن الشيخ رضي الله عنه، ونائب عنه فيما أكرمك الله به، وإنك لخارج عن دائرة علماء القرويين، فإني لا أقول بهم لجمودهم على الظاهر، ونظرهم لغيرهم بعين الإزدراء، وعدم تسليمهم للأولياء، ثم قال لي : إن كتابك هذا له شأن، وهو مقبول مقبول، وإن كان فيه شيء مما لا بأس به في صنعة التأليف، قال العلامة سيدي أحمد سكيرج : فحمدت الله على هذه البشارة.

وعموما فهذا الكتاب هو من أهم تآليفه وأشهرها على الإطلاق، ترجم فيه لحوالي 200 من أصحاب الشيخ أبي العباس التجاني رضي الله تعالى عنه، المعاصرين له والآخذين عنه، وتقع الطبعة الثالثة منه في 560 صفحة

كسيدنا المقدم الكبير، المرحوم الخليفة سيدي بلقاسم بصري،[1] ومن نسقته من أولئك الأناس، مع ما حل بنا من رسائل مولانا الشيخ لآل الحضرتين زرهون ومكناس، والعدوتين سلا والرباط، ومثوبتنا على ذلك توجه همته رضي الله عنه وأرضاه لنا بما نحب :

أَنْتَ مُسْتَسْمِنٌ وَحَقِّكَ مِنِّي * فِـيهِ ذَا وَرَمٍ وَغَـيْرَ سَمِينِ
مَا تَمَسَّكْتَ فِي أَخِيكَ كَهَذَا * إِلاَّ مِـثْلَ تَـمَسُّـكٍ بِـالـمَعِينِ
نِـعْمَ مَا قَدْ طَلَبْتَ فِيهِ مُعِيناً * لَـوْ ظَفِرْت مِنْ غَيْرِنَا بِمُعِينِ
غَـيْرَ أَنَّ صَـفَا الطَّوِيَّةِ يَقْضِي * لَكَ حَتْماً بِذَا المُفِيدِ المَكِينِ

وأما أنا يا أخي فلست من رجال ذلك المجال، ولا ممن أصمه حب الطريقة عن غيرها حتى رسخت قدمه مثلكم في ذلك المنال، سيما وأنتم أدرى بما نحن فيه غرقى من بحار الذنوب والأهواء، التي تقذف أمثالنا لولا عناية مولانا الشيخ إلى ساحل الأسواء، ولقد غركم أخي منا ما نعهده مما لمحته فينا من صورة الرسوخ في الطريق، والتحلي بفضائلها ومذاكرة أهلها فيما لها من الشرف الحقيق.

فوالله إنما هي شنشنة لسانية، وتزويقات نفسانية، وتمشدقات تسويلية، وتزيينات بالحق تعليلية، يحقق لك ذلك ويحرره، ويخرجه إلى فضاء الوضوح ويسطره، أننا لسنا حتى على أقل ما ينبغي لأهل الطريقة الغراء، أن يكونوا قائمين به من إخلاص الوجهة لمولاهم في السراء والضراء، بحيث لولا

---

(1) المقدم العارف بربه ، سيدي أبو عبد الله محمد بن بلقاسم بن الطيب بن الصغير بن مسعود المكنى بأبي سرحان بن محمد بن عبد الرحمان بن عبد الله بن عمر بن عبد الرحمان بن عمران الولهاجي، عرف ببصري المكناسي، من مواليد مكناس في 3 ذي الحجة عام 1202 هـ ـ شتنبر 1788م، و كان سابع ولادته يوم عيد الأضحى المبارك

توفي رحمه الله يوم الإثنين 22 ذي الحجة الحرام عام 1293 هـ ــ 7 يناير 1877م،و عمره حينئذ 91 سنة ، و من مناقبه أن الشيخ أبا العباس التجاني رضي الله عنه لم ينادي أحدا باسم المقدم إلا له ، و ثبت عنه أنه غطاه بردائه مرة ، و قال له : قبلناك على أي حالة كنت .

و من المعلوم أن المقدم سيدي محمد بلقاسم بصري قد أخذ ورد الطريقة الأحمدية التجانية مباشرة عن الشيخ أبي العباس التجاني رضي الله عنه ، أما الإجازة فيها فقد حصلت له على يد المقدم الحاج الغازي المطيري عام 1244 هـ ، و الثابت عندنا أن سيدي الحاج الغازي المطيري واحد من الأربعة الذين قدمهم العارف بالله سيدي محمد الغالي أبو طالب .

أنظرترجمته في فتح الملك العلام، للفقيه الحجوجي، بتحقيقنا عليه رقم الترجمة......... و في روض شمائل أهل الحقيقة، لأحمد بن محم العلوي، رقم الترجمة 13 .

غطاء مولانا الشيخ على أعمالنا، ونياتنا وأحوالنا، لافتضحنا بين الإخوان، بل بين سائر أهل الإيمان، فأنى يكون لمثلي في هذا المقام قدم، ولا يعتريه في العقبى على ما هو بصدده ندم.

حُسْنُ ظَنِّكَ فِي أَخِيكَ مُبِينُ * لَكَ فِيهِ مَا لَيْسَ قَطْ يَسْتَبِينُ
كَصَقِيلِ المِرْءَاةِ تُبْصِرُ فِيهَا * صُورَةَ الشَّخْصِ مَا لَهَا تَكْوِينُ

على أن ما كنا أطلعنا أخوتكم من كناشنا المشتمل على رسائل وتغييرات وأجوبة لخاصة أصحاب سيدنا الشيخ، بل لخلفائه كمولانا العربي بن السايح، والفقيه العلامة سيدي محمد أكنسوس[1]

---

(1) العلامة سيدي محمد بن أحمد أكنسوس، أحد مشاهير رجالات الطريقة التجانية في عصره، ولد بسوس عام 1211هـ ـ 1796م، وهو آخر وزراء السلطان أبي الربيع مولانا سليمان، له مؤلفات كثيرة منها: الجيش العرمرم الخماسي في دولة أولاد مولانا علي السجلماسي، والجواب المسكت في الرد على من تكلم في طريقة الإمام التجاني بلا تثبت، والحلل الزنجفورية في الجواب عن الأسئلة الطيفورية، إلى غير ذلك من مؤلفات كثيرة أخرى. توفي بمراكش بتاريخ ليلة الثلاثاء 28 محرم عام 1294 هـ، 12 فبراير 1877م، ودفن خارج باب الرب، قرب ضريح الشيخ أبي القاسم السهيلي،

أنظر ترجمته في الإستقصا لأخبار المغرب الأقصى 9: 161. الإعلام بمن حل مراكش وأغمات من الأعلام 7: 8 -17 رقم 852. إتحاف المطالع (موسوعة أعلام المغرب) 7: 2656. الأعلام للزركلي 6: 19. آداب اللغة العربية 2: 21-22. إيضاح المكنون 1: 418. بروكلمان 2: 884- 885. رسائل معلمة معالم سوس، سيدي محمد بن أحمد أكنسوس، للعبد المذنب محمد الراضي كنون. الجيش العرمرم الخماسي في دولة أولاد مولانا علي السجلماسي، للعلامة أكنسوس، تحقيق حفيده العلامة أحمد الكنسوسي. تاريخ الشعر والشعراء بفاس، للنميشي 36. تاريخ المكتبة الإسلامية ومن ألف في الكتب، للعلامة عبد الحي الكتاني 89. الحياة الأدبية في المغرب على عهد الدولة العلوية، لمحمد الأخضر 431- 444. حديقة الأزهار في ذكر معتمدي من الأخيار، لمحمد بن المعطي السرغيني (مخطوط خاص) دليل مؤرخ المغرب الأقصى 1: 38- 145 165-205 -207- 260 و2: 379 - 391- 427- 454- 272. ذكريات مشاهير رجال المغرب، لعبد الله كنون، العدد الرابع. رسائل العلامة القاضي أحمد سكيرج، للعبد المذنب محمد الراضي كنون 1: 202. روض شمائل أهل الحقيقة في التعريف بأكابر أهل الطريقة، لابن محم العلوي الشنقيطي رقم الترجمة 25. رجالات العلم العربي في سوس 207. رفع النقاب بعد كشف الحجاب، للعلامة سكيرج 2: 111- 139. السعادة الأبدية في التعريف بمشاهير الحضرة المراكشية، لابن الموقت 2: 417- 418 رقم الترجمة 304 . شجرة النور الزكية في طبقات المالكية 1: 577 رقم رقم 1630، كشف الحجاب عمن تلاقى مع الشيخ التجاني من الأصحاب، للعلامة سكيرج 328-334. فتح الملك العلام بتراجم بعض علماء الطريقة التجانية الأعلام، للعلامة الحجوجي رقم الترجمة 43 . فواصل الجمان في أنباء وزراء وكتاب الزمان 7: 40. فهرس المخطوطات العربية 2: 75، الكتابة والكتاب، للرندي 25، معلمة المغرب2: 632 -634. معجم المؤلفين 8: 310. معجم المطبوعات المغربية، للقيطوني 23 رقم الترجمة 38. المعسول 11: 276 و 14 : 29. مؤرخو الشرفاء، لبروفنسال 200- 213. مجلة المجمع العلمي العربي 12: 384. نخبة الإتحاف، فيمن منحوا من الشيخ التجاني بجميل الأوصاف، للعلامة الحجوجي، رقم الترجمة 333. النبوغ المغربي في الأدب العربي لعبد الله كنون 1: 317. هدية العارفين للبغدادي 2: 38.

وأشباههما، هو الذي حصلنا من ذلك في مدة أخذنا، لكون البضاعة فيها مزجاة، والحاجة فيها غير مستوفاة، فإن كان لك به حاجة فسيرد عليك بحول الله مع من نوجهه لفاس كالمرة الأخرى إن شاء الله تعالى،

نعم وقفت على جواب عن مسألة [فإن الهموم بقدر الهمم[1]] في منسوب لسيدنا خليفة شيخنا البدر الأول[2] من البدرين المذكورين أعلاه[3]، والغالب أنه منقول من خطه أو بواسطة الغير، وفيها بعض بياض لم ندر ما كتب فيه، وها نسخة منه تصلك يمنته لتطالعها إن لم تكن عندكم، وتلحقها بترجمته إن ترجمت له، وإن كانت عندك فاكتب في البياض المذكور ما هو فيه، وردها لنا

وأما من يكاتبهم سيدنا رضي الله عنه فلم نقف الآن منهم على أحد عدا سيدنا المقدم الكبير سيدي بلقاسم بصري رحمه الله، بل كان تلاقى بسيدنا رضي الله عنه وقت وروده لمكناس، وأخذ عنه مشافهة، وصافحت يده يده المباركة، وقد صافحنا ولله الحمد يد المقدم المذكور، وإن لم نأخذ عنه لصغرنا إذ ذاك، فالحديث مسلسل بالمصافحة، وأعلا سند وقع لنا في الأخذ سند ثلاثي،

---

(1) هو الشطر الأخير من بيتين للشاعر الشهير الوزير إسماعيل بن عباد بن العباس الطالقاني، المعروف بالصاحب بن عباد، وقد أقدم على تشطير هذين البيتين كثير من الشعراء، و من ذلك قول الشاعر راضي بن صالح الحسيني القزويني في تشطيرها :

و قـائلة لـم عـرتك الـهموم * و يجلى بك الهم مهما ادلهم
و أمـرك ممتثل في الورى * و نـهيك مـزدجر فـي الأمم
فـقلت ذريني على غصتي * فـمثلي عـلى مثلها لـم يـلم
و لا تـنكري هم ذي همة * فـإن الـهموم بـقدر الـهمم

(2) المرد بهذ القول رسالة توجيهية للعلامة الولي الصالح سيدي محمد العربي بن السائح رضي الله عنه، تدور حول قول الشاعر[فإن الهموم بقدر الهمم] وقد ساق العلامة سيدي أحمد سكيرج هذه الرسالة ضمن كتابه كشف الحجاب، فلينظرها به من أراد، وتقع هذه الرسالة في صفحتين من الحجم المتوسط، افتتحها رضي الله عنه بقوله :

الحمد لله والصلاة والسلام على مولانا محمد رسول الله وآله الأكرمين. وصحبه الطيبين. بعد السلام التام وتاليه عليك أيها الأخ الصادق. الأديب الفائق. قد ذكرت لنا أنه جرى في مذاكرة بعض السادة الجلة. التاركين سفساف الأمور ترك الظبي ظله. ذكر قولهم في المثل (إن الهموم بقدر الهمم). فجنح بعض من حضر إلى أنه لا يحسن التمثل به عند أهل المعرفة الكاملة ولا يعتبر. وكأنه وفقنا الله وإياه رأى أن الكامل لا هم له لكمال تفويضه واستسلامه. وفنائه عن مراداته لمراد الحق وأحكامه. وهو وإن كان كذلك، وفوق ذلك، فإنه يحسن منه التمثل به أكثر من غيره ممن لم يخض تلك المسالك.

(3) يعني بهما العلامة سيدي محمد العربي بن السائح، والعلامة المؤرخ سيدي محمد بن أحمد أكنسوس

وهو عن المقدم سيدي بلقاسم الموجود الآن،[1] عن والده سميه المذكور رحمه الله، عن سيدنا ومولانا الشيخ رضي الله عنه.

هذا وقد أخبرت أن بعض الفقراء هنا قيد لك تاريخ وفاة المقدم المرحوم بمنة الله، ووجه لك به، وبعد : فكلما بيدنا من ذلك نقيده ونبعث لك به إن شاء الله لتلحقه بمحله، كما نعهد إليك أن تتحفنا بنسخ من مؤلفاتك في الطريق، والله في عون العبد ما كان في عون أخيه، والسلام منا على جملة الإخوان الكرام عامتهم وخاصتهم، كالفقيهين الجليلين العلامة الأبر شيخنا سيدي الحاج محمد

---

(1) العلامة سيدي محمد بن العارف بربه العلامة سيدي محمد بلقاسم بصري المكناسي، مقدم الزاوية التجانية بحي قبة السوق من مدينة مكناس. من مواليد المدينة ذاتها ليلة الأحد 23 جمادى الأولى عام 1253هـ ـ غشت 1837م، قال عنه العلامة سكيرج في كتابه غاية المقصود، بالرحلة مع سيدي محمود : ومنهم الفقيه الجليل، الخطيب النبيل، ذو السمت الحسن، والخلق المستحسن، والأدب الرائق، والتواضع الفائق، أبو عبد الله سيدي محمد بن المقدم الأجل، سيدي بلقاسم بصري المكناسي، التجاني طريقة، ووراثة أبوية، عن أبيه عن جده، وهو ممن ولعوا بالبحث عن المعارف، واقتناء اللطائف، يتواضع لمن هو أصغر سنا، وينظر لمن دونه بعين التعظيم ليظفر بالمقام الأسنى.

وقال في حقه العلامة سيدي محمد الحجوجي في الجزء السابع من كتابه إتحاف أهل المراتب العرفانية : كان رحمه الله من أهل الفضل والدين، السائرين بسير الهداة المهتدين. أخذ العلم عن جماعة من الأشياخ، منهم الفقيه العلامة سيدي محمد بن الحاج أغربي، والعلامة سيدي المهدي بصري، والعلامة سيدي العباس بن كيران، وقاضي الجماعة سيدي أحمد بن سودة، والعلامة سيدي مبارك الفلالي، والعلامة سيدي المكي الجنان، والعلامة سيدي الحاج مُحمد جنون، والعلامة سيدي قاسم القادري، والعلامة سيدي الحاج محمد التازي، والعلامة سيدي أحمد بناني كلا. وقرأ من العلوم والعقائد والحديث والسير والفقه والفرائض والتصوف والنحو والوضع والعروض والأصول والحساب. وأذنه في التقديم والده سيدي محمد بصري، وذلك حسبما وقفت عليه بخط يده في كناشه. وذلك عام 1292هـ ـ 1875م، وقال ما قدمته إلا بإذن، وكذلك أجازه في التقديم مولانا السيد قدس سره

وله حس أدبي ومشاركة في مجال القريض، ومن ذلك قوله في مطلع قصيدة قالها في مدح الشريف سيدي محمود التجاني

لي في الهوى خل كغصن البان * يسبي العقول بجسمه الفتان
ومنحته نفسي عساه يجود لي * بوصاله في الناس طول زمان
فثنى إلي عنانه ورمى إل * ي سهامه فغدوت كالسكران

إلى أن قال في ضمنها :

محمود سعي من سما مقداره * وحوى مقاما لم يصله ثان
متفردا بجلاله بين الورى * بوارثة من جده العدنان
ما الفخر إلا ما حواه لأنه * بدر به قد ضاء كل مكان
فتهابه أسد الوغى بين الورى * مهما بدا في حومة الميدان
تعنو له الرؤسا لما قد ناله * من سره الساري إلى الأكوان
فاقصده كي تحظى بنيل سعادة * ومتى تراه تنال كل أمان

توفي في الساعة التاسعة من ليلة الخميس 29 محرم الحرام عام 1336 هـ ـ 14 نونبر 1917م

جنون،[1] والعلامة سيدي عبد الكريم بن العربي بنيس، والبركة سيدي أحمد بن محمد العبدلاوي

---

(1) العلامة سيدي محمد (فتحا) بن محمد بن عبد السلام كنون من مواليد مدينة فاس عام 1270هـ، وبها حفظ القرآن الكريم في سن مبكرة، ثم أخذ العلم عن جماعة من خيرة الفقهاء، كسيدي أحمد بناني كلا، وسيدي أحمد العلمي السريفي، وابن عمه العلامة سيدي محمد التهامي كنون، والفقيه سيدي محمد بن العباس العراقي وهو عمدته، وغيرهم،

وتقلد بعهد الطريقة الأحمدية التجانية على يد أكابر أعلامها، في مقدمتهم: الولي الصالح العلامة سيدي محمد العربي بن السائح، والعلامة البركة سيدي أحمد محمود، دفين البحيرة بقبيلة الرحامنة، والعلامة الفقيه سيدي أحمد بناني كلا، وآخرون غيرهم

وله مصنفات كثيرة في مختلف العلوم والفنون، وقد ذكرت منها 46 مصنفا عند تحقيقي لكتابه : الصواعق المرسلة إلى من أنكر الجهر في الفريضة بالبسملة .

وفي حقه قال العلامة سيدي محمد الحجوي : كانت العلوم اندرست أو ضعفت فأحياها، ونفخ روحا جديدة في طلابها ، فابتهج محياها، درس علم التجويد بعدما درس، وأحيا قراءة التلخيص بمطول السعد بعدما بعد عهد هذه الديار، بتهاطل تلك الأمطار، وذلك كله عطل بموته، وأحيا قراءة التفسير بالبيضاوي، لكن القاصرين لم يرق ذلك في أعينهم، فزعموا أنه يتسبب عنه موت السلطان، فشغلوه بولاية قضاء آسفي، ويا آسفي على العلم قضى عليه الحسد، وأذهب الروح وترك الجسد، لكن لم يلبث إلا نحو سنة، ثم استعفى فأعفى، مشوقا إلى ما تعود من نشر العلم، طاهر الذيل، قائما بحقوق العدل، فرجع لدروسه، تاركا التفسير في دروسه، إلخ ...

وتوفي رحمه الله بعد عصر يوم الجمعة 28 شعبان الأبرك عام 1326هـ ــ 24 شتنبر 1908م، وصلي عليه بعد صلاة المغرب بالزاوية التجانية الكبرى بفاس، ودفن بفاس بضريح الولي الصالح أبي غالب، عن يسار الداخل للقبه، وقبره متصل برجل الولي المذكور، ورثي بقصائد كثيرة منها مرثية للعلامة سكيرج قال في مطلعها :

رزء أصيب به الطلاب للدين * بموت عالمنا ذي الفتح كنون
لقد فجعنا به عن بغتة دهمت * أهل النهى فغدوا مثل المجانين

إلى أن قال :

يا قوم من بعد كنون يمد يدا * إلي تنقذني من مورط الهون
قد كان خير ولي ولي كرامته * بدت وقد طار صيته إلى الصين
فيا ترى هل نرى من بعده كفؤا * له يشابهه في الحزم في الدين

أنظر ترجمته في قدم الرسوخ للعلامة أحمد سكيرج رقم الترجمة 8 .وفي إتحاف أهل المراتب العرفانية، للفقيه الحجوجي ج 7 ص 1- 39. نيل المراد، لنفس العلامة ج 1 ص 46. فتح الملك العلام، لنفس العلامة بتحقيقنا عليه رقم الترجمة 125 . وفي معجم المطبوعات لسركيس 717 . وفي الأعلام للزركلي ج 7 ص 77 . وفي معجم الشيوخ لعبد الحفيظ الفاسي ج 1 ص 44-46 رقم 13 .دليل مؤرخ المغرب الأقصى لابن سودة 1 : 143 إتحاف المطالع، لابن سودة أيضا 1 : 378 . موسوعة أعلام المغرب 8 : 2853 . معلمة المغرب 20 : 6833. نخبة الإتحاف فيمن منحوا من الشيخ التجاني بجميل الأوصاف للعلامة الحجوجي رقم الترجمة 163 . نسمات القرب والإفضال المبعوثة لسيدي أحمد بن الحسن من فضل الكبير المتعال، للعلامة الحجوجي أيضا 52 . الجواهر الغالية في الجواب عن الأسئلة الكرزازية، للعلامة ادريس العراقي 32 .اليواقيت العرفانية في التعريف بالشيخ أحمد التجاني وبطريقته وزاويته الأم التجانية، للمؤلف نفسه 92 - 94 .الجواهر الغالية المهداة لذوي الهمم العالية، للعلامة أحمد سكيرج 50.

وولده[1]، وسيدي الطيب السفياني[2] وسيدنا الشريف الفقيه مولاي عبد العزيز عم مولانا الإمام، أيده الله في كل محفل ومقام، وعلى الأخ سيدنا محمد بن عبد الله، والشريف مولاي الهادي، وغيرهم من الإخوان، والسلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته، في 15 رجب عام 1324هـ

محمد الغالي التجاني السنتيسي المكناسي، وفقه الله،

---

(1) الفقيه سيدي محمد بن العارف بالله سيدي أحمد بن محمد بن قويدر العبدلاوي، ولد بقرية بعين ماضي عام 1265 هـ ـ 1849م، وتربى في دار الشيخ رضي الله عنه بالقرية المذكورة، وهو رضيع حفيده مولانا البشير بن سيدي محمد الحبيب رضي الله عنهما، حفظ رحمه الله القرآن الكريم بعين ماضي على الفقيه سيدي الحاج الحشاني الزيدي النعمي، والفقيه الحاج مبارك الفيلالي، وأتم حفظه وتجويده على الفقيه الشيخ ابن عاشور الجزائري. ولما استوطن مع والده بفاس تعاطى بها لطلب العلم، فقرأ عن عدة شيوخ منهم القاضي مولاي محمد العلوي، والعلامة ابن عبد الواحد بن سودة، والقاضي سيدي الهادي الصقلي وغيرهم،

وأخذ رحمه الله الطريقة التجانية عن والده المقدم الشهير سيدي أحمد العبدلاوي سنة 1288 هـ ـ 1871م، ثم كتب له الإجازة فيها عام 1305 هـ ـ 1888م، وكانت وفاته بمدينة صفرو في ليلة الأربعاء 3 شعبان الأبرك عام 1349 هـ ـ 30 دجنبر 1930م، ونقل جثمانه الكريم لمدينة فاس حيث دفن بجانب قبر والده بروضة سيدي الطيب السفياني بباب عجيسة.

أنظر ترجمته في رياض السلوان فيمن اجتمعت بهم من الأعيان، للعلامة سكيرج ص 131.

(2) سيدي الطيب بن أحمد بن الطيب الودغيري السفياني، أحد كبار مقدمي الطريقة التجانية بالزاوية الكبرى بمدينة فاس. وهو حفيد الفقيه البركة سيدي الطيب السفياني مؤلف كتاب الإفادة الأحمدية لمريد السعادة الأبدية.

وهو من مواليد مدينة فاس عام 1262هـ. وبها نشأ في بيئة دينية فاضلة. فما إن أتم الثامنة عشر من عمره حتى تمسك بورد الطريقة التجانية إسوة بوالده وجده، اللذان يعدان من خيرة أعلام الطريقة المذكورة. وكان والده أحمد السفياني هو أول من لقنه أوراد هذه الطريقة. وذلك في خضم سنة 1280هـ. ثم أجازه فيها بعد ذلك جماعة من الأفاضل، في مقدمتهم الشريف البركة سيدي محمد البشير التجاني. وسيدي أحمد العبدلاوي. وعلال بن عبد الله الفاسي. والحسين الإفراني وآخرون.

توفي بعد زوال يوم الأربعاء 26 ذي القعدة الحرام عام 1357هـ- 17 يناير 1939م. وصلي عليه بعد صلاة العصر بالزاوية التجانية الكبرى بفاس. ودفن خارج باب عجيسة بجانب قبري والده وجده. وقد رثاه تلميذه العلامة سيدي أحمد سكيرج بقصيدة افتتحها بقوله :

أأحباب قلبي هل تعيرون لي صبرا * على حمل ما في اليوم ضقت به صدرا
فقد فقدت نفسي اصطبارا عهدته * لديها إذا ما غيرها وجد الصبرا

إلى أن قال :

هو الطيب الأرضى المقدم في العلا * لنفع مريدي الخير بالذكر والذكرى
على فقده فليبك من كان باكيا * ولم يعتذر في حقه من بطن الدهرا

أنظر ترجمته في قدم الرسوخ، للعلامة سيدي أحمد سكيرج رقم الترجمة 52. فهارس الشيوخ، للمؤلف نفسه (مخطوط خاص) نيل المراد في معرفة رجال الإسناد، للعلامة الحجوجي 2: 63-65.

وقد نقلت التقييد السائحي[1] في كتابنا كشف الحجاب، فلنكتف بذكره هناك عن نقله هنا،

(1) إشارة للعلامة الولي الصالح سيدي محمد العربي بن محمد بن السائح الشرقاوي العمري، فقيه، محدث، مفسر، أديب، صوفي، أحد مشاهير رجالات الطريقة الأحمدية التجانية بالمغرب، ولد بمكناسة الزيتون في فجر يوم عيد الأضحى من عام 1229 هـ ـ 22 نونبر 1814م

أخذ رحمه الله العلم عن جماعة من أجلة علماء المغرب في عصره منهم : العلامة الوليد العراقي الحسيني، و عبد القادر الكوهن، والهادي بن الشافعي المكناسي، المعروف ببادو، وغيرهم.

وله رضي الله عنه مؤلفات كثيرة منها : بغية المستفيد لشرح منية المريد، وشرح لامية البوصيري، وشرح صلاة الفاتح لما أغلق، وتعليق على الهمزية، وتعليق على بردة المديح للبوصيري، وشرح للقصيدة الخزرجية، وتعليق على الشمائل الترمذية، وطرر على شرح النووي على الأربعين النووية، وتفسير لقوله تعالى: { وما كان الله ليعذبهم وأنت فيهم } ، وكتاب السعادة الأبدية في الأذكار التجانية الأحمدية، ورحلة عجيبة أبدى فيها وأعاد، وعدة ختمات لصحيح الإمام البخاري.

توفي رحمه الله ليلة الأحد في الساعة الحادية عشر 29 رجب الفرد الحرام عام 1309 هـ ـ 28 فبراير 1892م، وتولى الصلاة عليه بالمسجد الأعظم بالرباط العلامة القاضي سيدي أحمد بناني الرباطي، ودفن برياضه الفائح، وهو المحل الذي كان يجلس فيه عند مجالسه الحديثية.

وقد رثاه تلميذه العلامة الأديب سيدي عبد التادلي بقصيدة ميمية قال في مطلعها :

سقى الله ربعا لم يزل متيمما * لموكب أهل القرب حجا متمما
سقاه من التسنيم ديمة وابل * سما مزنها الفردوس مع ماء زمزما
تيممه الاقطار سعيا لسعدها * فترجع بالمرجو أمنا ومغنما

أنظر ترجمته في الإغتباط بتراجم أعلام الرباط، لمحمد بوجندار 417- 426. إتحاف أعلام الناس بجمال أخبار حاضرة مكناس، لابن زيدان 5: 429- 438. الإعلام بمن حل مراكش وأغمات من الأعلام 7: 73-76. إتحاف المطالع (موسوعة أعلام المغرب) 8: 2788. الأعلام للزركلي 6: 265. ختم صحيح البخاري، لأحمد بن موسى السلاوي (مخطوط خاص) رسائل العلامة القاضي أحمد سكيرج 1: 308. رفع النقاب بعد كشف الحجاب، للعلامة سكيرج 2: 40- 124. روض شمائل أهل الحقيقة في التعريف بمشاهير أهل الطريقة، لابن محم العلوي رقم الترجمة 27. كشف الحجاب عمن تلاقى مع الشيخ التجاني من الأصحاب 313- 328. رسائل معلمة معالم سوس الفقيه أبي عبد الله سيدي محمد أكنسوس للعبد المذنب محمد الراضي كنون 1: 25. حديقة المنى والأماني، في ترجمة سيدي العربي العلمي اللحياني، للعبد المذنب أيضا، صبح الولاية اللائح، بترجمة عالم الطريق سيدي العربي بن السائح، للعلامة سيدي محمود ابن المطمطية (مخطوط خاص) معجم المطبوعات، لإليان سركيس 1319، معجم المؤلفين 6: 278، فتح الملك العلام، بتراجم بعض علماء الطريقة التجانية الأعلام، لمحمد الحجوجي بتحقيقنا عليه رقم الترجمة 44 . نخبة الإتحاف، فيمن منحوا من الشيخ التجاني بجميل الأوصاف، لنفس المؤلف، رقم الترجمة 136، معلمة المغرب 14: 4832-4833. من أعلام الفكر المعاصر بالعدوتين (الرباط وسلا) لعبد الله الجراري 2: 368-371،كناش الفقيه سيدي محمد بن يحي بلامينو الرباطي (مخطوط خاص) كناش الفقيه أحمد بن قاسم جسوس (مخطوط خاص) الزهر الفائح في ترجمة أبي المواهب سيدي العربي بن السائح، لمحمد بن أحمد التريكي (مخطوط خاص) لوامع أنوار، وفيوض أسرار، وشموس وأقمار، للعلامة سيدي محمد الحجوجي 56. نسمات القرب والإفضال المبعوثة لسيدي أحمد بن الحسن من فضل الكبير المتعال، لنفس المؤلف36 كناش العلامة عبد الهادي أطوبي (مخطوط خاص) الدر الثمين من فوائد الأديب بلا مينو الأمين، للعلامة سكيرج (مخطوط خاص) الخواتم الذهبية على الأجوبة القشاشية، للعلامة سيدي الحاج الحسن الإفراني.

ونص الرسالة الثانية : الحمد لله، والصلاة والسلام على مولانا محمد رسوله وآله وصحبه، السيادة التي علت على الفرقدين أقمارها، والمجادة التي على قطب الهداية والإرشاد مدارها، والشرف الذي على أبهة العز مداره، وعلى أساس الدين والخير قراره، من له في محبة أهل الخير قدم راسخ الثبوت، وفي نهج الطريقة التجانية عزيمة لا تنحل ولا تفوت، حبنا الفاضل، وصفينا الواصل، العلامة الأكمل، الدراكة الأمثل، من هو للعلوم بحر ووادي وصهيرج، أبا العباس سيدي أحمد بن الحاج العياشي سكيرج :

سَـلاَمٌ أَرِيــجٌ عَـاطِرٌ طَيِّبُ النَّـشْرِ * عَلَى مَنْ تَرَقَّى فِي المَعَالِي لِيُقْتَدَى
عَـلَى قَلَـمِ التَّحْقِيقِ فِـي أَحْـمَدِيَّةٍ * عَـلَى نَـجْلِ عَـيَّاشٍ سُـكَيْرِجَ أَحْمَدَا

أما بعد : أشرق الله قلبي وقلبك بأنوار العلوم اللدنية، وأحيا روحي وروحك بنسيم الأسرار الوهبية، فقد وصلت من زيارة سيدي وسندي، وذراعي وعمادي، وساعدي إلى محل قرار العين بنظرته وإقباله، وإمداده لي ووصاله، لا قطع الله ذلك عنا وعنكم إلى الممات وبعده، ما دام لسان حال الفؤاد يقول : يا فوزه بعناية سيده وسعده، ثم إني طالعت ما أتحفتني به حفظك الله من نسخة كتابكم كشف الحجاب، واستوعبته ملزمة فملزمة، وبابا بعد باب، فوجدته تأليفا نورانيا، وألفيت لامعة شهامته عروسا، وتنسمت من عطر أنفاسه أرجا طيبا، واستبنت من تحقيقاته وترتيباته وابلا، فقصر القلم عن تقريظه وانزوى، لما عليه من أفانين العلوم احتوى،

وطالما ركظت الهمة نحو ذلك، وحركت العزيمة إلى هنالك، فترجع على أعقابها ناكصة، وتبقى ببصر التوله فيه شاخصة، سيما مع أهوال الوقت المكربة، ووعثاء السفر المنصبة، وإن لحاق الأمل لازل ممتدا إلى النفحات التجانية، مشرئبا إلى فيوضاتها الإحسانية، في أن يكفيني المولى شؤونه، ويحمل عني تعبه ومؤنه، فبادرت إلى تقريظه الشعري، بينما أجد فسحة لتقريظه النثري، فقلت، وعليه سبحانه اتكلت :

كَشَفَ الحِجَابُ عَنِ الحِسَانِ لِثَامَا * فَـأَبَـانَ عَــنْ لَـيْلِ العَـنَـاءِ غَـتَامَـا
فَـتَقَاصَرَ العُـذَّالُ عَـنْ لَـوْمِي عَـلَى * فَــرْطِ التَّـوَلُّـهِ مُقْصِرِينَ عَـلَى مَـا
ذَكَـرُوا تَـجَرُّعَ صَــابِ وَجْـدٍ يَـالَـهُ * صَـــابٌ يُـثِـيرُ صَـبَـابَـةً وَغَــرَامَـا
نَـظَـرُوا بِـأَعْيُـنِ فِـكْرِهِمْ فَتَيَقَّنُوا * مَــا بِـالعَـشِيـقِ تَـحَـرُّقاً وَهُـيَـامَـا

فَكَفَى عُذُولِي عَنْ مَلاَمِي إِنَّنِي اسْـ * ـتَعْذَبْتُ مِـنْـهُ عَـذَابَـهُ وَحِـمَـامَـا
وَكَتَـمْتُ مَـا بِي مِنْ هَوَاهُ وَعَبْرَتِي * مُـذْ أُعْـلِنَتْ قَـرَّتْ لَـهُ بِنَدَامَى
نَـثَرَتْ لآَلِـئَ مُـقْلَتِي مِـنْ عِـقْدِهَا * وَالـعِـقْدُ يَـزْهُـو تَـنَـاثُراً وَنِـظَامَـا
كَوَسِيطَةِ العِقْدِ الثَّمِينِ مَـلاَذِنَا * ذُخْرِي عِـمَادِي فِي المَعَالِي تَسَامَى
بِمَعِينِهِ الـعَـذْبِ الـزُلاَلِ بِـكَفِّهِ * يَسْقِي ذَوِيـهِ كَـمَا يُـزِيحُ ظَـلاَمَـا
وَيُـحِيلُ قَـطْـراً لِـلنُّفُوسِ نِظَارُهَا * بِيَدَيْهِ أَضْحَى الهَدْيُ مِنْهُ حُسَامَا
أَخَـذَ العُهُودَ عَلَى صِحَابٍ أُكْرِمُوا * بِـلِقَاهُ عَــنْ وَجْــهٍ أَمَــاطَ لِثَامَـا
وَأَنَــالَــهُــمْ وِرْداً لِـــحِـــلِّ وُرُودِهِ * مِــنْ فَـيْـضِ طَـهَ تَحِيَّةً وَسَـلاَمَـا
فَـأَفَـاضَ فِـيـهِمْ ذِكْـرَهُ وَشُـرُوطَـهُ * لِـلـكُلِّ عَــمَّ تَـرَحُّـلاً وَمَـقَـامَـا
وَيَـخُصُّ بِالتَّقْدِيمِ أَهْـلَ خُصُـوصِهِ * أَهْــلِ الـتَّـهَجُّدِ سُـجَّداً وَقِـيَامَـا
أَعْـظِـمْ بِـتَـاجِ الـعَـارِفِيـنَ مُلَقِّناً * وَمُـقَـدِّماً كُــلٌّ تَـسَـامَى مَـقَامَـا
ذَاكَ الـتِّجَانِي شَـيْـخُـنَا وَمَـلاَذُنَـا * سِـبْـطَ الـرَّسُـولِ يَقْتَفِيهِ لِـثَامَـا
فَـطَرِيقُهُ مُـثْلَى وَصَـحْبُهُ أَنْـجُمُ * زُهْـــرٌ وَهَـــدْيٌ لِـلـرَّسُولِ تَـمَـامَـا
فَـلِذَا تَـفَجَّرَ مِــنْ يَـمِينِ خَدِيمِهِ * وَسَـمِـيِّهِ غَـرْبُ كَـشْرْقِهِ[1] عَـامَـا
أَغْـنِي سُـكَيْرِجَ لَـمْ يَـزَلْ مُـتَرَقِّياً * أَوْجَ الـمَـعَارِفِ يَسْتَطِيبُ كَـلاَمَـا
جَـمَعَ التَّرَاجِمَ مُخْلِصاً لِجَمِيعِهِمْ * نَـظْـمـاً وَنَـثْـراً إِذْ تَـجِـلُّ كِـرَامَـا
فَـسَـمَاءُ كَـشْـفٍ زُيِّـنَتْ بِـمَصَابِحٍ * وَطَـرِيقُ شَيْخِي شَمْسُهَا تَتَسَامَى
وَمُـؤَلَّـفٌ بَـــدْرٌ يُـنِـيرُ إِذَا سَــرَى * فِـــي غَـيْـهَبٍ وَإِذَا ثَـــوَى وَأَقَـامَـا
فَعَلَى كِتَابِ الـكَشْفِ يَمْنَحُ عَاجِلاً * كَـشْـفَ الـسَّرِيرَةِ يَـقْـظَةً وَمَـنَـامَـا
وَرِضَـاهُ يُـكْسَى مَـعْ رِضَـاءِ مُـمِدِّهِ * يُــجْـزِي تَـنَـوُّرَ بَـاطِـنٍ وَمَــرَامَـا
وَمِـنَ الـتَّلاَقِي بِالتِّجَانِي كَصَحْبِهِ * يَـحْـظَى بِـحَـظٍّ يَـرْتَقِيهِ سَـنَـامَـا
وَرِضَـاهُ يُـكْسَى مَـعْ رِضَـاءِ مُـمِدِّهِ * صَـلَّـى عَـلَـيْهِ الإِلَـهُـنَـا إِعْـظَـامَـا
وَعَـلَى الـصِّحَابِ وَآلِـهِ مَا قَدْ بَدَا * كَشَفَ الـحِجَابُ عَـنِ الحِسَانِ لِثَامَا

---

(1) لفظ [كشرقه] فيه إشارة إلى تاريخ الطبعة الأولى من كتاب كشف الحجاب، عمن تلاقى مع الشيخ التجاني من الأصحاب، وهو عام 1325هـ ــ 1907م، وذلك بحساب الجمل الكبير

هذا وإياك سيدي أن تزنها بميزان أشعاركم، وتقيسها بمقياس بنات أفكاركم، فشتان ما بين الدر والخزف، عند من يأتي ومن سلف، وحسبك سيدي الاقضاء عن العيوب، والإعتذار لها بما بالخواطر من اللغوب،

ويصل السيادة كتابكم نور السراج[1] بقصد طبعه وفق ما طلبت منا مجادتكم، ونسلم على أخوينا

---

(1) نور السراج، في شرح إضاءة الداج، طبع على الحجر بفاس في 62 صفحة، وهو شرح لمنظومة سيدي الغالي السنتيسي لدرة التاج وعجالة المحتاج، لسيدي الحاج عبد الكريم بنيس في فقه الطريقة التجانية. والتي يقول في مطلعها :

حمدًا لمن أوضح ذي الطريقة * أعني التجانية للخليقة
وجعل الأخذ لها عبادة * إن صدق المريد في الإرادة
وجعل الفوز بها منوطا * وَسِرّها طول المدى محوطا

وهي قصيدة رجزية طويلة، وقد قرظها شارحها العلامة سيدي أحمد سكيرج بقصيدة جيمية رائعة ونصها :

حمدا لمن يرجى لكل مرتج * وَبابه ليس يُرى بمرتج
ثم على خير الورى أذكى الصّلاة * وآله وصحبه أزكى الصلاة
وبعد إن شيخنا التجاني * جعله الله ملاذ الجاني
جعله خليفة خير الوجود * له فصار بحر عرفانٍ وجود
له طريق واضحُ المحجَّةْ * بشرى لمن بين الأنام حجَّه
وقد أتى بنظم دُرٍّ غال * في ذي الطريقة الرئيسُ الغالي
ذو الخلق العالي على الأبراج * كعبة كل قاصدٍ وراج
عقد فيه نثر دُرِّ التاج * أعني به عجالة المحتاج
مؤلف الحبر الرضى عبد الكريم * بنيس قد حفظه الله الكريم
نظم بدا من أحسن النظام * يسقي بكأس السر كلّ ظام
وَهْوَ لعمري يُشرق الدُّجُنّةْ * وفي الطريق للمريد جُنَّةْ
جمعَ فيه فقهَ ذا المنهاج * فلا ترى حقا له من هاج
وَقد حوى من الهدى نُقَايَه * جعلهُ اللهُ له وِقَايَه
ولم يزل بالحفظ والأمان * ينال ما شاء من الأماني
وَقاله العبدُ الضعيفُ أحمد * سُكيرجُ واللهَ ربي أحمدُ

وعموما فهو كتاب ذو صلة بشروط الطريقة التجانية وقواعدها وواجباتها، وما لها من أوراد وآداب،

الفقيهين العلامتين، سيدي الحاج عبد الكريم بنيس،[1] وسيدي محمد بن عبد الله،[2] والتمس لنا من

---

(1) الفقيه العلامة الشهير سيدي عبد الكريم بن العربي بنيس الفاسي دارا ومنشأ وقرارا، ولد رحمه الله بالعقبة الزرقاء بمدينة فاس في شهر ذي القعدة الحرام سنة 1267هـ ـ شتنبر 1851م، وبعد حفظه القرآن حفظا متقنا تعاطى لطلب العلوم، فأخذ عن أكابر العلماء والفقهاء بفاس، منهم والده سيدي الحاج العربي بن محمد بن عبد النبي الفاسي دار الأندلسي أصلا، والفقيه العلامة سيدي محمد كنون. وسيدي أحمد بن سودة. ومولاي محمد العلوي. وسيدي الهادي الصقلي. والعلامة سيدي محمد التدلاوي . وسيدي محمد الوزاني. والفقيه سيدي أحمد بن الخياط. وسيدي محمد القادري. وسيدي جعفر الكتاني. والعلامة سيدي أحمد السريفي. والفقيه سيدي إدريس البلغيثي وغيرهم.

وله رحمه الله تآليف كثيرة منها نظمه للحكم العطائية المسمى بواضح المنهاج بنظم ما للتاج، ومنها درة التاج وعجالة المحتاج، ومنها نظمه في التجويد، في أكثر من خمسمائة بيت، وغير ذلك من الفتاوي والرسائل العلمية المفيدة.

وتقلد رحمه الله بعهد الطريقة الأحمدية التجانية على يد العلامة سيدي محمد بن عبد السلام كنون، ثم على البركة العارف بالله سيدي العربي اللحياني الموساوي بزرهون، وقدمه لتلقين أورادها العارف بربه الشريف مولاي أحمد العبدلاوي، ثم حصل بعد ذلك على الإجازة المطلقة من لدن المقدم الشهير سيدي الطيب بن أحمد السفياني

ولتلميذه العلامة سكيرج قصائد كثيرة في مدحه منها قوله في طالعة إحداها :

أحبتنا إنــي مقيم عـلـى العـهد * فهل عندكم شوق كما فيكم عندي
يؤرقني التذكار فـي حسن ذاتكم * وأضحى بكم في غمرة هيجت وجدي
أعـلـل نـفسي كـل حين بقربكم * ولـو لـم أعـللها لأمـسيت في اللحد
أقـول لـها والشوق خرب أضلعي * وصبر الفتى عند التشوق لا يجدي

وتوفي رحمه الله في الساعة التاسعة من صبيحة يوم الإثنين 1 جمادى الأولى عام 1350هـ ـ 14 شتنبر 1931م، وصلي عليه بعد صلاة العصر بالقرويين ودفن خارج باب الفتوح بفاس.

أنظر ترجمته في قدم الرسوخ، للعلامة سكيرج رقم الترجمة 45 ، وفي فتح الملك العلام، للعلامة الحجوجي بتحقيقنا عليه رقم الترجمة 165.

(2) العلامة الأستاذ سيدي محمد بن الحاج محمد بن عبد الله الشاوني أصلا، الفاسي موطنا، من خيرة الحفاظ الملمين بأحكام القراءات السبع، ولد بفاس عام 1286هـ ـ 1869م، وبها تلقى العلم عن جماعة من العلماء منهم : سيدي التهامي بن المدني كنون، وسيدي محمد فتحا بن قاسم القادري، وسيدي أحمد بن الخياط، وسيدي حمان الصنهاجي، وسيدي محمد فتحا بن محمد بن عبد السلام كنون، وسيدي محمد بن التهامي الوزاني، وسيدي محمد بن علي الأغزاوي وغيرهم.

وهو من المتقيدين بعهد الطريقة التجانية، حيث أخذها وأجيز فيها عن جماعة منهم : العلامة سيدي الحاج محمد فتحا كنون، والشريف البركة سيدي محمود حفيد الشيخ أبي العباس التجاني رضي الله عنه، والعارف بالله سيدي أحمد العبدلاوي، والمقدم الملامتي سيدي محمد بن الحاج أحمد بن سلطان الشركي بالقاف المعقودة وغيرهم.

وله تصانيف منها : إتحاف الخل الوفي بشرح ألفاظ الحزب السيفي، والزهر الفائح في شرح صلاة الفاتح، وكشف المعاني والأسرار بشرح تحفة أبي عبد الله الفخار لنظم متن الأجرومية، وكمال الفرح والسرور في التحذير من العقوق والحث على البرور، ومولد نبوي، وغير ذلك.

انظر ترجمته في قدم الرسوخ، للعلامة سكيرج رقم الترجمة 3، وفي فتح الملك العلام، للفقيه الحجوجي بتحقيقنا عليه رقم الترجمة 210.

الثاني نسخة من شرحه على لامية[1] سيدي عبيدة الشجيطي[2]، المسماة رحلة التهاني، ووجهها لي

---

(1) المراد بها رحلة التهاني في حلية الشيخ التجاني، وهي قصيدة في مدح الشيخ أبي العباس التجاني رضي الله عنه، نظمها العارف بالله العلامة سيدي عبيدة بن محمد الصغير التشيتي الشنجيطي، وعدد أبياتها 622 بيتا، ولهذا العدد سر خاص عند ذوي المعارف والأسرار، ومطلع هذه القصيدة:

قـفـا فـسـلا أطـلال ميـة فـالـفجلا * حوالى الربى ماذا جلا أعين النجلا

قـفـا بـتـلال مـا سـلا عـن ظلالها * غريب وسلواها سبى الأب والنجلا

عـهدت بـها الخلان في حسن زيهم * بزينة قوم الرقص إذ أحدثوا العجلا

فـكم سـحرت مـنهم رجـالا ونـسوة * تـمر بـها ركبا وتـمشي بـها رجلا

وكم خلصت إلا عن اللهو والصبا * بـغيـرهم هـماتهم سـجلت سـجلا

نـفـوس الـهـوى مـن حبهن رهـينة * فـمـا قـدمت كـفا ولا أخرت رجلا

(2) العلامة العارف بالله سيدي عبيدة بن سيدي محمد الصغير بن الطالب محمد بن محمد بن الحاج المعروف بابن أنبوجا الشنجيطي التشيتي. من أكابر علماء شنجيط، فقيه، أصولي، محدث، أديب، صوفي، له تآليف عديدة منها : ميزاب الرحمة الربانية في التربية بالطريقة التجانية، وميدان الفضل والإفضال في شم رائحة جوهرة الكمال، وراية البشر والبشارة في وجه منع المريد من الزيارة، والمدد الباهر في التمييز بين الخواطر، وسيف النجاة والفدى في قطع أعناق البغاة والعدا، ورحلة التهاني في حلية الشيخ التجاني، ومنجية السالك من ورود المهالك، وله كتب أخرى ورسائل ومنظومات كثيرة

وهو مجاز في الطريقة التجانية من طرف العلامة الشيخ سيدي محمد الحافظ الشنقيطي، عن الشيخ أبي العباس التجاني رضي الله تعالى عنه، وهو سند عال، إذ ليس بينه وبين سيدنا رضي الله عنه سوى واسطة واحدة، ومع هذا كله كان العلامة سيدي عبيدة الشنجيطي يقدم سنده النازل، نظرا لما ضمه من سادات علماء وأولياء أفاضل، فكان يقول إذا أراد أن يجيز أحدا : أجيزك كما أجازني أخي العلامة سيدي محمد بن محمد الصغير ابن انبوجا، كما أجازه العلامة سيدي بانم الواداني، كما أجازه العلامة سيدي مولود فال اليعقوبي، كما أجازه العلامة سيدي محمد الحافظ الشنقيطي، كما أجازه سيدنا الشيخ أبو العباس التجاني رضي الله تعالى عنه.

وفي حقه قال أخوه مؤلف الجيش الكفيل العلامة العارف بربه سيدي محمد بن محمد الصغير : الحمد لله الذي لم يمتني حتى أراني وليا عارفا من آل أنبوجا، وقال في حقه العلامة أكنسوس رحمه الله :

يـا آل أنـبـوجا لا زالـت بـدوركم * تـنـير حـيـران لـلأنـوار طـلابـا

ويـا عـبـيدة نـعـم الـرأي قـمت بـه * قد أعجب الناس ذاك الرأي إعجابا

فـوز وثـبت لـه والـنـاس قد رقـدوا * عـنــه فـفـتـهـم لا زلــت وثـابـا

لـمـا رأيـت أخـاك الـبـحر طـامية * أمـواجـه وأردت نـفـع مــن خـابا

سـقيتنا الـري مـنه لا ضـمئت كـما * أجـريت مـن عـلـمه الفياض ميزابا

وكانت وفاته رحمه الله في شهر جمادى الثانية عام 1284هـ ــ أكتوبر 1867م، أنظر ترجمته في فتح الملك العلام، للفقيه الحجوجي بتحقيقنا عليه رقم الترجمة 50 وفي روض شمائل أهل الحقيقة لابن محم العلوي، رقم الترجمة 36.

بالفور، كما يسلم على سيدنا ومولانا أحمد العبدلاوي[1] بارك الله لنا ولكم وللإخوان في عمره، فإن دالك الرجل بقية بركة السلف، العائدة إن شاء الله على الخلف، والسلام عليكم ورحمة الله، وعلى ذلك الضريح الأنور، ومن اشتمل عليه من جمع الإخوان الأحور، والسلام في11 شعبان عام 1325هـ ، خديم الأعتاب التجانية، تراب نعال أصحابها، محمد الغالي السنتيسي، نور الله قلبه إهـ . .

وقد كان يسرد الشمائل بحضرة سيدنا النقيب، وتحصل مذاكرات بينهما أثناءها، فتغيب عن ذلك أياما، فكاتبه بما يستنهض همته لإتمام تلك الدروس، بما يشفي النفوس، فأجابه بهذه الأبيات :

---

(1) الفقيه البركة المقدم سيدي أحمد بن محمد بن قويدر العبدلاوي بن محمد بن عبد المومن بن بلقاسم بن الولي الصالح سيدي عبد الله الشريف دفين باب سيدي عبد الله من الحاضرة التونسية، وهو من مواليد شهر شعبان الأبرك عام 1230هـ ـ يوليوز 1815م، قبل وفاة الشيخ رضي الله تعالى عنه بشهرين بقرية العلية بالصحراء من عمالة توكورت قرب تماسين، وحضر لسابع ولادته جمع من أفاضل أصحاب الشيخ رضي الله تعالى عنه، من بينهم القطب الخليفة سيدي الحاج علي التماسيني: حفظ القرآن الكريم في صغره بقرية أولاد جلال، من عمالة بسكرة بالقطر الجزائري، وكان رحمه الله ملازما لسيدي محمد الحبيب نجل الشيخ التجاني رضي الله عنه سفرا وحضرا، لا يفارقه إلا قليلا

وفي سنة 1288هـ ـ 1871م، ارتحل سيدي أحمد العبدلاوي عن قرية عين ماضي ليستقر نهائيا بمدينة فاس، وفي حقه قال العلامة أكنسوس في رسالة وجهها لأبي المواهب سيدي محمد العربي بن السائح ما نصه بعد كلام: وقد أتحفتمونا بورود هذا السيد الجليل القدر، المبني دينه وجميع أموره على أثبت جدر، سيدي أحمد العبدلاوي، فإننا ماورد علينا مثله من تلك النواحي، وقد أحيا الله به قلوبنا بعد مناهزة الممات، وأفادنا من الفوائد والمعارف ما تنتعش بها العظام الرفات، إلخ ...

وفي حقه قال العلامة سكيرج في كتابه رفع النقاب ج 6 ص 203 : وقد لازم الجلوس بداره مدة، وكان مع كبر سنه الذي ناهز فيه المائة سنة سالم الذات، من جميع العاهات، حتى أنه كان يقرأ الخط الرقيق بلا نظارتين، ويقول لي ما قاله بعض العارفين: جوارح حفظناها في الصغر فحفظها الحق علينا في الكبر. إلخ ...

ودخلت عليه مرة فقال لي : إن ملك الموت جاء إلي وهو لابس للباس أزرق، وأعطاني سبحة حباتها من جهتي الشاهد ضعيفة حتى كأنها ليست من جنس الحبات الآخر، فعرفت بذلك أني أناهز المائة، والحبات الضعيفة هي أول العمر وآخره.

وبقي بمدينة فاس إلى أن لقي بها الله تعالى في الساعةالعاشرة من صباح يوم الخميس 24 رمضان عام 1328هـ ـ 29 شتنبر 1910م، وكان عمره عند وفاته 98 سنة، ودفن رحمه الله بمقبرة روضة سيدي الطيب السفياني بباب عجيسة بفاس، وقد مدحه تلميذه العلامة سكيرج بقصائد عربية قال في مطلع إحداها:

حـي القبول بعطفة وتحية * والسعد أضحى معلنا بمسرة

وتبسمت بشرى العناية باللقا * واليمن يرقص في عظيم النعمة

أنظر ترجمته في قدم الرسوخ، للعلامة أحمد سكيرج رقم الترجمة 9. وفي كشف الحجاب، لنفس المؤلف ص 200. وفي رفع النقاب، للمؤلف نفسه ج 3 ص 201، وفي نيل المراد، للعلامة الحجوجي ج 1 ص 93 . ثمرة الفنون في فوائد تقر بها العيون للعلامة سيدي أحمد سكيرج (مخطوط خاص) 94 و 100 و 103 و 110. الجواهر الغالية المهداة لذوي الهمم العالية، للمؤلف نفسه (مخطوط خاص) تطييب النفوس بما كتبته من بعض الدروس والطروس، للمؤلف نفسه (مخطوط خاص) النفحات الربانية في الأمداح التجانية. للمؤلف نفسه 26 - 28 .

دَعَـتْ لِـوِصَـالٍ بَـعْدَ طُـولِ مِطَالِ * وَأَلْقَتْ حُسَامَ البَيْنِ بَيْنَ نِصَالِ
وَأَحْيَتْ رَمِيمَ الرُّوحِ بَعْدَ فَنَائِهَا * مُقَرَّطَةً تَـدْعُـو لِـرَشْفِ مَـصَالِ
وَلَيْلاً أَمَاطَتْ عَنْ صَبَاحٍ بِهِ المُنَى * يُرَجَّى سَنَاهُ فِـي بُكُورٍ وَآصَالِ
تَـقُـولُ دَلاَلاً إِنَّـنِـي بِـكَ مُـغْـرَمٌ * شَمَائِلُ حُسْنِي تَزْدَهِي بِخِصَالِ
تُذَكِّرُنِي مَا زَانَ نُطْقِي وَمَسْمَعِي * شَمَائِلَ خَيْرِ الخَلْقِ جَمْعِ شِمَالِ
أَجَـلُّ كِتَابٍ لاِبْـنِ سورةَ يُنْتَمَى * لِتِرْمِذَ مَـنْ يُنْمَى بِخَيْرِ خِلاَلِ
مُفَتَّحَة الأَبْـوَابِ مَـتْنُ حَدِيثِنَا * نَـعِـيمٌ مُـقِـيمٌ مَـالَـهُ مِـنْ زَوَالِ
أَسَانِدُهَا مِثْلُ الجُمَانِ بِعِقْدِهَا * يَـفُـوقُ سَـنًى بَـدْرٌ عَـدِيمُ مِثَالِ
تَـشَـنَّفَ مِـنَّـا مَـسْـمَعٌ بِـقِـرَاءَةٍ * لَـهَا فَـانْتَهَتْ لِلصَّوْمِ فَارْعَ مَقَالِي
إِلَــى سَـنَـدٍ فِـيـهِ يَـزِيـدُ مقلب * بِرِشْقٍ لَـهَا الـمَوْلَى يَفُكُّ عِقَالِي
يُطَالِبُنَا الـمَوْلَى النَّقِيبُ أَخُو العَلاَ * أَبُـو زَيْـدٍ الأَسْـمَى سَمِيُّ فِـعَالِ
بِإِتْـمَامِهَا دَرْساً عَـلَى نَـهْجِ بَدْئِهَا * بِـذَاكَ الـضَّرِيحِ الفَرْدِ فَرْدِ جَمَالِ
فَـقُلْتُ نَـعَمْ عَـصْراً بُـعَيْدَ صَـلاَتِهَا * بِـحَوْلِ إِلاَهِـي فِـي ابْتِدَا وَكَـمَالِ

فكتب سيدنا النقيب له هذه الأبيات جوابا له :

وَفَـتْ تَتَـهَادَى فِـي بُـرُودِ جَـمَالِ * وَرَاحَــتْ تَـجُـرُّ الـذَّيْلَ جَـرْدَ دَلاَلِ
وَحَـنَّتْ فَـمَنَّتْ بِانْجِبَارِ تَـكَسُّرِي * وَحَـيَّـتْ فَـأَحْيَتْ مُغْرَماً بِـوِصَالِ
وَفَـكَّتْ أَسِيراً فِـي بَدِيعِ جَمَالِهَا * فَـتَـاةٌ تـغِـيرُ الـبَـدْرَ وَقْـتَ كَـمَالِ
أَمَـاطَتْ عَـلَى بَـدْرٍ مُنِيرٍ خِمَارَهَا * وَزَارَتْ بِــلاَ وَعْــدٍ بُـعَيْدَ مُـطَالِ
وَأَرْوَتْ حَدِيثَ الوَصْلِ وَهْوَ مُسَلْسَلٌ * وَسَـلَّتْ عَـلَى صَـبٍّ سُيُوفَ نِـبَالِ
أَسَانِيدُهَا صَحَّتْ بِلُطْفِ شَمَائِلٍ * شَـمَائِلِ مَـحْمُودٍ حَـمِيدِ خِـصَالِ
وَطَـوَّقَـهَا عَـالِـي الـمَقَامِ قَـلاَئِداً * بِــدُرٍ يُــرَى عِـنْـدَ الـبَرِيَّةِ غَـالِـي
أَلاَ وَهُـوَ الـغَالِي الَّـذِي جَـلَّ قَدْرُهُ * فَـصَـارَ مَـحُـوطاً فِـي الـوَرَى بِـجَلاَلِ
فَـيَا غَـالِيَ الـمِقْدَارِ بَيْنَ ذَوِي النُّهَى * لَـقَدْ نِـلْتَ مِـنْ عُـلْيَاكَ أَقْصَى سُؤَالِ
فَـلاَ زِلْـتَ فِـي حِـفْظِ الإِلَـهِ مُـوَفَّقاً * مَـحُوطاً بِـتَأْيِّيدٍ عَـلَى كُـلِّ حَـالِ

وكتب له صاحب الترجمة مرة مخبرا بمذاكرته لبعض الأدباء قائلا : السيادة المتأصلة الأصول، العريقة الفروع والفصول، حرس الله بدرها عن الأفول، وحمى بشير سعدها عن الغفول،إلخ.. قد ورد علي وفد من أدباء العصر، يأنفون عن العد والحصر، يتمارون في تعيين الأفضل الذي يعتمده الحازم، من نوعي الكرم المتعدي الواصل للغير أو القاصر اللازم، وكل فريق يحتج لمذهبه بحجة، لها في سنن القبول سبيل ومحجة، فأجبتهم من غير روية ولا تأمل، بما ليس له بإبانة خلافهم تحمل، فقلت على مالي من الجهل بأنفس المسائل، ليس المسؤول عنها بأعلم من السائل[1]، لكن الميل إلى جادة السداد والصواب، يسهل على المجيب حسن الجواب

من المعلوم أن الكرم اللازم فضيلة في صاحبه، والمتعدي فاضلة يهتدى في لاحبه، والفواضل أعظم قدرا وأجل فخرا من الفضائل، فقالوا بلسان واحد نعم القول من بئس القائل، فشعرت بأنهم بنظم درر الجواب للحق يذعنون، وحول ذلك النادي يدندنون، فنفث قلم القصور بالقطعتين حوله، مستنجدا من المولى طوله، وأدمجت في الأولى دليلا عقليا، وأتبعت الثانية بيتا نقليا، فأحببت أن يكون لأسنى المجادلات بالكل إلمام، ليستصوب أو يعارض فيتضح الكمال والإتمام.

قَوْمٌ تَلاَحَوْا بَيْنَهُمْ فِي أَفْضَلِ الـ * ـكَـرَمِ البَلِيغِ تَعَدِّيّاً وَلُزُومَا
بَعْضٌ يَقُولُ بِلاَزِمٍ يُولِي الطَّعَا * مَ لِقَاصِدِيهِ أَحِبَّةً وَخُصُومَا
وَالبَعْضُ مِنْ كَرَمِ الكَرِيمِ مُرَجِّحٌ * مُتَعَدِّياً ذَا صَوَابُهُ مَعْلُومَا
هَـذَا الأَخَصُّ ثُبُوتُهُ مُسْتَلْزِمٌ * ذَاكَ الأَعَمَّ فَحَصِّلَنَّ عُلُومَا
نَفْيٌ بِعَكْسٍ قُلْتُ يَرْفَعُ خلفَهُمْ * بَذْلُ النَّقِيبِ نَوَالَهُ المَوْسُومَا
فَاحَ النَّدَى مِنْ كَفِّهِ فِي الخَافِقَيْـ * ـنِ فَعَمَّ عَرْفَ عَبِيرِهَا مَشْمُومَا
رَجَعَ الخِلاَفُ إِلَى الوِفَاقِ فَنِعْمَ تَعْـ * ـدِيَةِ النَّدَى بِئْسَ النَّدَى مَلْزُومَا

---

(1) اقتباس من الحديث النبوي الشريف ، المتمثل في سؤال جبريل عليه السلام للنبي صلى الله عليه وسلم عن الساعة، فرد عليه بقوله : ما المسؤول عنها بأعلم من السائل، انظر صحيح البخاري [كتاب تفسير القرآن] باب قوله تعالى إن الله عنده علم الساعة، رقم الحديث 4404

وكتب إلي يوم سفري من مكناس لفاس، ملتمسا إصحاب ولده معي لفاس :

إِلَى خَلِيلِيَ قَدْ يَمَّمْتُ[1] مُلْتَمِساً * بَعْدَ الوَدَاعِ مَرَاماً كَانَ مِنْ أَرَبِ[2]
أَوَدُّ إِرْدَافَ طِفْلٍ خَلْفَ صَاحِبِكُمْ * فِي وِجْهَةٍ لِبِلاَدِ السُّولِ وَالطَّرَبِ
يَرُومُ ذَا الطِّفْلُ إِحْلاَلاً بِدَارِهِمُ * بِدُونِ أَوْبِ نَئِيٍّ لاَ وَمُغْتَرِبِ
إِنْ كَانَ ذَا مُمْكِناً وَجِّهْ إِلَيَّ بِهِ * أَوْ بِالجَوَابِ وُقِيتُمْ سَيِّئَ الكُرَبِ

فأجبته بقولي :

إِلَى الحَبِيبِ الَّذِي يَعْلُو عَلَى الرُّتَبِ * وَسَادَ بَيْنَ الوَرَى بِالعِلْمِ وَالأَدَبِ
أَتَتْ لَنَا بِنْتُ فِكْرٍ مِنْكَ طَالِبَةً * بُلُوغَ مَا يَرْتَجِيهِ الغَيْرُ مِنْ طَلَبِ
لَوْ كَانَ لِي قَدْرَةٌ فِي حَمْلِ ذَا الطَّلَبِ * حَمَلْتُهُ فَوْقَ رَأْسِي دُونَ مَا عَجَبِ
لَكِنَّنِي خِفْتُ يَا مَنْ حَلَّ فِي خَلَدِي[3] * مِنْ أَجْلِ إِرْدَافِهِ[4] أَهْوَى عَلَى رُكَبِي
فَاعْذِرْ أَخَاكَ إِذَا مَارَسْتَ مَكْرُمَةً * فَاللَّهُ يَرْعَاكُمْ مِنْ كُلِّ مَا عَطَبِ

(1) يممت : قصدت

(2) الأرب : الحاجة الشديدة والبغية والأمنية

(3) الخلد : البال والنفس

(4) أردفه على ظهر الدابة : ركب أحدهما خلف الآخر

وقد تعرضت في كشف الحجاب، وتأليفي وغاية المقصود،[1] وغيرهما لبعض فوائده، وشرحت أرجوزته المسماة بإضاءة الداج، في نظم عجالة المحتاج، بشرح لطيف باقتراح المحب الودود، الشريف الأصيل، مولانا عبد العزيز، عم الحضرة الشريفة، وسميته بنور السراج، وهو الذي أشار له في تقريظة المتقدم نظما، ووجهه إلي بقصد الطبع، وقد طبع بالمطبعة الفاسية، لازالت محاسنها فاشية، ومما كتبه لنا بخطه ما نصه : الحمد لله، مما ينسب للفقيه الأديب، الشاعر الأريب، سيدي الحاج إدريس السناني رحمه الله :

جَانِبْ أَخَا اللُّؤْمِ مَا اسْتَطَعْتَ مُعْتَزِلاً * وَاصْـرِمْ حِبَالَـهُ إِنْ أَتَـى وَإِنْ غَـابَا
هُـوَ الَّـذِي قَـدْ تَـرَاهُ حَـالَ نِعْـمَتِهِ * يَـرَى الرُّؤُوسَ مِـنَ الأَطْرَافِ أَذْنَـابَا

---

(1) غاية المقصود، بالرحلة مع سيدي محمود، من أهم مؤلفات العلامة سيدي أحمد سكيرج، تطرق فيه لذكر وقائع وأحداث كثيرة، وملأها كعادته بالفوائد والفرائد والأخبار والمعلومات، كما ترجم فيها لعلماء وأدباء كبار من مدينتي فاس ومكناس وزرهون، ووصف المناطق التي مرت بها رحلته عن طريق قبائل الغرب والشراردة وبني حسن والقنيطرة وسلا والرباط، كما توسع في ذكر القصائد والأدبيات التي قيلت في مدح الشريف سيدي محمود التجاني، مع العلم أن هذه الرحلة استغرقت مدة أربعة أشهر، انطلاقا من يوم الإثنين 14 ذي القعدة الحرام عام 1329 ـ 6 نونبر 1911م، وانتهت في مدينة الرباط، وقد قرظها العلامة الأديب سيدي محمد المدني بن الحسني بقوله :

أعـجب لـهذا الدفـتر * ومـا حـوى مـن خبر
أفـادنـا مــن هـمـة * دون عـلاها الـمشتري
كـأنـه نـجـم سـنـا * أضاء في ذي الأعصر
وكـيـف لا وهـو جـم * ع الـعـالـم الـمعـتبر
أعـيذه مـن كـل سـو * بـالـبارئ الـمصـور
ضـمـنها رحـلـة مـن * بـالمجد والفضل حري
سـيدنا مـحمـود بـد * ر التم بـادي المفخر
من مـعشر قـد شـرفوا * أكـرم بـهم مـن مـعشر
أدامـــه رب الـعـلا * وزاده فـــي الـعـمـر
كـتـبـه مـرتـجـيا * قـبـول هـذا الـحصر
مـحـمد الـمدنـي مـن * يـدعى الـحسني النجر
فلتنظرن عين الرضى * مـنـكم لـهذي الـفقر
ولـتسألوا خـير الدعا * لـه مـن مـاد الأبـحر
نـجـل رسـول الله ذي * الأصل السني الجوهر
صـلى عـليه الله مـا * أضـاء نـجم الـقمـر

وقد خمسها الفقيه الأديب سيدي العربي بن حميدة الشرقي بقوله :

يَـا مَـنْ غَـدَا لِهَـوَاهُ الدَّهْرُ مُمْتَثِلاَ * وَمِنْ مَـحَاسِنِ مَنْ قَدْ فَاتَ مُشْتَمِلاَ
وَرَاحَ بَـدْرُ الـدرَى العَلْيَاءُ مُكْتَمِلاَ * جَانِبْ أَخَا اللُّؤْمِ مَا اسْتَطَعْتَ مُعْتَزِلاَ
وَاصْـرِمْ حِبَالَـهُ إِنْ أَتَـى وَإِنْ غَـابَا
ذَاكَ الَّـذِي قَـامَ فِـي أَثْنَـاءِ نَشْـأَتِهِ * لاَ يعرفُ الفَضْلَ مِنْ أَبْنَاءِ أُسْرَتِهِ
وَإِنْ تَسَلْ عَنْهُ فِـي مِيدَانِ وِجْهَتِهِ * هُـوَ الَّـذِي قَـدْ تَـرَاهُ حَالَ نِعْمَتِهِ
يَـرَى الـرُّؤُوسَ مِنَ الأَشْرَافِ أَذْنَابَا

وكان خمسها الأديب العدل سيدي غيلان رحمه الله :

يَا مَنْ غَدَا بِالدَّرَارِي السَّبْعِ مُنْتَعِلاَ * وَبِالـمَحَامِدِ طُـولَ الـدَّهْرِ مُحْتَفِلاَ
كُنْ لِلَّذِي قَالَ أَهْلُ النُّصْحِ مُمْتَثِلاَ * جَانِبْ أَخَا اللُّؤْمِ مَا اسْتَطَعْتَ مُعْتَزِلاَ
وَاصْـرِمْ حِبَالَـهُ إِنْ أَتَـى وَإِنْ غَابَا
تُنْبِئْكَ أَفْعَالُهُ عَنْ خُبْثِ مَنْبَتِهِ * يَـرَى الـمَكَارِمَ فِـي إِبْعَادِ عِشْرَتِهِ
ثَـوْبُ الـدَّنَـاءَةِ مَلْفُوفٌ بِنَشْأَتِهِ * هُـوَ الَّـذِي قَـدْ تَـرَاهُ حَالَ نِعْمَتِهِ
يَرَى الرُّؤُوسَ مِنَ الأَشْرَافِ أَذْنَابَا

كما خمسها الفقيه العلامة الأديب الكاتب سيدي أحمد بن المواز[1] حفظه الله :

(1) أحمد بن عبد الواحد ابن المواز، فقيه أديب، من أعلام مدينة فاس: قال عنه صاحب إتحاف المطالع: العلامة المشارك، المطلع الشاعر، المبدع المقتدر، خاتمة الأدباء بالمغرب، ينظم كيف شاء و ينثر كذلك. إهـ..
أخذ عن جماعة من خيرة علماء القرويين، كالشيخ محمد بن المدني كنون، و عبد المالك العلوي الضرير، و أحمد بن الطالب ابن سودة ، وصالح بن المعطي التدلاوي، فضلا على والده الشيخ عبد الواحد ابن المواز، وهو عمدته،
من مؤلفاتِهِ: رسائل النفائس الإبريزية، في هدية الفيل الوافدة من فخامة الحضرة الإنجليزية. وشرح قصيدة الوأواء الدمشقي، والمراحل السنية للأصعاق السوسية. و اللؤلؤ السني في مدح الجناب الحسني. وديوان شعر، توفي بالرباط يوم الخميس 13 صفر الخير 1341 هـ ـ 5 أكتوبر 1922 م. و نقل إلى مسقط رأسه فاس. وبها دفن رحمه الله.
أنظر ترجمته في موسوعة أعلام المغرب لحجي8: 2929. الأعلام للزركلي 1: 165. معجم المؤلفين لرضا كحالة 13:363. من أعلام الفكر المعاصر بالعدوتين الرباط و سلا، للجراري2:28 - 31.

بِالعَقْلِ كُنْ عَنْ دَوَاعِي الأُنْسِ مُعْتَقِلاَ * تَصْبَحْ عَلَى صَهَوَاتِ الزّهْرِ مُنْتَقِلاَ
لَوْ أَنَّ لِلنُّصْحِ نُطْقاً قَالَ مُرْتَجِلاَ * جَانِبْ أَخَا اللُّؤْمِ مَا اسْتَطَعْتَ مُعْتَزِلاَ
وَاصْرِمْ حِبَالَهُ إِنْ أَتَى وَإِنْ غَابَا
فَالطَّبْعُ أَسْرَعُ مَا يُعْدِي بِأُلْفَتِهِ * فَاخْتَرْ لِطَبْعِكَ مَنْ تَسْمُو بِخُلَّتِهِ
وَاهْجَرْهُ لَمَّا طَغَى مِنْ جَهْلِ رُتْبَتِهِ * هُوَ الَّذِي قَدْ تَرَاهُ حَالَ نِعْمَتِهِ
يَرَى الرُّؤُوسَ مِنَ الأَشْرَافِ أَذْنَابَا

ترجمة العلامة المعطي بن عبود

واجتمعت بروضه أيضا بالفقيه السيد المعطي بن عبود،[1] فطاب المجلس بحضوره، وأنشد في مدح مكناس وتفضيلها على فاس قول بعض أهل الشام بعدما زار البلدتين :

كَذَبَ الَّذِينَ تَرَفَّعَتْ فِي زَعْمِهِمْ * فَاسُ عَلَى مِكْنَاسَةَ الزَّيْتُونِ
وَأَصَابَ مَنْ جُعِلَتْ لَهُ مِكْنَاسَةٌ * دَارَ الإِمَارَةِ وَالعَلاَ وَالدِّينِ
بِأَبِي العَمَائِرِ عُمِّرَتْ أَرْجَاؤُهَا * وَتَرَنَّمَتْ أَطْيَارُهَا فِي الحِينِ

فلمْ أرَ ما يوافق في جوابه إلا قول بعض أدباء الأزهر :

لاَ تُنْكِرِ الخَيْرَ فِي فَاسٍ وَشِيمَتِهَا * وَظُنَّ خَيْراً بِهَا تُحْفَظْ مِنَ البَاسِ
فَرُبَّ لَفْظٍ لَهُ مَعْنًى لِجَاهِلِهِ * وَفَأْسُ فَاسٍ عَلَى رَأْسٍ لَدَى النَّاسِ

على أننا لا ننكر فضل مكناس وأهله، ولكن الشخص بطبعه يميل لمدح بلده وأصله، ولا يلام إن مدح ما يهواه، إن لم يتعرض لتنقيض سواه، ولقد أجاد حليف الأدب، محبنا وحبيبنا الفاضل،

(1) المعطي بن محمد ابن عبود، فقيه مدرس خطيب، شاعر أديب، من شيوخ العلامة النقيب عبد الرحمان بن زيدان، توفي ليلة الثلاثاء متم ذي الحجة الحرام عام 1330هـ ـ 9 دجنبر 1912م،أنظر ترجمته في إتحاف المطالع، لابن سودة 1 : 392، موسوعة أعلام المغرب 8 : 2867

سيدي الحاج محمد بن بو عشرين[1] في قوله في مدح فاس :

فَاسُ السَّعِيدَةُ أُفْرِدَتْ بِبَهَائِهَا * وَدَلِيلُ ذَلِكَ بَيِّنٌ فِي مَائِهَا
حَاكَى بِصَوْتِ خَرِيرِهِ وَصَفَائِهِ * نَبْعَ العُلُومِ يَفِيضُ مِنْ عُلَمَائِهَا

وفيها يقول ابن النحوي[2] :

يَا فَاسُ مِنْكِ جَمِيعُ الحُسْنِ مُسْتَرَقُ * وَسَاكِنُوكِ لِيَهْنَوْا بِالَّذِي رُزِقُوا
هَــذَا نَسِيمُكِ أَمْ رُوحُ لِرَاحَتِنَا * وَمَاؤُكِ السَّلْسَلُ الصَّافِي أَمِ الوَرِقُ

---

(1) محمد بن بوشعيب الأنصاري. فقيه قاض. من أعلام مدينة فاس. وبها كان مسقط رأسه عام 1300هـ - 1882م. أخذ العلم عن نخبة من علماء القرويين. كمحمد (فتحا) كنون. وعبد السلام الهواري. وأحمد بن الخياط. وأحمد بن الجيلالي الأمغاري. وعبد المالك العلوي الضرير. ومحمد (فتحا) القادري وآخرين.

له مؤلفات عديدة في الفقه والحديث والمنطق والكلام. ومعظمها شروح وحواش. وقد طبع بعضها. منها : الأحكام النهائية الزيادية. وهي الأحكام التي كان أصدرها إبان فترة قضائه بقبيلة الزيايدة. وحاشية على شرح بناني للسلم في المنطف. والحظ في العبادة في الرد على من ألحد في كلمتي الشهادة. وهو مدرس بارع. زاول هذه المهمة الشريفة مدة طويلة من عمره. سواء بالقرويين أو بغيرها من مساجد ومدارس مدينة فاس.

عين قاضيا بقبيلة زعير عام 1335هـ - 1916م. ثم بعد ذلك بناحية الزيايدة وأولاد سعيد من قبيلة الشاوية. توفي بمدينة سطات (حيث كان يقيم بها إبان قضائه بناحية أولاد سعيد) وذلك يوم الخميس 12 جمادى الثانية عام 1364هـ - 1944م. ودفن قبالة باب الولي الصالح سيدي الغنيمي.

أنظر ترجمته في سل النصال(موسوعة أعلام المغرب) 9 : 3192. الأعلام للزركلي 6 : 159. معلمة المغرب 6 : 1798. معجم المطبوعات المغربية 51.

(2) يوسف بن محمد بن يوسف التوزري التلمساني المعروف بابن النحوي ناظم المنفرجة التي مطلعها :

اشتدي أزمة تنفرجي * قد آذن ليلك بالبلج

سكن سجلماسة مدة غير قصيرة، ثم انتقل لفاس، ثم لقلعة حماد قرب مدينة بجاية بالقطر الجزائري، وبها توفي عام 513هـ، صحب أبا الحسن علي اللخمي، وأخذ عن أبي الفضل محمد بن علي المعروف بابن الرمامة، ومحمد المازري، وأبي زكرياء الشقراطيسي، وعبد الجليل الربعي وغيرهم. وكان ممن انتصر لعدم إحراق كتب الإمام الغزالي، وذلك لما أفتى فقهاء المغرب بإحراقها في عهد الدولة المرابطية.

انظر ترجمته في جذوة الإقتباس، لابن القاضي ص 552 رقم الترجمة 643. التشوف، لابن الزيات ص 95 رقم الترجمة 9. شجرة النور الزكية، لمخلوف ص 126 رقم الترجمة 365. نيل الإبتهاج، للتنبكتي ص 349. الأعلام للزركلي 8 :247.

وفي أهل مكناس قلت :

لِـلَّهِ دَرُّكُـمُ يَـا أَهْـلَ مِـكْنَاسِ * يَا سَادَةً لَهُمُ فَضْلٌ عَلَى النَّاسِ
سُدْتُمْ سِوَاكُمْ بِنيْلِ كُلِّ مَحْمَدَةٍ * فَاللَّهُ يَحْفَظُكُمْ مِنْ كُلِّ مَا بَاسِ [1]

وخاطبها من قال منوها بالسور المحيط بها :

أَيَـا مِـكْنَاسَةَ الزَّيْتُونِ بُـشْرَى * بِـمَـنْ قَدْ حَـلَّ فِـيكِ لاَ يَـخَافُ
فَفِيكِ النَّاسُ أَضْحَوْا فِي أَمَانٍ * وَكَـيْفَ وَقَدْ أَحَاطَ عَلَيْكِ قَافُ

وقال الأديب أبو الفتح ابن الحاج :

عَلَى مِكْنَاسَةَ الزَّيْتُونِ سُورٌ * يَـقُـولُ لِـسَـاكِنِيهِ لاَ تَـخَافُوا
هِـيَ الـدُّنْيَا جَمَالاً وَافْتِخَاراً * وَإِنِّـي حَـوْلَـهَا وَاللَّـهِ قَـافُ

---

(1) ومن جميل ما قيل في مدينة مكناس أيضا قول الشاعر :

يـارائـداً لـلروض والإيـنـاس * عرج لشم الزهر في مكناس
بـلـد حبـاه الله كـل لـطافة * وحماه مـن كدر ومن أدناس
وكساه من ثوب الجمال أرقة * ووقـاه من شر ومن وسواس
فـغدا بـوجه القطر شامة خده * وبـجيده عـقداً مـن الألـماس

ومما قيل فيها أيضا قول الشاعر :

إذا افتخرت فـاس بـطيب معانيها * ولـطف أهـاليها ورقـراق واديها
ومـراكش الـحمراء بـطلع نـخيلها * وحـسـن سـجـايا أهـلها وأفـانـيها
وثـغر ربـاط الـفتح بـالأدب الـذي * غدا مـفرق الـعليا يـصول به تيها
فـمـكناسة الـزيـتون فـاقت بـتربة * وطـيـب هـواء وابـتـهاج مـبانيها
فما مثلها الزهراء في حسن منظر * ولم لا وسبط المصطفى هو بانيها
إمـام هـمـام سـاعـد الـسـعد سعيه * فكانت شموس الفضل مشرقة فيها

وقلت في ذلك :

أَرَى مِكْنَاسَةَ الزَّيْتُونِ كَهْفاً * يُؤَمِّنُ مَنْ بِهَا مِمَّا يَخَافُ
وَقَالَ لَنَا لِسَانُ الحَالِ مِنْهَا * أَنَا الدُّنْيَا وَهَذَا السُّورُ قَافُ

وقال ابن عبدوس المكناسي وأجاد ما شاء :

إِنْ تَفْتَخِرْ فَاسُ بِمَا فِي طِينِهَا * وَبِزَيِّهَا وَبِأَنَّهَا حَسْنَاءُ
يَكْفِيكَ مِنْ مِكْنَاسَةٍ أَرْجَاؤُهَا * وَالأَطْيَبَانِ هَوَاؤُهَا وَالمَاءُ

ترجمة العلامة سيدي عبد الله بن محمد العلوي الإسماعيلي

وممن كان ملازما لنا بالروض المنيف، الأديب الغطريف، الظريف الشريف، مولاي عبد الله بن محمد بن عبد الله العلوي الإسماعيلي،[1] ولقد حصل لي به أنس، بما طابت به النفس، وكان يباسطني وأباسطه بما به انشراح الصدر، وقد جاء ليلة بين العشاءين بقصد العشاء معي، وكان سيادة النقيب في أشغال منعته الحضور معنا حتى قرب نصف الليل، فخاطبت الشريف المذكور بقولي :

يَا شَرِيفاً قَدْ بَاتَ عِنْدِي ضَيْفَا * وَنَوَى مَا يُرَى مِنَ المَشْرُوعِ
إِنَّنِي قَائِلٌ وَقَوْلِي حَقٌّ * أَبْشِرَنْ أَنْتَ بَائِتٌ بِالجُوعِ

---

(1) عبد الله بن محمد بن عبد الله العلوي الإسماعيلي. فقيه أديب نساخ. من أهل مدينة مكناس. عمل نساخا لدى المؤرخ الأديب عبد الرحمان بن زيدان. فكان يجتهد في تخريج تآليفه من مبيضاتها. اعتبارا لما هو معروف به من الخط الحسن والعقل الراجح والإطلاع الواسع.

وقد وقفت له على عدة قصائد وأشعار ومقطعات جميلة. منها قصيدة في مدح الشريف سيدي محمود التجاني قال في مطلعها :

أبدورا أذهبت عنا الظلم * أم شموس نسخت آي الغمم
أم حبانا ربنا من فضله * بحفيد الختم محمود الشيم
وحبانا بالأماني والمنى * ووفانا شر ما كان ألم
فهنيئا أهل مكناس لكم * فزتم بالنول من بحر خضم

أنظر ترجمته في كتاب غاية المقصود في الرحلة مع سيدي محمود، للعلامة سيدي أحمد سكيرج

فاستغرقنا في الضحك إلى أن حضر النقيب وحضر العشاء، وزال عن الشريف ما كان يتوهمه من المبيت طاوي الأحشاء، وجاءني مرة بهذه الأبيات :

بُشْرَى لَقَدْ حَلَّ الهَنَاءُ بِحَيِّنَا * بِسُلاَلَةِ الأَبْرَارِ وَالأَمْجَادِ
مَنْ زَانَهُمْ حِلْمٌ وَعِلْمٌ نَافِعٌ * نُهْدَى بِهِ فِي السَّهْلِ وَالأَنْجَادِ
لاَسِيَمَا بَطَلِ الأَمَاجِدِ أَحْمَدٍ * يَا حَبَّذَا مَنْ سَادَ بِالإِرْشَادِ
نَجْلِ العَلاَءِ سُكَيْرَجٍ يَا مَنْ لَهُ * فِي المُعْضِلاَتِ تَقَدُّمُ الآسَادِ
فَبِهِ نَنَالُ مِنَ العَلِيِّ عِنَايَةً * نَحْظَى بِهَا فِي مَهْيَعِ الإِمْدَادِ

فكتبت مجيبا في الحين :

دَامَتْ لَكَ البُشْرَى مَدَى الآبَادِ * يَا سَيِّداً يَعْلُو عَلَى الأَمْجَادِ
يَا قُطْبَ دَائِرَةِ السِّيَادَةِ فِي العَلاَ * يَا شَمْسَ سُبْلِ الحَقِّ فِي الإِرْشَادِ
أَتْحَفْتَنِي بِمَقَالِكَ العَذْبِ الَّذِي * هُوَ لِلْنُّهَى سِحْرٌ حَلاَلٌ بَادِي
لاَزَالَ فِي العَلْيَاءِ نَجْمُكَ طَالِعاً * وَالسَّعْدُ يَلْحَظُهُ مَعَ الإِسْعَادِ

وكان معتنيا بكتب ماسنح لنا من السوانح الأدبية في هذا الروض الأنيق، الذي قيل فيه على لسانه لما حللناه :

رَوْضُ النَّقِيبِ لَنَا يَقُولُ فِي طَرَبٍ * أَهْلاً وَسَهْلاً بِكُمْ أُولِي المَجَادَاتِ
شَرَّفْتُمُ مَنْصِبِي أَعْلَيْتُمُوا رُتَبِي * لاَزَالَ جَمْعُكُمْ جَمْعَ السَّلاَمَاتِ

وقال الأديب فيه أبو الفتح الصقلي :

رَوْضُ النَّقِيبِ بِهِ كُلُّ الجَمَالِ بَدَا * يَا حُسْنَهُ مِنْ رِبَاطٍ يُذْهِبُ الحَزَنَا
بِهِ تَلَوَّنَتِ الأَفْنَانُ وَابْتَهَجَتْ * نُفُوسُنَا عِنْدَ مِرْآةِ البَدِيعِ سَنَا

وفيه قلت بعدما وصلت :

دَخَلْنَا لِـرَوْضٍ تَـكَامَلَ حُسْناً * عَسَى الكُلُّ مِنْهُ بِهِ يَسْتَقِي مَا
وَقِـيلَ لَـنَا قَـدْ فَـتَحْنَا الـجِنَانَ * لِـمَنْ مِـنْـكُمُ شَاءَ أَنْ يَـسْتَقِيمَا

وفي وصفه قلت لما شاهدت الأنوار، في تنظيم ورونق ينفي عن القلب الأكدار :

وَزَرَابِي مَفْرُوشَةٍ فِي بِسَاطٍ * رُصِّعَتْ بِالجَوَاهِرِ المَكْنُونَهْ
فَوْقَ أَرْضٍ مِنَ الزُّمُرُّدِ تَشْفِي * بِـبَهَاءٍ نُفُوسَنَا الـمَحْزُونَهْ

وقلت أيضا :

بِسَاطٌ لِلنُّفُوسِ لَهُ انْبِسَاطٌ * وَفِيهِ قَدْ تَجَمَّعَتِ المَحَاسِنْ
بِـهِ الأَنْـوَارُ تَـلْمَعُ فِـي بَـهَاءٍ * وَمَاءُ الحُسْنِ فِيهِ غَيْرُ آسِنْ

وقد اجتمع مرة صاحب الترجمة بأبي بكر السنتيسي بروض سيدنا النقيب، فاقترح الأديب السنتيسي عليه أن يصف صينية بكؤوسها المصطفة وبراريدها[1]، فلم يتيسر له في ذلك شيء فقال :

أُحَيِّي حَبِيباً جَلَّ فِي القَلْبِ قَدْرُهُ * فَأَضْحَى عَلَى أَعْلَى المَفَارِقِ تَاجَا
أُحَيِّ مُحَيًّا مِنْهُ كَالشَّمْسِ سَامَتَتْ * سَمَاءً يُحَاكِي عَسْجَداً وَزِجَاجَا
أَمَـدَّتْ بَـرَارِيداً ثَـلاثاً بِضَوْئِهَا * كَـبَدْرٍ بَـدَا بَيْنَ الـهِلَالَيْنِ عَـاجَا
وَتِـلْكَ أَفَـادَتْ أَكْؤُوساً كَنُجُومِهَا * تَـأَلَّقَ بَـرْقٌ مِـنْ سَنَا الـوَجْهِ مَاجَا
فَـتَرْوِي بَـرِيقاً عَـنْ ضِيَاءٍ رَوَيْتَهُ * عَنِ النُّورِ عَنْ وَجْهِ الحَبِيبِ يناجَى
بِـوَصْلِكَ لِلإِسْنَـادِ تَرْفَـعُهُ إِلَـى * سُـرُورٍ بِـنَادٍ لِلحقيبِ يُـرَاجَى

---

(1) البراريد : جمع براد، وهو الإبريق المخصص للشاي المغربي [الأتاي]

نَقِيبٌ لَـهُ بَيْنَ السُّرَاةِ مَآثِرٌ * يُنَقِّبُ عَنْهَا أَبْحُراً وَفِجَاجَا
كَبِيرٌ وَنَجْلٌ لِلكَبِيرِ وَمُنْصِفاً * كَبِيراً تَوَالَى لاَ يَزَالُ سِرَاجَا

ولما لم يظهر من صاحب الترجمة جواب فيما اقترحه عليه وجه الأديب السنتيسي لسيدنا النقيب هذه الأبيات الهمزية :

أَلاَ فَالشِّعْرُ زِينَةُ كُلِّ حِبٍّ * تَدَاوَلَهُ جَمَالاً أَقْرِبَاءُ
لِذَاكَ أَخِي وَحِبِّي ثُمَّ نَجْلِي * لَهُ فِيهِ وُلُوعٌ وَاعْتِنَاءُ
وَلَكِنْ شِعْرُهُ فِينَا أَمِيرٌ * وَشِعْرُ العَبْدِ لَيْسَ لَهُ حِبَاءُ
بِبُذْرَةِ عَسْجَدٍ أَوْ كَفِّ دُرٍّ * يَكُونُ لِبَيْتِ شِعْرِكُمُ رِبَاءُ
فَلاَ ثَمَنٌ لِشِعْرِكَ حَيْثُ قَالُوا * شِرَاءُ الشِّعْرِ بِالشِّعْرِ الرِّبَاءُ
لِعَبْدِ اللَّهِ قُلْ هَلْ مِنْ جَوَابٍ * يُعَارِضُ حُكْمَ شِعْرٍ أَوْ إِبَاءُ
يَجِبْ فَالشِّعْرُ مَوْصُولٌ وَكُلٌّ * بِهِ بِصِلاَتِهِ بَعْدُ اجْتِبَاءُ
وَقَابِلْ وَافِراً مِنِّي بِبَعْضٍ * عَلَى الهَذَبَاءِ لِي فِيهِ احْتِبَاءُ

فأجابه بقوله :

أَلاَ فَالشِّعْرُ عَذْبٌ مُسْتَطَابُ * بِكُلِّ مَا يَسُرُّ لَهُ وَفَاءُ
لِذَلِكَ قَدْ تَعَاطَتْهُ الأَلِبَّا * وَمَنْ لَهُ فِي الذَّكَا صَاحِ انْتِمَاءُ
أَخِي خِلِّي صَفِيِّي نُورَ عَيْنِي * سَلِيلُ مَنْ عَلاَ بِهِمُ العَلاَءُ
فَرِيدُ العَصْرِ غَالِي القَدْرِ فِينَا * وَحِيدُ المِصْرِ دَامَ لَهُ الهَنَاءُ
فَوالشِّعْرَى[1] لَقَوْلُ الشِّعْرِ مِنْهُ * لَهُ فِي ذَرْوَةِ العَلْيَا اعْتِلاَءُ
قَرِيضُهُ كُلُّهُ سِحْرٌ حَلاَلٌ * يَحِقُّ لِلَفْظِهِ الأَحْلَى الثَّنَاءُ
لِكَعْبَةِ حُسْنِهِ الأَقْلاَمُ حَجَّتْ * وَفِي أُفْقِ البَهَاءِ لَهُ ارْتِقَاءُ

---

(1) الشعرى : هو نجم الشعرى اليمانية، وهو النجم الوحيد الذي ورد اسمه صريحاً في القرآن الكريم بخلاف الشمس، وهو واحد من أقرب وألمع النجوم إلينا. واعتبارا للمكانة الكبيرة لهذا النجم وقدسيته عند الشعوب القديمة جاء قول الله تعالى ليؤكد أنه هو رب الشعرى، وبالتالي فلا سجود لغيره، سبحانه وتعالى الواحد الأحد، لا شريك له في الملك ولا ند ولا ولد.

أَلَيْسَ كَلاَمُهُ شَاهٍ لَدَيْنَا * وَنَحْنُ لَنَا بِرَوْضَتِهِ ازْدِهَاءُ
وَطَاعَتُهُ مُحَتَّمَةٌ عَلَيْنَا * وَحُبُّهُ وَاجِبٌ فِيهِ الفَنَاءُ
فَدُونَ الوَصْفِ مِنْهُ يَكِلُّ نُطْقِي * وَهَلْ مِثْلِي يَكُونُ لَهُ الوَفَاءُ
أَعَبْدَ اللَّهِ مَنْ يُرْجَى لَدَيْهِ * جَوَابٌ عَجِّلَنْ وَلَكَ الحِبَاءُ
حِبَاءُ مُسْتَطَابٌ لَوْ بِشِعْرٍ * فَلَيْسَ بِشَرْعِنَا هَذَا رِبَاءُ
وَمَذْهَبِي أَنَّهُ حِلٌّ حَلاَلٌ * حَلاَلُ الشِّعْرِ بِالشِّعْرِ الغِنَاءُ
لِذَا أَدَّى اجْتِهَادِي وَلَوْ وَصَلْتُمْ * بِمَوْصُولِ الصَّلاَةِ فَلِي إِبَاءُ
وَلَوْ جِئْتُمْ بِوَافِرٍ أَوْ بَسِيطٍ * طَوِيلِ البَذْلِ لَيْسَ لَهُ انْتِهَاءُ

ذكر بعض الأدبيات والمستملحات ذات الصلة بالأديبين

عبد الرحمان بن زيدان ومحمد الغالي السنتيسي

ولننقل في هذا المحل بعض الأدبيات والمستملحات التي كتبها لنا من خط الأديب السنتيسي والنقيب الحبيب ما نصه : قال سيدنا النقيب مخاطبا الفقيه العلامة سيدي محمد الغالي السنتيسي :

سَلاَمٌ مِنْ صَفِيٍّ الوِدِّ يُنْهَى * إِلَى عَالِي السِّمَاتِ أَبِي المَعَالِي
رَفِيعِ القَدْرِ مَنْ قَدْ طَابَ أَصْلاً * وَفَرْعاً وَارْتَقَى هَامَ الكَمَالِ
وَبَعْدَهُ أَرْتَجِي وَصْلاً لِفَضْلِي * عَلَى رَغْمِ العِدَا أَهْلِ النَّكَالِ
أَجِبْ حِبِّي مُحِبّاً ذَا سِقَامٍ * وَهَلْ كَسْرِي بِتَعْجِيلِ الوِصَالِ
لِأَنَّ البَيْنَ أَلْزَمَنِي نُحُولاً * وَأَرَّقَنِي عَلَى مَرِّ اللَّيَالِي
وَإِنْ رُمْتَ الجَوَابَ تَنَلْ بِعِزٍّ * وَفَخْرٍ مَا تُؤَمِّلُ مِنْ كَمَالِ

فأجابه الفقيه المذكور بقوله :

عَلَى ذَاكَ المَقَامِ أَخِي المَعَالِي * سَلاَمٌ يَزْدَهِي طُولَ اللَّيَالِي
عَلَى خِلٍّ رَفِيعِ القَدْرِ فِينَا * تَنَظَّمَ لَفْظُهُ نَظْمَ اللآلِي
وَأَزْرَتْ حُسْنَ ذِي حُسْنٍ بَهِيٍّ * مَعَانِي نَظْمِهِ خَالِي المِثَالِ

وَبَعْدُ فَلِي بِوَصْلِكُمُ اهْتِمَامُ * بُعَيْدَ العَصْرِ يَا فَرْدَ الكَمَالِ
وَقَدْ يَحْلُو الوِصَالُ لَدَى مُحِبٍّ * تَشَوَّقَ بِانْتِظَارِ أَخِي الجَمَالِ
كَمَا إِنِّي لَمُنْتَظِرٌ جَوَاباً * يَلَذُّ وَيُسْتَطَابُ لَدَى الرِّجَالِ
فَلاَ زَالَتْ عُيُونُ الدَّهْرِ طُرّاً * بِجَذْوَاكُمْ غَزِيرَةَ الاكْتِحَالِ

وقال أيضا مجيبا الفقيه سيدي محمد الغالي المذكور :

أُحَيِّ بِمَحْبُوبِ التَّحَايَا الَّذِي ثَوَى * بِقَلْبِي قَدِيماً وَهْوَ فِي القَدْرِ عَالِ
وَأُنْهِي إِلَيْهِ أَنَّنِي فِي الوَرَى بِهِ * وَلُوعٌ وَذُو وَجْدٍ صَرِيعُ نِبَالِ
وَأَنَّ فُؤَادِي مِنْ نَوَاهُ مُوَقَّدٌ * وَمِنِّي الحَشَا قُدَّتْ وَزَادَ خَبَالِي
وَإِنْسَانُ عَيْنِي فِي بُحُورِ مَدَامِعِي * غَرِيقٌ وَمَا أَسْلُوا عَلَيْهِ بِحَالِ
وَأُعْلِمُهُ أَنِّي أَتَانِي قَرِيضُهُ * فَحَيَّا وَأَحْيَا مُغْرَماً بِوِصَالِ
وَحَلَّ مَحَلَّ الرُّوحِ مِنْ جَسَدِي وَلَمْ * وَأَلْفَاظُهُ أَبْدَتْ بَدِيعَ مَقَالِ
أَمَاطَتْ عَلَى صَافِي الوِدَادِ خِمَارَهَا * أَقَرَّ لَهَا بِالصِّدْقِ وَاشٍ وَقَالِ
فَلِلَّهِ مَنْ أَبْدَى بَدِيعَ نِظَامِهَا * بِتَرْصِيعِ دُرٍّ فِي البَرِيَّةِ غَالِي
فَلاَ زَالَ بَدْراً رَاقِياً أُفُقَ الهَنَا * عَظِيماً عَزِيزاً سَالِماً مِنْ نَكَالِ
وَلاَزَالَ مِنْ فَيْضِ التِّجَانِي غَارِفاً * حَبِيباً وَمَحْبُوباً عَلَى كُلِّ حَالِ
بِجَاهِ النَّبِيِّ المُصْطَفَى وَبِآلِهِ * وَأَصْحَابِهِ مَا هَبَّ رِيحُ كَمَالِ

وقد أجاب الفقيه المذكور عن أبيات وجه بها له :

يَا مَنْ يُؤَمِّلُ الجَوَابْ * عَذْباً لَذِيذاً مُسْتَطَابْ
أَقْبِلْ بِفَضْلِ نُخْبَةٍ * بِمَعْزِلٍ عَنِ الصَّوَابْ
إِنِّي وَحَقِّ فَضْلِكُمْ * لَعَاجِزٌ دُونَ ارْتِيَابْ

وله متغزلا :

غَـزَالِي بِـالـدَّلاَلِ وَغَـنْجِ شَـكْلٍ * غَــزَالٌ مَـالَـهُ فِـي الـحُسْنِ ثَـانِي
وَصِــرْتُ بِـهَـجْرِهِ مُـضنًى مُـعَنَّى * أَسِـيرَ هَــوَاهُ فِــي قَـيْدِ الـهَـوَانِ
أُنَــادِي يَــا أَمِـيرَ الـحُسْنِ رِفْقًا * فَـجِسْمِي الـيَوْمَ صَـارَ إِلَـى تَـفَانِي
وَدَمْـعُ العَيْنِ أَضْحَى فِي انْسِكَابٍ * وَقَـدْ فَـرَّ اصْـطِبَارِي بِـمَا أُعَـانِي
فَـلاَ تَـجْعَلْ نَـصِيبَكَ يَـا حَـبِيبِي * نَـصِيبِي فَـالـنَّوَى مِـنْكُمْ دَهَـانِي
وَصِـلْ بِـالوَصْلِ وَاجْبُرْ ذَا انْكِسَارٍ * بِـحَقِّ بَـهَاكَ يَــا بَــدرَ الـحِسَانِ

وله أيضا مسيما اسم المتغزل فيه بحروف أوائل الصدور :

مَـا ضَـرَّ وَصْـلَكُمُ انْفِصَالُ ذِي شَغَفٍ * فَـمَدُّ وَصْـلِكُمُ أَفْـضَى إِلَـى تَـلَفِ
حَـانَ الـحِمَامُ فَـمُنُّوا وَارْحَـمُوا كَـرَماً * وَاشْـفُوا عَـلِيلاً قَتِيلَ الطَّرْفِ ذَا كَلَفِ
خفتْ جُفُونِي الكَرَى حُزْناً وَقَدْ أَلِفَتْ * نَـثْرَ الـعَقِيقِ بِـمَا قَـدْ حَـلَّ مِـنْ لَـهَفِ
وَمُـهْـجَتِي حرقتْ مِـنْ أَجْـلِ هَـجْرِكُمُ * وَلِـمْ وَأَنْـتُمْ أُصُـولُ الـحُسْنِ وَالـظَّرَفِ
بِـحَقِّ مَـا بِـكُمُ فِـي الـطَّرْفِ مِـنْ حَوَرٍ * جُـودُوا بِـوَصْلِ مُـحِبٍّ بِالعُهُودِ يَـفِي

وقوله أيضا موريا على نسق ما ذكر :

أَتَـلْحَانِي الـلَّوَاحِي فِـي الـفَلاَحِ * عَـلَى مَـنْ فِـيهِ يَـبْدُو لِـي صَلاَحِي
لَـقَدْ رَامُــوا بِـزُخْرُفِهِمْ غُـرُورِي * وَإِنِّــي فِــي الـهَـوَى رِقُّ الـمِلاَحِ
مَـنَاقِبُ فِــي الـغَـرَامِ فَـاشِيَاتٍ * وَعَـذْلِي فِـي الـهَوَى فِـيهِ انْـشِرَاحِي
حَـلَلْتَ أَخَـا الـجَمَالِ بِـأُفْقِ قَـلْبٍ * شَـجِيٍّ مِــنْ هَــوَى بَـدْرِ الـصَّبَاحِ
جُـعِلْتُ فِـدًى لِأَلْـحَاظٍ قِـرَاضٍ * صِــحَـاحٍ فَــاتِـرَاتٍ كَــالـرِّمَاحِ
وَثَــغْــرٍ جَــوَاهِـرٍ أَزْرَتْ بِـــدُرٍّ * نَـفِـيسٍ قَـدْ تَـرَصَّعَ فِـي الـوِشَاحِ
بِـــهِ تَـمَّـتْ مَـحَاسِنُهُ وَبَـاهَـتْ * وَعَـــمَّ سَـنَـاؤُهُ كُـــلَّ الـنَّـوَاحِي

وله أيضا على نسق ما قبله :

إنَّ لِـي قَلْباً وَلُوعاً بِـهَوَاكْ * لَمْ يَزِدْ إِلاَّ انْـهِمَاكاً فِي بَهَاكْ
لَـوْ أَطَلْتَ الصَّدَّ عَنِّي عَجَباً * لَيْسَ لِي إِلاَّ احْتِمَاءٌ بِـحِمَاكْ
مَـا لِقَلْبِي مِـنْ هَوَاكُمْ سُلْوَةٌ * جَلَّ مَنْ بِالحُسْنِ وَالتِّيهِ حَبَاكْ
حُزْتَ مِنْ بَيْنِ الوَرَى كُلَّ البَهَا * فَـغَدَا الـكُلُّ بِـهَا تَـحْتَ لِـوَاكْ
جُـبِـلَ الـصَّبُّ عَـلَى حُبِّـكُمُ * وَغَدَا وَاللَّهِ يَسْعَى فِي رِضَاكْ
وَرَفِـيقُ الحُسْنِ إِنْ رَامَ السِّوَى * حُـرِمَ الـوَصْـلَ وَلاَ نَـالَ سِـوَاكْ
بِـهَـوَاكُمْ أَرتَـقِـي شَـأْوَ العَـلاَ * دُمْتَ فِي عِزٍّ عَدِيماً مَنْ قَلاَكْ

وله أيضا :

فِي الحُبِّ طَابَتْ ذِلَّتِي * يَـا عَاذِلِي فِي صَبْوَتِي
فَـأَنَا كَـلِفْتُ بِـمَـنْ بِـهِ * تُـسْبَى الـعُقُولُ بِـنَظْرَةِ
مَـا لاَمَـنِي فِـيهِ امْرُؤٌ * إِلاَّ غَـدَا فِـي مَـحَبَّةِ

وقال له أيضا :

وَحَقِّ الهَوَى وَالنَّاعِسَاتِ الفَوَاتِرِ * وَتِلْكَ السُّيُوفِ القَاطِعَاتِ البَوَاتِرِ
وَقَـدُّ بِـقَدِّ الـقَلْبِ مِـنِّي مُـكَفَّلٌ * وَمَـبْـسَـمُ دُرٍّ كَـالـنُّجُومِ الـزَّوَاهِرِ
لَقَدْ ذَابَ جِسْمِي مِنْ أَلِيمِ جَفَاكُمُ * وَسَـحَّتْ جُفُونِي بِالدُّمُوعِ الغَزَائِرِ
فَـمَـاذَا عَـلَيْكُمْ لَـوْ رَثَـيْتُمْ وَصِـلْتُمُ * بِـوَصْلٍ رَهِينَ حِلْفِ دَارِ الـمَرَائِرِ

وله أيضا :

وَحَـقِّ مَـنْ هَـوَاهُ بَـرَى فُـؤَادِي * وَصَـيَّـرَنِي نَـحِيلاً ذَا سُـهَـادِ
لَقَدْ مَلَكَ الهَوَى كُلِّي وَبَعْضِي * وَقَـلْـبِي مِـنْ لَـظَـاهُ فِـي اتِّـقَادِ

وله أيضا يخاطبني بهذه الأبيات، زاد الله في معناه :

إِلَـى مَـنْ قَـدْ سَبَى مِنِّي جِنَانِي * وَتَـيَّـمَـنِي وَأَلْـزَمَـنِي الـتَّـفَـانِي
وَعَــذَّبَـنِـي وَأَلْـبَـسَـنِي نُـحُـولاً * بِبَيْنِهِ لِـمْ وَلَـحْظُهُ قَـدْ بَـرَانِي
وَصَـيَّـرَنِي بِـحُـبِّهِ فِــي خَـبَالٍ * كَـقَـيْسٍ لاَ أُبَـالِي بِـمَا دَهَـانِي
وَأَنْـهَـكَـنِي وَأَلْـزَمَـنِي سُـهَـاداً * وَصَـيَّـرَنِـي هَــوَاهُ فِــي هَــوَانِ
لِأَشْـكُو كَـيْ يَـرِقَ لِـحَالِ صَـبٍّ * تَـصُـبُّ جُـفُونُهُ قَـانِي الـجُمَانِ
بِـحُبِّهِ فِـي الأَنَـامِ صَـبَا وَمَهْمَا * تَـهُـبُّ صَـبَا يَـهِيمُ بِـلاَ تَـوَانِ
أُحَيِّي خَلِيلِي حِبِّي نُـورَ عَيْنِي * أَلِيفِي فِـي الـوَرَى تَـاجَ الحِسَانِ
حَمِيدَ الـسَّعْيِّ أَحْـمَدَ مَـنْ لَدَيْهِ * بُـلُـوغُ الـسَّعْدِ مَـعْ نَـيْلِ الأَمَـانِ
عَـنَيْتُ بِـهِ سُكَيْرِجَ مَـنْ تَسَامَى * مَـقَـامُهُ فِــي الـعَـلَا كَالفَرْقَدَانِ
عَـلَـيْكَ مِـنْ حَليفِ الـوِدِّ مَـنْ قَـدْ * بِـحُبِّكَ كَـادَ يَـخْفَى عَـنْ عِـيَانِ
سَــلاَمٌ مِــنْ سَــلاَمٍ فَــاقَ عَـرفاً * أَرِيـجَ الـمِسْكِ مِـنْ جِيدِ الغِوَانِ
وَرُحْـمَى مِـنْ رَحِـيمِ الـنَّاسِ تَتْرَا * عَـلَى ذَاكَ الـجَنَابِ مَـدَى الزَّمَانِ

وله أيضا :

يَـا نَـغْمَةَ الـعُودِ وَالأَلْـحَانِ فِي نـعَمِ * مَـا فِـي سَمَاعِكِ إِلاَّ البُرْءُ مِنْ سَقَمِ
إِذَا اعْـتَـرَتْنَا هُـمُومٌ لَـيْسَ يَـكْشِفُهَا * سِوَاكَ يَـا سُلْوَةَ الأَنْـفَاسِ مِـنْ غَمَمِ
يَـا أَيُّهَا الـعَاذِلُونَ فِـي الـسَّمَاعِ لَـهَا * بَـيْنَ الـوَرَى لَـكُمُ ضَـرْبٌ مِـنَ اللَّمَمِ
إِنِّـي وَحَـقِّ الـهَوَى وَالـحُبِّ مِنِّي رَشَا * يَـعْنُو لِأَلْـحَاظِهِ الـضِّرْغَامُ فِي الأَجَمِ
لاَ زِلْـتُ فِـيهَا وَلُـوعاً غَـيْرَ مُـكْتَرِثٍ * عَـنْهَا إِلَـى غَيْرِهَا فِي العُرْبِ وَالعَجَمِ

وله أيضا:

حَـيِّ الـعَـقِيقَ وَقِـفْ عَـلى الأَطْلاَلِ * وَانْـثُـرْ عَـقِـيقَ جُـفُـونِكَ الـهَـطَّالِ
وَاسْـأَلْ إِذَا رَأَيْـتَ أَهْـلَ صَـبَابَتِي * عَـمَّـنْ سَـبَا عَـقْـلِي بِـفَـرْطِ دَلاَلِ

أَيْـنَ الـكَرَى أَيْـنَ الـجِنَانُ وَفِـكْرَتِي * أَيْـنَ الـحِجَا قُـلْ لِـي وَكُـلُّ الـبَالِ
وَاخْـبِـرْهُمُ أَنِّـــي الـمَشُـوقُ إِلَيْـهِمُ * وَبِـحُـبِّـهِمْ قَـدْ هَـاجَ لِـي بِـلْـبَالِي

ولـه أيضـا :

وَحَـــقِّ مَـــنْ حَـبَـاكَ تَـمَامَ حُـسْـنٍ * لَأَنْـــتَ أَعَـــزُّ عِـنْـدِي مِـــنْ سَـــوَادِ
وَأَحْـلَـى لِـلْـفُـؤَادِ مِـــنْ رَحِـيـقٍ * وَأَنْـــتَ وَالـبَـهَى أَقْـصَـى مُـــرَادِ

ولـه أيضـا :

بِـاللَّـهِ يَـا مَـحْـبُوبُ رِفْـقـاً بِـالـحَشَا * قَـــدْ زَادَ فِـيــكَ تَـوَلُّـهِي وَنَـحِـيبِي
فَـاعْـطِفْ بِـوَصْـلِكَ فِـي قَـرِيبٍ إِنَّـنِي * بِــكَ مُـغْـرَمٌ يَـا ظَـبْـيُ أَنْـتَ نَـصِـيبِي

ولـه أيضـا :

يَـــا مَـلِـيحَ الـزَّمَـانِ إِنِّـــي أَسِـيـرٌ * فُـــكَّ أَسْــرِي بِـوَصْـلَـةٍ فِـي قَـرِيـبِ
وَزُرَنْ مَـــنْ غَـــدَا بِـحُـبِّـكَ مُـضْـنًى * وَارْحَـمَـنْ لَـوْعَـتِي وَطُــولَ نَـحِـيبِي

نص قصيدة كفاية المحتاج،في مدح صاحب اللواء والتاج،

للعلامة سيدي عبد الرحمان بن زيدان

ولنذكر في هذا المحل قصيدتيه الطنانتين كفاية المحتاج مع بغية المستهام، وقد تقدمت الإشارة إليهما، نص الأولى :

فِــي هَــوَى زَيْـنَـبٍ يَـزُولُ عَـنَـاءِي * وَهْـــوَ سُـؤْلِـي وَمُـنْـيَـتِي وَعَـنَـائِي
وَهْـوَ ذُخْـرِي وَغَـايَـةُ الـقَصْدِ عِـنْدِي * وَهْـــوَ رُوحُ الـحَـيَـاةِ وَهْـــوَ شِـفَـائِي
هَـــانَ وَالـلَّـهِ فِـــي هَـوَاهَـا هَـوَانِي * وَحَـلَالِـي وَنِــلْـتُ فِـيــهِ مُـنَـائِي
مَــا دَهَـانِي عَــنْ حُـبِّهَا عَـذْلُ لاَحٍ * وَوُشَــــاةٍ وَلاَ تَـنَـانِي الـتَّـنَـائِي

وِدُّهَــا فِــي حَشَاشَتِي مُسْتَقِرٌّ * وَإِلَـيْـهَـا أُنْـهِـي عَـظِيمَ ثَـنَـائِي
كَـيْفَ أَصْـغَى إِلَـى عَـذُولٍ وَلاَحٍ * وَرَقِــيــبٍ وَنُـطْـقُـهُـمْ كَـالـهَـبَاءِ
كَـيْفَ أَسْلُو وَحُبُّهَا قُـوتُ رُوحِـي * وَحَــيَــاةُ الـجِـنَـانِ دُونَ امْـتِـرَاءِ
كَيْفَ أَسْلُو وَكَيْفَ يُهْنَؤُ عَيْشِي * وَهَــوَاهَــا بِــدَاخِـلِ الأَحْـشَــاءِ
لاَ تَـقُـلْ فِــي الـغَـرَامِ سُـقْمٌ وَدَاءٌ * فَـهْـوَ عَـيْـنُ الـشِّـفَا مِـنَ الأَدْوَاءِ
لَــوْ رَأَى عَــاذِلِـي بَـدِيعَ بَـهَاهَا * لَـرَثَـى لِــي وَمَــا أَطَــالَ جَـفَـاءِي
أَوْ رَأَى ذَلِــكَ الـرَّقِـيـبُ سَـنَـاهَا * لَـغَـدَا بَـاهِـتـاً بِـأَسْـنَى الـمـرَاءِ
أَوْ رَآهَــا الـوُشَـاةُ مَــا كَــانَ وَاشٍ * لِــيَ فِــي حُـبِّـهَا مِــنَ الأَعْــدَاءِ
وَأَقَــرَّ الـجَـمِيعُ كَـرْهـاً وَقَـالُـوا * بِـجَـمَالٍ لَـهَـا أَطَـالُـوا عَـنَـاءِي
تَــمَّ فِـيـهَا الـبَـهَا وَكُــلُّ جَـمَالٍ * لَـيْسَ يَلْحَاكَ غَـيْرُ قَـالٍ مُـرَاءِي
مُـتْ هَنِيئاً بُشْرَاكَ نِلْتَ الأَمَانِي * إِنَّ مَـيْـتَ الـهَـوَى مِــنَ الأَحْـيَـاءِ
صَـاحِ فِـيهَا فَاخْلَعْ عِـذَارَكَ جَهْراً * وَلِـمَـاهَا ارْتَــشِفْ بِـغَـيْرِ خَـفَـاءِ
وَاقْـتَـطِفْ وَرْدَةَ الـخُـدُودِ مَـرِيـئاً * وَانْـبُـذَنْ قَـوْلَـةً لِأَهْــلِ الـجَـفَاءِ
نَـزِّهِ اللَّحْظَ فِـي بَدِيعَةِ حُـسْنٍ * لاَ يَـرَى مِـثْلَ حُسْنِهَا كُـلُّ رَاءِي
لَـيْسَ لَـوْمٌ عَـلَى مُـحِبٍّ عَـرُوبٍ * قَــدْ بَـرَاهَـا الـبَـارِي لِـكُلِّ بَـهَاءِ
يَـا عَـذُولاً يُبْدِي الـمَلاَمَةَ جَهْلاً * صَـهْ فَفِي اللَّوْمِ مِنْكَ لِي إِغْرَاءُ
فِـي جَـمَالِ الـمِلاَحِ تَفْنَى الأَلِبَّا * وَيُـحِـبُّ الـجَـمَالَ رَبُّ الـسَّـمَاءِ[1]
لَـوْ رَأَيْـتَ الـفَتَاةَ كُنْتَ رَهِـينَ الـ * ـعِـشْقِ وَالـعِـشْقُ شِـيمَةُ الفُضَلاَءِ
أَوْ رَأَيْــتَ الـجَبِينَ أَشْـرَقَ حُـسْناً * وَلآلٍ بِــثَــغْــرِهَــا الــلَّأْلاَءُ
وَدُجَــى تَـحْـتَهُ غَـزَالَـةُ صَـحْـوٍ * صِــرْتُ فِــي أَسْـرِهَا بِـدُونِ إِبَـاءِ
لَسْتُ أَسْلُو وَلَيْسَ لِي مِنْ خَلاَصٍ * عَــنْ هَـوَاهَا وَلَــوْ يَـطُولُ جَـفَاءِي
بَـيْدَ أَنِّـي قَصَدْتُ حِصْناً حَصِيناً * فِــي الـبَرَايَا بِــهِ يَـحِقُّ هَـنَاءِي
سَـيِّدِ الرُّسْلِ أَفْضَلِ الخَلْقِ طُـرّاً * أَحْـمَدَ الـمُصْطَفَى مِــنَ الأَنْـبِيَاءِ
مَعْدِنِ الفَضْلِ مَنْبَعِ الجُـودِ حَقّاً * مَـنْـهَجِ الـحَـقِّ صَــادِقِ الأَنْـبَـاءِ

---

(1) إشارة للحديث الذي رواه الإمام مسلم في صحيحه عن عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ مِنْ كِبْرٍ، قَالَ رَجُلٌ : إِنَّ الرَّجُلَ يُحِبُّ أَنْ يَكُونَ ثَوْبُهُ حَسَنًا وَنَعْلُهُ حَسَنَةً، قَالَ : إِنَّ اللَّهَ جَمِيلٌ يُحِبُّ الْجَمَالَ، الْكِبْرُ بَطَرُ الْحَقِّ وَغَمْطُ النَّاسِ، [كتاب الإيمان] باب تحريم الكبر وبيانه، رقم الحديث 131

كَـامِـلِ الـذَّاتِ وَالـصِّـفَاتِ أَتَـانَا * فِـي رَبِـيـعٍ يَـسْـمُـو بِـأَوْجِ الـسَّـمَاءِ
مَـرْحَـباً يَـارَبِـيعُ أَهْـلاً وَسَـهْـلاً * جِـئْـتَ بِـالـبِشْـرِ وَالـمُنَى وَالـهَـنَاءِ
حَـــقَّ وَالـلَّـهِ لِـلأَنَـامِ هَـنَـاءٌ * بِـوُجُـودِ الـمَخْـصُوصِ بِـالإِسْـرَاءِ
مَـــن حَـبَـاهُ الإِلَــهُ كُـلَّ جَـمِيلٍ * وَاصْـطَفَاهُ حِـبّاً مِــنَ الأَصْـفِـيَاءِ
نَـكَّسَ الـلَّـهُ يَــوْمَ مَـوْلِـدِهِ الأَوْ * ثَـــانَ حَـقّـاً وَذَلَّ أَهْــلَ الـشَّـقَاءِ
وَتَـدَاعَـى إِيـوَانُ كِـسْرَى وَغَـاضَـتْ * عَـيْـنُ فُــرْسٍ وَنَـارُهُـمْ فِـي انْـطِفَاءِ
وَحَـــوَتْ أُمُّـــهُ بِــهِ كُـلَّ فَـضْـلٍ * وَبِـــهِ أَحْــــرَزَتْ كَـمَـالَ بَـهَـاءِ
كَـمْ لَـهَا مِـن عَـجَائِبٍ قَـدْ تَـبَدَّتْ * وَهْـــيَ حُـبْلَى بِـــهِ بِـغَيْرِ خَـفَـاءِ
مَـا اعْـتَرَاهَا فِـي حَـمْلِهِ مِـنْ تَـعَنٍّ * لاَ وَلاَ مَـسَّـهَا بِـــهِ مِـــنْ عَـنَـاءِ
وَلَـدَى وَضْـعِـهِ بَـدَا وَلِـداً فِـي الـ * ـنُّـورِ كَادَتْ تُـحْكِيهِ شَـمْسُ الضَّحَاءِ
فَـبِـهِ لِـلْـوُجُـودِ حَـــقُّ الـتَّـهَانِي * وَلَـهَـا فِـيـهِ حَـــقُّ كُـــلِّ هَـنَـاءِ
أَبَـتِ الـمُرْضِـعَاتُ لِـلـيُتْمِ إِرْضَـا * عَ رَسُـــولِ الــوَرَى لِـفَقْدِ الـغِنَاءِ
فَـأَتَـتْـهُ حَـلِـيـمَـةُ ابْـنَــتُ سَـعْـدٍ * وَلَـدَيْـهَا فَـخْـرٌ عَـلَـى الـرُّضَـعَاءِ
رَكِـبَتْ فِـي القُدُومِ أَضْعَفَ مَرْكُو * بٍ وَعَـادَتْ تَـعدُو عَـلَـى الـرُّفَـقَاءِ
وَأَصَـــابَ الأَقْـــوَامَ مَـحْـلٌ شَـدِيـدٌ * وَهْـــيَ وَالـلَّـهِ فِـــي أَجَــلِّ الـثَّـرَاءِ
وَبَــدَتْ بَـعْـدَ بَـعْـثِهِ مُـعْـجِزَاتٌ * حَــارَ فِـيـهَا وَالـلَّـهِ أَهْـلُ الـذَّكَـاءِ
فَـلَـقَدْ كَـــانَ قَـبْـلَـهُ الـجِـنُّ تَـأْتِـي * لِـــدُهَـــاةِ الـكُـهَّـانِ بِـالأَنْـبَـاءِ
فَـغَدَوْا يُـطْرَدُونَ بِـالشُّهْبِ حِرْساً * عَـنْ سَـمَاعٍ لَـهُمْ بِـأَوْجِ الـسَّـمَاءِ
شَـهِـدَ الـضَّـبُّ أَنَّـهُ مُـرْسَلٌ مِـنْ * عِـنْـدِ رَبِّ الــوَرَى بِـغَيْـرِ افْـتِـرَاءِ
وَأَتَـــاهُ الـبَـعِـيرُ يُـسْـرِعُ حَـتَّـى * قَــامَ بَـيْـنَ يَـدَيْـهِ بَـعْـدَ الـنِّـدَاءِ
وَلَـــهُ انْـشَـقَّ بَـــدْرُ أَوْجِ الـمَعَالِي * فَـــتَـــرَاءَى بِـسَـائِـرِ الأَنْـــحَـــاءِ[1]

---

(1) إشارة للحديث الذي رواه البخاري عن ابن مسعود قال : انْشَقَّ الْقَمَرُ عَلَى عَهْدِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِرْقَتَيْنِ فِرْقَةً فَوْقَ الْجَبَلِ وَفِرْقَةً دُونَهُ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ اشْهَدُوا، انظرصحيح البخاري[كتاب تفسير القرآن] باب قوله تعالى : وَانْشَقَّ الْقَمَرُ وَإِنْ يَرَوْا آيَةً يُعْرِضُوا، رقم الحديث 4486

وَدَعَـا الـشَّـمْـسَ أَنْ تَـعُـودَ فَـعَـادَتْ * عِـنْـدَمَـا غُـرِّبَـتْ بِـكَـشْـفِ غِـطَـاءِ[1]
وَلَـدَيْـهِ تَـرْعَـى الـشِّـيَاهُ مَـعَ الـذِّيـ * ـبِ وَفِـي الـذِّيبِ فَـرْطُ شَـرٍّ اعْـتِدَاءِ
وَجَـرَى الـمَـاءُ مِـنْ أَصَابِعِهِ عِـنْـ * ـدَ احْـتِـيَاجٍ إِلَـيْـهِ فِـي اسْتِسْـقَاءِ[2]
جَــاءَ قَــوْمٌ لَــهُ بِـمَـاءٍ يَـسِـيرٍ * فَـارْتَـوَوْا مِـنْـهُ وَهْـوَ فِـي الـبَـيْـدَاءِ
وَلَــقَــدْ رَدَّ أَعْـيُـنـاً وَشِـفَـاهـاً * فَـغَـدَتْ بَـعْـدَ رَدِّهَـا فِـي صَـفَـاءِ
وَلَـقَـدْ سَـبَّـحَ الـحَـصَى بِـيَـدَيْـهِ * وَرَمَـاهَـا فِـي أَوْجُـهِ الأَعْـــدَاءِ
شَـتَّـتَـتْ جَـمْـعَـهُـمْ بِـأَسْـرَعِ وَقْـتٍ * وَغَــدَوْا مِـنْ شَـقَـائِـهِمْ فِـي وَبَـاءِ
هُــوَ سِــرُّ الاِلَـــهِ سِــرٌّ لَـطِـيفٌ * لَـمْ يُـقَـارِبْـهُ فِـي الـعَـلاَ ذُو عَـلاَءِ
أَحْـمَـدُ الـعَـالَـمِينَ أَصْـلُ الـمَـعَـالِي * كَـعْـبَـةُ الـفَـضْـلِ أَفْـضَـلُ الـفُـضَـلاَءِ
طَـيِّـبُ الـفَـرْعِ وَالأُصُـولِ جَـمِيلُ الـ * ـفِـعْـلِ وَالـوَصْـفِ أَكْـرَمُ الـكُـرَمَـاءِ
قُــدْوَةُ الـمُـرْسَـلِـينَ أَصْـلُ الـمَـزَايَا * عَـلَـمُ الـخَـيْـرِ أَعْـلَـمُ الـعُـلَـمَـاءِ
صَـفْـوَةُ الـلَّـهِ مِـنْ عِـبَـادِهِ مَـنْ سَـا * دَ بِـحِـلْـمٍ وَأَحْـلَـمُ الـحُـلَـمَـاءِ
مَــنْ وَقَـاهُ الإِلَـهُ سُــوءاً وَضَـيْـراً * وَكَــفَــاهُ مَـكَـائِـدَ الأَعْـــدَاءِ
وَاصْـطَـفَـاهُ الإِلَــهُ حِـبّـاً صَـفِـيّاً * وَحَــبَــاهُ شَـمَــائِـلَ الأَصْـفِـيَـاءِ
مَـالَـهُ فِـي الـوُجُـودِ وَالـلَّـهِ كُـفْـؤٌ * فِــي جَـمَـالٍ وَهَـيْـبَـةٍ وَسَـخَـاءِ
هُــوَ رُوحُ الـوُجُـودِ وَالـسِّـرُّ فِـيـهِ * هُـوَ عَـيْـنُ الـسَّـنَا وَأَصْـلُ الـسَّـنَاءِ
جَـمَـعَ الـحُـسْـنَ وَالـمَـحَـاسِنَ وَالإِحْـ * ـسَــانَ ذُو بَـهْـجَـةٍ بَـدِيـعُ الـبَـهَـاءِ
إِنْ تَـبَـدَّى إِلَــى الـغَـزَالَـةِ وَلَّـتْ * وَسَـنَـاهَا بَـيْـنَ الـوَرَى فِـي انْـمِـحَاءِ
وَجْــهُـهُ الـمُـسْـتَـدِيرُ بَــدْرُ سَـنَـاهُ * مِــنْـهُ نَــالَ الـضِّـيَاءُ كُــلَّ سَـنَـاءِ

---

(1) منه ما ذكره القاضي عياض في كتابه الشفا عن الطحاوي في مشكل الحديث قال : عن أسماء بنت عميس من طريقين أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يوحى إليه ورأسه في حجر علي، فلم يصل العصر حتى غربت الشمس، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أصليت يا علي ؟ قال : لا، فقال : اللهم إنه كان في طاعتك وطاعة رسولك فاردد عليه الشمس، قالت أسماء : فرأيتها غربت، ثم رأيتها طلعت بعد ما غربت ووقفت على الجبال والأرض، وذلك بالصهباء في خيبر، قال : وهذان الحديثان ثابتان ورواتهما ثقات، انظر الشفا بالتعريف بحقوق المصطفى، الجزء الأول، فصل في انشقاق القمر وحبس الشمس ص175

(2) إشارة للحديث الذي رواه البخاري عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال : عَطِشَ النَّاسُ يَوْمَ الْحُدَيْبِيَةِ وَالنَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَيْنَ يَدَيْهِ رِكْوَةٌ فَتَوَضَّأَ فَجَهِشَ النَّاسُ نَحْوَهُ فَقَالَ مَا لَكُمْ قَالُوا لَيْسَ عِنْدَنَا مَاءٌ نَتَوَضَّأُ وَلَا نَشْرَبُ إِلَّا مَا بَيْنَ يَدَيْكَ فَوَضَعَ يَدَهُ فِي الرِّكْوَةِ فَجَعَلَ الْمَاءُ يَثُورُ بَيْنَ أَصَابِعِهِ كَأَمْثَالِ الْعُيُونِ فَشَرِبْنَا وَتَوَضَّأْنَا قُلْتُ كَمْ كُنْتُمْ قَالَ لَوْ كُنَّا مِائَةَ أَلْفٍ لَكَفَانَا كُنَّا خَمْسَ عَشْرَةَ مِائَةً، صحيح البخاري [كتاب المغازي] باب غزوة الحديبية، رقم الحديث 2837

أَبْـيَـضُ مُـشْـرَبٌ عَـلاَهُ احْـمِـرَارٌ * أَشْـنَـبٌ[1] أَفْـلَـجٌ بَـهِـيُّ الـضِّـيَـاءِ
أَبْـلَـجُ أَبْــهَـجُ جَـلِـيـلٌ جَـمِـيـلٌ * أَشْـكَـلُ أَوْطَـفٌ[2] شَـدِيـدُ الـحَـيَـاءِ
هَـــيِّـــنٌ لَـــيِّـــنٌ رَؤُوفٌ رَحِـــيـــمٌ * ضَـخْـمُ رَأْسٍ ذُو مُـقْـلَـةٍ سَـــوْدَاءِ
جِيدُهُ[3] فَـاقَ فِـي الصَّـفَاءِ لُجَيْناً[4] * مُـشْـرَباً بِالنُّضَـارِ نَـامِـي السَّـنَـاءِ
فَاحِمُ الـشَّـعْرِ لَيْسَ جَعْداً وَلاَ سَبْـ * ـطاً[5] وَلَـكِنْ رَجْـلاً عَـدِيمَ الْـتِوَاءِ
شَثْنَ[6] كَفٍّ ضَخْمِ الكَرَادِيسِ رَحْبِ الـ * ـصَّــدْرِ يُـسْبِي عُـقُـولَ أَهْـلِ الـنّـهَاءِ
لَـيْـسَ وَالـلَّـهِ بِالـمُكَلْثَمِ[7] ذُو خَـ * ـدٍّ أَسِـــيـــلٍ وَرِقَّـــــةٍ وَاسْـتِـــوَاءِ
قَـامَـةً رَبْـعَـةٌ يَـمِيلُ إِلَـــى الـطُّـو * ـلِ فَـخِـيــمٌ ذُو لِـحْـيَـةٍ كَـــثَّـــاءِ[8]
رِيـحُـهُ الـمِـسْكُ بَـلْ أَرِيجُهُ أَذْكَـى * مِـنْـهُ وَقْـتَ الـشـذَاءِ وَقْـتَ ذُكَـاءِ
رِيـقُـهُ الـشَّـهْدُ بَــلْ أَلَــذُّ وَأَشْـهَـى * وَبِــــهِ يُـشْـتَـفَـى مِــــنَ الأَدْوَاءِ
كَـفُّـهُ الـلَّـيِّـنُ الـشَّـرِيفُ حَـرِيـرٌ * كَــمْ أَزَالَــتْ بِـلَـسْمِهَا مِـنْ عَـنَـاءِ
حَـازَ كُـلَّ البَـهَا فَـأَضْـحَى فَـرِيداً * وَبِـهِ الـحُسْنُ قَدْ غَـدَا فِـي ازْدِهَـاءِ
فَـمَـتَـى مَـــا تَـبَـسَّـمَتْ شَـفَـتَـاهُ * أَخْـجَـلَ الـنَّـيِّـرَيْـنِ[9] وَقْـتَ انْـجِـلاَءِ
أَوْ أَبَـــانَ الـحَـبِـيـبُ عَـــنْ ثَـغْـرِ دُرٍّ * لاَحَ نُـــورٌ وَفَـــاحَ طِـيـبُ الـشَّـذَاءِ
كَـانَ يَـفْـتَرُّ فِـــي الـتَّـبَـسُّمِ عَـنْ ثَـغْـ * ـرٍ لآَ لِ يُـــزْرِي بِـشَـمْـسِ الـضَّـحَاءِ
كُـلُّ حُـسْـنٍ فِـي ذَاتِـهِ قَـدْ تَـجَلَّى * وَتَـحَـلَّـى بَـيْـنَ الـــوَرَى بِـالـوَفَـاءِ
وَتَـخَـلَّـى عَـــنِ الــرَّذَائِـلِ طِـفْـلاً * وَاعْـتَـلَـى قَـــدْرُهُ عَـلَـى الـكُـبَرَاءِ
لَـــمْ يَـنَـمْ قَـلْـبُـهُ إِذَا العَـيْـنُ نَـامَـتْ * وَهْـــوَ حَـقّـاً ذُو هَـجْـعَةِ الإِغْـفَـاءِ

---

(1) الشنب : جمال الثغر وصفاء الأسنان
(2) أوطف : بمعنى كَثُرَ شعر حاجبيه وأهدابه مع استرخاء
(3) الجيد : العنق
(4) اللجين : الفضة
(5) السبط : هو من الشعر المسترسل غير الجعد
(6) شثن الكف : أي غليضه
(7) المكلثم : معناه أنه لم يكن مستدير الوجه
(8) كث اللحية : أي كثير شعرها غير طويله
(9) النيران : الشمس والقمر

مَـا لَـهُ إِنْ مَـشَى عَـلَى الأَرْضِ ظِلٌّ * وَيَـــرَى مِـــنْ أَمَـامِـهِ كَــوَرَاءِ
حَسَـنُ الـصَّوْتِ أَجْمَلُ الخَلْقِ نُطْقاً * بَـيِّـنُ الـقَـوْلِ لَــمْ يَـكُـنْ ذَا هُـرَاءِ[1]
شَـأْنُـهُ الـرِّفْـقُ[2] وَالـتَّـوَاضُعُ دَأْبـاً * لَـيْـسَ فَـظّـاً نَـعَـمْ عَـزِيزُ العَـطَاءِ
كَانَ يُعْطِي النَّفِيسَ مِـنْ كُلِّ شَيْءٍ * وَهْـــوَ رَاضٍ بِـشَـمْـلَـةٍ وَكِـسَــاءِ
كَـمْ شُهُورٍ مَضَتْ وَلَـمْ يُوقِدِ النَّا * رَ لِـطَـبْـخٍ غِـنًـى بِـتَـمْـرٍ وَمـاءِ[3]
قَــطُّ لَــمْ يَـجْـتَـمِعْ قُـرَاصٌ[4] بِـلَحْـمٍ * عِـنْـدَهُ فِـــي غِـذَائِـهِ وَالـعِـشاءِ
وَأَتَـتْـهُ الـجِـبَـالُ وَهْـــيَ نُـضَـارٌ[5] * فَـأَبَـاهَـا الـحَـبِـيبُ أَيَّ إِبَــــاءِ
خَـصَّــهُ الـلَّـهُ بِـالـفَـضَائِلِ وَالإِفْـ * ـضَالِ وَالـفَـضْلِ بَيْـنَ أَهْـلِ الصَّفَاءِ
أَوَ مَـا قَـدْ سَـمَا لِأَسْـمَى مَـكَانٍ * عَــــنْ يَـقِـيــنٍ وَأَمَّ بِـالأَنْـبِـيَـاءِ
أَوَ مَـــا قَـــدْ دَنَـا لِـحَـضْـرَةِ قُــدْسٍ * وَرَأَى رَبَّـــــهُ بِـــغَــيْــرِ مِــــرَاءِ
سَـارَ لَيْلاً مِـنَ الـحَرَامِ إِلَى الـمَسْـ * ـجِدِ الاقْصَى إِلَـى أَعَالِي السَّمَاءِ
ثُـــمَّ مِـنْـهُ إِلَـــى مَـقَـامٍ كَـرِيـمٍ * خُــصَّ فِـيـهِ بِـالإِصْـطِفَا وَالـهَـنَاءِ
خَـصَّـهُ الـلَّـهُ فِـي الأَنَـامِ بِـخَـمْسٍ[6] * وَتَـسَــامَـى بِـرِفْـعَـةٍ وَازْدِهَـــاءِ

---

(1) الهراء : الكلام الكثير الفاسد لا نظام له

(2) إشارة للحديث الذي رواه الإمام مسلم في صحيحه عن عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ هِلَالٍ الْعَبْسِيِّ قَالَ : سَمِعْتُ جَرِيرًا يَقُولُ : سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ : مَنْ يُحْرَمْ الرِّفْقَ يُحْرَمْ الْخَيْرَ . أنظر صحيح مسلم [كتاب البر والصلة والآداب] باب فضل الرفق رقم الحديث 4695

(3) إشارة للحديث الذي رواه البخاري عن عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أَنَّهَا قَالَتْ لِعُرْوَةَ : ابْنَ أُخْتِي، إِنْ كُنَّا لَنَنْظُرُ إِلَى الْهِلَالِ ثُمَّ ثُمَّ الْهِلَالِ ثَلَاثَةَ أَهِلَّةٍ فِي شَهْرَيْنِ وَمَا أُوقِدَتْ فِي أَبْيَاتِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نَارٌ، فَقُلْتُ : يَا خَالَةُ مَا كَانَ يُعِيشُكُمْ ؟ قَالَتْ : الْأَسْوَدَانِ التَّمْرُ وَالْمَاءُ، إِلَّا أَنَّهُ قَدْ كَانَ لِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ جِيرَانٌ مِنْ الْأَنْصَارِ كَانَتْ لَهُمْ مَنَائِحُ، وَكَانُوا يَمْنَحُونَ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْ أَلْبَانِهِمْ فَيَسْقِينَا، صحيح البخاري [كتابالْهِبَةِ وَفَضْلِهَا وَالتَّحْرِيضِ عَلَيْهَا] باب منه، رقم الحديث 2379

(4) قراص : يابس من الخبز

(5) النضار : الخالص من كل شيء ، والمراد به هنا الذهب

(6) إشارة للحديث الذي أخرجه الحافظ البخاري عن جَابِرُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : أُعْطِيتُ خَمْسًا لَمْ يُعْطَهُنَّ أَحَدٌ مِنْ الْأَنْبِيَاءِ قَبْلِي، نُصِرْتُ بِالرُّعْبِ مَسِيرَةَ شَهْرٍ، وَجُعِلَتْ لِي الْأَرْضُ مَسْجِدًا وَطَهُورًا، وَأَيُّمَا رَجُلٍ مِنْ أُمَّتِي أَدْرَكَتْهُ الصَّلَاةُ فَلْيُصَلِّ، وَأُحِلَّتْ لِي الْغَنَائِمُ، وَكَانَ النَّبِيُّ يُبْعَثُ إِلَى قَوْمِهِ خَاصَّةً وَبُعِثْتُ إِلَى النَّاسِ كَافَّةً، وَأُعْطِيتُ الشَّفَاعَةَ. أنظر صحيح البخاري [كتاب الصلاة] باب قَوْلِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ جُعِلَتْ لِي الْأَرْضُ مَسْجِدًا وَطَهُورًا رقم الحديث 419

جُعِلَتْ مَسْجِداً لَـهُ الأَرْضُ حَقّاً * وَطَهُوراً وَكَـمْ لَـهُ مِـنْ عَـلاَءِ
ظَلَّلَتْهُ غَمَائِمٌ مِـنْ هَجِيرِ الـ * ـحَرِّ مَهْمَا بَدَا لَدَى البَيْدَاءِ
أَفْصَحَتْ بِالسَّلاَمِ حَقّاً جَمَادَا * تُ وَحَيَّتْ بِأَلْسُنٍ فُصَحَاءِ[1]
حَنَّ جِذْعُ النَّخِيلِ شَوْقاً إِلَيْهِ * وَبَكَى مِنْ أَلِيمِ دَاءِ التَّنَاءِ[2]
وَأَتَتْهُ الأَرْوَاحُ لَمَّا دَعَاهَا * لَـه تَسْعَى وَمَا لِذَا مِنْ خَفَاءِ
لَيْسَ يَدْرِي سِوَى الإِلَهُ عُلاَهُ * كَيْفَ لاَ وَهْوَ عَادِمُ الأَكْفَاءِ
هُوَ وَاللَّهِ مُبْتَدَا كُلِّ خَيْرٍ * وَهْوَ وَاللَّهِ أَصْلُ كُلِّ حِبَاءِ
هُوَ وَاللَّهِ أَوَّلُ الخَلْقِ خَلْقاً * وَهْوَ فِي البَعْثِ خَاتِمُ الأَنْبِيَاءِ
أَيُّ وَصْفٍ يَفِي بِمَدْحِ عُلاَهُ * حَارَ وَاللَّهِ فِيهِ أَهْلُ الذَّكَاءِ
إِنَّمَا قَدْرُهُ عَظِيمٌ قَدِيماً * عَجَزَتْ عَنْهُ أَلْسُنُ البُلَغَاءِ
غَايَةُ الأَمْرِ أَنَّ مَبْلَغَ كُلِّ الـ * ـخَلْقِ فِيهِ عَجْزٌ عَنِ الإِحْصَاءِ
قَدْ تَضَاءَلَتِ الفُهُومُ كَلاَلاً * عَنْ سَنَاهُ الحَاوِي لِكُلِّ سَنَاءِ
هُوَ سَامِي المَقَامِ صَاحٍ وَلَكِنْ * بَيْنَ أَهْلِ الكَمَالِ قُطْبُ الرَّحَاءِ
هُوَ بَحْرُ العَطَاءِ وَالجُودِ وَالإِكْـ * ـرَامِ وَهْوَ الغِنَاءُ لِلْفُقَرَاءِ
هُوَ عَيْنُ الأَعْيَانِ سِرُّ البَرَايَا * هُوَ أَصْلُ الوُجُودِ وَالأَشْيَاءِ
لَيْسَ مِنْ فَوْقِهِ لِخَلْقٍ مَقَامٌ * فَانْتِهَاءُ العُلَى لَهُ فِي ابْتِدَاءِ
وَلَهُ تَنْتَهِي جَمِيعُ المَعَالِي * وَهُوَ المُحْتَوِي عَلَى العَلْيَاءِ
فَبِهِ الكَوْنُ مُسْتَنِيرٌ وَمِنْهُ * كُلُّ نُورٍ بَدَا عَلَى الأَرْجَاءِ

---

(1) منه ما أخرجه البيهقي من طريق ابن اسحاق قال : حدثني عبد الملك بن عبد الله بن أبي سفيان بن العلاء بن جارية الثقفي عن بعض أهل العلم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم حين أراد الله كرامته وابتدأه بالنبوة، كان لا يمر بحجر ولا شجر إلا سلم عليه وسمع منه، فيلتفت رسول الله صلى الله عليه وسلم خلفه وعن يمينه وعن شماله، ولا يرى إلا الشجر وما حوله من الحجارة، وهي تحييه بتحية النبوة : السلام عليك يا رسول الله، انظر الخصائص الكبرى، للحافظ السيوطي، باب ما ظهر من الآيات في سفره صلى الله عليه وسلم لخديجة مع ميسرة، 1 : 158

(2) إشارة للحديث الذي رواه البخاري عن جَابِرَ بْنَ عَبْدِ اللَّهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أنه قال : كَانَ الْمَسْجِدُ مَسْقُوفًا عَلَى جُذُوعٍ مِنْ نَخْلٍ، فَكَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا خَطَبَ يَقُومُ إِلَى جِذْعٍ مِنْهَا، فَلَمَّا صُنِعَ لَهُ الْمِنْبَرُ وَكَانَ عَلَيْهِ سَمِعْنَا لِذَلِكَ الْجِذْعِ صَوْتًا كَصَوْتِ الْعِشَارِ، حَتَّى جَاءَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَوَضَعَ يَدَهُ عَلَيْهَا فَسَكَنَتْ، صحيح البخاري [كتاب الإيمان] باب الْأَمْرِ بِالْإِيمَانِ بِاللَّهِ تَعَالَى وَرَسُولِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَشَرَائِعِ الدِّينِ، وَالدُّعَاءِ إِلَيْهِ، وَالسُّؤَالِ عَنْهُ، وَحِفْظِهِ وَتَبْلِيغِهِ مَنْ لَمْ يَبْلُغْهُ، رقم الحديث 26

وَهْـوَ بَـابٌ إِلَـى السَّعَادَةِ يُفْضِي * كُـلُّ مَـنْ أَمَّـهُ غَـدَا ذَا اصْـطِفَاءِ
وَإِذَا حَـادَ[1] عَـنْ سَـبِيلِ هُـدَاهُ * أَحَـدٌ حَـلَّ فِـي طَـرِيقِ الشَّـقَاءِ
قُـلْ بِمَدْحِ الرَّسُولِ مَـا شِئْتَ إِلاَّ * مَـا ادُّعِـي مِـنْ مَقَالَةِ السُّفَهَاءِ
لاَ يُـقَـاسُ الحَـبِيبُ بِـالدُّرِّ وَالـيَا * قُـوتِ فَـهْـوَ الـعَدِيمُ لِـلنُّظَرَاءِ
أَطْـوَلُ الخَلْقِ فِـي النَّـوَالِ وَأَسْمَى * آيَـــةِ الـلَّـهِ سَـيِّـدِ الأَنْـبِـيَـاءِ
هُـوَ كَـهْـفُ العُـصَاةِ أَكْـرَمُ حَـامٍ * مِـنْ لَـظَـى وَهْـوَ أَعْـظَمُ الشُّـفَعَاءِ
مَـلْجَأُ الـمُذْنِبِينَ كَـهْفُ اليَتَامَى * مَـرْبَـحُ الـمُـقْتِرِينَ[2] وَالأَغْـنِـيَـاءِ
مَـا لَـهُ فِـي الأَنَـامِ وَالـلَّـهِ مِـثْلٌ * مِـنْ ضِـيَاهُ اسْتُعِيرَ ضَـوْءُ ذُكَـاءِ[3]
مُصْطَفَى الـلَّـهِ مِـنْ عِـبَادِهِ حَقّاً * هُـوَ رُوحُ الـمَعَالِي قُـطْبُ العَلاَءِ
مُجْتَبَى اللَّهِ مِـنْ عِبَادِهِ مَـنْ قَدْ * بَـدَّدَ[4] الـزَّيْـغَ مَـعْ ذَوِي الأَهْـوَاءِ
فَـلَـقَـدْ بَـلَّـغَ الـرِّسَـالَـةَ حَـقّـاً * فَـجَـزَاهُ الإِلَـــهُ حُـسْـنَ جَــزَاءِ
وَأَتَــى بِـالـكِـتَابِ لِلخَـلْقِ مِـنْ رَ * بٍّ كَـرِيـمٍ يَـهْـدِي سَبِيلَ الـسَّـوَاءِ
مَــالَ عِـنْـدَ اللَّدُودِ[5] حَـقّاً وَكَلَّتْ[6] * بُـلَـغَـاءُ الأَعْـــرَابِ مَــعْ فُـصَحَاءِ
كَـمْ قُـلُوبٍ بِـهِ اهْـتَدَتْ بَعْدَ زَيْـغٍ * لِـطَـرِيـقِ الـهُـدَى بِـغَـيْـرِ إِبَـــاءِ
وَقُـلُوبٍ عُـمْـيٍ عَـنِ الحَقِّ ضَلَّتْ * قَـدْ شَـفَاهَا بِـالحَقِّ بَـعْدَ عَـمَاءِ
وَإِلَــى الـلَّـهِ جَـاءَ يَـدْعُـو البَرَايَا * قَـائِماً فِـي الـمَحَجَّةِ السَّمْحَاءِ
لَــمْ يَــزِغْ عَــنْ سُلُوكِهَا بِعُتُوٍّ[7] * غَـيْـرُ أَهْــلِ الـضَّـلاَلِ وَالأَهْـوَاءِ
ثُـمَّ لَـمَّا إِلَـى الهُدَى قَـدْ دَعَاهُمْ * وَرَأَوْا مَــا يَـسُوءُهُمْ مِــنْ عَــلاَءِ
صَـمَّـمُـوا أَنْ يُـحَـارِبُـوهُ جُـحُـوداً * فَـغَدَوْا فِـي الـرَّدَى بِفَرْطِ اعْتِدَاءِ
جَـــاءَهُ الــرُّوحُ مُـعْلِماً بِـمَرَامِ الـ * ـمُشْرِكِينَ الـبُغَاةِ أَهْـلِ الـجَفَاءِ

---

(1) حاد عن سبيله : مال عنه
(2) المقترون : جمع مقتر، وهو الرجل الذي ضاقت عليه معيشته
(3) ذكاء : الشمس
(4) بدد الزيغ : فرقه
(5) اللدود : الشديد الخصومة
(6) كلت : تعبت
(7) العتو : الإستكبار وتجاوز الحد

قَصَدَ المُصْطَفَى المَدِينَةَ حَقّاً * وَهَوَتْ هِمَّةُ العِدَا فِي الشَّقَاءِ
وَاخْتَفَى سَيِّدُ النَّبِيئِينَ بِالغَا * رِ مِنَ المَارِقِينَ[1] وَالأَعْدَاءِ
شَرَّفَ اللَّهُ غَارَ ثَوْرٍ بِخَيْرِ الـ * ـمُرْسَلِينَ السَّامِي عَلَى الأَنْبِيَاءِ
نَسَجَ العَنْكَبُوتُ حِيناً عَلَيْهِ * وَحُمِي بِالحَمَامَةِ الوَرْقَاءِ
ثُمَّ سَارَ الحَبِيبُ لَيْلاً وَبَدْرُ الـ * ـسَّعْدِ يَطْوِي مَفَازَةَ[2] البَيْدَاءِ
وَاقْتَفَاهُ ابْنُ مَالِكِ المُدْلِجِيِّ * كَيْ يَنَالَ المُنَى بِنَيْلِ الثَّرَاءِ[3]
فَهَوَتْ سَابِحٌ[4] لَهُ تخمَ الأَرْ * ضِ فَنَادَاهُ وَهْوَ فِي لَأْوَاءِ[5]
هَكَذَا هَكَذَا جَزَاءُ الأَعَادِي * حَيْثُ صَارُوا بِبُغْضِهِمْ فِي عَمَاءِ
لاَ تَظُنَّ النَّبِيَّ قَد فَرَّ مِنْهُمْ * عَاجِزاً عَنْهُمُ لِهَذَا الثَّنَاءِ
هُوَ وَاللَّهِ أَشْجَعُ الخَلْقِ طُرّاً * يَا هَلاَكَ العِدَا لَدَى الهَيْجَاءِ[6]
ثَوْبُ شِرْكٍ بِهِ تَمَزَّقَ فِي بَدْ * رٍ يَقِيناً وَمَا لَهُ مِنْ بَقَاءِ
فَبِهَا مَدَّهُ الإِلَهُ بِفَتْحٍ * وَفَخَارٍ فِي فِتْيَةٍ سُعَدَاءِ
لَمْ يَقُمْ بَعْدَهَا إِلَى الشِّرْكِ رَأْسٌ * وَاجْتَلَى[7] الدِّينُ صَاحِ أَيَّ اجْتِلاَءِ
وَسَمَا بَدْرُهُ سَمَاءَ سُعُودٍ * وَأُصِيبَ العُتَاةُ بِالدَّهْيَاءِ[8]
ثُمَّ جَاءَ المُعَانِدُونَ لَهُ فِي * أُحُدٍ فِي مَهَانَةٍ قَعْسَاءِ[9]
فَأَتَى اللَّهُ بِالفُتُوحَاتِ وَالنَّصْـ * ـرِ العَزِيزِ عَلَى أُنُوفِ العِدَاءِ
ثُمَّ ثَارَتْ قَوْمُ المُرَيْسِعِ جُحْداً * وَعِنَاداً بِغِلْظَةٍ وَاجْتِرَاءِ

---

(1) المارقين : الخارجين عن الدين والحق والفضيلة

(2) مفازة : مفرد مفاوز، وهي الفلاة لا ماء فيها

(3) إشارة لحديث طويل، رواه الإمام البخاري في كتاب المناقب، ببَاب هِجْرَةِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَأَصْحَابِهِ إِلَى الْمَدِينَةِ، رقم الحديث 3616

(4) السابح : الخيل السريعة، وجمعها سوابح

(5) لأواء : بمعنى في شدة ومصيبة

(6) الهيجاء : الحرب

(7) اجتلى : ظهر

(8) الدهياء : ما يصيب الناس من دواهي الدهر، والمراد بها المصيبة العظيمة

(9) قعساء : ممتنعة ثابتة

فَـغَـدَتْ وَهْـيَ فِـي قُـيُودِ هَـوَانٍ[1] * وَتَـوَلَّـى رَئِـيـسُـهُـمْ فِـــي ازْدِرَاءِ
ثُـمَّ زُفَّ الـنَّبِي بِبِنْتِ رَئِـيسِ الـ * قَــوْمِ وَالـعِـتْقُ حُــقَّ بِـالأُسَـرَاءِ
ثُـمَّ جَـاءَتْ جُيُوشُهُمْ تَطْلُبُ الثَّأْ * رَ بِـأَحْـزَابِـهَـا جُـمُـوعِ الــرَّدَاءِ
فَـتَـحَلَّوْا بِـحُـلَّـةٍ مِـــنْ صَـغَـارٍ[2] * تُـوِّجُـوا فِـي الـوَرَى بِـدَاءٍ عـيَاءِ
بَــدَّدَ الـلَّـهُ جَـمْـعَـهُمْ وَحَـبَـاهُمْ * مِـنْ هَـوَانٍ مَـا جَـلَّ عَـنْ إِحْصَاءِ
وَنَـضِـيـرٌ وَيْــلٌ أَتَـاهَـا وَضَـيْـرٌ * وَهَـــلاَكٌ كَـسَـائِـرِ الأَعْـــدَاءِ[3]
وَأَتَـــى الـمَـكْرُ وَالـوَبَـالُ قُـرَيْـظَ * ـةَ ذَوِي الـخُلْفِ وَالـجَفَا وَالـخَنَاءِ
خَـــرَّبَ الـلَّـهُ خَـيْـبراً[4] بِـرَدَاهَـا * وَجَـــلاَ قَـيْـنُـقَـاعَ أَيَّ جَـــلاَءِ[5]
وَبِـــوَادِي الـقُـرَى[6] أُقِـرَّتْ خُـطُوبٌ * وَأُرِيـقَـتْ دِمَــاءُ أَهْــلِ الـشَّـقَاءِ
مَـاحِـلاً لِـلْـفُؤَادِ بَـعْـدَ سَـمَـاعِ الـ * ـكُـــلِّ إِلاَّ فَـتْـحُ أَزَالَ عَـنَـاءِي
فَتْحُ أُمِّ الـقُرَى الَّـتِي الـفَخْرُ فِـيهَا * مَــعْ عَــلاَءٍ عَـلَى جَمِيعِ الـقرَاءِ
حَـاشَ مِـنْ ذَاكَ طَـيْبَةً نِلْتِ عِـزّاً * وَوُقِـيـتَ الــرَّدَى وَكُــلَّ بَــلاَءِ
حَــانَ وَالـلَّـهِ لِـلأَعَـادِي نَـكَـالٌ * بِــحُـنَـيْـنٍ مُــمَــزِّقُ الأَحْــشَــاءِ
مِـثْـلُـهُ طَـائِـفٌ كَــذَاكَ تَـبُـوكٌ * كُـلُّـهُـمْ جُــرِّعُـوا كُـــؤُوسَ رَدَاءِ
يَــا رَسُـــولَ الإِلَـهِ يَـا خَـيْرَ هَـادٍ * يَــا مَــلاَذَ الـوَرَى بِـيَوْمِ الـجَزَاءِ

---

(1) الهوان : الذل

(2) بحلة من صغار : بمعنى في احتقار واستخفاف وذل

(3) غزوة بني النضير: حدثت بعد ستة أشهر من غزوة بدر الكبرى، قبل غزوة أحد، ضد طائفة من اليهود، قال عنها صاحب فتح فتح الباري : كَانَتْ مَنَازِلهمْ وَنَخْلهمْ بِنَاحِيَةِ الْمَدِينَة ، فَحَاصَرَهُمْ رَسُول اللَّه صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَتَّى نَزَلُوا عَلَى الْجَلَاء، وَعَلَى أَنَّ لَهُمْ مَا أَقَلَّتْ الْإِبِل مِنْ الْأَمْتِعَة وَالْأَمْوَال، لَا الْحَلْقَة يَعْنِي السِّلَاح، فَأَنْزَلَ اللَّه فِيهِمْ (سَبَّحَ لِلَّهِ - إِلَى قَوْله - لِأَوَّلِ الْحَشْرِ) وَقَاتَلَهُمْ حَتَّى صَالَحَهُمْ عَلَى الْجَلَاء، فَأَجْلَاهُمْ إِلَى الشَّام ، وَكَانُوا مِنْ سِبْط لَمْ يُصِبْهُمْ جَلَاء فِيمَا خَلَا ، وَكَانَ اللَّه قَدْ كَتَبَ عَلَيْهِمْ الْجَلَاء، وَلَوْلَا ذَلِكَ لَعَذَّبَهُمْ فِي الدُّنْيَا بِالْقَتْلِ وَالسِّبَاء .

(4) اقتباس من قول رسول الله صلى الله عليه وسلم : اللَّهُ أَكْبَرُ خَرِبَتْ خَيْبَرُ إِنَّا إِذَا نَزَلْنَا بِسَاحَةِ قَوْمٍ{ فَسَاءَ صَبَاحُ الْمُنْذَرِينَ } أنظر صحيح مسلم [كتاب الجهاد والسير] غزوة خيبر، رقم الحديث 3360

(5) إشارة لحديث رواه الإمام مسلم عن عبد الله بن عمر، قال في آخره : وَأَجْلَى رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَهُودَ الْمَدِينَةِ كُلَّهُمْ بَنِي قَيْنُقَاعَ وَهُمْ قَوْمُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ سَلَامٍ وَيَهُودَ بَنِي حَارِثَةَ وَكُلَّ يَهُودِيٍّ كَانَ بِالْمَدِينَةِ، انظر صحيح مسلم [كتاب الجهاد والسير] باب إجلاء اليهود من الحجاز، رقم الحديث 3312

(6) إشارة لغزوة وادي القرى، وقعت بعد غزوة خيبر، قال صاحب فتح الباري : وَادِي الْقُرَى هِيَ مَدِينَةٌ قَدِيمَةٌ بَيْنَ الْمَدِينَةِ وَالشَّامِ،

ذَا عُبَيْدُ الرَّحْمَانِ جَاءَكَ يَسْعَى * رَاجِياً أَنْ يُرَى مِنَ السُّعَدَاءِ
قَدْ أَتَى وَهْوَ ذُو ذُنُوبٍ جِسَامٍ * يَرْتَجِي العَفْوَ مِنْ إِلَهِ السَّمَاءِ
أَثْقَلَتْهُ الأَوْزَانُ وَالنَّفْسُ جَارَتْ * وَاسْتَطَالَتْ بِالسُّوءِ وَالفَحْشَاءِ
هَلْ مُجِيرٌ لِمَنْ دَهَتْهُ خُطُوبٌ[1] * وَرَزَايَا سِوَاكَ بَحْرَ الوَفَاءِ
أَنْتَ رُكْنِي وَعُمْدَتِي أَنْتَ حِصْنِي * يَا شَفِيعَ الوَرَى عَلَيْكَ اتِّكَاءِي
خُذْ بِفَضْلٍ عَذْرَاءَ بِنْتاً لِفِكْرٍ * ذَاهِلٍ[2] حَائِرٍ بِصَرْحِ هَوَاءِ
وَارْضَ عَنِّي فَإِنَّنِي ذُو خَطَايَا * قَيْدَ عجْبٍ وَفِي قُيُودِ رِيَاءِ
فَأَجِرْ مَنْ بِكَ اسْتَجَارَ بِفَضْلٍ * لَكَ وَاللَّهِ فِي الأَنَامِ التِجَاءِي
بِكَ أَرْجُو النَّجَاةَ فِي يَوْمِ حَشْرٍ * كُنْ لِعَبْدٍ مُقَصِّرٍ خَطَّاءِ
بِكَ أَرْجُو الخَلاَصَ مِنْ حَرِّ نَارٍ * بِكَ أَرْجُو نَجَاحَ كُلِّ هَنَاءِ
بِكَ أَرْجُو الفَلاَحَ فِي الدِّينِ وَالدُّنْ * يَا وَحَاشَا يَخِيبُ فِيكَ رَجَاءِي
عِيلَ[3] وَاللَّهِ يَا حَبِيبِي اصْطِبَارِي * مِنْ دَوَاهُ وَعِيشَةٍ دَهْمَاءِ
يَارَسُولَ الإِلَهِ ضَاقَ نِطَاقُ ال * خَلْقِ مِمَّا دَهَاهُمُ مِنْ غَلاَءِ
وَاسْتَطَالَ العَدُوُّ وَالدِّينُ قَدْ عَا * دَ غَرِيباً كَمَا بَدَا فِي ابْتِدَاءِ[4]
وَفَشَا الفُحْشُ وَالفُجُورُ فُشُواً * وَنَمَا الزُّورُ وَالحَيَا فِي اخْتِفَاءِ
فَتَشَفَّعْ لَنَا لَدَى عَالِمِ الغَيْ * بِ بِفَضْلٍ يَا سَيِّدَ الشُّفَعَاءِ
وَتَدَارَكْ بِجَاهِكَ الدِّينَ وَاحْرُسْ * هُ وَأَيِّدْ وَانْصُرْ عَلَى الأَعْدَاءِ
يَا رَسُولاً قَدْ خَصَّهُ اللَّهُ بِالقُرْ * بِ وَبِالفَضْلِ فِي سَنًى وَسَنَاءِ
أَنْتَ عِزِّي وَمَلْجَئِي وَمَعَاذِي * وَمَلاَذِي وَبُغْيَتِي وَغِنَاءِي
أَنْتَ ذُخْرِي وَأَنْتَ كَنْزِي وَأَنْتَ ال * غَوْثُ وَالغَيْثُ كَاشِفُ الغَمَّاءِ
يَا رَسُولَ الإِلَهِ بِالآلِ وَالصَّحْ * بِ الكِرَامِ الهُدَاةِ أَهْلِ الوَفَاءِ

---

(1) الخطوب : الأمر الشديد يكثر فيه التخاطب

(2) ذاهل : غائب عن رشده

(3) عيل صبري : نفد

(4) إشارة للحديث الذي رواه الإمام مسلم عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما، عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : إِنَّ الْإِسْلَامَ بَدَأَ غَرِيبًا وَسَيَعُودُ غَرِيبًا كَمَا بَدَأَ، وَهُوَ يَأْرِزُ بَيْنَ الْمَسْجِدَيْنِ كَمَا تَأْرِزُ الْحَيَّةُ فِي جُحْرِهَا، انظر صحيح مسلم [كتاب الإيمان] بَاب بَيَانِ أَنَّ الْإِسْلَامَ بَدَأَ غَرِيبًا وَسَيَعُودُ غَرِيبًا، رقم الحديث 209

وَبِــأَزْوَاجِــكَ الــلَّــوَاتِــي تَــطَــهَّــرْ * نَ مِــنَ الــرِّجْــسِ فِــي جَــمِيعِ الــنِّسَاءِ[1]
وَعَــلِــيٍّ وَبِــالــحُــسَيْــنِ كَــذَاكَ الــ * ــحَــسَــنِ الــمُــرْتَــضَــى لُــيُــوثِ الــوَغَــاءِ
وَبِــشَــمْــسِ الــعَــلاَءِ فَــاطِــمَــةِ الــزَّهْــ * ــرَاءِ ذَاتِ الــشَّــمَــائِــلِ الــشَّــمَّــاءِ
وَأَبِــي بَــكْــرٍ الــرَّفِــيقِ لَــدَا الــغَــا * رِ الــصَّدِيقِ الــصِّدِّيقِ كَــنْــزِ الــوَفَــاءِ
ثُــمَّ بِــابْــنِ الــخَــطَّــابِ حَــاوِي الــمَــزَايَا * وَابْــنِ عَــفَّــانٍ نَــيِّــرِ الــشُّــهَــدَاءِ
سَــلْ لَــنَــا الــلَّــهَ أَنْ يُــعِــزَّ ذَوِي الإِسْــ * ــلاَمِ عِــزّاً مُــؤَبَّــداً بِــالــهَــنَــاءِ
وَيُــنِــيطَ الــبِــلاَدَ مِــنْ كُــلِّ سُــوءٍ * وَيُــحِــيــطَ الآمَــالَ بِــالــسَّــرَّاءِ
وَيُــدِيــمَ الــهَــنَــاءَ فِــي غَــرْبِــنَــا ذَا * وَيُــزِيــحَ الــضَّــنَــا وَكُــلَّ عَــنَــاءِ
وَيَــمُــدَّ الأَمِــيــرَ بِــالــفَــتْــحِ وَالــنَّــصْــ * ــرِ الــعَــزِيزِ عَــلَــى جُــمُــوعِ الــعِــدَاءِ
وَيُــنِــلْــهُ الــمُــنَــى بِــفَــخْــرٍ وَعِــزٍّ * وَسُــرُورٍ وَرِفْــعَــةٍ وَهَــنَــاءِ
وَلَــهُ يَــجْــلِــبُ الــسُّــرُورَ وَعَــنْــهُ * فِــي الــوَرَى يَــدْفَــعُ شُــرُورَ الــقَــضَاءِ
يَــا صَــفِــيَّ الإِلَــهِ أَقْــبِــلْ بِــفَــضْــلٍ * يَــا نَــجِــيَّ الإِلَــهِ وَاسْــمَــعْ نِــدَاءِي
فَــعَــلَــيْــكَ الــصَّــلاَةُ يَــا خَــيْــرَ خَــلْــقٍ * مَــعْ سَــلاَمِ الإِلَــهِ مُــولِــي الــحِــبَاءِ
وَعَــلَــى آلِــكَ الــكِــرَامِ وَصَــحْــبٍ * وَعَــلَــى الــتَّــابِــعِــينَ أَهْــلِ الــوَفَــاءِ
وَعَــلَــيْــكَ الــسَّــلاَمُ مَــادَامَ مُــلْــكُ الــ * ــلَّــهِ بَــاقٍ كَــذَا عَــلَــى الــخُــلَــفَاءِ
وَعَــلَــيْــكَ الــسَّــلاَمُ يَــا خَــيْــرَ هَــادٍ * لِــطَــرِيقِ الــهُــدَى وَطُــرْقِ الــصَّــفَاءِ
وَعَــلَــيْــكَ الــسَّــلاَمُ مَــادَامَ يُــتْــلَــى * مُــحْــكَــمُ الــذِّكْــرِ فِــي ابْــتِــدَا وَانْــتِــهَاءِ

وقد شرحها بهجة الكتاب، المتضلع بقلادة جواهر الأدب، أبو بكر السيد الغالي بن المكي السنتيسي بشرح بديع في جزئين، ونص الثانية :

(1) إشارة لقوله تعالى : يَا نِسَاءَ النَّبِيِّ لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِنَ النِّسَاءِ إِنِ اتَّقَيْتُنَّ فَلَا تَخْضَعْنَ بِالْقَوْلِ فَيَطْمَعَ الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ، وَقُلْنَ قَوْلًا مَعْرُوفًا ، وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَى، وَأَقِمْنَ الصَّلَاةَ وَآتِينَ الزَّكَاةَ وَأَطِعْنَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ، إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا ، سورة الأحزاب، الآية 32

نص قصيدة بغية المستهام،في مدح النبي عليه السلام،

للعلامة سيدي عبد الرحمان بن زيدان

إِنِّـي بِـدِيـنِ الـغَـرَامِ رَاسِـخُ الـقَدَمِ	*	وَالـلَّـهُ قَــدَّرَهُ عَـلَـيَّ فِــي الـقِـدَمِ
اللَّهُ يَـا مَـنْ بِـهِ بَيْنَ الـوَرَى تَـلِفَتْ[1]	*	نَـفْسِيَ رِفْـقاً بِهَا فَالقَلْبُ فِي سَدَمِ[2]
وَالـجِسْمُ مِـنِّي ذَوِى[3] وَالـعَيْنُ سَاهِـرَةٌ	*	تَـرْعَـى الـنُّجُومَ وَأَبْـدَتْ مَـدْمَعاً بِـدَمِ
مَا ضَرَّ أَنْ تَـصِلُوا الـصَّبَّ الغَرِيمَ وَلَـوْ	*	بِـطَـيْـفِـكُمْ عَـلَّـهُ يُـشْـفَى مِــنَ الأَلَـمِ
رِقُّــوا فَـقَـدْ رَقَّــتِ الأَعْـدَا لِـرِقِّـكُمُ	*	ورقـكـم ورقــت وَالـقَلْبُ فِـي ضَـرَمِ
رَثَـى الـرَّقِـيبُ[4] لِـحَالِي وَانْـثَنَى وَلَـقَدْ	*	أَضْـحَتْ وُشَـاتِي[5] مَـعَ الـعُذَّالِ فِـي بَكَمِ
لَـمَّـا رَأَوْا أَنَّـنِـي بِـالـحُبِّ فِــي تَـلَـفِ	*	وَدَمْــعُ عَـيْـنِي جَـرَى بِـوَابِلِ الـدِّيَمِ
لَـوْ حَـلَّ مَـا بِـيَّ فِي صَمَّاءَ لانْصَدَعَتْ[6]	*	مِـنْ فَـرْطِ وَجْـدِي وَمَـا وَجَدْتُ مِـنْ أَلَمِ
فَـمَا عَـرَفْتُ الـهَوَى حَـتَّى سَـبَانِي رَشَـا	*	مِـنِّـي الـحِجَا[7] بِـسَنَاءِ ثَـغْرِهِ الـشَّبِمِ
الـنَّاسُ مَـوْتَـى وَأَهْـلُ الـعِشْقِ بَـيْنَهُمُ	*	أَحْـيَـا وَلاَسِـيَـمَا مَــنْ كَــانَ ذَا هِـمَـمِ
مَـتَى تَـهُبُّ رِيَـاحُ الـوَصْلِ عِـنْدَهُمُ	*	تَــرْتَـاحُ رُوحُــهُـمُ بِـــرُوحِ حُـبِّـهِـمِ
بَـشِّرْ ذَوِي الـعِشْقِ بِـالفَوْزِ الـعَظِيمِ إِذَا	*	مَـاتُـوا عَـفَـافاً بِــهِ مِــنْ بَـعْدِ بَـعْثِهِمِ
وَقُـلْ لِأَهْـلِ الـقِلَى[8] مُـوتُوا بِـغَيْظِكُمُ	*	اللَّـهُ حَـافِظُ أَهْـلِ الـعِشْقِ مِـنْ حُطَمِ[9]
أَنَـا الَّـذِي بِـالهَوَى قَـدْ صِـرْتُ مُـمْتَزِجاً	*	نَـفْـسِي بِــهِ تَـلِفَتْ لَـكِنْ رَسَـتْ قَـدَمِي

---

(1) تلفت : هلكت وعطبت

(2) في سدم : بمعنى في عشق شديد

(3) ذوى :هزل وضعف

(4) الرقيب : الملاحظ الذي لا يغيب عنه شيء

(5) الوشاة : جمع واش، وهو النمام

(6) انصدعت : انشقت

(7) الحجا : العقل

(8) أهل القلى : أهل البغض

(9)الحطم : بمعنى الحطمة، وهي إسم من أسماء جهنم، قال تعالى : كَلَّا لَيُنْبَذَنَّ فِي الْحُطَمَةِ، وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْحُطَمَةُ، سورة الهمزة، الآية 4 ـ 5

أَنَـا الأَسِيرُ كَسِيرُ القَلْبِ مِنْ شَغَفٍ * بِـمَنْ سَـطَا[1] بِلِحَاظٍ تَسْتَبِيحُ دَمِـي
فَــلاَ أُبَـالِـي بِـمَـنْ بِـالإِدِّعَـاءِ رَمَـى * لِأَنَّـنِـي عِـنْـدَ أَهْـلِ العِـشْـقِ كَـالعَـلَمِ
لَـوْلاَ سَـوَادُ عُـيُـونِ الرِّيـمِ[2] مَـا اتَّقَدَتْ * لَـوَاعِجُ[3] الـشَّـوْقِ بِـالأَحْشَا عَـلَى ضَـرَمِ
وَلاَ اسْـتَـطَالَ الـضَّـنَى[4] عَلَى الفُؤَادِ وَلاَ * فَـرَّ اصْـطِـبَارِي بِـمَا أَلْقَاهُ مِـنْ وَصَـمِ
وَلاَ اسْـتَـصَالَ الـجَـوَى وَالـعَيْنُ سَاهِدَةٌ[5] * تَـرْعَـى الـسُّـهَى وَبِـطُولِ الدَّهْرِ لَمْ تَـنَمِ
وَلاَ اسْـتَـحَالَ عَـلَى قَلْبِي الـسُّرُورُ وَلاَ * رَوَتْ جَـدَاوِلَ جَفْـنِي الـيَوْمَ كُلَّ ظَـمِي
كَـيْفَ الـسُّلُوُّ وَنَـارُ العِـشْقِ مُـضْـرِمَةٌ * تَـشْـوِي الفُـؤَادَ بِـشَـوْقٍ غَـيْـرِ مُـنْـفَصِمِ
عَـزَّ الـخَـلاَصُ وَلاَ لِـي مَـنْ أَلُـوذُ بِـهِ * سِـوَى الـحَبِيبِ الـشَّفِيعِ كَوْكَبِ الـظُّلَمِ
الـكَامِلِ الـفَخِمِ بْـنِ الكَامِلِ الفَخِمِ ابْـ * ـنِ الـكَامِلِ الـفَخِمِ ابْـنِ الـكَامِلِ الـفَخِمِ
الـطَّاهِرِ الـشِّيَمِ بْـنِ الـطَّاهِرِ الـشِّيَمِ ابْـ * ـنِ الـطَّاهِرِ الـشِّيَمِ ابْـنِ الـطَّاهِرِ الـشِّيَمِ
مُـحَـمَّدِ الـحَـامِدِ الـمَـحْمُودِ أَحْـمَدِ مَـنْ * لَـوْلاَهُ مَـا فُـضِّـلَتْ عُـرْبٌ عَـلَى عَـجَمِ
عَـيْنِ الـيَقِينِ وَرُوحِ الكَوْنِ مَنْ شَهِدَتْ * لَـهُ الـعِدَا بِـعَظِيمِ الـقَدْرِ فِـي الأُمَـمِ
نُـورِ الـوُجُـودِ وَخَـيْـرِ الـخَلْقِ قَـاطِـبَةً * عَـيْـنِ الـسَّـعَـادَةِ سِـرِّ سَـائِـرِ الـعَـلَمِ
الـمُجْتَبَى الـمُرْتَضَى المُخْتَارِ مِنْ مُضَرٍ * الـمُـصْطَفَى الـمُنْتَقَى المُنْجِي مِنَ النِّقَمِ
قُـوتِ الـقُلُوبِ وَتَـاجِ الرُّسْـلِ سَـيِّدِهِمْ * كَـهْـفِ الأَنَــامِ وَمَـوْلَـى الـخَـلْقِ كُـلِّهِمِ
أَسْـنَـى الـوَرَى حَسَـباً أَعْـلاَهُمُ نَـسَـباً * أَحْـلاَهُـمُ مَـنْـطِـقاً بِـأَفْـصَحِ الـكَـلِمِ
فَــرْدِ الـجَـلاَلَـةِ مَــنْ جَـلَّتْ[6] مَـآثِـرُهُ * طَـهَ الأَمِـيـنِ الـمَكِينِ[7] حَـافِظِ الـذِّمَـمِ
وَافٍ وَعَـيْنِ الـوَفَى أَوْفَى الـوَرَى شَرَفاً * شَـافٍ لِـكُلِّ عُـضَـالٍ[8] مُـزْمِنِ الـسَّقَمِ
عَـيْنِ الـعِنَـايَةِ كَـهْفِ الـمُسْتَجِيرِ بِـهِ * مُـسْـدِي الـمُنَى لِلبَرَايَا كَـاشِفِ الـغُمَمِ

---

(1) سطا عليه : قهره وبطش به

(2) الريم : الظبي الخالص البياض

(3) لواعج الشوق : آلامه وشدائده

(4) الضنى : المرض والهزال الشديد

(5) والعين ساهدة : أي مصابة بالأرق

(6) جلت : عظمت

(7) المكين : صاحب مكانة وقدر

(8) العضال : الشديد المعجز، ويقال داء عضال لا طب له

مُطَهَّرٍ طَاهِرٍ مَاحِي الضَّلاَلَةِ مَنْ * عَنَّا العَنَاءُ بِهِ قَدْ صَارَ فِي العَدَمِ
مُنْجِي الغَرِيقِ مُغِيثِ الخَلْقِ أَكْرَمِ مَنْ * بِهِ انْتَفَى كُلُّ مَا قَدْ عَنَّ[1] مِنْ نِقَمِ
سَيْفِ الإِلَهِ بِهِ انْمَحَى الضَّلاَلُ نَعَمْ * عَيْنِ النَّعِيمِ وَلَكِنْ مَانِحِ النِّعَمِ
هَادٍ لِدِينِ الهُدَى لَكِنَّهُ عَلَمٌ * عَلَى الهُدَى وَبِهِ تُهْدِي إِلَى الحكَمِ
أَمْنٌ وَمَنٌّ وَيُمْنٌ مِنْ عُلاَهُ عَلَى * كُلِّ المَعَالِي عَلاَ بِحَبْلِهِ اعْتَصِمِ
فَهْوَ الرَّسُولُ الَّذِي فَاقَ الوَرَى عِظَماً * وَطَابَ أَصْلاً وَفَرْعاً غَيْرَ مَتَّهمِ
وَهْوَ المُجِيرُ لَنَا مِنْ كُلِّ دَاهِمَةٍ * وَهْوَ الشَّفِيعُ لَنَا فِي كُلِّ مُدْلَهِمِ[2]
بِهِ حَبَانَا الإِلَهُ كُلَّ مَكْرُمَةٍ * لَكِنَّهُ هُوَ عَيْنُ الجُودِ وَالكَرَمِ
عَلَيْكَ بِالمُصْطَفَى تَنْجُو وَتَغْنَمُ فِي * يَوْمِ القِيَامَةِ يُمْناً غَيْرَ مُنْصَرِمِ[3]
بِمَدْحِهِ تَنْتَفِي[4] عَنَّا الغُمُومُ كَمَا * بِحُبِّهِ نَرْتَقِي أَعْلَى عُلاَ الهِمَمِ
اللَّهُ أَرْسَلَهُ لِلْخَلْقِ مَرْحَمَةً * سَمْحاً عَطُوفاً مُغِيثاً كُلَّ مُحْتَرَمِ
لِأَجْلِهِ أَوْجَدَ المَوْلَى خَلاَئِقَهُ * وَالدِّينُ بَيْنَ الوَرَى لَوْلاَهُ لَمْ يَقُمِ
لِأجْلِهِ أَبَّدَ الإِلَهُ رَحْمَتَهُ * عَلَى الأَنَامِ فَمَنْ يَقْفُوهُ[5] لَمْ يُضَمِ
بُشْرَى لِأُمَّتِهِ طُوبَى لِمِلَّتِهِ * يَا سَعْدَ مَنْ بِهُدَاهُ كَانَ ذَا عِصَمِ
بُشْرَى وَحُقَّ الهَنَا لِلنَّاسِ أَجْمَعِهِمْ * بِمَوْلِدِ المُصْطَفَى مُنَوِّرِ الظُّلَمِ
زُهْرُ النُّجُومِ دَنَتْ بِالنُّورِ سَاطِعَةً * لَهُ فَضَاءَتْ بِهَا الأَرْجَاءُ مَعْ أَجَمِ
وَعِنْدَ نَشْأَتِهِ هَوَاتِفُ هَتَفَتْ * عَنِ الحُجُوبِ وَفِي الأَعْلاَمِ وَالأَكَمِ
إِيوَانُ كِسْرَى تَدَاعَى[6] عِنْدَ مَوْلِدِهِ * حَقّاً وَغَارَتْ عُيُونُ الفُرْسِ كُلِّهِمِ
غَدَتْ بُيُوتٌ لِنَارِ الفُرْسِ خَامِدَةٌ * وَالقَوْمُ فِي كُرَبٍ مِنْ صَدْمَةِ الأَزَمِ

---

(1) عَنَّ : ظهر واعترض
(2) المدلهم : الظلام الكثيف، والليل اشتد ظلامه
(3) غير منصرم : غير منقطع
(4) تنتفي : تزول
(5) يقفوه : يتبعه ويهتدي به
(6) تداعى : تصدع وآذن بالانهيار والسقوط

نَـالَـتْ بِــهِ ابْـنَـةُ وَهْــب يَـوْمَ مَوْلِـدِهِ	*	مَـا لَـمْ تَـنَـلْهُ الـنِّسَا فِـي سَائِـرِ الأُمَـمِ
وَالجِنُّ عَـنْ مَـقْعَدٍ لِلسَّمْعِ قَدْ طُرِدَتْ	*	بِـالـشُّهْبِ رَجْـماً فَـلَمْ تَـقْرُبْ وَلَـمْ تَحُـمِ[1]
حِرْصاً عَـلَى وَحْيِّـهِ مِـنْ كُلِّ مُـسْتَرِقٍ[2]	*	لِلسَّمْعِ حَتَّى غَـدَوْا فِي الأُفْقِ كَالحُمَمِ[3]
بِــآيَـهِ مُـحِـيَـتْ آيُ الـكَـهَـانَـةِ مِــنْ	*	لُــوحِ الـوُجُـودِ فَـلَمْ تَـنْجَحْ وَلَـمْ تَـدُمِ
رُؤْيَاهُ تَـأْتِـي كَـمِثْلِ الصُّبْحِ فِـي بَلَجٍ[4]	*	وَإِنْ تَــنَـمْ عَـيْـنُهُ فَـالـقَلْبُ لَــمْ يَـنَـمِ[5]
يَــرَى بَـوَاطِـنَ كُــلِّ الـنَّاسِ ظَـاهِرَةً	*	لَـكِـنْ يَـرَى مِـنْ وَرَا حَـقّاً وَمِـنْ أَمَـمِ[6]
وَقَـدْ أَظَلَّتْهُ فِـي الـبَيْدَا الـغَمَامَةُ مِـنْ	*	حَـرَارَةِ الـشَّـمْسِ وَالأَعْـدَاءُ فِـي غـمَـمِ
وَمَـا يُـرَى ظِلُّهُ فِـي الأَرْضِ مُرْتَسِماً	*	وَالـشَّـمْسُ تُـظْـهِرُ ظِـلَّ سَائِـرِ الـنَّسَمِ
أَتَــتْ لِـدَعْـوَتِـهِ الأَدْوَاحُ خَـاضِـعَـةً	*	لَـمَّـا دَعَـاهَـا لَــهُ تَـسْعَـى بِــلاَ قَـدَمِ
وَمُـذْ أَشَــارَ لَـهَـا أَنِ ارْجِعِي رَجَعَتْ	*	وَالـنَّاسُ تَـنْظُرُهَا مِـنْ جُـمْلَةِ الـخَدَمِ
وَحَــنَّ جِــذْعُ الـنَّـخِيلِ عِـنْدَ فُـرْقَتِهِ	*	وَقَــدْ بَـكَـى آسِـفاً وَكَــانَ ذَا بَـكَـمِ
بِـكَفِّهِ سَـبَّحَ الـحَصَا وَقَـدْ شَـهِدَتْ	*	بِــأَنَّـهُ الـمُـصْطَفَى الـمُـسْتَكْمِلُ الـوَسَـمِ

(1) لم تحم حوله : لم تقربه

(2) منه قوله تعالى فيما أخبر عن الجن : وإنا لمسنا السماء فوجدناها ملئت حرسا شديدا وشهبا، وإنا كنا نقعد منها مقاعد للسمع فمن يستمع الآن يجد له شهابا رصدا، سورة الجن، الآية 9

(3) الحمم : الفحم والرماد وكل ما احترق من النار، واحدته حممة

(4) إشارة للحديث الذي رواه البخاري عن عَائِشَةَ أُمِّ الْمُؤْمِنِينَ أَنَّهَا قَالَتْ : أَوَّلُ مَا بُدِئَ بِهِ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْ الْوَحْيِ الرُّؤْيَا الصَّالِحَةُ فِي النَّوْمِ، فَكَانَ لَا يَرَى رُؤْيَا إِلَّا جَاءَتْ مِثْلَ فَلَقِ الصُّبْحِ،.. من حديث طويل، انظر صحيح البخاري [باب بدء الوحي] رقم الحديث 3

(5) إشارة للحديث الذي رواه البخاري عن عَنْ أَبِي سَلَمَةَ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ أَنَّهُ سَأَلَ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا كَيْفَ كَانَتْ صَلَاةُ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي رَمَضَانَ؟ قَالَتْ : مَا كَانَ يَزِيدُ فِي رَمَضَانَ وَلَا فِي غَيْرِهِ عَلَى إِحْدَى عَشْرَةَ رَكْعَةً، يُصَلِّي أَرْبَعَ رَكَعَاتٍ، فَلَا تَسْأَلْ عَنْ حُسْنِهِنَّ وَطُولِهِنَّ، ثُمَّ يُصَلِّي أَرْبَعًا فَلَا تَسْأَلْ عَنْ حُسْنِهِنَّ وَطُولِهِنَّ، ثُمَّ يُصَلِّي ثَلَاثًا، فَقُلْتُ : يَا رَسُولَ اللَّهِ تَنَامُ قَبْلَ أَنْ تُوتِرَ، قَالَ : تَنَامُ عَيْنِي وَلَا يَنَامُ قَلْبِي، انظر صحيح البخاري [كتاب الجمعة] بَاب قِيَامِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِاللَّيْلِ فِي رَمَضَانَ وَغَيْرِهِ، رقم الحديث 1079

(6) إشارة للحديث الذي رواه الإمام مسلم عن الْمُخْتَارِ بْنِ فُلْفُلٍ عَنْ أَنَسٍ قَالَ : صَلَّى بِنَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ذَاتَ يَوْمٍ، فَلَمَّا قَضَى الصَّلَاةَ أَقْبَلَ عَلَيْنَا بِوَجْهِهِ، فَقَالَ : أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي إِمَامُكُمْ فَلَا تَسْبِقُونِي بِالرُّكُوعِ وَلَا بِالسُّجُودِ، وَلَا بِالْقِيَامِ وَلَا بِالِانْصِرَافِ، فَإِنِّي أَرَاكُمْ أَمَامِي وَمِنْ خَلْفِي، ثُمَّ قَالَ : وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ لَوْ رَأَيْتُمْ مَا رَأَيْتُ لَضَحِكْتُمْ قَلِيلًا وَلَبَكَيْتُمْ كَثِيرًا، قَالُوا : وَمَا رَأَيْتَ يَا رَسُولَ اللَّهِ ؟ قَال : رَأَيْتُ الْجَنَّةَ وَالنَّارَ، انظر صحيح مسلم [كتاب الصلاة] بَاب تَحْرِيمِ سَبْقِ الْإِمَامِ بِرُكُوعٍ أَوْ سُجُودٍ وَنَحْوِهِمَا، رقم الحديث 646

بِأَفْصَحِ القَوْلِ قَالَ الضَّبُّ فِي مَلَإٍ * أَنْتَ الرَّسُولُ المُطَاعُ طَيِّبُ النَّسَمِ
لاَنَتْ صُخُورُ الصفاةِ لِلحَبِيبِ وَكَمْ * لَهُ فَخَارٌ غَدَا يُتْلَى بِكُلِّ فَمِ
قَدْ فَاضَ مِنْ يَدِهِ عَذْبُ الزُّلاَلِ وَقدْ * أَرْوَى الأَوَامَ[1] بِشُرْبِ عَذْبِهِ الشَّبِمِ
بِلَمْسِهِ دَرَّتِ العَجْفَاءُ[2] دُونَ مِرَا[3] * وَرَدَّ عَيْناً لِمَنْ قَدْ كَانَ قَبْلُ عَمِي
وَيَابِسُ العُودِ صَارَ مُورِقاً خَضِراً * فِي الحِينِ مِنْ مَسِّهَا وَكَانَ كَالحُطَمِ
بِتُفْلِهِ صَارَ عَذْباً وَالأُجَاجُ[4] كَمَا * شَفَا بِهِ رُمَّداً وَكُلَّ ذِي سَقَمِ
قَضَى دُيُوناً عَلاَ فِي النَّاسِ مَوْقِعُهَا * بِقَدْرِ بِيضَة عَنْ سَلْمَانَ ذِي الفَخِمِ
بِهِ تَوَسَّلَ طَيْرٌ فِي الفَلاَةِ فَلاَ * تَكُنْ مُرِيباً نَعَمْ لِلرَّيْبِ لاَ تَرُمِ
تَفَتَّقَ[5] الزَّهْرُ مِنْ أَنْوَارِ بَهْجَتِهِ * وَمِنْ شَذَاهُ امْتِيَازُ الوَرْدِ عَنْ سَلَمِ
يَكْفِي لِرَدْعِ العِدَا فَاللَّهُ أَنْزَلَهُ * فِي النَّجْمِ وَالفَتْحِ وَالإِسْرَا مِنَ الشِّيَمِ
عَلَى البُرَاقِ اسْتَوَى وَالرُّوحُ مَعْهُ إِلَى * أَقْصَى المَسَاجِدِ ذَاكَ شَامِخِ[6] العِظَمِ
وَمِنْهُ سَارَ إِلَى العَلْيَاءِ مُعْتَصِماً * بِاللَّهِ يَخْتَرِقُ الأَنْوَارَ فِي حَشَمِ
فَكَانَ مِنْ رَبِّهِ أَدْنَى وَأَقْرَبَ مِنْ * كَقَابِ قَوْسَيْنِ ذَا فِي المُحْكَمِ الحَكَمِ[7]
أَعْظِمْ بِهِ فَكِتَابُ اللَّهِ مُعْجِزَةٌ * مِنْ مُعْجِزَاتٍ لَهُ نُورٌ عَلَى عَلَمِ
بِهِ اهْتَدَى لِلرَّشَادِ كُلُّ ذِي رَشَدٍ * لَوْلاَهُ كَانَ ذَوُوا الإِرْشَادِ فِي عَدَمِ
وَمَنْ بِهِ فِي الوَرَى قَدْ كَانَ مُعْتَصِماً * نَجَا وَنَالَ الَّذِي يَرْجُوهُ مِنْ نِعَمِ
وَالمُبْغِضُونَ لَهُ فِي النَّاسِ كُلِّهِمِ * بَشِّرْهُمُ بِثُبُورٍ غَيْرِ مُنْحَسِمِ
يَا وَيْحَهُمْ رَكِبُوا نُجُبَ الضَّلاَلِ وَعَنْ * سُبُلِ الهِدَايَةِ قَدْ ضَلُّوا بِغَيِّهِمِ
لِغَارِ ثَوْرٍ أَتَى وَقْتَ الظَّهِيرَةِ مَعْ * رَفِيقِهِ الصَّادِقِ الصِّدِّيقِ ذِي الكَرَمِ

---

(1) الأوام : حرارة العطش
(2) شاة عجفاء : أي هزيلة
(3) دون مرا : دون ريب وشك
(4) الأجاج : ما يلذع الفم بمرارته أو ملوحته
(5) تفتق الزهر : تفتح وانشق
(6) الشامخ : العالي
(7) إشارة لقوله تعالى : وَهُوَ بِالْأُفُقِ الْأَعْلَى، ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّى، فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَى، فَأَوْحَى إِلَى عَبْدِهِ مَا أَوْحَى، سورة النجم، الآية 7ـ 10

فِــي بَـابِـهِ نَـزَلَـتْ حَـمَـامَـةٌ وَحَـمَـتْ * خَيْرَ الـوَرَى مِـنْ عُـدَاةِ الدِّينِ كُلِّهِمِ
مَــا كَــانَ ظَـنُّـهُمُ أَنَّ الـحَـمَـامَ لَـهُ * حَــامٍ وَلَـكِـنْ بَـــدَا خـلْـفاً لِظَـنِّـهِمِ
فِي الحِينِ قَدْ نَسَجَتْ عَنَاكِبُ حُلَلاً * حَـقّاً عَـلَيْهِ وَطَـرْفُ الـكَافِرِينَ عَـمِي
الـلَّـهُ أَكْـبَـرُ مَــا أَعْـمَـى بَصَائِرَهَمْ * لَـكِنْ عَـمَى قَلْبَهُمْ مِنْ أَجْلِ بُغْضِهِمِ
لَـوَ انَّـهُمْ آمَنُـوا بِـالـمُصْطَفَى سَعِدُوا * وَلَـمْ يَـذُوقُـوا الرَّدَى[1] مِـنْ بَيْنِ سِرْبِهِمِ
نَـحَى الـمَدِينَةَ رُوحُ العـالَـمِينَ وَقَـدْ * شَـاقَتْ إِلَـيهِ نَـوَاحِي سَاكِنِي الـحَـرَمِ
قُـلْ لِـلمُجَادِلِ فِـي فَـضْلِ النَّبِي صَهٍ[2] * وَشَـنِّفِ السَّـمْعَ لِـلمَتْلُوِّ مِــنْ عِـظَمِ
إِنْ رُمْـتَ كَـشْفَ الغِطَاءِ عَـنْ مَفَاخِرِهِ * وَمَــا لَــهُ مِــنْ إِلَـهِ النَّاسِ مِـنْ كَـرَمِ
فَسَلْ بُـوَاطاً[3] تَـرَى فِي جَمْعِهِمْ نَصَباً * مِـمَّا لَقُـوا مِـنْ رَسُـولِ اللَّـهِ مِنْ أَزَمِ[4]
قَـدْ كَـانَ يَـغْـزُوهُمُ فِــي فِـتْـيَةٍ سَعِدُوا * وَلاَ تَـرَى فِـي الأَعَـادِي غَـيْرَ مُـنْـهَزِمِ
كَـمْ مِـنْ جَـمَالٍ سَبَاهَا مِنء فُـحُولِهِمُ * وَكَـمْ رِقَـابٍ عَـنَـتْ[5] إِلَيْـهِ فِـي حَشَـمِ
سَـلِ الـعَـشِيرَةَ عَـنْ خَيْرِ الأَنَـامِ فَقَدْ * أَذَاقَـهُـمْ مِـنْ طَـعَامِ البُؤْسِ فِي طَـسَمِ
قَــدْ كَــانَ يَـلْقَاهُمُ فِـي طُـرْقِ تَـجْرِهِمُ * فَــلاَ يَـرَوْنَ سِـوَى الإِفْـلاَسِ وَالـعَـدَمِ
وَسَـــلْ أَكَـــابِـرَ بَـــدْرٍ مَـــا أَنَــالَـهُمُ * مِــنَ الـمَـهَانَـةِ بَـعْـدَ الـعِـزِّ وَالـعِـظَـمِ
فَــلاَ تَــرَى مِـنْـهُمُ إِلاَّ أَخَــا عَـطَـبٍ * لَـمَّـا كَـسَـاهُمْ بِـثَـوْبِ الـذُّلِّ وَالـنِّـقَـمِ
فِـي ذَاكَ يَوْمَ الْتَقَى الجَمْعَانِ قَدْ نَزَلَتْ * وَنَـبْـطِـشُ الـبَـطْـشَةَ الـكُـبْرَى بِـمُـنْـتَقِمِ[6]
وَفِـيـهِ قَــدْ قُـطِّـعَـتْ أَدْبَـارُهُمْ وَغَــدَتْ * أَبْـطَـالُهُمْ فِـي الـوَغَى لَـحْماً عَـلَى وَضَمِ
وَكَـمْ مِـنَ الـنَّـصْرِ وَالـتَّـمْكِينِ مَعْ ظَفَرٍ * فِـيـهَـا بَــدَا لِـرَسُـولِ الـلَّـهِ ذِي الـشِّـيَمِ
وَسَــلْ سليماً عَــلَى مَ أَدْبَــرُوا هَـرَباً * وَشَـمْـلُـهُمْ فِــي الـبَـرَارِي غَـيْـرُ مُـلْـتَئِمِ
فَــرُّوا وَقَـدْ تَـرَكُـوا الأَنْـعَـامَ مِـنْ وَجَـلٍ * غَـنِـيـمَـةً لِـحَـبِـيـبِ خَــالِـقِ الـنِّـعَـمِ
وَسَـــلْ بَــنِـي قَـيْـنُـقَـاعٍ مِـــنْ مَــآثِـرِهِ * وَمَــا رَأَوْا مِــنْ وَبَــالِ نَـقْـضِ عَـهْـدِهِمِ

---

(1) الردى : الهلاك والموت

(2) صه : بمعنى اسكت

(3) إشارة إلى غَزْوَة بُوَاطٍ، وَهِيَ مِنْ أَوَائِلِ مَغَازِيه صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ .

(4) أزم : بمعنى الأزمات، وهي الضيق والشدائد

(5) عنت إليه : انقادت

(6) إشارة لقوله تعالى : يَوْمَ نَبْطِشُ الْبَطْشَةَ الْكُبْرَى إِنَّا مُنْتَقِمُونَ

قَـدْ عَـاهَدُوهُ عَـلَى أَنْ يَنْصُرُوهُ وَلاَ * يُـحَـارِبُـوهُ وَمَـــا وَفُـــوا بِـوَعْـدِهِـمِ
فَأُلْبِسُوا مِـنْ لِـبَاسِ الـذُّلِّ مَرْقَعَةً * مَـطْـرُوزَةً بِـبَـدِيعِ الـخَـزْيِّ وَالـنَّـدَمِ
أَجْلاَهُمُ عَـنْ مَـحَلٍّ لاَ رُجُـوعَ لَـهُمْ * إِلَـيْـهِ بَـيْـنَ الـوَرَى بِـفَـرْطِ فُـحْـشِهِمِ
لَـــوْلاَ مَـحَـنَّـتُهُ لَـقُـطِّعُوا قِـطَـعـاً * وَلاَكْـتَـسُوا بِالـرَّدَى مِـنْ بَيْـنِ جِنْسِهِمِ
وَسَـلْ أَهَالِي الـسَّوِيقِ عَـنْ سَوِيقِهِمُ * مَـنْ عَـاقَهُمْ عَـنْهُ فِـي تَـشْتِيتِ شَـمْلِهِمِ
وَكَـانَ عَـزْمُـهُـمُ فِـي نَـيْـلِ مَـا طَـلَـبُوا * ذَا قُـــوَّةً فَـغَـدَوْا بِـضِـدِّ قَـصْـدِهِـمِ
وَسَـلْ أَخِـي غَـطَفَاناً مَـالَـهُـمْ هَـرَبُـوا * تَـجِدْ هَـوَانَـهُـمُ فِـي الـصَّارِمِ الـخَـذِمِ[1]
أَقَـــرَّ لِـلـمُـصْـطَفَى كَـرْهـاً رَئِـيـسُـهُـمُ * بِـأَنَّـهُ الـمُـقْـتَـفَـى الـمَـبْـعُـوثُ لِـلأُمَـمِ
وَسَـلْ بِـجِيرَانَ لِـمْ تَـفَـرَّقُوا وَلِـمَـا * حُـصُـونُـهُـمْ رَجَـعَـتْ كَـدَارِسِ الـرّمَـمِ
فَـقَـدْ دَهَـتْـهُـمْ دَوَاهٍ[2] مِــنْ فُـجُـورِهِـمُ * وَقَـدْ فَـشَـا قـتلهمْ مِـنْ بَعْـدِ ظُـلْـمِهِمِ
وَسَلْ عَـنِ المُصْطَفَى بَيْنَ الوَرَى أُحُداً * وَمَـــا رَآهُ عِـــدَاهُ فِـيـهِ مِـــنْ غـمَـمِ
تَـــرَى فُـحُـولَـهُـمُ صَـرْعَـى كَـأَنَّـهُـمُ * أَعْـجَـازُ نَخْـلٍ[3] بِـمَا قَدْ جَدَّ مِـنْ صَكَمِ[4]
أُلُــوفُ أَبْـطَـالِـهِمْ كَالأُفِّ[5] إِنْ حملُوا * وَلَــوْا فِــرَاراً بِــذُلٍّ غَـيْـرِ مُـنْـفَـصِـمِ
قِـبَـابُ ذُلٍّ عَـلَى خَمِيسِهِمْ[6] ضُـرِبَـتْ * حَـتَّى غَـدَا أَلْـفُـهُمْ فِي الـحَرْبِ كَـالأَرَمِ
أَتَـاهُـمُ الـوَيْـلُ لَـمَّـا حَـلَّ سَـاحَـتَـهُـمْ * وَكَـبْـشُـهُـمْ بِـالـرَّدَى عِـنْدَ الـلِّوَاءِ رُمِـي

---

(1) إشارة للحديث الذي رواه الإمام مسلم عن سَلَمَةَ بْنَ الْأَكْوَعِ قال : خَرَجْتُ قَبْلَ أَنْ يُؤَذَّنَ بِالْأُولَى، وَكَانَتْ لِقَاحُ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تَرْعَى بِذِي قَرَدَ، قَالَ : فَلَقِيَنِي غُلَامٌ لِعَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَوْفٍ، فَقَالَ: أُخِذَتْ لِقَاحُ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قُلْتُ : مَنْ أَخَذَهَا ؟ قَالَ : غَطَفَانُ، قَالَ : فَصَرَخْتُ ثَلَاثَ صَرَخَاتٍ يَا صَبَاحَاهْ، قَالَ : فَأَسْمَعْتُ مَا بَيْنَ لَابَتَيْ الْمَدِينَةِ، ثُمَّ انْدَفَعْتُ عَلَى وَجْهِي حَتَّى أَدْرَكْتُهُمْ وَقَدْ أَخَذُوا يَسْتَقُونَ مِنْ الْمَاءِ، فَجَعَلْتُ أَرْمِيهِمْ بِنَبْلِي، وَكُنْتُ رَامِيًا وَأَقُولُ :

أَنَا ابْنُ الْأَكْوَعْ * وَالْيَوْمُ يَوْمُ الرُّضَّعْ

وَأَرْتَجِزُ حَتَّى اسْتَنْقَذْتُ اللِّقَاحَ مِنْهُمْ، وَاسْتَلَبْتُ مِنْهُمْ ثَلَاثِينَ بُرْدَةً، قَالَ : وَجَاءَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَالنَّاسُ، فَقُلْتُ : يَا نَبِيَّ اللَّهِ قَدْ حَمَيْتُ الْقَوْمَ الْمَاءَ وَهُمْ عِطَاشٌ فَابْعَثْ إِلَيْهِمْ السَّاعَةَ، فَقَالَ : يَا ابْنَ الْأَكْوَعِ مَلَكْتَ فَأَسْجِحْ، قَالَ : ثُمَّ رَجَعْنَا وَيُرْدِفُنِي رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى نَاقَتِهِ حَتَّى دَخَلْنَا الْمَدِينَةَ، انظر صحيح البخاري [كتاب الجهاد والسير] بَاب غَزْوَةِ ذِي قَرَدَ، رقم الحديث 3371

(2) دواه : جمع داهية، وهي الشدائد والنوب

(3) أعجاز النخل : أصولها

(4) الصكمة : الصدمة الشديدة

(5) أف : كلمة تضجر وتكره

(6) الخميس : الجيش

وَكُـلُّ مَـنْ يَبْتَغِي نَيْلَ اللِّوَاءِ يُرَى * غَـرِيـقَ بَـحْـرِ دَمٍ يَـسِـيـلُ كَـالـعَـرِمِ[1]
فَـلاَ تَـرَى مِـنْـهُمُ إلاَّ أَخَـا وَصَـبٍ[2] * وَلاَ تَـــرَى مِـنْـهُـمُ إلاَّ أَبَـــا رَقَـــمِ
وَصَـحْـبُ خَـيْـرِ الـوَرَى قَـدْ عَـزَّ جَانِبُهُمْ * مُـؤَيَّـدِينَ عَـلَـى الأَعْــدَا بِمُنْتَقِمِ
وَأَخْـبَـرَ الـمُـصْـطَفَى بِـذَا صَـحَـابَـتَهُ * حَـدِيـثَ صِـدْقٍ وَلَـكِـنْ غَـيْـرَ مُـتَّـهِـمِ
فَـيَـا سَـعَـادَةَ مَـنْ بِـهِ اهْـتَدَى وَقَـفَـا * طَـرِيـقَـهُ وَنَـجَـا مِـنْ طُـرْقِ شِرْكِهِمِ
وَوَيْحَ مَـنْ قَـدْ هَـوَى بِـاللَّـهْـوِ فِـي مِحَنٍ * لاَ تَـنْـتَـهِـي وَهَــوَانٍ غَـيْـرِ مُـنْـصَـرِمِ
الـلَّــهُ عَــظَّـمَـهُ الـلَّــهُ شَـرَّفَـهُ * الـلَّـهُ أَطْـلَـعَـهُ بَـدْراً لَـدَى الـظُّـلَمِ
وَسَــلْ نَـضِـيـراً فَـهَـلْ رَأَوْا نَظِيرَهُمُ * فِــي هَـزْمِ حِـزْبٍ وَذُلٍّ غَـيْـرِ مُـنْـحَسِمِ
أَضْحَتْ جُيُوشُ التُّقَى فِي النَّصْرِ رَافِلَةً * وَظَـلَّ جَيْشُ الـشَّـقَا فِـي الـخَـذْلِ وَالنِّقَمِ
سَـلِ الـمُـرَيْـسِعَ[3] عَـمَّـا أَبْـصَـرُوهُ لَـدَى * جُـمُـوعِـهِمْ مُـذْ غَـدَوْا فِـي قَـيْدِ أَسْرِهِمِ
لَـمْ يَـنْـفَـلِتْ مِـنْـهُـمُ مِـنَ الـرَّدَى أَحَـدُ * إلاَّ الَّــذِيـنَ غَــدَوْا بِـالـعِـتْـقِ كَـالـعَـلَـمِ
أَكْـرِمْ بِـقَـوْمٍ بِـحَـبْـلِ اللَّـهِ قَـدْ عَـلِقُوا * وَمِـنْـهُ نَـالُـوا اعْـتِـزَازاً غَـيْـرَ مُـنْـخَرِمِ[4]
وَسَـلْ ذَوِي الـخَـنْـدَقِ الـوَاهِـينَ فِـيهِ عَلَى * وُجُـوهِـهِـمْ قَـدْ هَـوَوْا فِـي ذُلِّ حِـزْبِـهِمِ
بِـالـبِـيضِ[5] تُـقْـضَـبُ[6] أَعْـنَـاقُ الـعُـتَـاةِ كَـمَـا * لِـلـرُّمْـحِ مَـوْقِـعُ فَـتْـكٍ فِـي نُـحُـورِهِـمِ
وَسَــلْ قُـرَيْـظَـةَ لَـمَّـا سَــارَ سَـائِـرُهُـمْ * بِــذِلَّــةٍ وُشِـمَـتْ بِـالـخِـزْيِ وَالـنَّـدَمِ
قَـامَـتْ قِـيَـامَـتُـهُـمْ فَــوْراً بِــلاَ مَـهَـلٍ * وَقَـدْ كُـسُـوا بِـالـرَّدَى مِـنْ أَجْـلِ فِـسْـقِـهِـمِ
وَسَــلْ أَخِــي غَـابَـةً لِـمَـهْ رَئِـيـسُـهُـمُ * مُــتَــوَّجٌ بِــبَـدِيـعِ الـغَـمِّ وَالــسَّــدَمِ[7]
أَغْـوَاهُـمُ بِـالـمُـنَـى رَبُّ الـضَّـلاَلِ لِـذَا * تَــرَى دِمَــاءَهُـمُ تَـسِـيـلُ كَـالـدِّيَـمِ[8]

---

(1) العرم : السيل الذي لا يطاق، ومنه قوله تعالى : فأعرضوا فأرسلنا عليهم سيل العرم

(2) الوصب : الوجع والمرض والتعب والفتور في البدن

(3) إشارة لغزوة المريسع، وقعت في السنة الخامسة من الهجرة

(4) غير منخرم : غير منشق ولا مقطوع

(5) البيض : المراد بها هنا السيوف

(6) تقضب أعناقهم : تقطعها

(7) السدم : الندم والحزن

(8) الديم : جمع ديمة، وهو المطر يطول زمانه في سكون

نَعَمْ أَذَاقَهُمُ رَيْبَ المَنُونِ كَمَا * سَقَاهُمُ عَلْقَماً[1] مِنْ ظُلْمِ جُرْمِهِمِ
قَدْ فُكَّ جَمْعُهُمُ وَقَلَّ حِزْبُهُمُ * فَصَارَ قَلْبُ العِدَا بِالغَيْظِ فِي ضَرَمِ[2]
وَادِي القُرَى سَلْ أَخِي وُقِيتَ كُلَّ رَدَى * تَرَى العِدَا أُدْخِلُوا فِي حَيِّزِ العَدَمِ
تَبّاً لِقَوْمٍ بِحَبْلِ الشِّرْكِ قَدْ عَلِقُوا * وَأَوْدَعُوا العُرْوَةَ الوُثْقَى لَدَى التُّهَمِ
جَاحَتْ[3] أَعَادِي رَسُولَ اللَّهِ أَجْمَعِهِمْ * وَخَابَ مَسْعَاهُمُ بِمَقْتِ رَبِّهِمِ
فَرُّوا فِرَارَ الظِّبَاءِ النَّافِرَاتِ لِمَا * رَأَوْا مِنَ الوَيْلِ وَالإِفْلاَسِ فِي الأُطُمِ
وَسَلْ أَخِي طَائِفاً وَمَا لَقُوهُ بِهِ * وَمَا رَأَتْهُ العِدَا فِي يَوْمِ حَرْبِهِمِ
لَوْ أَنَّهُمْ تَبِعُوا أَقْوَالَهُ رَبِحُوا * لَكِنَّهُمْ خَسِرُوا مِنْ أَجْلِ خُلْفِهِمِ
مَا خَابَ مَسْعَى الَّذِي قَدْ أَمَّ سَاحَتَهُ * وَفَضْلُ خَيْرِ الأَنَامِ غَيْرُ مُكْتَتَمِ
وَفَازَ وَاللَّهِ مَنْ وَافَى طَرِيقَتَهُ * بَيْنَ الوَرَى وَنَجَا مِنْ كُلِّ مُدْلَهِمِ
يَا خَيْرَ مَنْ يَرْتَجِي الجَانِي وَيَأْمَلُهُ * فِي النَّائِبَاتِ فَيُنْفِي كُلَّ مُقْتَحِمِ
أَشْكُو إِلَيْكَ زَمَاناً لاَ يُسَاعِدُنِي * وَلاَ أَنَالُ بِهِ مَا تَبْتَغِي هِمَمِي
مَارُمْتُ مِنْهُ المُنَى إِلاَّ وَقَابَلَنِي * بِضِدِّ مَا أَبْتَغِيهِ غَيْرَ مُحْتَشِمِ
وَلَمْ أَجِدْ لِعُضَالِي مَنْ أَلُوذُ بِهِ * سِوَاكَ فَاشْفِ غَلِيلِي وَاحْفَظَنْ حُرَمِي
حَاشَا يَخِيبُ الَّذِي قَدْ حَطَّ حَاجَتَهُ * بِبَابِ فَضْلِكَ دُونَ النَّاسِ كُلِّهِمِ
فَامْنُنْ عَلَى عَابِدِ الرَّحْمَانِ مِنْكَ بِمَا * يَرْجُوهُ مِنْ نِعَمٍ وَاحْرُسْهُ مِنْ نِقَمِ
أَقْبِلْ وَقَابِلْ بِإِقْبَالٍ وَجُدْ كَرَماً * وَأَبْدِلَنْ غَمَمِي يَا طَيِّبَ النِّعَمِ
أَغِثْ أَسِيرَ ذُنُوبٍ لاَ مُجِيرَ لَهُ * سِوَاكَ بَيْنَ الوَرَى فِي كُلِّ مُصْطَدَمِ
وَامْنُنْ عَلَيْهِ بِمَا يَرْجُوهُ مِنْكَ لَدَى * الدَّارَيْنِ فِي كَشْفِ مَا قَدْ عَنَّ[4] مِنْ غَمَمِ
أَنْتَ المَعَاذُ إِذَا الخَطْبُ الخَطِيرُ جَلاَ * أَنْتَ المَلاَذُ لَنَا فِي مَعْرِضِ اللَّمَمِ[5]
إِنْ لَمْ تَكُنْ مُنْقِذِي مِنَ الضَّلاَلِ فَيَا * خَسَارَةَ السَّعْيِ حَيْثُ لَمْ يُفِدْ نَدَمِي
حَاشَاكَ أَلاَّ تَكُونَ آخِذاً بِيَدِي * وَأَنْتَ بَحْرُ النَّدَى يَا خَيْرَ مُلْتَزِمِ

---

(1) العلقم : السم

(2) ضرم : لهب النار

(3) جاحت الأعادي : هلكوا ، وعدلوا عن المحجة إلى غيرها

(4) عَنَّ : ظهر واعترض

(5) اللمم : صغار الذنوب، ومنه قوله تعالى : الذين يجتنبون كبائر الإثم والفواحش إلا اللمم

عَـلَيْـكَ أَزْكَـى صَـلاَةِ الـلَّـهِ يَـا أَمَـلِـي * مَـا هَـبَّ رِيـحُ الـصَّـبَا[1] مِنْ حَـيٍّ ذِي سَلَمِ
مَـعْ آلِـكَ الطَّـيِّـبِينَ الـكَامِـلِينَ كَـذَا * كُـلِّ الـصَّـحَـابَـةِ مَـعْ تُـبَّـاعِ نَـهْـجِـهِـمِ

وقد شرحها العلامة المفتي الشريف سيدي محمد بن أحمد بن إدريس العلوي الإسماعيلي[2] بشرح لطيف سماه : تكميل المرام، في شرح بغية المستهام، وهو شرح لطيف يحق أن يكتب بسواد العيون، وينفق في تحصيله الدر المصون، ملأه تحقيقات نفيسة، ولطائف عالية المدرك من الفنون الأدبية[3]، وله أيضا في قصيدة مدح الرسول عليه أفضل الصلاة والسلام، وتعرض فيها للدعـــاء

للحضرة الحفيظية[1] :

---

(1) الصبا : ريح مهبها من مشرق الشمس إذ استوى الليل والنهار

(2) محمد بن أحمد بن إدريس بن الشريف بن المهدي العلوي الإسماعيلي، فقيه، محدث، أديب، ولد بمدينة زرهون في فاتح صفر الخير عام هـ، وتلقى العلم بزرهون أولا عن عم والده العلامة مولاي الحسن بن الشريف العلوي، والفقيه مولاي الفضيل بن الفاطمي الإدريسي الشبيهي، وأخذ كذلك عن مفتي مدينة زرهون العلامة سيدي محمد بن عبد الواحد الإدريسي الشبيهي، ثم انتقل لمدينة فاس قصد متابعة دراسته العلمية بها، فأخذ عن مجموعة من خيرة فقهائها، كالعلامة محمد بن التهامي الوزاني، وعبد المالك الضرير، وجعفر الكتاني، وأحمد بن خالد الناصري السلاوي، والحاج محمد بن محمد بن عبد السلام كنون وغيرهم. عين رحمه الله قاضيا بمدينة زرهون، ثم قدم استقالته فأقيل، ثم عين بعد ذلك عضوا بمجلس الإستيناف الشرعي الأعلى بالرباط، ثم قاضيا بمدينة مكناس عام هـ، ثم قاضيا بمقصورة السماط بالقرويين بفاس عام 1346هـ، ثم قاضيا بمدينة وزان عام 1350هـ، ثم قاضيا بمدينة مكناس للمرة الثانية عام 1359هـ،

من مصنفاته : شرح بردة ابن زيدان، وإتحاف النبهاء الأكياس بتحرير فائدة مناقشة القضاة للأوصياء بفاس، وتوضيح طرق الرشاد لحسم مادة الإلحاد في حديث صك الرسول المكلم موسى عليه السلام للملك المكرم الموكل بقبض أرواح العباد، وتمهيد الحجة وتنظيف المحجة من دنس تمويه سياح الأفرنجة، وتقييد في حكم لبس السراويل، وغيرها من التآليف الكثيرة.

وكانت وفاته رحمه الله صبيحة يوم الجمعة 28 محرم الحرام عام 1367هـ ــ 11دجنبر 1947م، ودفن في قبة الضريح الإسماعليي بمكناسة الزيتون، أنظر ترجمته في غاية المقصود بالرحلة مع سيدي محمود للعلامة سكيرج بتحقيقنا عليه ضمن هذا المجموع 2 :147-154، وفي إسعاف الإخوان لابن الحاج ص 141، وفي مجلة دعوة الحق تحت عنوان القاضي محمد بن أحمد العلوي بقلم الأستاذ محمد [فتحا] بن عبد القادر العرائشي عدد 227 ص 238-250.

(3) حول هذا الموضوع قال العلامة سيدي أحمد سكيرج في كتابه غاية المقصود، بالرحلة مع سيدي محمود : وقد أطلعني [يعني العلامة سيدي الغالي السنتيسي] على طرف من شرح العلامة الشريف سيدي محمد بن أحمد العلوي القاطن بزرهون على ميميته المسماة [بغية المستهام]المسمى بتكميل المرام، في شرح بغية المستهام، وهو شرح عجيب الوضع، مفروغ في قالب لم أرى مثله في التنميق، بتحقيقات رقيقة، ونكات دقيقة، يشهد بطول باع مؤلفه في علوم الصناعة، والتضلع في العلوم التي لم يدرك بعضها إلا من أنفق ما له من البضاعة، أتمه الله بالقبول.

أَهْلُ نَجْدٍ بِكُمْ تَزَايَدَ وَجْدِي * وَهَوَاكُمْ بِهِ اعْتِزَازِي وَمَجْدِي

فَوَحَقِّ الغَرَامِ إِنِّي غَرِيمٌ * بِسَنَاكُمْ وَلَوْ أَطَلْتُمُ صَدِّي

صِلْتُمُ الفَصْلَ أَوْ كَسَرْتُمْ جَبْرِي * جُرْتُمُ أَوْ عَدَلْتُمُ أَهْلَ نَجْدِ

أَنْتُمُ أَنْتُمُ المُرَادُ وَأَنْتُمْ * مُنْيَتِي فِي الوَرَى وَغَايَةُ قَصْدِي

خَبِّرُونِي عَلَى الحِجَازِ وَخَيْفٍ[2] * بِأَبِي رَبْعِكُمْ أَحِبَّتِي أُفْدِي

شَنِّفُوا مَسْمَعِي بِرَبَّةِ سِتْرٍ * وَصِفُوا لِي الصَّفَا وَنَعْمَانَ رُشْدِ

---

(1) شريف العلماء وعالم السلاطين، مولانا عبد الحفيظ بن الحسن بن محمد بن عبد الرحمان العلوي، سلطان المغرب الأسبق، ولد بفاس سنة 1280هـ ـ 1863م،ونشأ وترعرع بقبيلة بني عامر (في الجنوب الغربي من مراكش) وهو من أكابر علماء وأدباء المغرب، بويع له بالحكم سنة 1325هـ فقضى فيه خمس سنوات، ثم تنازل عن العرش لأخيه مولاي يوسف، وذلك بعد أن وقع معاهدة الحماية مرغما للفرنسيين عام 1330هـ ـ 1912م، ثم أقام بعد ذلك بالمهجر بين فرنسا وإسبانيا إلى أن توفي بباريز بعد زوال يوم الأحد 22 محرم 1356هـ موافق 4 أبريل سنة 1937م، ونقل جثمانه الطاهر لبلاده المغرب، حيث احتفل بدفنه في مهرجان كبير، ورثاه عدد من الشعراء من ضمنهم العلامة سكيرج بقصيدة قال في مطلعها :

دمع أفاضته عيني بعدما جمدت * ونار قلبي ثارت بعدما خمدت

الله في مهجتي فقد ألم بها * عن بغتة ألم وصبرها فقدت

آه وهل آه يا قومي ينفس عن * نفسي غموما لدى العموم قد وجدت

حملت ما لو أعرتُ بعضه أحدا * غيري لذاب أسًى ونفسه همدت

إلى أن قال فيها :

من مثل عبد الحفيظ في العلوم وقد * أجاد في نشرها كتبا قد اعتمدت

من مثل عبد الحفيظ نفسه ازدهرت * في الكون لكنّها في الملك قد زهدت

تعوّد الجود حتى صار منفردا * بين الوجود بأعلى رتبة حُسدت

حتى غدا تضرب الأمثال فيه به * وإن أمثاله في الجود قد فقدت

حاشا ابن نجل أبيه وارث الشرف ال * أصيل والملك والعليا له سجدت

سلطاننا خير سلطان تكامل في * علائه وبه العلياء قد صعدت

ولمولانا عبد الحفيظ رحمه الله تآليف كثيرة منها : الجواهر اللوامع في نظم جمع الجوامع، والعذب السلسبيل في حل ألفاظ خليل، وياقوتة الحكام في مسائل القضاء والأحكام، ونيل النجاح والفلاح في علم ما به القرآن لاح، وله في الطريقة الأحمدية التجانية عدة كتب منها : الجامعة العرفانية في شروط وجل فضائل أهل الطريقة التجانية، انظر ترجمته في الدرر الفاخرة لابن زيدان ص 118 .وفي الأعلام، للزركلي 3 : 277.

(2) الخيف : مَا انْحَدَرَ عَنْ غِلَظِ الْجَبَلِ وَارْتَفَعَ عَنْ مَسِيلِ الْمَاءِ .وهو من الأماكن القريبة من مكة المكرمة، وعنه يقول النبي صلى الله عليه وسلم : مَنْزِلُنَا إِنْ شَاءَ اللَّهُ إِذَا فَتَحَ اللَّهُ الْخَيْفُ حَيْثُ تَقَاسَمُوا عَلَى الْكُفْرِ، أنظر صحيح البخاري [كتاب المغازي] بَاب أَيْنَ رَكَزَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الرَّايَةَ يَوْمَ الْفَتْحِ، رقم الحديث 3947

وَاشْرَحُوا لِي حَدِيثَ سَلْعٍ[1] رُقِيتُمْ * لِمَرَاقِي العَلاَ بِمَوْكِبِ سَعْدِ
وَاذْكُرُوا لِي العَقِيقَ[2] فَالعَيْنُ جَادَتْ * بِنَثِيرِ العَقِيقِ يَا أَهْلَ وُدِّي
بِالبَهَا وَالهَوَى وَلُطْفِ الحَوَاشِي * وَسُيُوفِ اللِّحَاظِ مُنُّوا بِوَعْدِ
لَذَّ عَذْلُ العُذُولِ فِيكُمْ وَمُرُّ الـ * ـعَيْشِ يَا آلَ طَيْبَةٍ طَابَ عِنْدِي
وَحَلاَ لِي الهُيَامُ فِيكُمْ جِهَاراً * وَالجَفَا مِنْكُمُ عَلَى مَدِّ بُعْدِي
وَاشْتِيَاقِي إِلَيْكُمُ طُولَ عُمْرِي * فِي الوَرَى لاَ يَزَالُ يُلْفَى بِزَيْدِ
وَمُنَايَ فَقَدْتُهُ مِنْ نَوَاكُمْ * فَامْنَحُونِي مِنْ بَعْدِ بُعْدٍ بِعَوْدِ
فَوَحَقِّ الغَرَامِ إِنِّي لَعَبْدُ * لِرَسُولِ الإِلَهِ خَيْرِ أودِّ
يَا رَسُولَ الإِلَهِ يَا نُورَ عَيْنِي * يَا حَبِيبَ الإِلَهِ يَا خَيْرَ جدِّي
أَنْتَ فِي النَّاسِ مَالِكِي وَهَنِيئاً * لِي يَا سَيِّدِي إِذَا قُلْتَ عَبْدِي
يَا مُجِيرَ الأَنَامَ فِي كُلِّ هَوْلٍ * وَمُغِيثَ العِبَادَ مِنْ كُلِّ نَكْدِ
قَدْ حَبَاكَ الإِلَهُ كُلَّ فَخَارٍ * خَضَعَتْ فِي الوَرَى لَهُ كُلُّ أُسْدِ
أَنْتَ حَقّاً رُوحُ الحَقَائِقِ حَقٌّ * مُصْطَفَى مُنْتَقَى إِلَى الحقِّ تُهْدِي
أَنْتَ غَوْثُ الأَنَامِ غَيْثُ البَرَايَا * وَغِيَاثٌ وَدَافِعٌ كُلَّ كَيْدِ
أَنْتَ خَيْرُ الوَرَى وَأَكْرَمُ خَلْقٍ * لَمْ تَزَلْ فِي الأَنَامِ هَادٍ وَمُهْدِي
أَنْتَ عَيْنُ النَّعِيمِ أَنْتَ مَلاَذِي * وَمَعَادِي وَمُؤْنِسِي عِنْدَ لَحْدِ
نِعْمَةُ اللَّهِ أَنْتَ مُخْتَارُ خَلْقِ الـ * ـلَّهِ حَقّاً وَأَنْتَ أَحْمَدُ عَبْدِ
أَنْتَ نُورُ الإِلَهِ قُوتُ قُلُوبِ الـ * ـخَلْقِ دُنْيَا وَفِي مَعَارِجِ خُلْدِ
أَنْتَ كَهْفِي إِنْ جَلَّ فِي النَّاسِ خَطْبٌ * وَمُجِيرِي مِنْ كُلِّ مَنْ رَامَ كَيْدِي
بِعُلاَكَ إِلَى الكَرِيمِ مُرَادِي * فِي البَرَايَا أَنَالُهُ دُونَ رَدِّي
فَبِحَقِّ الكِرَامِ آلِكَ جُدْ لِي * بِالَّذِي أَرْتَجِيهِ مِنْ كُلِّ قَصْدِ
وَسَلِ اللَّهَ يَغْفِرَنَّ ذُنُوبِي * وَبِسُبْلِ الرَّشَادِ يَأْخُذْ بِأَيْدِي
وَسَلِ اللَّهَ يَسْتُرَنَّ عُيُوبِي * وَخَطَايَا فَاقَتْ عَلَى حَصْرِ عَدِّ

---

(1) سلع : جبل قريب من المدينة المنورة، في اتجاه مكة المرمة، ورد اسمه في مواضع كثيرة من صحيح البخاري

(2) العقيق : واد من أودية الحجاز، قال عنه النبي صلى الله عليه وسلم : أَتَانِي اللَّيْلَةَ آتٍ مِنْ رَبِّي فَقَالَ صَلِّ فِي هَذَا الْوَادِي الْمُبَارَكِ وَقُلْ عُمْرَةً فِي حَجَّةٍ، أنظر صحيح البخاري [كتاب الحج] بَاب قَوْلِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْعَقِيقُ وَادٍ مُبَارَكٌ، رقم الحديث 1463

وَيُجِرْنِي مِنَ الْعَذَابِ وَمِنْ كُـ * ـلِّ الأَعَادِي وَكُلِّ خَصْمٍ أَلَدِّ
وَيُنِلْنِي الْمُنَى وَيَشْرَحُ صَدْرِي * لِطَرِيقِ الْهُدَى بِغَيْرِ تَعَدِّي
وَيُنِلْنِي رُؤْيَا سَنَاكَ جِهَاراً * وَلِمَنْحِ الْفُتُوحِ يَشْرَحُ خَلْدِي[1]
وَيُذِيقُ الْعُتَاةَ كُلَّ نَكَالٍ * وَيُقَابِلْ وَجْهَ الْجَمِيعِ بِطَرْدِ
وَيُبِيدُ الَّذِينَ رَامُوا ضَلاَلاً * وَبِهِمْ يُسْلِكَنْ طَرَائِقَ[2] بُعْدِ
وَيَزِيدُ الْكُفَّارَ ذُلاًّ وَخُسْراً * وَالَّذِي يَنْتَمِي إِلَيْهِمْ بِوُدِّ
وَبِعَاداً وَمِحْنَةً وَهَوَاناً * وَرَدًى دَائِماً إِلَيْهِمْ يُرْدِي
وَيُعِزُّ الَّذِينَ رَامُوا اعْتِزَازَ الـ * ـدِّينِ حَتَّى يَحْظُوا بِأَكْمَلِ رِفْدِ
وَيَمُدُّ الَّذِينَ آوَوْا لِدِينِ الْحَـ * ـقِّ بَيْنَ الأَنَامِ مِنْهُ بِجُنْدِ
وَفُؤَادِي يُعَمِّرَنْهُ بِتَقْوَى * وَيَقِينٍ إِلَى لِقَاكَ بِخُلْدِ
وَيُحِيطُ الْمَوْلَى الْحَفِيظَ[3] بِحِفْظٍ * دَائِمٍ فِي هَنَا وَعِزَّةِ جُنْدِ
وَلَهُ يَفْتَحُ الإِلَهُ حُصُوناً * وَعِدَاهُ يُقَيَّدُونَ بِقَيْدِ
فَيَنَالَ الْمُنَى بِفَتْحٍ قَرِيبٍ * حِيطَ بِالنَّصْرِ دَائِماً وَبِسَعْدِ
يَا رَسُولَ الإِلَهِ يَا كَهْفَ كُلِّ الـ * ـخَلْقِ جُدْ لِي بِعَطْفَةٍ دُونَ حَدِّ
بِعَظِيمِ الْجَاهِ الَّذِي لَكَ عِنْدَ الـ * ـلَّهِ أَدْعُوا الإِلَهَ فِي نَيْلِ قَصْدِي
وَبِفَضْلٍ فَاقْبَلْ بِحُسْنِ قَبُولٍ * بِنْتَ فِكْرٍ أَتَى بِهَا الرِّقُّ[4] يُهْدِي
فَعَلَيْكَ مِنَ الإِلَهِ صَلاَةٌ * وَسَلاَمٌ إِلَيْكَ فِي الْكَوْنِ أُهْدِي
وَعَلَى آلِكَ الْكِرَامِ وَكُلِّ الـ * ـصَّحْبِ مَا قَالَ مُنْشِدُ أَهْلَ نَجْدِ
وَحَدَا مُغْرَمٌ وَغَنَّى جِهَاراً * بِكُمُ فِي الْوَرَى تَزَايَدَ وَجْدِي

وله أيضا :

(1) الخلد : البال والقلب والنفس، وجمعه أخلاد

(2) طرائق : جمع طريقة، ومنه قوله تعالى : كنا طرائق قدادا

(3) إشارة للسلطان المولى عبد الحفيظ

(4) الرق : العبد المملوك

أُنْهِي لِمَنْ حَازَ فِي العَلْيَاءِ أَعْلاَهَا * وَمِـنْ مَآثِرِ كُـلِّ الفَضْلِ أَعْلاَهَا
أُهْدِي إِلَيْهِ مِنَ المِسْكِ الذَّكِي بِهِ * فَـجَا يَعُمُّ جَمِيعَ الـكَوْنِ رَيَّاهَا

ترجمة مولاي الطيب بن عبد الله العلوي الإسماعيلي

وممن اجتمعت به بالروض المنيف، وكان ملازما لنا هناك مدة إقامتنا في غالب الأوقات، الأديب اللبيب، ذو الأخلاق الحلوة المذاق، والمجالسة الرائقة، الطيب الذكر، الشريف مولاي الطيب بن عبد الله بن الطاهر العلوي الإسماعيلي،[1] وهو عم مولاي عبد الله المذكور، شرفني مرة بما كتبه لي بخطه طبق نيته وصدق محبته بين رهطه :

سِينُ الـسَّنَاءِ وَكَافُ مَـنْ شُـغِفْتُ بِهِ * مِــنَ الـكَمَالِ وَرَاؤُهُ مِــنَ الـرَّشَدِ
وَالـجِيمُ جِـيـمُ جَـمَـالٍ ثُـمَّ نِـسْبَتُهُ * وَالـلَّهُ أَسْـعَدَهُ فِــي أَسْـعَدِ البَلَدِ
حَــلَّ الـهَـنَـاءُ بِـبُـقْعَةٍ حَلَلْتَ بِـهَا * بَيْنَ الوَرَى دُمْتَ مَحْفُوظاً مِنَ النَّكَدِ[2]

وأنشدني من حفظه :

أَتَـانِـي زَمَـانِـي بِـمَا أَرْتَـضِـي * فَـبِـاللَّهِ يَـا دَهْـرُ لاَ تَـنْـقَـضِـي
وَيَـا لَـيْلَةَ الـوَصْلِ عُـودِي لَـنَا * لِأَنَّ الـحَبِيبَ عَـلَـيْنَا رَضِــي

---

(1) الطيب بن عبد الله بن محمد الطاهر بن عبد القادر بن عبد الله بن السلطان المولى إسماعيل العلوي، فقيه، أديب، نساخ للكتب، ولد بمكناس يوم الاثنين 14 جمادى الأولى عام 1278هـ ـ 17 نونبر 1861م، كان متوليا خطة العدالة ومتصدرا للشهادة بسماط العدول بمكناس، ثم رشح للشهادة بمراقبة الأحباس، وشيوخه في العلم كثيرون منهم : العلامة الأديب سيدي الغالي السنتيسي، وسيدي فضول بن عزوز، وسيدي الطاهر بوحدو، وغيرهم.

ولا يفوتنا التنبيه على أن العلامة سكيرج كان قد ترجم له في كتابه غاية المقصود، بالرحلة مع سيدي محمود، وساق هناك قصيدة له في مدح الشريف سيدي محمود[حفيد الشيخ أبي العباس التجاني رضي الله عنه] ختمها بقوله :

مـرحبا أهـلا وسهـلا بـالذي * أذهــب الله بــه عـنـا الـنـقـم
بـضعة المختار من بين الورى * مــن بــدت أمـتـه خـير الأمــم
أحمد الخلق الرسول المرتضى * مــن بــه تـسدى لنا كـل الـنعم
فـعـلـيه الله صــلـى دائـمـا * وعــلـى أمـتـه بـيـن الأمــم

وكانت وفاته رحمه الله في فاتح جمادى الثانية عام 1336هـ ـ 14 مارس 1918م، ودفن بضريح جده السلطان مولاي إسماعيل، انظر ترجمته في إتحاف أعلام الناس لابن زيدان ج 3 ص 118.

(2) النكد : كل شيء جر على صاحبه شرا

سَقَانَا بِـكَأْسِ الـوَفَى شُرْبَةً * فَـلاَحَ مِـنَ الـكَأسِ نُورٌ يُضِي
وَنَحْنُ عَلَى العَهْدِ نَرْعَى الذِّمَامْ * وَعُـمْـرُ الـمُحِبِّينَ لاَ يَـنْـقَضِي[1]

وقد أجبته بقولي :

يَاسَيِّداً سَـادَ أَهْـلَ الفَضْلِ وَالأَدَبِ * وَحُبُّهُ فِـي الـوَرَى مِـنْ أَفْضَلِ القُرَبِ
لَـحَظْتَنِي فِـي الـوَرَى بِعَيْنِ مَكْرُمَةٍ * وَقَدْ رَفَـعْتَ مَقَامِي فِـي ذَوِي الرُّتَبِ
مَا الـفَضْلُ إلاَّ لَـكُمْ يَا مَنْ لَهُمْ شَرَفٌ * عَـلَى سِـوَاهُمْ يُرَى فِي العُجْمِ وَالعَرَبِ
وَكَيْفَ لاَ وَلَـكُمْ بَيْنَ الـوَرَى نَـسَبٌ * إلَـى الـنَّبِيِّ يُرَى مِـنْ أَفْضَلِ النَّسَبِ
وَلَـكَـمْ لَـكُـمْ بَـيْـنَ الأَنَـامِ يُـرَى * وَمَنْ بِكُمْ لَمْ يُطِبْ فِي الكَوْنِ لَمْ يُطِبِ
يَـا طَيِّباً قَدْ عَـلاَ فِي الـفَضْلِ مَنْزِلَةً * وَطَابَ أَصْلاً وَفَرْعاً فِي ذَوِي الحَسَبِ
لاَزِلْـتَ فِـي ذُرْوَةِ الـعَلْيَاءِ مُرْتَقِياً * مَلْحُوظَ قَدْرٍ مَـحُوطاً مِـنْ يَدِ العَطَبِ[2]

وسمعت منه تخمس الأبيات المشهورة، وكتبها لي وهي :

---

(1)هناك بيتان من هذه القصيدة لم يردا ضمن هذه القطعة، وهما الربع والخامس، وهما ما قبل الأخير، ونصهما :

صددت فكنت مليح الصدود * وأعرضت أفديك من معرض
وفي حالة السخط لا في الرضا * يبين المحب من المبغض

(2) وللعلامة سيدي أحمد سكيرج في مدح نفس الشخص قصائد آخرى منها قوله في إحداها :

طرب الشجي وطالما لم يطرب * وصبا إلى مدح الشريف الطيب
نجل الكرام الطيبين ذوي العلا * من نسل أصل الفضل من آل النبي
أعني الشريف الطيب بن الطيب * ابن الطيب ابن الطيب ابن الطيب
ذاك ابن عبد الله من طابت به * مكناسة الزيتون روض المغرب
ورث العلا في عصره عن أصله * وعلا من العليا لأعلى منصب
متخلفا بمكارم الأخلاق في * أهل العلا بتواضع وتأدب
كسب المرؤة فارتدى بردائها * ومن الديانة نال أطيب مكسب
ألقى الجمال عليه حلته فلا * تلقاه إلا مثل بدر الغيهب
بل هو شمس الضحى بدت في أفقها * وسواه من أهل العلا كالكوكب
أثني عليه وفضله لم يحصه * مني ثناء موجز أو مطنب
فعليه خير تحية تحيا بها * كل النفوس مع السلام الأطيب

طَـالَ اشْـتِيَاقِي لِـمَا أُرِيـدُ * وَالدَّمْعُ مِـنْ مُقْلَتِي[1] مَدِيدُ[2]
فَـبِـالَّذِي قَـيْـدُهُ مُـعِيـدُ * عِـيدُوا إِلَى الوِصَالَ عِيدُوا
فَـإِنَّ وَصْلِي بِـكُمْ جَدِيدُ
إِفْـرَاطُ حُبِّي لَكُمْ سَبَانِي[3] * وَقَـدْ دَهَانِي لِـمَا دَهَانِي
رِقُّـوا فَـمَا قَدْ جَرَى كَفَانِي * وَقَـرِّبُـوا الـوَصْلَ وَالتَّدَانِي
فَـالقُرْبُ لِلعَاشِقِينَ عِـيدُ
عِـدَاهُ مِـنْكُمْ قَدْ أَوْحَشُوهُ * وَعَـنَّـفُـوهُ وَأَدْهَـشُـوهُ
بِـالـعَزْمِ لِـلَّـهِ نَـاقِـشُـوهُ * خُـذُوا فُـؤَادِي وَفَـتِّـشُـوهُ
وَقَـلِّـبُـوهُ كَـمَـا تُـرِيـدُ
يَا سَعْدَ مَنْ هَامَ[4] فِي هَوَاكُمْ * وَحَصَّلَ الأَمْـنَ مِـنْ نَـوَاكُمْ
هَـذَا فُـؤَادِي رَجَـا دَوَاكُـمْ * فَـإِنْ وَجَدْتُـمْ فِـيـهِ سِوَاكُمْ
عَـلَيَّ زِيـدُوا الـبِعَادَ زِيـدُوا

وأنشدني أيضا قول القائل :

إِنَّ هَـوَاكَ الَّـذِي بِـقَلْبِي * صَـيَّرَنِي سـميعا مـطيعا
أَخَذْتَ قَلْبِي وَنَوْمَ طَرْفِي[5] * سَلَبْتَنِي العَقْلَ وَالهُجُوعَا[6]

---

(1) المقلة : العين
(2) مديد : طويل
(3) سباني : أسرني
(4) هام في هواه : تحير واضطرب
(5) الطرف : تحريك الجفن والعين، يطلق على الواحد وغيره، وقد يثنى ويجمع، وفي التنزيل العزيز في صفة حور الجنة : قاصرات الطرف عين
(6) الهجوع : النوم ليلا

فَخُذْ فُؤَادِي وَدَعْ رُقَادِي[1] * فَقَالَ لاَ بَلْ هُمَا جَمِيعَا
فَــرَاحَ مِـنِّــي لِحَاجَتَيْهِ * وَرُحْتُ مِنْ حُسْنِهِ صَرِيعَا

وهذا الشريف قد اتخذه سيدنا النقيب عيبة أسراره، وهوالمختص عنده باستخراج مبيضات تآليفه وقضاء بعض أوطاره، مع الأديب مولاي عبد الله بن محمد، ويقومان في كتب بعض الرسائل التي يحررها لهما بخط يده، زاد الله في مددهما و مدده أمين

ترجمة العلامة سيدي التهامي الحداد المكناسي

وممن اجتمعت به عنده أستاذ الحضرة الحفيظية الفقيه السيد التهامي الحداد المكناسي[2]، جاء لحاضرتنا صحبة بعض الأدباء، فلقاه سيدنا النقيب بما عهد به من الإحتفال بأهل الفضل، وقد كان أول اجتماعي به بصحن جامع الزيتونة، وصادف الحال وقوفي هناك على الخصة العجيبة المنتصبة بوسطه، المحتفة بتلك المائدة الغريبة التي اشتملت دائرتها الواسعة على أربعة وعشرين موضعا معدا للنعال، محيطة بأربع شجرات تظللها، فقلت فيها :

---

(1) رقادي : نومي

(2) التهامي بن عبد القادر المراكشي المكناسي، أستاذ مقرئ، من أعلام القراءات السبع، تتلمذ على يد نخبة من خيرة فقهاء عصره، كالعلامة سيدي محمد بن المدني كنون، ومحمد بن التهامي الوزاني، وعبد الله الكامل الأمراني، وأبي جيدة الفاسي، وغيرهم

وبناء على ما سبق فقد قطع مترجمنا أشواطا ناجحة في مسار تحصيله، كما تكونت لديه ثقافة واسعة في الكثير من العلوم القابلة للدراسة إذ ذاك، مع ميزة خاصة في علمي الفقه والفرائض. حيث أن نبوغه فيهما كان الأكثر وضوحا وجلاء.

ولدى تخرجه انتقاه السلطان المولى الحسن الأول لتأديب وتعليم أبنائه بمدينة مكناس، ثم وجهه معهم للغرض نفسه بقبيلة احمر، فانتفع به جلهم، لاسيما السلطان الأسبق المولى عبد الحفيظ، فقد كان يعده في طليعة شيوخه المعتمدين عنده، وقال في حقه ضمن نظمه المسمى بمغني اللبيب :

كشيخنا طود العلوم الراسي * بحر الهدى التهامي المكناسي

ولا يفوتنا التنبيه على أن السلطان المذكور كان قد أسند له قضاء فاس الجديد، توفي في متم شهر شعبان الأبرك عام 1336هـ ـ 9 يونيه 1918م، ودفن بضريح سيدي بوطيب بمدينة مكناس، انظر ترجمته في إتحاف المطالع، لابن سودة 1 : 419 ـ 420، معلمة المغرب 10 : 3341 . موسوعة أعلام المغرب 8 : 2901 ـ 2902. معجم المؤلفين، لكحالة 3 : 94. إتحاف أعلام الناس، لابن زيدان 2 : 107. الإعلام بمن حل مراكش وأغمات من الأعلام، لابن ابراهيم 3 : 98

وَمَائِدَةٍ فِي بِسَاطٍ بَدَتْ * عَلَيْهَا غُصُونٌ عَلَتْ رَائِقَهْ
وَفِيهَا لَنَا خصَّةٌ بُرِّزَتْ * وَأَفْوَاهُهَا فِي العَلاَ دَافِقَهْ

وفي صباح الأربعاء أتى مع الفقيه السيد أحمد المذكور لحضرة سيدنا النقيب ، فألفاني استعملت هذه الأبيات :

خَلِيلِيَ إِنْ سَأَلْتَ عَنِ الكِرَامِ * وَأَهْلِ الفَضْلِ مِنْ بَيْنِ الأَنَامِ
فَفِي مِكْنَاسَةِ الزَّيْتُونِ قَوْمٌ * سَمَوْا حَقّاً إِلَى أَعْلَى مَقَامِ
فَمَا مِكْنَاسَةُ الزَّيْتُونِ إِلاَّ * جِنَانُ الخُلْدِ أَوْ دَارُ السَّلامِ
فَمَنْ فِيهَا يَحِلُّ يَنَالُ أَمْناً * بِهِ يَحْظَى بِحِفْظٍ بِالدَّوَامِ
هِيَ الدُّنْيَا بِهَا قَدْ حَاطَ قَافٌ * لَهَا مِنْ كُلِّ مَا يُحْتَاطُ حَامِي
وَفِيهَا سَادَةٌ فُضَلاَءُ فَاقُوا * سِوَاهُمْ فِي جَلاَلٍ وَاحْتِرَامِ
وَقَدْ جَادَ الزَّمَانُ عَلَيَّ فِيهَا * بِلُقْيَا العَالِمِ المَوْلَى التُّهَامِي
أَرَاهُ حَازَ فِي العَلْيَا مَقَاماً * يُرَى فِي ذُرْوَةِ العَلْيَاءِ سَامِي
وَفِي أُفْقِ الهِدَايَةِ قَدْ تَجَلَّى * كَشَمْسٍ أَشْرَقَتْ سُبْلَ الظَّلاَمِ
فَمَا تَبْغِيهِ مِنْ عِلْمٍ فَمِنْهُ * تَنَالُ بِلاَ مِرَا أَقْصَى المَرَامِ
أَدَامَ اللَّهُ فِي العَلْيَا ارْتِقَاهُ * مَحُوطاً بِالسَّعَادَةِ وَالسَّلاَمِ

وقد حصلت بيني وبين الفقيه المذكور ألفة ومحبة قلبية، ومودة حبية، حتى أنه صار يطلعني على بعض أسراره، وأعينه في كتب بعض ما يوصله من الحضرة الحفيظية لأوطاره، وتوصلت بواسطته لبعض المطالب، وقد قلت على لسانه قصيدة قرءت بالحضرة الحفيظية في ختم صحيح البخاري نصها :

كَمُلَ السُّرُورُ وَتَمَّتِ الأَفْرَاحُ * وَتَمَايَلَتْ طَرَباً بِنَا الأَرْوَاحُ
وَتَمَلَّأَتْ مِنَّا السُّرُورُ بِبَهْجَةٍ * قَدْ أَنْتَجَتْهَا فِي العُقُولِ الرَّاحُ[1]

---

(1) الراح : الخمر

مَـــا الــرَّاحُ إِلاَّ خَـمْـرَةٌ سُـنِّـيَّـةٌ * فِـيـهَا غَــدَتْ لِلعَـالَـمِينَ الـرَّاحُ[1]
يَـرْوُّونَ مِـنْـهَا الـسَّلْسَبِيلَ مُـسَلْسَلاً * عَـــنْ نَـافِـعٍ تُـنْفَى بِــهِ الأَتْـرَاحُ[2]
عَــنْ جَابِرٍ لِقُلُوبِهِمْ مِـنْ كَسْرِهَا * عَـمَّـا بِـــهِ أَشْـبَـاحُـهُمْ تَـرْتَـاحُ
مُـتَـمَـسِّكِينَ بِـحَبْلِهَا فِـي سَعْيِّهِمْ * لِـتِـجَـارَةٍ فِـيـهَا لَـهُـمْ أَرْبَـــاحُ
تَـرَكُوا الضَّلاَلَةَ كَيْ يَفُوزُوا بِالهُدَى * وَهُــدَاهُـمُ قَــدْ لاَحَ مِـنْـهُ فَـلاَحُ
وَعَـلَى الـمُدَامِ تَـجَمَّعُوا بِـجُمُوعِهِمْ * يَـرْوُّونَـهُ مَـهْـمَا غَــدَوْا أَوْ رَاحُـوا
وَتَـحَدَّثُوا بِـحَدِيثِهِ وَبِـحُبِّ مَـنْ * شَـغَفُوا بِـهِ بَيْنَ الـوَرَى قَدْ بَاحُوا
إِنَّ الـحَـدِيـثَ لأَهْـلِـهِ لَـتِـجَـارَةٌ * فِـــي ضِـمْـنِهَا لِلعَـارِفِينَ نَـجَاحُ
مَـا الـخَيْرُ إِلاَّ فِـي سُلُوكِ طَرِيقِهِ * لِــمْ لاَ وَفِـيـهَا لِلعِـبَادِ صَــلاَحُ
وَأَجَـلُّ مَـا يَـرْوِي الـرُّوَاةُ صِحَاحَهُ * إِنَّ الـصَّـحِـيحَ لِـطِـيـبِهِ فَـــوَّاحُ
لاَسِيَـمَا إِنْ كَـانَ يُـسْرَدُ عِـنْدَ مَنْ * بِــيَـدَيْهِ قَدْ أَضْحَى الهُدَى المِفْتَاحُ
ذَاكَ الأَمِـيرُ أَبُـو الـمَعَالِي وَالتُّقَى * مَــنْ نُـــورُهُ ضَــاءَتْ بِـهِ الأَشْـبَاحُ
شَـمْسُ العُلاَ عَـبْدُ الـحَفِيظِ إِمَامُنَا * مَــنْ نَـصْـرُهُ كَـمُلَتْ بِـهِ الأَفْـرَاحُ
فَـهْوَ الَّـذِي قَـدْ سَـدَّ أَبْوَابَ الشَّقَا * وَلِــكُـلِّ بَـــابِ سَـعَـادَةٍ مِـفْـتَاحُ
مَـنَّـاعُ أَهْـلِ الـجُورِ بَـعْدَ فُجُورِهِمْ * مِـــنْ خَــيْـرِهِ وَلِـغَـيْرِهِمْ مَــنَّـاحُ
مَـنْ جَـاءَ يَـلْتَمِسُ الغِنَا مِـنْ كَفِّهِ * نَـــالَ الـمَـرَامَ وَمَـــا بِـــهِ إِلْـحَـاحُ
فَــرَّاجُ ضَـيْـقِ الـمُـقْتِرِينَ بِـبَذْلِهِ[3] * وَبِـجُـودِهِ لِــذَوِي الـهُـدَى فَـرَّاحُ
سَـتَّـارُ كُـلِّ فَـتَـى عَـرَتْهُ[4] مَـنُـوبَةٌ * بِـالـحَقِّ وَهْـوَ لِـذِي الـخَنَا[5] فَـضَّاحُ
كَـشَّـافُ كُـلِّ الـمُعْضِلاَتِ بِـعِلْمِهِ * وَلِـصَعْبِ كُـلِّ عَـوِيصَةٍ[6] شَـرَّاحُ
أَوَ مَــا تَــرَاهُ أَتَـى بِـسِرِّ اللَّـهِ فِـي * سَــرْدِ الـبُـخَارِي عِـنْـدَهُ تَـرْتَـاحُ

---

(1) الراح : بمعنى الراحة
(2) الأتراح : الأحزان
(3) البذل : العطاء
(4) عرته : بمعنى اعترته
(5) الخنا : الفحش في الكلام
(6) العويصة : المسئلة المستشكلة الصعبة الإستخراج

كَمْ جَادَ بِاسْتِنْبَاطِ أَحْسَنِ نُكْتَةٍ[1] * قَلْبُ الحَسُودِ لِحُسْنِهَا رَدَّاحُ[2]
وَلَكَمْ أَزَالَ عَنِ الأَحَادِيثِ الغِطَا * لَوْلاَهُ مَا عَنَّا عَنَاهُ[3] يُزَاحُ
وَلَكَمْ أَبَانَ مِنَ الصِّحَاحِ جَوَاهِراً * مَا نَالَهَا الغَوَّاصُ وَالسَّبَّاحُ
وَمَتَى ذَكَرْنَا نُكْتَةً وَافَى لَنَا * بِأَجَلٍّ مِنْهَا ضِمْنَهَا إِيضَاحُ
وَمَتَى عَلَيْنَا جَنَّ لَيْلُ عَوِيصَةٍ * وَافَى لَنَا مِنْ فَهْمِهِ مِصْبَاحُ
فَوَحَقِّهِ لَهُوَ الإِمَامُ المُرْتَضَى * عَالِي المَقَامِ السَّيِّدِ الجَحْجَاحِ[4]
كَمُلَتْ مَحَاسِنُهُ فَأَصْبَحَ مُفْرَداً * كَالبَدْرِ وَهْوَ بِوَجْهِهِ وَضَّاحُ
وَلَهُ مَنَاقِبُ قَدْ تَعَاظَمَ قَدْرُهَا * مَالِي لِحَصْرِ ثَنَائِهَا إِفْصَاحُ
لاَزَالَ فِينَا يَرْتَقِي رُتَبَ العُلاَ * وَالنَّاسُ كُلُّهُمُ لَهُ مُدَّاحُ
وَيُنِيلُهُ الحِفْظَ الجَمِيلَ إِلاَهُنَا * كَيْمَا تَدُومَ لَنَا بِهِ الأَفْرَاحُ

وقلت على لسانه في تقريظ قصيدة حفيظية باقتراحه في الوزن والقافية[5] :

وَذَاتُ جَمَالٍ أَقْبَلَتْ تدلَّلُ * فَصَارَتْ لَهَا نَفْسُ الوَرَى تَتَذَلَّلُ
فَأَعْرَتْ عَنِ الوَجْهِ المَلِيحِ لِثَامَهَا * فَصَارَ بِهَا مَنْ لَيْسَ يَعْشَقُ يَذْهَلُ
هِيَ الشَّمْسُ إِلاَّ أَنَّهَا تُشْرِقُ الدُّجَى * هِيَ البَدْرُ إِلاَّ أَنَّهَا مِنْهُ أَكْمَلُ

---

(1) النكتة : العلامة الخفية والفكرة اللطيفة المؤثرة في النفس، والمسألة العلمية الدقيقة يتوصل إليها بدقة وإنعام فكر وشبه

(2) رداح : بمعنى مصروع

(3) عناه : من العنى وهو التعب

(4) الجحجاح : السيد السمح الكريم

(5) المراد بها قصيدة نونية للسلطان الأسبق المولى عبد الحفيظ افتتحها بقوله :

زر للمعاهد زورة الولهان * واسكب هنالك وابل الأجفان
وإذا وصلت ربوعهم فتذكرن * عهد الأحبة حين لات أوان
واخضع تجاه وجوههم بتذلل * وتواضع إن الخضوع يداني

وللعلامة سيدي أحمد سكيرج تخميس لهذه القصيدة قال في مطلعه :

إن كنت في قيد الصبابة عاني * وبما اعتراك من التشوق فاني
وأردت أن تحضى بحسن تداني * زر للمعاهد زورة الولهان
واسكب هنالك وابل الأجفان

فَمَا السِّحْرُ إلاَّ مَا بَدَا مِنْ لِحَاظِهَا * بِهِ مَلَكَتْ مَنْ كَانَ فِي النَّاسِ يَعْقِلُ
وَمَا الخَمْرُ إلاَّ مِنْ سُلاَفَةِ لَفْظِهَا * تَعَلَّمَتِ الفِعْلَ الَّذِي هِيَ تَفْعَلُ
وَمَا الدُّرُّ إلاَّ مِنْ جَوَاهِرِ ثَغْرِهَا * فَأَضْحَتْ بِهِ أَهْلُ البَهَا تَتَجَمَّلُ
إلاَّ أَنَّهَا السِّحْرُ الحَلاَلُ حَقِيقَةً * إذَا كُنْتَ بَيْنَ الخَلْقِ لِلسِّحْرِ تَجْهَلُ
هِيَ السِّحْرُ لاَ كَالسِّحْرِ بَلْ هِيَ فَوْقَهُ * هِيَ الشِّعْرُ لاَ كَالشِّعْرِ بَلْ هِيَ أَفْضَلُ
فَلَسْتُ أَرَاهَا غَيْرَ مُعْجِزَةٍ بَدَتْ * لَنَا فَهِيَ فِي الأَمْدَاحِ لاَشَكَّ منزلُ
إذَا ذُكِرَتْ بَيْنَ المَدَائِحِ خِلْتَهَا * زَبُوراً لَهُ دَاوُودُ قَامَ يُرَتِّلُ
أَتَتْ بِصِفَاتِ المُصْطَفَى خَيْرِ مُرْسَلٍ * فَصَارَتْ بِهَا الأَمْثَالُ فِي المَدْحِ تُرْسَلُ
تَكَامَلَ مَعْنَاهَا وَتَمَّ نِظَامُهَا * فَلَسْتَ تَرَى عَنْ غَيْرِهَا النَّاسَ تَسْأَلُ
تَقَرُّ بِهَا عَيْنُ المُحِبِّ وَيَصْطَلِي * بِهَا حَسَداً قَلْبُ العَدُوِّ فَيُقْتَلُ
أَتَانَا بِهَا المَوْلَى الحَفِيظُ حَفِيظَةً * فَصَاحِبُهَا لاَشَكَّ بِالحِفْظِ يُشْمَلُ
أَتَانَا بِهَا المَوْلَى الحَفِيظُ أَمِيرُنَا * فَجَاءَتْ تَجُرُّ الذَّيْلَ تَيْهاً وَتَرْفُلُ[1]
أَبَانَتْ لَنَا عَمَّا انْطَوَى فِي ضَمِيرِهِ * مِنَ الحُبِّ فِيمَنْ لِلخَلاَئِقِ مُرْسَلُ
فَأَعْظِمْ بِهِ مَولَى تَفَرَّدَ بِالعُلاَ * مَلِيكاً لِكُلِّ العَالَمِينَ يُؤَمَّلُ
مَلِيكاً غَدَا بَحْراً مِنَ العِلْمِ زَاخِراً * جَرَى مِنْهُ فِي كُلِّ المَذَاهِبِ مَنْهَلُ[2]
مَلِيكاً غَدَا فِي الخَلْقِ بَرّاً[3] مُهَذَّباً * يُرَى عَلَماً فِي الحَقِّ لاَ يَتَزَلْزَلُ
لَإِنْ كَانَ فِي الدُّنْيَا أَخِيرَ زَمَانِهِ * فَفِي الفَضْلِ عِنْدَ الخَلْقِ لاَشَكَّ أَوَّلُ
فَلاَ زَالَ نَصْرُ اللَّهِ يَشْمَلُ جَيْشَهُ * وَبِالفَتْحِ يَأْتِيهِ المَرَامُ المُؤَمَّلُ
وَلاَزَالَ فِي العَلْيَاءِ يَرْقَى مَقَامَهُ * وَأَمْدَاحُهُ فِينَا مَدَى الدَّهْرِ تُنْقَلُ
وَلاَزَالَ بَدْراً مُسْتَنِيراً وَنُورُهُ * مِنَ الشَّمْسِ فِي العَلْيَا أَتَمُّ وَأَكْمَلُ

وقد ضاعت منى أخرى طويلة الذيل، وكاتبته بعدما قدمت من طنجة على مدينة فاس، ووجدت راتب الطبقات العلمية وزع على أهلها، ولم يوت براتبي لأهلي، ليرفع الشكاية للأعتاب

---

(1) يرفل : يجر ذيله ويتبختر في سيره
(2) المنهل : الموضع الذي فيه المشرب
(3) البر : الخيرالفاضل

الحفيظية، حين اجتماعه بها في دروسها الغالية، مستنهضا همته[1] :

سَأَلْتُ عَـنِ الـكِرَامِ الـكَامِلِينَا * وَمَـنْ هُـمْ بَـيْنَ كُـلِّ العَالَـمِينَا
فَدَلَّتْنِي عَـلَيْكَ الـنَّـاسُ طُـرّاً * وَقَـالُـوا أَنْـتَ سَـيِّدُهُمْ يَقِينَا
لِأَنَّـكَ فُقْتَ أَهْلَ العَصْرِ فَضْلاً * وَمَـعْـرِفَـةً وَإِحْـسَـانـاً وَدِيـنَـا
بِفَـضْـلِكَ تَشْـهَدُ الأَعْـدَاءُ حَـقّاً * عَـلَى رَغْـمِ أُنُـوفِ الـمُبْغِضِينَا
وَأَهْـلُ الـفَـضْلِ كُلُّهُمْ أَقَـرُّوا * بِـأَنَّـكَ سَـيِّدٌ فِـي العَالَـمِينَا
بَـلَغْـتَ مِـنَ الـمَرَاتِبِ مُنْتَهَاهَا * فَـصَارَ لَـكَ الأَفَاضِلُ شَاهِدِينَا
وَأَنْـتَ الـبَدْرُ فِـي أَوْجِ الـمَعَالِي * تُـبِـينُ الـحَـقَّ لِلْمُسْتَرْشِدِينَ
فَمَنْ بِكَ يَقْتَدِي فِي الحَقِّ يَضْحَى * إِمَـامـاً فِـي أَمَـامِ الـمُهْـتَدِينَا
أَسَيِّدَنَا الرِّضَى الـمَوْلَى التُّهَامِي * أَيَـا نَـجْـلَ السُّـرَاةِ[2] الأَكْـرَمِينَا
فَـلَوْ أَنَّـا مَـلَأْنَا الـكَوْنَ شُـكْراً * عَـلَى عُلْيَاكَ لَـمْ نَـكُ شَاكِرِينَا
لَـقَـدْ أَوْلَـيْتَنَا مِـنْكَ الأَيَـادِي[3] * فَـصِرْنَا عَـنْ ثَـنَائِكَ عَاجِزِينَا
فَـكَـمْ أَوْلَـيْتَنَا الـمَعْرُوفَ حَـتَّى * غَـدَوْنَا فِـي امْتِنَانِكَ غَارِفِينَا
وَكَـمْ أَوْلَـيْتَنَا الإِحْـسَانَ حَـتَّى * غَـدَوْنَا فِـي يَدَيْـكَ مُقَيَّدِينَا
وَكَـمْ أَسْـدَيْتَ مِـنْ خَـيْرٍ إِلَيْنَا * وَكُـنْـتَ لَـنَـا أَجَـلَّ الـمُنْقِذِينَا
وَهَـلْ نَـنْسَى جَمِيلَكَ فِـي زَمَانٍ * وَفَـضْـلُكَ لاَ يَـزَالُ يُـجَلُّ[4] فِينَا
فَـلاَ وَحَيَاةِ نَـفْسِكَ لَسْتُ أَنْسَى * جَمِيلَكَ[5] لِـي عَـلَى طُولِ السِّنِينَا
أَمَـا أَوْلَـيْتَـنِي وُدّاً[6] عَـظِيـماً * بِـهِ قَـدْ فُـزْتُ بَـيْنَ الفَائِزِينَا

---

(1) حدث هذا بتاريخ 2 رجب الفرد الحرام عام 1327هـ ـ 20 يوليوز 1909م، عند رجوع العلامة سيدي أحمد سكيرج من مدينة طنجة، حيث وجد راتب الطبقات العلمية بالقرويين قد وزع على أهلها، ولم يوت له مرتبه منها

(2) السراة : أفاضل الناس من أهل المروءة والشرف

(3) الأيادي : الصنائع والنعم

(4) يجل : يعظم

(5) جميلك : إحسانك

(6) الود : المحبة

وَحُبُّكَ مِـنْ قَـدِيمٍ فِـي فُـؤَادِي * يُـرَى لِـي فِـي الوَرَى حَبْلاً مَتِينَا[1]
أَبَـا الـخَيْرَاتِ أَنْتَ مَلاَذُ[2] قَـصْدِي * وَمِـثْـلُـكَ لاَ يَــرُدُّ الـسَائِلِينَا
وَأَنْـتَ تُـجِلُّ مَنْ وَافَاكَ[3] يَـسْعَى * يُـرِيـدُ الـحَـقَّ بَـيْـنَ الـقَاصِرِينَا
وَلاَسِيَمَا فَتًى فِـي العِلْمِ أَضْحَى * عَـلَـى تَـدْرِيسِهِ حِيناً فَحِينَا
وَلَيْسَ لَـهُ سِوَى التَّدْرِيسِ شُغْلٌ * كَـمَا يَـدْرِيـهِ كُـلُّ الطَالِبِينَا
إِلَـيْكَ شِكَايَتِي فِـي أَخْذِ حَقِّي * فَـحَقِّي ضَـاعَ بَـيْـنَ الآخِـذِينَا
وَهَلْ فِـي الحَقِّ يُعْطَى الغَيْرُ حَقِّي * وَأُحْـسَـبُ بَـعْـدَهُ فِـي الزَّائِدِينَا
فَحَاشَا أَنْ أُضَـامَ وَأَنْـتَ عِـنْدِي * مُـجِيرٌ[4] مِــنْ جَـمِيعِ الـمُعْتَدِينَا
وَحَـاشَـا أَنْ أُهَـانَ[5] وَلِـي انْـتِهَاءٌ * إِلَـى عَلْيَاكَ وَهْـوَ يُـرَى حَصِينَا
وَعَــارِي لاَ يَـزَالُ عَـلَيْكَ حَـتَّى * أَحُــوزَ مُـنَـايَ مِـثْـلَ الحَائِزِينَا
لِأَنَّـكَ إِنْ تُـرِدْ لِـي نَيْلَ قَصْدِي * أَصِـلْـهُ وَلاَ تَـهَـابُ الـحَاجِبِينَا
فَأَمْرُكَ مِثْلُ كُـنْ إِنْ رُمْتَ شَيْئاً * تَـنَـلْـهُ بِـأَمْـرِ رَبِّ الـعَالَمِينَا
وَإِنَّـــكَ خَـيْـرُ وَاسِـطَـةٍ لَـدَيْـنَا * إِلَــى الـمَوْلَى أَمِـيرِ الـمُومِنِينَا
حَـفِيظِ الـدِّينِ وَالـدُّنْيَا الـمُفَدَّى * بِـنَـفْسِ ذَوِي الـغِنَى وَالـمُقْتِرِينَا
فَـإِنَّكَ شَـيْخُهُ الـمَوْلَى الـتُّهَامِي * مَـحَلُّ الـفَضْلِ بَـيْنَ الفَاضِلِينَا
لَإِنْ أَحْــرَزْتَ مِـنْـهُ مُـنَاكَ فِـينَا * فَــكَـمْ أَوْلَـيْـتَـهُ فَـتْـحاً مُـبِـينَا
إِلَـى أَنْ نَـالَ مِـنْ مَـوْلاَكَ حِفْظاً * وَعِــلْـمَ الأَوَّلِــيــنَ وَالآخِـرِيـنَـا
فَـنَـسْـأَلُ رَبَّـنَـا يُـولِـيكَ عِــزّاً * يَــدُومُ لِـتُـبْرِئَ الـقَلْبَ الـحَزِينَا
وَيَـرْعَـى قَــدْرَ مَـوْلاَنَـا بِـحِفْظٍ * فَـحِـفْظُهُ فِـيـهِ حِـفْظُ الـمُسْلِمِينَا
بِـجَـاهِ الـمُـصْطَفَى وَبِــجَاهِ آلٍ * وَجَـــاهِ صِــحَـابِـهِ وَالـتَّـابِعِينَا

---

(1) متينا : قويا صلبا شديدا
(2) الملاذ : الحصن والملجأ
(3) وافاك : أتى إليك
(4) مجير : مدافع وحام
(5) يهان : يذل ويحتقر

عَلَيْهِمْ أَفْضَلُ الصَّلَوَاتِ تَتْرَى * مِـنَ الـمَوْلَى عَـلَى مَـرِّ السِّنِينَا[1]

وقد اقترح علي أن أستعمل له قصيدة مشتملة على تراجم صحيح الإمام البخاري، مع التعرض لمدح الحضرة الحفيظية، حيث أن الأولى لم توافق الغرض المطلوب، فقلت :

جَـاءَتْ تُـؤَدِّي الـهَنَا إِلَـيْكَ بِـالظَّفَرِ * بَـشَائِرُ الـفَـتْحِ بَـيْـنَ سَـائِـرِ الـبَشَرِ
تَـتَابَعَتْ مِـثْـلَ وَحْـيٍ آيُـهُ بَـهَـرَتْ * أُولِي النُّهَى قَدْ بَدَتْ فِي أَحْسَنِ الصُّوَرِ
وَأَقْـبَـلَـتْ وَغَـوَانِـي الـسَّـعْدِ بَـاسِمَـةٌ * وَلِلسُّرُورِ الجَلِي عَـلَـتْ عَـلَى السُّرُرِ
تُـسْقِي كُـؤُوسَ رَحِيقٍ شَـمْـسُهَا بَزَغَتْ * حَـبَـابُـهَا جَـوْهَـرٌ يَـطْـفُـو عَـلَـى دُرَرِ
كَأَنَّـهَا عِـنْدَ بَـدْءِ الـخَلْقِ قَـدْ عُـصِرَتْ * لِـذَاكَ شَـارِبُـهَا يَـصْفُـو مِـنَ الـكَدَرِ

---

(1) لا يفوتني في ختام هذه القصيدة أن أنبه على أن العلامة سكيرج كان بارعا في استعمال الشعر لتمرير بعض مطالبه وحاجياته، خصوصا منها ذات الصلة بمساره العلمي والمعيشي والإجتماعي ،وله في هذا الصدد قصائد كثيرة شبيهة بهذه القصيدة المذكورة، منها قصيدة بعثها للعلامة قاضي مدينة فاس سيدي عبد الله الفاسي، يبلغه فيها أنه قد تم توزيع بعض الكتب المهداة من طرف السلطان المولى عبد الحفيظ لعلماء القرويين، وأنه لم يستلم نصيبه منها بحكم تواجده وقتئذ بمدينة طنجة، وبناء عليه فهو يطالب بإنصافه، وتسليمه ما لم ينفذ له من هذه الكتب، فقال :

ألا أيـها الـقـاضـي الـذي حـكـمـه مـرضـي * ولـم يـخـش إلا الله فـي كـل مـا يـقـضي
إلــى بـابـك الـعـالـي رفـعـت قـضـيـتي * لـتـنصف مـا قـد ضـاع للبعض من بعض
أفــي الـحق أن يـعطى ســواي نـصـيـبهم * مـوفى وحـقـي أمـره صـار فـي رفـض
لأن كــان بـاسـتـحـقـاقـهم ظـفـروا بــه * فـإنـي بـالإسـتحقاق فـي جمعهم أمـضي
ولـم أتـرك الـتدريس مـذ غـبـت عـنـهم * ولـم أسـلك الـتدليس فـي نـيل مـا يـرضي
ومـــا نـلـت فـيـهـم بـالـتـملق رتـبـة * وإن كـان فــي حـظ عـليها يـرى حـضي
ولـم يـخـفى عـنـك لا ولا عـن سـواك مـا * بــه أدرك الـمـقـصود فـي الرفع والـخفض
وهـــل لـــي مـقـصـود ســـواك أؤمـــه * وأنـت الـذي قـد شـاع فـضلك في الأرض
لــك الـهـمـة الـعلياء مــذ كـنـت يـافعا * ومـجدك فــي أفـق الـعلا غير غير منقض
ورثــت الـعـلا عــن فـاضـل بـعـد فـاضـل * وكــل لــه الـتـصريف بـالـبسط والـقـبض
وهـــل أحــد كـالـفـاسيين غـــذا يـــرى * سرى ذكرهم في الأرض في الطول والعرض

إلى أن ختمها بقوله :

أمـولاي عـبـد الله قـاضـي فـاسـنا * ومن نهجه للفوز بين الورى يفضي
سـمـعت بـأن الـقـوم فـازوا بـمـا بـه * الأمـير عـليهم منعم من عطا محض
ولـم يـفـرضوا لـي الحق بين حقوقهم * ولم يك شيء حاجب لي عن فرضي
وحـاصـل أمـري أن حـقـي ضـائـع * وإن لـم يـؤدى لي فأنت الذي تقضي

وَحِـيـنَ قَـامَـتْ عَـلَـى سَـاقِ مَـسَـرَّتِـهَا * صَــارَتْ تُـرَدِّدُ أَلْـحَـاناً مِـنَ الـزُّبُـرِ[1]
كَـــأَنَّـــهُ قَـــــامَ دَاوُودٌ يُـرَتِّـلُـهَـا * يَـا حُـسْـنَ مَنْطِقِهَا الْمُنَمَّقِ[2] الْعَطِرِ
وَاسْـتَـأْذَنَتْ أَدَبـاً تُـبْـدِي مَـدَائِحَ مَـنْ * قَـدْ فَـاقَ فِـي صِغَـرٍ مَـنْ كَـانَ ذَا كِبَـرِ
مَــنْ قَـدْرُهُ بِالتُّقَى الَّـتِي الإِلَـهُ بِـهَا * وَصَّـى ارْتَقَى وَهْوَ مِنْ كُلِّ الْعُيُوبِ بَرِي
مَـا فِـيـهِ عَـيْـبٌ سِـوَى عُـلُوُّ هِـمَّتِـهِ * عَـنْ كُـلِّ نَقْصٍ وَفِي الأَحْكَامِ لَمْ يَجُرِ[3]
مَوْلاَيَ عَبْدُ الْحَفِيظِ ذُو الْفَضَائِلِ مَنْ * طَـابَـتْ سَـرِيـرَتُـهُ بِـأَحْـسَـنِ الـسِّـيَرِ
لَــهُ مَـنَـاقِـبُ شَـتَّـى كُـلُّـهَا غُــرَرٌ * فِــي جَـبْـهَـةِ الـدَّهْـرِ لاَ تُـسَامُ بِالْغُـرَرِ
قَـدْ كَـادَ يَقْرُبُ مَـنْ بِالشَّمْسِ شَبَّهَهُ * لَـوْ كَـانَتِ الشَّـمْسُ لاَ تَـضُرُّ بِالْبَصَرِ
لَـكِـنْ تُـحَـاكِـيهِ حَـيْـثُ أَنَّ نَـاظِـرَهُ * مِـنْ هَيْبَةٍ فِـيهِ لَـمْ يَقْدِرْ عَلَى النَّظَرِ
يُـطَأْطِئُ الـرَّأْسَ كُـلُّ مَـنْ يَـمُرُّ بِـهِ * مِـنْ أَجْـلِ إِجْـلاَلِهِ الْمَنُوطِ بِالْخَفَرِ[4]
فَـكَمْ بِـأَنْـوَارِهِ ضَــاءَتْ لَـنَـا ظُـلَـمٌ * وَكَـمْ بِـهِ ظُـلُـماً ضَـاقَتْ مِـنَ الْغِيَـرِ
أَخْـلاَقُـهُ كَـادَ أَنْ يَـحْـكِـي لَطَافَتَهَا * طِـيبُ النَّسِيمِ إِذَا مَـا هَـبَّ فِي السَّحَرِ
أَيَّـامُـهُ سَـعِـدَتْ بِــهِ فَـصَـارَ بِـهَـا * لَـنَـا يُـبَـاهِـي الـزَّمَـانَ كُـلُّ مُفْتَخِرِ
قَـــدْ بَـايَـعَـتْـهُ جُـنُـودُ الـلَّـهِ قَـاطِـبَـةً * وَالـسَّـعْـدُ قَـابَـلَـهُ بِـالْـعِـزِّ وَالـظَّـفَـرِ
فَـكَمْ بِـهِ خُـمِدَتْ بَـيْنَ الْـوَرَى فِتَنٌ * فِـيـهَا الْـمَـمَاتُ تَمَنَّى كُـلُّ مُـضْطَرِ
وَلَـمْ تَـفِدْ أَهْـلَـهَا مِــنْ أَجْـلِـهِ حِـيَـلٌ * إِلاَّ اعْـتِصَامٌ بِـهِ فِـي النَّـاسِ مِـنْ خَطَرِ
مَــا مَــرَّ يَــوْمٌ بِـذِهْـنِ مَــنْ يُحَارِبُهُ * خَـيَـالُـهُ فِـيـهِ إِلاَّ سِـيـمَ بِـالْـعَـقَـرِ[5]
أَعْــدَاؤُهُ فُـلِّـسَتْ جُـمُـوعُـهُمْ وَغَـدَوْا * رَهْـنَ الْـهَـوَانِ بِـحجرِ الـذُّلِّ وَالصِّغَـرِ[6]
أَضْـحَـوْا بِـخَـيْـبَـتِهِمْ فِـي الْغَـزْوِ يَلْفِظُهُمْ * مِـنَ الْـمَذَابِحِ مِـثْلَ النَّـسْرِ وَالصَّـقَرِ
وَأَصْـبَـحُـوا بَـعْـدَمَا فَـشَـتْ مَظَالِمُهُمْ * يَـعْـطُـونَ دِيَّـاتِـهَا بِـحُـكْـمِ مُـقْـتَـدِرِ

---

(1) الزبر: جمع الزبور وهو الكتاب المزبور، وغلب على صحف داود عليه السلام

(2) المنمق : المزين

(3) جار في حكمه : مال فيه عن الحق وعدل عنه

(4) الخفر: الذمة والعهد والأمان والحراسة

(5) العقر : المراد به هنا الهلاك والقتل،

(6) الصغر : الهوان

وَطَالَمَا قَدْ سَعَى سَعْيَ الفَسَادِ وَعَنْ * إِيمَانِهِمْ فِي الوَرَى ارْتَدُّوا إِلَى الذُّعُرِ[1]
هُمُ الأَرَاذِلُ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ * وَمَا رَأَيْنَا فَتًى مِنْهُمْ بِمُدَّكِرِ
فَكَمْ أُنَاسٍ لَهُمْ بِالسِّلْمِ قَدْ نَصَحُوا * لِيَطْلُبُوا صُلْحَهُ بِدُونِ مُزْدَجَرِ[2]
فَلَمْ يُبَالُوا وَمَا لِنُصْحِهِمْ قَبِلُوا * حَتَّى إِذَا جَاءَهُمْ وَلُّوا عَلَى الدُّبُرِ[3]
إِنْ كَذَّبُوهُمْ بِإِنْذَارٍ بِسَطْوَتِهِ * فَقَبْلَهُمْ كَذَّبَتْ عَادٌ ذَوِي النُّذُرِ
فَاسْتَأْصَلَتْهُمْ جُيُوشُهُ مُؤَزَّرَةً * وَمَالَهُمْ مِنْ رِفَاقِ السُّمْرِ مِنْ وَزَرِ
وَجَاهَدُوهُمْ إِلَى أَنْ خَاضَ فِي يَدِهِمْ * بِالطَّعْنِ فِي النَّحْرِ كل اللذم ذكر...
لَوْلاَ حَنَانَتُهُ بِهِمْ وَرَأْفَتُهُ * لَصَارَ مِنْهُمْ دِمَاءُ الكُلِّ فِي هَدَرِ[4]
فَيَالَهُ مَلِكاً تَضْحَى المُلُوكُ لَهُ * مَمْلُوكَةً وَعُلاَهُ فِي الأَنَامِ دُرِي
فَالنَّاسُ قَدْ أَجْمَعُوا عَلَى وِلاَيَتِهِ * عَلَى سِوَاهُ بِفَضْلٍ مِنْهُ مُشْتَهِرِ
أَدُّوا شَهَادَتَهُمْ بِأَنَّهُ مَلِكٌ * تَعْنُوا الأُسُودُ لَهُ فِي البَرِّ وَالحَضَرِ
أَحْيَا الفَرَائِضَ حَقّاً بَعْدَمَا كَسَفَتْ * شُمُوسُهَا بِقِرَانِ الجَهْلِ فِي زُمَرِ
كُنَّا نَرَوْا مِنْ شُرُوطِ سَاعَةٍ قَرُبَتْ * تَصْدِيرُهُمْ وَهُمُ فِي النَّاسِ كَالحُمُرِ
لاَ يُحْسِنُونَ وُضُوءاً مِنْ جَهَالَتِهِمْ * وَمَا لَهُمْ هِبَةٌ يَوْماً لِمُفْتَقِرِ
تَيَمَّمُوا بِالعُقُوقِ شَرَّ مُكْتَسَبٍ * وَلَمْ يَحُجُّوا سِوَى طَرِيقَةَ الخورِ[5]
وَأَنْفَقُوا فِي مَطَاعِمٍ وَأَشْرِبَةٍ * إِيمَانَهُمْ قَدْ غَدَوْا بِالجَهْلِ كَالبَقَرِ
قَدْ أَفْسَدُوا الدِّينَ وَالدُّنْيَا وَمَا نَظَرُوا * إِلَى مَآلِهِمُ المَلْحُوظِ بِالسخَرِ
لَوْلاَ الحَفِيظُ أَمِيرُ المُؤْمِنِينَ لَمَا * غَدَتْ طَرِيقُ الهُدَى أَجَلَّ مُتَّجَرِ

---

(1) الذعر : الخوف

(2) ازدجره : منعه ونهاه وطرده صائحا به، وفيه اقتباس من قوله الله عز وجل : وَلَقَدْ جَاءَهُمْ مِنَ الْأَنْبَاءِ مَا فِيهِ مُزْدَجَرٌ، سورة القمر، الآية 4

(3) اقتباس من قوله تعالى سَيُهْزَمُ الْجَمْعُ وَيُوَلُّونَ الدُّبُرَ، سورة القمر، الآية 50

(4) دماءه في هدر: أي تم إهدارها بمعنى أنها مباحة للهلاك والقتل

(5) الخور: الضعفاء والجبناء

فَـهْـوَ الـوَلِـيُّ وَمَــنْ يُـؤْذِيـهِ يُـوذِنُـهُ * بِـالـحَـرْبِ نَــاظِـرُهُ بِـحَـدٍّ مُـنْـبَـتِـرِ[1]
وَمَــنْ يُـحَـارِبُـهُ الـمَـوْلَـى فَـلَـيْـسَ لَـهُ * مِـنْ شَافِعٍ بَيْنَ أَهْلِ اللَّهِ مِـنْ سَقَـرِ
فَـفِـي الأُمُـورِ غَـدَا الـمَوْلَى الـوَكِيلُ لَـه * مُـفَـوَّضـاً لِـلـقَـضَـاءِ مِـنْـهُ وَالـقَـدَرِ
لِـذَا تَـــرَاهُ بِـحَـبْـلِ الـلَّـهِ مُـعْـتَـصِـماً * وَالـلَّـهُ كَــانَ لَــهُ أَجَــلَّ مُـنْـتَـصِـرِ
كَـمْ جَاهَدَ النَّفْسَ بِـالمَعْرُوفِ مُؤْتَـمِراً * وَقَــامَ مُـجْـتَـهِـداً يَـنْـهَـى عَــنِ الـنُّـكُـرِ
وَكَــمْ مَـلاَبِـسَ عِــزٍّ دُنِّـسَـتْ فَـغَـدَا * بِـالـحَـقِّ يَـغْـسِـلُـهَا مِـنْ حَـادِثِ الغِـيَـرِ
وَكَــمْ مَــوَاسِـمَ بِـالـخَـيْـرَاتِ عَـمَّـرَهَا * فَـنَـالَ مِـنْ دَعَـوَاتِ الـخَـيْرِ فِـي العُـمُرِ
أَمَــا تَــرَاهُ بِـشَـهْـرِ الـصَّـوْمِ مُـعْـتَـنِـياً * بِـصَـوْنِـهِ لِـلأُجُـورِ خَـيْـرَ مُــدَّخَـرِ
كَـمْ بِـالتَّرَاوِيحِ قَــدْ أَحْـيَـا لَـيَـالِـيَـهُ * وَبَــاتَ فِـــي طَـلَـبِ العُـلُومِ ذَا سَـهَـرِ
وَلِـلـصَّـلاَةِ بِــأَوْقَــاتٍ مُـعَـطَّـرَةٍ * غَــدَا وَلُـوعـاً بِـهَـا مُـسْـتَـحْـضِرَ العِـبَـرِ
قَـدْ أَطْـلَـقَ الـعَـقْـلَ فِـي الآيَـاتِ مُـفْـتَـكِـراً * يُـقِـيـمُ تَـوْحِـيـدَهُ بِـصِـحَّـةِ الـنَّـظَـرِ
بِــهِ الـعُـلُـومُ غَـــدَتْ تِـجَـارَةً رَبِـحَـتْ * لِـكُــلِّ مُـدَّخِـرٍ لَـهَـا وَمُـحْـتَـكِـرِ
حَـتَّـى غَـدَا الـدِّيـنُ بَـيْـنَ الـنَّـاسِ مُـزْدَهِـراً * مِـنْ بَـعْـدِمَا صَـارَ فِـيـهِمْ غَـيْـرَ مُـزْدَهِـرِ
فِـــي حُـبِّـهِ قُـيِّـدَتْ نُـفُـوسُـنَا وَبِـــهِ * قَـدِ اسْـتَـرَحْنَا مِـنَ الأَضْـرَارِ وَالـضَّـرَرِ
تُـفْـدِيـهِ أَنْـفُـسُـنَا وَالـنَّــاسُ كُـلُّـهُـمُ * وَإِنَّـنَـا مِـلْـكُـهُ عَـلَـى مَــدَى الـعُـصُـرِ
طَـالَــتْ مَـدَائِـحُـهُ عَـمَّـنْ تَـنَـاوَلَـهَا * وَكَـيْـفَ يَـبْـلُـغُـهَا وَالـبَـاعُ ذُو قِـصَـرِ
لَــوْ أَنَّـنِـي طَـالَ عُـمْـرِي فِــي تَـتَـبُّـعِـهَا * دَهْــراً لَأَفْـنَـيْـتُ دُونَ حَـصْـرِهَا عُـمُـرِي
مَــاذَا أَقُـــولُ إِذَا زَاحَـمْـتُ مَـادِحَـهُ * وَكُـلُّـنَـا فِـيــهِ لاَ يَـجِـيءُ بِـالـعُـشُـرِ
فَـكَـمْ بِــهِ بَـلَـغَ الـمُـدَّاحُ جُـهْـدَهُـمُ * فِـي مَـدْحِـهِ وَهْـوَ لَـمْ يَـكُـنْ بِـمُـنْـحَـصِـرِ
قَــدْ صَــارَ فِــي الـفِـقْـهِ مَـالِـكاً أَزِمَّـتَـهُ * فِـيـهِ تَـصَـرَّفَ بِـالـدَّلِـيلِ مَــعْ نَـظَـرِ
وَفِـي الـحَـدِيثِ نَـرَى الـحُـفَّـاظَ لَـمْ يَـصِـلُوا * إِلَـــى مَـــدَارِكِـهِ بِــأَرْجَـحِ الـفِـكَـرِ
فَـكَـمْ أَبَــانَ مِــنَ الـتَّـفْـسِـيرِ مِــنْ نُـبَـذٍ * مَـا احْـتَـاجَ فِـي سِـفْـرِهِ عَـنْـهَا إِلَـى سَـفَـرِ

---

(1) إشارة للحديث الذي رواه الإمام البخاري عن عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : إِنَّ اللَّهَ قَالَ : مَنْ عَادَى لِي وَلِيًّا فَقَدْ آذَنْتُهُ بِالْحَرْبِ، وَمَا تَقَرَّبَ إِلَيَّ عَبْدِي بِشَيْءٍ أَحَبَّ إِلَيَّ مِمَّا افْتَرَضْتُ عَلَيْهِ، وَمَا يَزَالُ عَبْدِي يَتَقَرَّبُ إِلَيَّ بِالنَّوَافِلِ حَتَّى أُحِبَّهُ، فَإِذَا أَحْبَبْتُهُ كُنْتُ سَمْعَهُ الَّذِي يَسْمَعُ بِهِ، وَبَصَرَهُ الَّذِي يُبْصِرُ بِهِ، وَيَدَهُ الَّتِي يَبْطِشُ بِهَا، وَرِجْلَهُ الَّتِي يَمْشِي بِهَا، وَإِنْ سَأَلَنِي لَأُعْطِيَنَّهُ، وَلَئِنْ اسْتَعَاذَنِي لَأُعِيذَنَّهُ، وَمَا تَرَدَّدْتُ عَنْ شَيْءٍ أَنَا فَاعِلُهُ تَرَدُّدِي عَنْ نَفْسِ الْمُؤْمِنِ يَكْرَهُ الْمَوْتَ وَأَنَا أَكْرَهُ مَسَاءَتَهُ.
انظر صحيح البخاري [كتاب الرقاق]باب التواضع رقم الحديث 6021

وَإِنَّمَا نَالَهَا بِالفَتْحِ وَهْوَ فَتًى * يُحْكِيهِ فِي بَعْضِ مَا قَدْ نَالَهُ الطَّبَرِي[1]
وَذَاكَ مِنْ صِدْقِ حُبٍّ فِي مَشَائِخِهِ * وَحُبُّهُمْ فِيهِ فَاقَ كُلَّ ذِي فَخَرِ
فَإِنَّهُمْ قَدْ تَفَانَوْا فِي مَحَبَّتِهِ * وَاسْتَغْرَقُوا فِي الدُّعَا لَهُ بِلاَ ضَجَرِ
لاَسِيَمَا شَيْخُهُ الجَلِيلُ سَيِّدُنَا الـ * ـرِّضَى التُّهَامِي الَّذِي يشْفِي ذَوِي الضَّرَرِ
مُحْيِّ العُلُومِ الَّتِي فِينَا قَدِ انْدَرَسَتْ * دُرُوسُهَا وَعَفَتْ مِنْ سَالِفِ العُصُرِ
يُبْدِي العَجَائِبَ مِنْ عِلْمٍ وَمِنْ حِكَمٍ * وَكُلُّ خَيْرٍ لَهُ أَجَلُّ مُبْتَدِرِ
فَإِنَّهُ كُلَّ حِينٍ فِي مَجَالِسِهِ * يَدْعُو الإِلَهَ لَهُ بِالنَّصْرِ وَالظَّفَرِ
وَمَنْ بِهِ السَّادَةُ الأَشْيَاخُ قَدْ شَغَفُوا * لاَبُدَّ يُدْرِكُ مَا يَبْغِيهِ مِنْ وَطَرِ
اللَّهُ أَكْبَرُ إِنَّ اللَّهَ شَرَّفَهُ * أَصْلاً وَفَرْعاً بِعِلْمٍ مِنْهُ مُنْتَشِرِ
إِنْ قُلْتَ فَهْوَ بُخَارِي[2] الوَقْتِ قُلْتُ أَجَلْ * لِأَنَّهُ فِي الوَرَى جُهَيْنَةُ الخَبَرِ
أَمَا تَرَاهُ أَتَانَا فِي مَجَالِسِهِ * فِي دَرْسِنَا لِلْبُخَارِي بَاهِرِ السُّوَرِ
يُبْدِي لَنَا نُكَتاً فِي كُلِّ نَازِلَةٍ * بِحُسْنِ سَبْكٍ بِهَا أَجَلُّ مُخْتَبِرِ
وَكَمْ أَبَانَ لَنَا بِحُسْنِ مَنْطِقِهِ * لَطَائِفاً مِنْ بَدِيعِ الفَهْمِ كَالدُّرَرِ
إِذَا تَكَلَّمَ لَمْ تَدَعْ فَصَاحَتُهُ * عَلَى عَرَائِسِ خِدْرِ العِلْمِ مِنْ سِتَرِ
يَا مُفْرَداً فِي المَعَالِي حَلَّ فِي شَرَفٍ * وَوَجْهُهُ قَدْ حَكَتْهُ طَلْعَةُ القَمَرِ
إِنَّا نُهَنِّيكَ بِالخَتْمِ الَّذِي فُتِّحَتْ * بَابُ السُّرُورِ بِهِ عَلَيْكَ بِالظَّفَرِ
خَتْمٌ شَرِيفٌ بِهِ الرَّحْمَانُ شَرَّفَنَا * لَمَّا حَضَرْتَ بِهِ يَا مُنْتَهَى الوَطَرِ
وَأَنْتَ فِي قَصْدِنَا بَيْتُ القَصِيدِ تُرَى * يَتِيمَةُ الدَّهْرِ أَنتَ بِالكَمَالِ حَرِي
فَعِشْ لَنَا سَالِماً بِالحِفْظِ مُشْتَمِلاً * رِدَا القَبُولِ الَّذِي يَزْدَانُ بِالفَخَرِ
لاَزِلْتَ يَا سَيِّدَ المُلُوكِ مَالِكَنَا * مَلْحُوظَ قَدْرٍ بِعَيْنِ العِزِّ وَالخَفَرِ

---

(1) محمد بن جرير بن يزيد الطبرى، الفقيه المفسر المؤرخ، ولد في آمل طبرستان سنة 224هـ واستوطن بغداد وبها توفي سنة 310هـ من مؤلفاته جامع البيان في تفسير القرآن [يعرف بتفسير الطبري]يقع في 30 جزءا، وهو من ثقات المؤرخين، قال ابن الأثير: أبو جعفر أوثق من نقل التاريخ، وفي تفسيره ما يدل على علم غزير وتحقيق. وكان مجتهدا في أحكام الدين لا يقلد أحدا، بل قلده بعض الناس وعملوا بأقواله وآرائه.انظر ترجمته في الأعلام للزركلي 6 : 69

(2) الحافظ محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة البخاري ، صاحب الجامع الصحيح ، المشهور بصحيح البخاري ، توفي بخرتنك من قرى سمرقند عام 256 هـ، له مؤلفات أخرى منها التاريخ، والأدب المفرد، وخلق أفعال العباد، والضعفاء ، انظر ترجمته في تذكرة الحفاظ، للذهبي 2 : 122. تاريخ البغدادي 2 : 36 - 4 الأعلام للزركلي 6 : 34. طبقات الحنابلة، لابن أبي يعلي 1 : 271 - 279 . معجم المطبوعات، لإليان سركيس ص 534 .

بِجَاهِ مَنْ فِي الوَرَى تَمَّتْ مَحَاسِنُهُ * خَيْرِ الوَرَى أَحْمَدَ المُخْتَارِ مِنْ مُضَرِ
عَلَيْهِ أَزْكَى التَّحِيَّاتِ الَّتِي كَمُلَتْ * تُضَوِّعُ الكَوْنَ مِنْ شَذَائِهَا العَطِرِ
وَتَشْمَلُ الآلَ وَالأَصْحَابَ كُلَّهُمُ * وَتَابِعِيهِمْ مَدَى الآصَالِ وَالبُكَرِ

وقلت مهنئا له لما مر بطنجة قاصدا بيت الله الحرام وأنا مقيم بها[1] :

أَسَيِّدَنَا المَوْلَى الأَجَلّ التُّهَامِي * وَمَنْ هُوَ فِي أَوْجِ المَجَادَةِ سَامِي
وَمَنْ فَضْلُهُ فِينَا تُقِرُّ العِدَا بِهِ * وَمَنْ هُوَ فِي العَلْيَاءِ بَدْرُ التَّمَامِ
شَدَدْتَ مَطَايَا العَزْمِ تَخْتَرِقُ العُلاَ * لَعَلَّكَ أَنْ تَحْتَلَّ خَيْرَ مَقَامِ
مَقَامٌ لَهُ حَجَّ الحَجِيجُ وَمَنْ بِهِ * يَحُلُّ لَهُ البُشْرَى بِنَيْلِ المَرَامِ
مَقَامُ هُوَ البَيْتُ الحَرَامُ وَإِنَّ مَنْ * إِلَيْهِ يَفِي يَحْظَى بِنَيْلِ احْتِرَامِ
أَمَوْلاَيَ أَبْشِرْ بِالأَمَانِي حَقِيقَةً * بِحَجِّكَ لِلبَيْتِ العَتِيقِ الحَرَامِ
سَلَكْتَ طَرِيقَ الرُّشْدِ فِيمَا فَعَلْتَهُ * وَسَعْيُكَ مَشْكُورٌ وَأَجْرُكَ نَامِي
وَحَجُّكَ مَبْرُورٌ يَحِقُّ لَهُ الهَنَا * بِهِ عِنْدَ تَرْحَالٍ وَعِنْدَ مَقَامِ
لِيُهْنِيكَ يَا مَوْلاَيَ فَوْزَكَ بِالمُنَى * وَإِحْرَازُكَ المَأْمُولُ طُولَ الدَّوَامِ
وَيُهْنِيكَ حَجٌّ بِالقَبُولِ مُقَابِلٌ * بِسَعْدٍ وَإِسْعَادٍ بِهِ فِي الأَنَامِ
وَيُهْنِيكَ فِي رَوْضِ الحَبِيبِ زِيَارَةٌ * بِهَا فِي العُلَى تَرْقَى لِأَعْلَى مَقَامِ
فَرَوْضُ الحَبِيبِ المُصْطَفَى مَنْ أَتَى بِهِ * يُحَفُّ بِرِضْوَانٍ بِدَارِ السَّلاَمِ
فَسِرْ فِي أَمَانِ اللَّهِ حَتَّى تَحُلَّهُ * وَتَرْجِعَ مَمْنُوحاً بِكُلِّ مَرَامِ
وَبِاللَّهِ فَاسْتَحْضِرْ عُبَيْدَكَ عِنْدَهُ * وَسَلِّمْ عَلَيْهِ مِنْهُ خَيْرَ سَلاَمِ
فَلاَ زِلْتَ فِي حِفْظِ الإِلَهِ مُتَوَّجاً * بِتَاجِ قَبُولٍ يَا أَجَلَّ إِمَامِ

وقلت مهنئا له بحجه حين رجعت لمدينة فاس ووجدته بها :

---

(1) حدث هذا في بحر عام 1328هـ ـــ 1910م

أُهَنِّيكَ بِالحَجِّ الَّذِي هُوَ مَبْرُورُ * وَسَعْيُكَ عِنْدَ النَّاسِ وَاللَّهِ مَشْكُورُ
فَأَدَّيْتَ فَرْضاً نِلْتَ فِيهِ كَرَامَةً * وَفَضْلاً بِهِ فِي الكَوْنِ ذَنْبُكَ مَغْفُورُ
وَأَحْرَزْتَ مِنْ بَعْدِ المَفَازَةِ بِالمُنَى * بُلُوغَ أَمَانٍ أَجْرُهَا لَكَ مَوفُورُ
فَأَصْبَحْتَ مَحْمُودَ المَسَاعِي وَلَمْ تَزَلْ * وَحَقِّكَ يَغْشَى الخَلْقَ مِنْ وَجْهِكَ النُّورُ
أَسَيِّدَنَا المَوْلَى التُّهَامِي وَمَنْ لَهُ * اتِّهَامِي بِغَيْرِ الصِّدْقِ فِي حُبِّهِ زُورُ
وَتَعْلَمُ أَنِّي فِي المَحَبَّةِ صَادِقٌ * وَعَقْلِي بِحُبِّي فِيكَ فِي النَّاسِ مَخْمُورُ
تَعَوَّدْتُ مِنْكَ الخَيْرَ حَتَّى مَلَكْتَنِي * وَأَنْتَ الَّذِي فِي النَّاسِ بِالخَيْرِ مَشْهُورُ
لَكَ اللَّهُ مِنْ شَيْخٍ بِمَا لَكَ مِنْ عُلاَ * مُحِبُّكَ مَرْفُوعٌ وَقَالِيكَ[1] مَجْرُورُ
وَلِمْ لاَ وَأَنْتَ البَدْرُ فِي ذُرْوَةِ العُلاَ * عَلَوْتَ وَلَكِنْ بِالجَلاَلَةِ مَخْفُورُ
فَتَزْدَادُ فِي العَلْيَا عُلًى وَتَوَاضُعاً * وَكَمْ بِكَ قَدْ ضَاءَتْ دَيَاجِي وَدَيْجُورُ[2]
فَضَاءَتْ بِكَ العَلْيَاءُ حَتَّى تَنَوَّرَتْ * وَضَاقَتْ أَعَادٍ فَضْلُهُمْ بِكَ مَسْتُورُ
يُرَى جَمْعُهُمْ لَمَّا تَرَى مُتَفَرِّقاً * وَمِنْ فَرَقٍ[3] بَيْنَ الوَرَى الكُلُّ مَذْعُورُ
وَلِمْ لاَ وَأَنْتَ اللَّيْثُ فِي حُومَةِ الوَغَى * تُرَى آمِراً وَالغَيْرُ لاَ شَكَّ مَأْمُورُ
تَصَدَّرْتَ بَيْنَ الخَلْقِ بِالعِلْمِ وَالعَلاَ * عَلَى الغَيْرِ سِيَّانَ[4] الفَقِيرُ وَمَيْسُورُ[5]
أَفَضْتَ بُحُوراً مِنْ عُلُومِ جَمَعْتَهَا * جَمِيعُ ذَوِي العُلْيَا بِهَا مِنْكَ مَغْمُورُ
فَتُذْهِبُ جَهْلَ الجَاهِلِينَ بِبَثِّهَا[6] * وَتَمْنَحُهُمْ دُرّاً مِنَ العِلْمِ مَنْثُورُ
فَأَحْرَزْتَ بَيْنَ العَالَمِينَ رِيَاسَةً * بِهَا فِي يَدَيْكَ الكُلُّ بِالسِّرِّ مَأْسُورُ
وَإِنَّكَ يَا قَاضِي الجَمَاعَةِ جَامِعٌ * لِكُلِّ كَمَالٍ بَيْتُهُ بِكَ مَعْمُورُ
لِيُهْنِيكَ يَا شَيْخَ الأَمِيرِ الَّذِي لَهُ * مَقَامٌ بِهِ الأَكْوَانُ نَوَّرَهَا النُّورُ
أَلاَ إِنَّهُ المَوْلَى الحَفِيظُ الَّذِي بِهِ * قَدِ اتَّضَحَ الدِّينُ الَّذِي هُوَ مَنْصُورُ

---

(1) قاليك : مبغضك وكارهك

(2) الديجور : الظلمة

(3) الفرق : الفزع

(4) سيان : لا فرق

(5) الميسور : الغني

(6) بثها : نشرها

فَـلاَ زِلـتَ فِـي حِفْظٍ وَلاَزِلْتَ عِنْدَهُ * مَحُوطاً بِـإِجْلاَلٍ بِـهِ أَنْـتَ مَسْرُورُ
وَلَازِلْـتَ مَـيْمُونَ الطَّلِيعَةِ دَائِـماً * حَـسُودُكَ مَـأْزُورٌ وَذُو الـوُدِّ مَـأْجُورُ

وقد كانت أيام إقامتنا عند سيدنا النقيب أيام سرور مواسم خير، انشرحت بها منا الصدور، وزاح بها عنا كل ضير، وعددها نصف شهر، كانت غرة في جبين الدهر، وأول إكرام أتحفنا به حلة كاملة كتانا بها، قلت :

أَيَـا مَـوْلاَيَ يَـا بَدْرَ التَّمَامِ * وَيَا مَنْ جَلَّ قَدْراً فِي الأَنَامِ
لَقَدْ أَلْبَسْتَنِي حُلَلاً بِفَضْلٍ * بِـهِ أَخْرَسْتَ نُطْقِي عَنْ كَلاَمِ
جَزَاكَ اللَّهُ أَفْضَلَ مَا يُجَازَى * بِـهِ أَهْلُ الـجَزَا طُولَ الدَّوَامِ

وقلت مخاطبا له :

جَـنَـابُـكَ لاَ يَـأْتِـيـهِ إِلاَّ رَشِـيـدُ * لِأَنَّ بِـهِ يُـلْفَى[1] الـفَتَى مَـا يُـرِيـدُ
فَـحَاشَا يَـخِيبُ الـظَّنُّ فِيهِ لِقَاصِدٍ * وَرُكْـنُ عُـلاَكَ فِـي الـمَعَالِي مُشَيَّدُ
وَرِثْـتَ الـعُلاَ عَـنْ وَالِدٍ بَعْدَ وَالِدٍ * إِلَـى آدَمٍ وَالـفَـضْلُ مِـنْـكَ يَـزِيـدُ
فَمَا أَحَدٌ فِي النَّاسِ يَحْكِيكَ[2] فِي العُلَى * لِأَنَّـكَ بَـدْرٌ فِـي الـكَمَالِ وَحِيـدُ

انتهاء الرحلة وتوديع المؤلف من طرف صديقه العلامة
سيدي عبد الرحمان بن زيدان بباب أبي العمائر بمكناس

ولما طال بنا المقام، وما كان في ظني أن أقيم عنده عدة الأيام، لكوني لم أعهد من نفسي أني فارقت فاسا قبل هذه الرحلة، ولا عرفت معنى للسفر قبله، فكانت زيارتي له أول تشجيع لي على السفر، وقد أخذت بخاطره في الإذن لي بالرجوع إلى مسقط رأسي، فلم يساعدني إلا بعدما استعطفته مرارا، وأحبابه يرغبون معه في إقامتي عنده وأنا أبدي لهم أعذارا، حتى مد لي يد المساعدة، بعد أن أخذ عني بالرجوع إليه موثقا ومعاهدة، وأنشدته قول القائل :

---

(1) يلفي : يجد

(2) يحكيك : يشابهك

أُوَدِّعُكُمْ وَأُودِعُكُمْ جِنَانِي * وَأَسْكُبُ أَدْمُعاً مِثْلَ الجُمَانِ
وَلَوْ نُعْطَى الخِيَارَ لَمَا افْتَرَقْنَا * وَلَكِنْ لاَ خِيَارَ مَعَ الزَّمَانِ[1]

وبعدما فارقته بالجسم والقلب مقيم عنده، جرت بيني وبينه مكاتبات، اشتملت على أبيات ومستملحات، فكاتبني مخبرا بأنه قال وقت وداعنا بباب أبي العمائر[2] بعدما شرعنا في المسير :

يَا مَنْ بِصَدِّهِمُ أَصْبَحْتُ فِي زَعَجٍ * بِهِ تَمَسَّكَتِ العُذَّالُ بِالحُجَجِ
فَرَّ التَّصَبُّرُ قَرَّ الدَّمْعُ وَاشْتَعَلَتْ * نِيرَانُ وَجْدٍ فَلَمْ تَبْرَحْ عَلَى المُهَجِ
وَالجَفْنُ مِنِّي جَفَا طِيبَ المَنَامِ لِمَا * عَرَى الفُؤَادَ مِنَ الإِحْرَاقِ وَالحَرَجِ
رِقُّوا لِرِقٍّ رَقِيقِ حُسْنِ طَلْعَتِكُمْ * بِمَا حَوَى لَحْظُكُمْ مِنْ فِتْنَةِ الدَّعَجِ[3]
وَمَا بِقَدِّكُمُ المَيَّاسِ مِنْ قِوَمٍ * وَمَا بِبَدْرِكُمُ المِشْرَاقِ مِنْ بَلَجِ

وقال أيضا :

خَلِيلَ الرُّوحِ رَوِّحْ ذَا فُؤَادٍ * كَلِيمٍ مِنْ لَوَاحِظَ كَالرِّمَاحِ
وَعَلِّلْ بِاللَّمَى قَلْباً عَلِيلاً * يُقَلَّبُ فِي الجَحِيمِ بِلاَ ارْتِيَاحِ
وَدَارِكْ بِالوِصَالِ بِلاَ انْفِصَالٍ * وَهِينَ العَظْمِ يَا مَوْلَى المِلاَحِ

---

(1) عن هذا البيت يقول العلامة سكيرج في كتابه شبة رحلة إلى الجزائر [من باب االمستملحات]وقد كان فعل ذلك بعض الأدباء فإنه علم من المودعين له أنهم سينشدونه هذا البيت، فاستصحب معه خيارة واحدة، وهو نوع من القثاء المعروف، فلما أنشدوه البيت المذكور أخرجها لهم وقال : خذوا الخيار ولا تفارقونا، فاستحسنوا مستملحته.

(2) باب أبي العمائر : قال العلامة المؤرخ عبد الرحمان بن زيدان : وإلى وادي أبي العمائر المذكور تنسب باب أبي العمائر من أبواب المدينة، وهو واقع في شمال غربي مستقبل حمرية إهـ... وقال المؤرخ ابن زيدان في موضع آخر من كتابه ما نصه : وباب أبي العمائر المذكورة قد هدته الدولة الحامية عند حلولها بالعاصمة المكناسية، ولم تبق له عينا ولا أثرا، والقصد من ذلك إزالة الحاجز بين العاصمة القديمة والمدينة الجديدة، حتى لا تسد باب الأولى في وجه الثانية، ويتيسر سير العربات والسيارات بين المدينتين بدون أدنى حرج، ولإمكان المواصلة بينهما في سائر الأوقات، إلخ ... انظر إتحاف أعلام الناس للعلامة ابن زيدان 1 : 50-51.

(3) الدعج : شدَّة سواد العين، وشدة بياض بياضها

هَـوَاكَ فِـي هَـوَاكَ لَدَيْهِ هَوْنٌ * وَأَشْـهَـى لِـلفُؤَادِ مِـنَ الـمِرَاحِ
فَـفِيكَ مَـكَارِمُ الأَخْـلاَقِ تَـمَّتْ * وَفِي فِيكَ المَلِيحِ بَدَا انْشِرَاحِي

فقلت في جواب الأبيات الأولى :

يَا مَنْ فُؤَادِي بِهِمْ قَدْ ظَلَّ فِي زَعَجِ * وَنَـارُ بَيْنِهِمُ قَـدْ أَحْرَقَتْ مُـهَجِي
وَلَـمْ أَجِـدْ طَـاقَةً لِـلصَّبْرِ بَـعْدَهُمُ * لَـكِنَّ بَـحْرَ دُمُـوعِي صَارَ فِي لُجَجِ[1]
قَـضَى عَلَيَّ الهَوَى أَنْ لاَ أَزَالَ بِكُمْ * ....
فَـصِرْتُ فِـي حُبِّـكُمْ مُـقَيَّدًا أَبَـداً * لَـكِنْ بِـحُبِّكُمُ عَـنِّي انْـتَفَى حَرَجِي
أَلْقَيْتُ فِـيهِ سِلاَحِي فَـاسْتَرَحْتُ بِـهِ * مِـنَ الـعَذُولِ الَّـذِي أَلَدَّ فِـي لَـجَجِ
رِقُّـوا لِـحَالِي وَمَـا لاَقَيْتُ بَـعْدَكُمُ * فَـمَا بِـغَيْرِ لِـقَاكُمْ دَائِـماً فَـرَجِي

وقلت في جواب الثانية :

خَلِيلِيَ عَنْ سِوَاكَ القَلْبُ صَاحِي * وَفِـيكَ مُـتَيَّمٌ يَـجْفُو الـلَّوَاحِي
وَحَـقِّكَ مَـا بِـغَيْرِكَ لِـي سُـلُوٌّ * وَلاَ بِـسِوَاكَ فِـي عُمْرِي ارْتِيَاحِي
لِـقَـاؤُكَ مُـنْعِشٌ لِـلرُّوحِ مِـنِّي * وَذِكْرُكَ فِي النَّوَى[2] رُوحِي وَرَاحِي
أَرَى صَـدْرِي يَضِيقُ بِحَالِ بُعْدِي * وَمَا بِـسِوَى لِقَاكَ يُرَى انْشِرَاحِي
أَنَـا الـمَمْلُوكُ مِـنْ غَيْرِ اشْتِرَاءٍ * قَـبُـولُكَ لِـي بِـهِ عَـيْنُ الـفَلاَحِ

وكاتبته برسالة صدرتها بقولي :

بِـأَيِّ لِـسَانٍ فِـي الـجَوَابِ أُخَاطِبُكْ * وَأَنْـتَ عَـلَتْ فِي الـمَكْرُمَاتِ مَرَاتِبُكْ
مَـتَى رُمْـتُ نُـطْقاً لاَ يُـسَاعِدُ مَنْطِقِي * وَفَـاءً بِـمَا وَافَـتْ بِـهِ لِـي مَـكَاتِبُكْ
أُنَـكِّسُ[3] رَأْسِي فِي الخِطَابِ مِنَ الحَيَا * لِأَنِّـي لَـمْ أَقْـدِرْ عَـلَى مَـا يُـنَاسِبُكْ

---

(1) لجج : جمع لجة، معظم الماء حيث لا يدرك قعره

(2) النوى : البعد

(3) ينكس رأسه : أي رجع عما عرفه

وَأَنْـتَ إِذَا مَـا فُهْتَ[1] بِـالقَوْلِ لَمْ تَـدَعْ * إِلَـى ذِي مَـقَـالٍ مَـا بِـهِ قَـدْ يُجَاوِبُكْ
غَـوَانِي[2] المَعَانِي قَـدْ مَـلَكْتَ زِمَامَهَا[3] * تُـلاَعِـبُـهَـا إِنْ رُمْـتَـهَـا وَتُـلاَعِـبُـكْ
تَـصَـرَّفْتَ فِـيـمَـا تَـبْـتَـغِيهِ كَـمَـا تَـشَـا * فَـمَنْ ذَا الَّذِي فِـي العَـالَمِينَ يُقَارِبُكْ
وَصِرْتَ تُرَى بَحْراً لِمَنْ يَبْتَغِي الهُدَى * وَقَـدْ عَـذُبَـتْ[4] لِلْوَارِدِيـنَ مَـشَـارِبُـكْ
وَأَصْـبَـحْـتَ مَـوْصُـوفـاً بِـكُـلِّ جَـمِـيلَـةٍ * لِـذَاكَ أَتَـتْ إِلَيْـكَ تَـصْبُو مَـطَـالِبُكْ
وَأَصْبَحْتَ شَمْساً فِي الوَرَى مُسْتَنِيرَةً * وَفِـي أُفُـقِ العَلْيَاءِ ضَـاءَتْ كَـوَاكِبُكْ
جَـمَـعْـتَ جِـمَـاعَ الـقَـوْلِ بَـعْـدَ شَـتَـاتِهِ * فَـأَصْـبَـحْتَ فَـرْداً لَـمْ يَـصِلْكَ مُـطَالِبُكْ

رجوع المؤلف لمدينة مكناس في رحلة ثانية
بصحبة الشريف سيدي محمود التجاني

وقد سمح الدهر بالعود إلى مكناسه، وزرت ناسه، صحبة سيدنا محمود[5] بن مولانا البشير بن سيدي محمد الحبيب بن شيخنا القطب التجاني رضي الله عنه، في أول رحلته للمغرب وقدومه

---

(1) فهت : نطقت

(2) غوان : مفرد غانية، وهي المرأة الغنية بحسنها وجمالها عن الزينة

(3) زمام الأمر : ملاكه

(4) عذبت : ساغت

(5) سيدي محمود بن سيدي محمد البشير التجاني، توفي بالأغواط ليلة الأحد 14 محرم الحرام فاتح سنة 1353 هـ - 29 أبريل 1934م، ونقل إلى قرية عين ماضي. ودفن داخل ضريح جده سيدي محمد الحبيب التجاني، وقد أفرده العلامة القاضي سيدي أحمد سكيرج بتأليف سماه: غاية المقصود بالرحلة مع سيدي محمود، وقد وقفت على رسالة للسلطان السبق المولى عبد الحفيظ بعثها للعلامة سكيرج، يسأله فيها عن مرتبة الشريف سيدي محمود ومنزلته ومقامه في عالم الولاية،

فأجابه العلامة سكيرج بعد كلام طويل في هذا الموضوع بقوله : كان رضي الله عنه ملامتيا في الطريقة، وأحوال الملامتية لا توزن بميزان، إلى ان قال له : ولقد شاهدنا من أحوال سيدنا محمود رحمة الله عليه ما لا يصبر عليه إلا من استسلم وسلم لأهل الله في أحوالهم

أنظر ترجمته أيضا في قدم الرسوخ، للعلامة سيدي أحمد سكيرج رقم الترجمة 56. فهارس الشيوخ، للمؤلف نفسه (مخطوط خاص). الزرابي المبثوثة، للمؤلف نفسه 87 (مخطوط خاص). النفحات الربانية، في الأمداح التجانية، للمؤلف نفسه 54_57. رفع النقاب، للمؤلف نفسه 3: 262_264. أسنى المطالب، فيما يعتني به الطالب، للمؤلف نفسه 12 (مخطوط خاص). نيل المراد، في معرفة رجال الإسناد، للعلامة الحجوجي 1: 90. إتحاف أهل المراتب العرفانية، بذكر بعض رجال الطريقة التجانية، للمؤلف نفسه 1: 80 (مخطوط). التعريف بالبلدة التنانية، ذات المواهب الربانية، لأحمد بن علي الكشطي التناني (مخطوط).

من عين ماضي[1] عام 1329هـ وفي رفقتنا جماعة من الأحباب،

أخص بالذكر منهم صهره التاجر الأبر السيد الحاج محمد دادي،[2] فكان العود أحمد، في تجديد رابطة الحب والود، وقد جمعت فيما شاهدته في هذه الرحلة الثانية تويلفا سميته ببلوغ المقصود، بالرحلة مع سيدي محمود، وذلك في أثناء السفرة الأولى والثانية، وبعد أن جرت بيننا رسائل ومكاتب، كما جرت أيضا بيني وبين جماعة الأدباء المذكورين هنا،

---

(1) قرية تقع على بعد 72 كيلومترا غرب مدينة الأغواط، وعلى مدينة الجزائر (العاصمة) بما يناهز 560 كيلومتر، كانت محطة من محطات عبور الحجاج المغاربة الذين يقطنون في الناحية الجنوبية من المملكة، إذ هي المرحلة الرابعة ضمن طريقهم، وذلك بعد قرى فكيك، ودير أبي سمغون، والغسول، وقد ذكرها أبو سالم العياشي في رحلته المسماة بماء الموائد[الرحلة العياشية] كما ذكرها الشيخ أحمد الناصري الدرعي في رحلته المسماة بالرحلة الناصرية، فقال فيه بعد كلام: إن أهلها جميعا كانوا طلبة، أي مشتغلين بالعلم

والمعروف أن أجداد الشيخ أبي العباس التجاني طارءون على هذه القرية، وليس بينهم وبين أهلها نسب إلا من جهة المصاهرة، وقد ذكر العلامة القاضي الحاج أحمد سكيرج في العديد من أجوبته أن أجداد الشيخ أبي العباس التجاني رضي الله تعالى عنه كانوا بمنطقة عبدة بإقليم بمدينة آسفي بالمغرب، والذي انتقل منهم إلى الصحراء الشرقية هو جده الرابع مولانا محمد فتحا بن سالم، وفد على قرية عين ماضي فاستوطنها وتزوج منها، وبها بقي أولاده إلى حين ازدياد سيدنا الشيخ رضي الله عنه، وبهذا القول قال جماعة من أكابر أعلام الطريقة الأحمدية التجانية، منهم الولي الصالح العلامة سيدي محمد العربي بن السائح، والمقدم الجليل سيدي محمد بلقاسم بصري المكناسي، والعلامة الفقيه سيدي محمد فتحا كنون، والفقيه سيدي محمد الحجوجي وغيرهم.

(2) الأمين التاجر الحاج محمد دادي، فاسي الأصل والمولد، من أسرة ذات جذور تلمسانية، وهو صهر الشريف سيدي محمود التجاني، كما أنه صاحبه ورفيقه في الجولة الميمونة التي قام بها لبلاد المغرب الأقصى سنة 1329هـ ـ 1911م، وقد أثنى عليه والد الشريف المذكور سيدي محمد البشير التجاني، ضمن نص الكتاب الذي بعثه للفقراء التجانيين بالعاصمة العلمية فاس، حيث قال في آخره : وعليه فإنه يصحبه [يعني ولده الشريف سيدي محمود] حَبِيبُنَا وصديقنا وصفينا، المحسوب والمنسوب علينا، السيد الحاج محمد دادي، وأمرناه أن يراقبه في سفره، ولا يفارقه حتى يرجع معه بالسلامة، فامتثل لأمرنا جزاه الله عنا خيرا

وقد نعته العلامة سيدي أحمد سكيرج في مطلع كتابه غاية المقصود، بالرحلة مع سيدي محمود بقوله بعد كلام : شاكرين لرفيقه الأسعد، الراقي للمقام الأصعد، خديم سيدنا وخديم أولاده، من فضله بين الخلائق ظاهر وبادي، حبيبنا وصفينا، ورفيع المكانة من قلوبنا، سيدنا الحاج محمد دادي، فقد أتانا بهذه الذخيرة التي لم يأتنا بها غيره، من حيث أنه عمنا بسببها خيره.

ولـو أنـنا قـمـنا بـشكر جنابه * على ما لنا أسداه لم نوفه شكرا

أتـانا بـمحمود الـمساعي وإنـه * حميد خصال دام في أفقه بدرا

ولا ننسى أن الشريف سيدي محمود كان قد تزوج بالسيدة مليكة دادي، أخت الحاج محمد دادي من جهة الأب، وذلك فور وصوله لمدينة فاس عام 1329هـ ـ 1911م، وَعُقِدَ صَدَاقُهُ عليها من طرف الفقيهين سيدي أحمد سكيرج والعلامة سيدي حسن مزور،

ذكر بعض الأشعار والقصائد التي دارت بين المؤلف

والعلامة سيدي عبد الرحمان بن زيدان بعد الرحلتين الأولى والثانية

وقد سنح لي أن أذكر هنا مما وجهه لي بعد هذه السفرة الثانية قوله وقد تفنن في تغزله ما شاء، وسلك في ذلك مسلك ذوي الأذواق العرفانية، قاصدا إحياء القلب بمعسول خطابه، أبقى الله حرمته، وهو :

رَعَـى الـلَّـهُ حِـبّاً مِـنْ تَـجَـنِّيهِ ذُو حَيْفِ * وَفِي مَعْرِضِ الإِعْرَاضِ يَدْعُو إِلَى الحَتْفِ[1]
يُـبَـاهِي بِـهِ أَهْـلَ الـهَـوَى بَـيْـدَ أَنَّـهُ * رَقِـيـقُ الـحَـوَاشِي رَاقَـهُ رَائِـقُ الـلُّـطْـفِ
دَلاَلاً يَـتِـيـهُ فِـي الـغَـرَامِ لِأَنَّـهُ * حَوَى مِنْ فُنُونِ الحُسْنِ مَا جَلَّ عَنْ وَصْفِي
رَمَـانِـي عَـلَـى عَـمْـدٍ جُـعِلْتُ فِـدَاءَهُ * بِـنَـاعِـسِ لَـحْـظٍ دُونَـهُ صَـارِمُ[2] الـسَّـيْـفِ
وَقَـدٍّ[3] قَـوِيـمٍ قَـدَّ[4] قَـلْـبِي فَـلاَ تَـسَـلْ * عَـلَـى كَـبِـدِي عَـمَّـا تُـكَابِدُ بِـالـطَّـرْفِ
كَـوَانِـي هَـوَاهُ قَـبْـلَ تَـكْـوِينِ مُـهْـجَـتِي * وَفِـي عَـالَـمِ الأَرْوَاحِ قَـاسَيْتُ مَـا يَـكْـفِي
وَإِنَّ شُـهُـودِي فِـي الـصَّـبَـابَةِ أَدْمُـعٌ * غِـزَارٌ كَـعِـقْـيَانٍ[5] مُـكَفْـكَفَـةٍ[6] الـوَكْـفِ[7]
وَفَـرْطُ نُـحُـولِي وَاصْـفِـرَارِي وَذِلَّـتِـي * وَشَـوْقِـي وَقَـدُّ الـصَّـدْرِ مِـنْ شَـاهِـقِ الرِّدْفِ
حَـنَـانِـيـكَ يَـا ابْـنَ الأَكْـرَمِـينَ سُـكَـيْـرِجاً * فَـمَـاذَا عَـلَـيْـكَ لَـوْ رَثَـيْـتَ لِـذِي ضُـعْـفِ
حَـنَـانِـيـكَ إِنِّـي مِـنْ هَـوَاكَ مُـوَلَّـهٌ * وَقَـصْـدِي رِضَـاكَ فَـالـرِّضَـى مِنْكَ لِي يُشْفِي
حَـنَـانِـيـكَ قَـلْـبِي فِـي هَـوَاكَ هَـوَى وَلاَ * لَـهُ مِـنْ تَـسَـلٍّ عَـنْـكَ بَـلْ هُـوَ فِـي لَـهْـفِ
عَـلَـيْـكَ وقَـفْـتُ الـقَـلْـبَ فَـاقْـبَـلْ حَـنَـانَـةً * عَـلَـى وَامِـقٍ[8] أَبْـدَى هُـيَـامُـهُ مَـا يُـخْـفِي

---

(1) الحتف : الهلاك والموت

(2) السيف الصارم : أي القاطع الأشد مضاء

(3) القد : القامة والإعتدال

(4) قد قلبي : قطعه واستأصله

(5) العقيان : ذَهَبٌ متكاثف في مناجمه خالص مما يختلط به من الرمال والحجارة

(6) مكفكفة العيب : صارفة له

(7) الوكف : العيب

(8) وامق : محب

جَـعَـلْتُ شَـفِيـعِـي سَـالِـفَ الـوُدِّ بَيْنَنَا * هَـلُـمَّ[1] اسْقِنِي مِـنْ رَاحِ رَاحَتِكَ الصِّرْفِ
وَحَـــيٍّ بِـطِـرْسٍ حَـــيِّ[2] صَـــبٌّ مُـتَـيَّمٍ * يُـرَاعِي ذِمَـامَ الـحُبِّ وَالـعَـهْدِ ذَا حِلْفِ
فَـطَوْدُ اصْـطِبَارِي انْـدَكَّ مِـنْ أَلَـمِ النَّوَى * وَجَيْشُ الـجَوَى وَالـبَيْنِ زَادَ مِـنَ الزَّحْفِ
وَنَـارُ التَّصَابِي فِـي الـحَشَا قَدْ تَـسَعَّرَتْ * وَغَـيْرُ التَّدَانِي مِـنْكَ مَـا حَرَّهَا يُطْفِي
عَـلَـيَّ مَـدِيدَ الـهَجْرِ مِـنْـكَ قَـصَرْتَهُ * وَمَـالِي سِـوَاكَ فِـي الأَحِـبَّةِ مِـنْ إِلْـفِ
أَلِـفْـتُـكَ طِـفْـلاً فَـامْـتَزَجْتُ بِـحُـبِّكُمْ * فَـصَـيَّرْتَنِي بَـيْـنَ الـمُحِبِّينَ فِـي خَـلْفِ
بِـحَـقِّ الـعُـيُونِ الـفَـاتِرَاتِ الَّـتِـي لَـهَـا * احْـوِرَارٌ تَـعَـطَّفْ بِـالمُنَى مِنْكَ وَالـعَطْفِ
وَسَلِّمْ عَلَى المَوْلَى المُفَدَّى الَّذِي غَدَا * إِمَـامـاً أَمَـــامَ الأَكْـرَمِـينَ بِـــلاَ خَـلْـفِ
وَأَصْـــبَـحَ مَـلْـحُـوظاً بِـعَـيْـنِ عِـنَـايَـةٍ * حَـمِيداً وَمَـحْمُودَ الـمَسَاعِي مَعَ الـوَصْفِ
كَـذَاكَ عَـلَى مَـنْ بِـالفُؤَادِ ثَـوَى أَخَـا الـ * ـمَحَاسِنِ وَالإِحْـسَانِ وَاللُّطْفِ وَالظَّرْفِ[3]
أَدِيـبِ الـوَرَى الـمَدْعُوِّ دَادِي الَّذِي حَوَى * مَــكَــارِمَ أَخْــلاَقٍ مُـنَـمَّقَةِ الـرَّصْـفِ[4]
وَمِـنِّـي عَـلَـى عَـلْـيَاكَ أَزْكَــى تَـحِـيَّةٍ * تَــدُومُ مَــدَى الأَزْمَــانِ طَـيِّبَةَ الـعَـرْفِ[5]
يَـفُـوقُ شَـذَاهَا الـمِسْكَ مَـا قَـالَ عَاشِقٌ * رَعَــى الـلَّـهُ حِـبّاً مِـنْ تَـجَنِّيهِ ذُو حَيْفِ

وقال أيضا حين سمع ممن يفهم من التغزل والتشبيب ما يقضي بالخجل عند كل أديب حسيب، وكفى بالجمل، سوء الظن بذوي الفضل :

جَهُولٌ مَنْ رَأَى التَّشْبِيبَ[6] عَاراً * وَيُـنْـكِـرُ قَـوْلَـهُ بَـيْـنَ العِـبَـادِ
أَيُنْكِرُ مَا أَتَى فِي الذِّكْرِ يُتْلَى * أَلَـمْ تَـرَا أَنَّـهُـمْ فِـي كُلِّ وَادِ[7]

---

(1) هلم : تعالى

(2) الحي : محلة القوم

(3) الظرف : البَراعةُ وذكاء القلب، وقيل الظرفُ حسنُ العِبارة، وقيل حسن الهيئة، وقيل الحِذْقُ بالشيء

(4) الرصف : ضَمُّ الشيء بعضِه إلى بعض ونَظْمُه

(5) العرف : الرائحة مطلقا وأكثر ما يستعمل في الطيبة منها

(6) التشبيب في الشعر هو ذكر محاسن المرأة وإظهار شدة حبها والشغف بها،

(7) إشارة لقوله تعالى : وَالشُّعَرَاءُ يَتَّبِعُهُمُ الْغَاوُونَ، أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِي كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ

فقلت من هذا المعنى :

وَخِلٌّ عَابَ مِنْ شِعْرِي مُزَاحِي * وَلَـمْ أَكُ بِـالمُزَاحِ أَخَا اعْـتِدَادِ
فَقُلْتُ وَكَانَ بِالشُّعَرَاءِ عُذْرِي * أَلَـمْ تَـرَا أَنَّـهُمْ فِـي كُـلِّ وَادِ

وقال الأديب أبو الفتح ابن الحاج :

وَلاَحٍ فِي القَرِيضِ يَقُولُ مَالِي * أَرَاكُـمْ تُنْسِبُونَ بِـكُلِّ نَـادِ
فَقُلْتُ لَـهُ أَمَـا بِـالذِّكْرِ تَتْلُو * أَلَـمْ تَـرَا أَنَّـهُمْ فِـي كُـلِّ وَادِ

وقد سنح لي أن أذكر جملة هنا من الأدبيات المشار لها حفظا لبنات الأفكار، من غير اعتبار تاريخ ولا ترتيب في هذا المضمار، فمن ذلك ما خاطبته به مجردا من نفسي معاتبا له بعدما كاتبته فلم يجب :

مَـا بَـالُ قَلْبِكَ بِالتِّذْكَارِ قَـدْ شُـغِلاَ * وَلاَعِـجُ الـشَّوْقِ فِـيهِ بِالـهَوَى شَـغُلاَ
تَـبِـيتُ يَـقْـظَـانَ عَـيْـنٍ حَـلَّـهَا أَرَقٌ[1] * وَجَـفْنُـهَا صَـارَ بِالتَّسْهِيدِ مُكْتَحِلاَ
فَـلَمْ تَـرَا وَجْـهَ طَيْفٍ[2] مِنْ لَذِيذِ كَرَى[3] * بَـعْدَ البِعَادِ الَّـذِي لِـذِي الحِجَا ذَهِلاَ
غَـدَوْتَ حَـيْرَانَ لاَ تَـنْـفَكُّ مُكْتَئِباً[4] * وَالـوَجْدُ مُـتَّـصِلٌ وَصَـبْرُكَ انْـفَصَلاَ
وَكُـنْتَ تُـعْرِضُ عَـنْ نَـهْجِ الغَرَامِ وَلَمْ * تَـمِـلْ إِلَـيْهِ وَكُـنْتَ عَـنْهُ مُشْتَغِلاَ
عَـدَلْتَ عَـنْ نَـهْجِهِ حَـتَّى حَلَلْتَ بِـهِ * فَـسِرْتَ فِـيهِ وَلَـمْ تَصْغَى لِـمَنْ عَـذَلاَ
حَـلَـلْتَ طَـوْقَـكَ فِـيـهِ غَـيْرَ مُلْتَفِتِ * إِلَـى سِـوَاكَ عَـنِ الـغَرَامِ قَـدْ عَـدَلاَ[5]

---

(1) أرق : ذهب عنه النوم في الليل
(2) الطيف : الخيال الطائف وهو ما يراه النائم
(3) الكرى : النعاس
(4) مكتئبا : حزينا مغموما
(5) عدل عن الشيء : مال عنه

قُلْ لِي لِمَا أَنْتَ فِي هَمٍّ وَفِي نَصَبٍ * حَتَّى رَثَى لَكَ مَنْ رَأَيْتَ مِنْهُ قِلَى[1]
أَمِنْ تَذَكُّرِ سَاعَةٍ لَنَا سَلَفَتْ * بِمِثْلِهَا الدَّهْرُ فِي أَيَّامِنَا بَخِلاَ
أَزْمَانَ كَانَ الحَبِيبُ بِاللِّقَاءِ لَنَا * قَدْ جَادَ وَالدَّهْرُ عَنْهَا كَانَ قَدْ غَفَلاَ
فَنِلْتَ مَا كُنْتَ تَرْجُو مِنْ مَوَدَّتِهِ * وَمِنْ أَمَانِيكَ قَدْ أَنَالَكَ الأَمَلاَ
أَمْ مِنْ بِعَادِ حَبِيبٍ كُنْتَ تَأْلَفُهُ * فَصِرْتَ مُنْفَصِلاً وَكُنْتَ مُتَّصِلاَ
رَأَيْتَ مِنْهُ جَفَاءً لَسْتَ تَعْهَدُهُ * فَصِرْتَ مَشْغُولَ فِكْرٍ بِالجَوَى[2] اشْتَعَلاَ
حَتَّى جَفَا جَفْنَكَ المَنَامُ وَاضْطَرَمَتْ * نِيرَانُ شَوْقِكَ وَاصْطِبَارُكَ انْخَزَلاَ[3]
وَكَادَ جِسْمُكَ أَنْ يَذُوبَ مِنْكَ أَسًى * لَوْلاَ انْسِكَابُ دُمُوعِ عَيْنِكَ انْهَمَلاَ
وَلَمْ تَجِدْ مُنْجِداً مِمَّا دَهَاكَ بِهِ * حَتَّى اكْتَسَيْتَ بِحَدٍّ وَجْدِكَ الخَبَلاَ
فَلَمْ تُطِقْ لِلَّذِي حَمَلْتَ مِنْ نَصَبٍ * وَكُنْتَ لِلصَّبْرِ وَالأَشْوَاقِ مُحْتَمِلاَ
لَوْ حَلَّ شَجْوُكَ[4] فِي الصَّمَّاءِ لاَنْفَلَقَتْ[5] * أَوْ حَلَّ فِي البَحْرِ لَمْ نَجِدْ بِهِ بَلَلاَ
وَلَوْ رَأَى بَعْضَ مَا رَأَيْتَهُ أَحَدٌ * لَمَاتَ حِيناً وَإِنْ لَمْ يَبْلُغِ الأَجَلاَ
وَلَوْ دَرَى بَعْضَ مَا كَابَدْتَ مِنْ كَمَدٍ * مَنْ رَامَ هَجْرَكَ لَمْ يَأْتِ بِمَا فَعَلاَ
وَلَوْ تَكَلَّفْتَ كَتْمَ مَا كَلِفْتَ بِهِ * لَمَا قَدَرْتَ لِأَنَّ العِشْقَ فِيهِ بَلاَ[6]
فَلِلشَّجِيِّ عَلاَمَاتٌ يُسَامُ[7] بِهَا * وَلِلْخَلِيِّ أَمَارَاتٌ[8] بِهَا رَمَلاَ
نَعَمْ فُؤَادِي بِنَارِ الشَّوْقِ مُحْتَرِقٌ * مِنْ أَجْلِ بُعْدِ حَبِيبٍ بَعْدَمَا وَصَلاَ
قَدْ كَانَ يَمْنَحُنِي بِوَصْلِهِ كَرَماً * حَتَّى زَمَانِي بِبَيْنٍ زَادَنِي عِلَلاَ
لَوْلاَ تَعَلُّلُ نَفْسِيَ الَّتِي شَغُفَتْ * بِقُرْبِهِ كُنْتُ مِمَّنْ بِالرَّدَى انْتَقَلاَ

---

(1) القلى : البغض

(2) الجوى : العشق

(3) انخزل : انكسر

(4) الشجو : الهم والحزن

(5) انفلقت : انشقت

(6) بلا : بمعنى البلاء، وخففت للضرورة الشعرية

(7) يسام بها : يعرف بها

(8) أمارات : علامات

إِنَّ الحَبِيبَ الَّذِي اكْتَسَبْتُ مِنْهُ هُدَى * وَلَسْتُ أَبْغِي[1] بِهِ بَيْنَ الوَرَى بَدَلاَ
وَصِرْتُ مُسْتَغْرِقاً فِي حُبِّهِ أَبَداً * وَالقَلْبُ مِنِّيَ حَقّاً عَنْ سِوَاهُ خَلاَ
عَبْدُ الكَبِيرِ الَّذِي قَلْبِي اسْتَنَارَ بِهِ * وَفِي سُوَيْدَائِهِ[2] وَاللَّهِ قَدْ نَزَلاَ
بَدْرُ الدُّجَى العَلَوِي قَدْراً وَمَرْتَبَةً * مَنْ فِي العُلاَ وَالعَلاَ عَلَى سِوَاهُ عَلاَ
الأَرْيَحِيُّ الَّذِي يَهْوَى النَّسِيمُ بِأَنْ * يَكُونَ إِنْ هَبَّ مِثْلَ خُلْقِهِ حَمَلاَ
تَسْرِي مَحَبَّتُهُ فِي رُوحِ نَاظِرِهِ * كَمِثْلِ مَا فَعَلَتْهُ فِي العُقُولِ طِلاَ[3]
الأَلْمَعِيُّ الَّذِي يَدْرِي حَقَائِقَ مَا * بَيْنَ الأَنَامِ اخْتَفَى أَوْ فِي الوُجُودِ جَلاَ[4]
تَحْكِي فِرَاسَتَهُ ذَوُو مُكَاشَفَةٍ * إِنْ لَمْ نَقُلْ عَنْ مَقَامِ الكَشْفِ قَدْ نُقِلاَ
تَرَاهُ بَيْنَ الوَرَى لِلشَّرِّ مُجْتَنِباً * وَلاَ يَزَالُ لِفِعْلِ الخَيْرِ مُمْتَثِلاَ
يَهْوَى الجَمِيلَ وَيَسْعَى فِي تَوَصُّلِهِ * وَلاَ يَمِيلُ لِغَيْرِ الجِدِّ مُذْ عَقَلاَ
وَالفَضْلُ فِيهِ شَجِيَّةٌ بِهِ طُبِعَتْ * وَالجُودُ بَيْنَ الوَرَى عَلَيْهِ قَدْ جُبِلاَ
بِالإِرْثِ قَدْ حَازَ رُتْبَةً بِهِ شَرُفَتْ * وَرُتْبَةُ المَجْدِ تَسْمُو بِالَّذِي نَزَلاَ
وَمَا ارْتَقَى لِمَقَامٍ فِي ذَوِي شَرَفٍ * إِلاَّ وَقَامَ بِمَا قَدْ جَلَّ فِيهِ عُلاَ
قَدْ صَارَ بَحْراً مُحِيطاً بِالعُلُومِ فَمَنْ * أَتَاهُ بَيْنَ الوَرَى يَنَالُ مَا سَأَلاَ
لَهُ تَرَى هِمَمٌ قَدْ زَانَهَا أَدَبٌ * لَوْ قَطْرَةٌ مِنْهُ فِي مَاءِ البِحَارِ حَلاَ
لَوْ أَنَّ مِعْشَارَ مَا فِي الكَوْنِ يَعْلَمُهُ * أَعَارَهُ لِلْوَرَى لَمْ يَبْقَ مَنْ جَهِلاَ
يَا أَيُّهَا السَّيِّدُ الَّذِي غَدَا سَنَداً * عَلَيْهِ يَسْتَنِدُ القَادَاتُ وَالعُقَلاَ
أَنْتَ النَّقِيبُ الَّذِي تَسْمُو مَرَاتِبُهُ * فِي المَجْدِ بَيْنَ ذَوِي العَلْيَاءِ وَالفُضَلاَ
أَنْتَ الَّذِي يَضْرِبُ النَّاسُ الكِرَامُ بِهِ * فِي الفَضْلِ وَالجُودِ حَقّاً فِي الوَرَى المَثَلاَ
فَلَسْتُ أَنْسَى وِدَاداً مِنْكَ أَحْفَظُهُ * وَلاَ يَزَالُ عَلَيَّ مِنْكَ خَيْرُ وَلاَ[5]
وَلَسْتُ أَسْتَعْتِبُ[6] الدَّهْرَ الخَؤُونَ عَلَى * مَا صَاغَهُ لِيَ مِنْكَ بِالجَفَاءِ حُلَى

---

(1) أبغي به : أريد به

(2) سويدائه : تصغير السوداء، ومن القلب سواده

(3) الطلا : من أسماء الخمر

(4) جلى : ظهر

(5) وَلاَ : بمعنى الولاء، وخفف للضرورة الشعرية، وهو المحبة والصداقة والقرب

(6) أستعتب الدهر : ألومه

وَمَــا بِــهِ نَسَجَتْهُ مِــنْ جَـوَى يَـدِهِ * فَـكُنْتُ عَـوْناً لَـهُ عَـلَى الَّـذِي فَـعَلاَ
إِنَّ الـحَبِيبَ إِذَا أَتَــى بِـأَلْـفِ خَـطَـا * جَــاءَتْ مَـحَـاسِنُهُ بِـشَـافِعٍ قُـبِـلاَ
مَـالِـي أَرَاكَ تَـرَكْتَنِي بِـشَـلاَ سَـبَبٍ * وَقَـدْ سَـلَـكْتَ إِلَــى جَـفَائِنَا سُـبُلاَ
قَـطَّعْتَ حَـبْلَكَ لِـي حَـتَّى مُـكَاتَـبَتِي * فَـضَاقَ صَـدْرِي وَلَـمْ أُطِـقْ لِـمَا حَـمَلاَ
وَلَـسْتُ أَعْـهَدُ مِـنْكَ الـهَجْرَ لِـي أَبَـداً * قُـلْ لِـي فَدَيْتُكَ هَـلْ مِنِّي رَأَيْـتَ قِـلاَ
قُلْ لِـي فَـمَا مُـوجِبُ الـهِجْرَانِ مِنْكَ لِمَنْ * إِلَـيْـكَ أَسْـلَـمَ مِـنْـهُ الـنَّفْسَ وَالـخَـوَلاَ
هَـبْنِي[1] أَتَـيْـتُ بِـذَنْـبٍ لَـسْتُ مُـعْتَرِفاً * بِـهِ فَـصَفْحُكَ قَـدْ غَـطَّى لَـنَا الـزَّلَـلاَ
مَـنْ مُـنْصِفِي مِـنْكَ يَـا مَـنْ نَـالَ مَـنْزِلَةً * مَــنْ حَـلَّهَا لاَ يَـرَى فِـيهِ الـوَرَى زَلَـلاَ[2]
قَـدْ صِـرْتَ عَنِّي بِفَرْطِ التِّيهِ فِي شُغُلٍ * وَالـقَلْبُ مِـنِّيَ فِـيكَ بِـالـهَوَى انْـشَغَلاَ
وَأَنْــتَ تَـعْـلَـمُ أَنِّــي فِـيـكَ مُـنْـهَمِكٌ * وَصِــدْقُ حُـبِّي إِلَـيْكَ فِـي الأَنَـامِ جَـلاَ
تَــدْرِي بِـأَنِّـي عَـنْـكَ لَـسْتُ مُـلْتَفِتاً * إِلَــى سِــوَاكَ وَلَــوْ حَـرَمْتَنِي الـوِصلاَ
وَعَـنْكَ لاَ أَرْتَـضِي فِـي الـخَلْقِ مِنْ بَدَلٍ * وَلَـوْ رَضِـيتَ الـسِّوَى عَـنْ خُـلَّتِي بَـدَلاَ
وَفِـيـكَ أَحْـمِـلُ مَــا أَذَاقَـنِـي زَمَـنِـي * وَذِلَّـتِـي فِــي رِضَــاكَ لِــي تَـسُوقُ عُـلاَ
وَإِنَّ نَـفْـسِـيَ يَــدْرِي الـغَـيْرُ عِـزَّتَـهَا * وَأَنْــتَ أَلْـبَسْتَنِي مِــنَ الـجَوَى حُـلَلاَ[3]
فَــإِنْ رَكَـبْتُ مَـطَايَا الـفَخْرِ فِــي مَــلأٍ * جَـــرَرْتُ ذَيْـلِـيَ مِــنْ عُــلاَكَ بِـالـخُيَلاَ[4]
لِــي هِـمَّـةٌ بَـلَغَتْ فِــي الـفَخْرِ مَـرْتَبَةً * تَـعْلُو بِـأَوْجِ الـعُلاَ بَـيْنَ الـوَرَى زُحَـلاَ[5]
وَلَـسْتُ أَرْضَــى بِـسَفْسَافِ[6] الأُمُـورِ وَلاَ * تَـمِـيلُ نَـفْـسِيَ يَـوْمـاً لِـلَّذِي سَـفُلاَ
إِنْ يُـهْتَضَمْ[7] جَانِبِي جَانَبْتُ مُـهْتَضِمِي * وَلَـسْـتُ مِـمَّـنْ يُـرَى لِـلضَّيْمِ مُـحْتَمِلاَ
إِنِّــي لأَرْعَــى ذِمَــامَ كُــلِّ ذِي شَـرَفٍ * وَلَــوْ رَمَـانِـي بِــذَمٍّ بَـيْـنَ كُـلِّ مَــلاَ

---

(1) هبني : بمعنى افترض أنني

(2) الزلل : جمع زلة، وهي الذنوب

(3) الحلل : جمع حلة، وهو الثوب الجديد، أو عموما كل ثوب ساتر للبدن

(4) الخيلاء : العجب والكبر

(5) زحل : إحدى الكواكب السيارة

(6) السفساف : الرديء الحقير من كل شيء

(7) يهتضم جانبه : ينقص منه ويوضع من قدره

وَلَسْتُ أُهْتِكُ[1] حُرْمَةَ الخَلِيلِ وَلَوْ * رَأَيْتُ مِنْ فِعْلِهِ مَا أَوْجَبَ الخَلَلاَ
يَا مَنْ بِقَلْبِي أَرَاهُ حَاضِراً وَمَتَى * تَرَاهُ عَيْنِي تَنَالُ فِي الوَرَى الأَمَلاَ
فَلاَ تُوَاخِذْ مُحِبّاً فِي تَهَاوُنِهِ * أَتَى إِلَيْكَ يُقِرُّ بِالَّذِي عَمِلاَ
وَاقْبَلْ بِفَضْلِكَ بَيْنَ النَّاسِ مَعْذِرَتِي * فَالعُذْرُ يَقْبَلُهُ فِي الخَلْقِ مَنْ عَقَلاَ
لاَزِلْتَ بَيْنَ الوَرَى تَسْمُو ذُرَى شَرَفٍ * شَمْساً تُضِيءُ لَنَا بَيْنَ الهُدَى السُّبُلاَ

فأجابني بقصيدة ملتزما فيها قوافيها على الترتيب، مصدرا لها بخطبة بديعة، حمد الأدباء فيها صنيعه، وقد أجاد فيها ما شاء، فقال أبقى الله حرمته :

الحمد لله الذي جعل دواء داء العاهات والأوصاب، في الرسائل الموشات لمعاتبات الإخوان الأصحاب، وبهج بدور وجوه الصحف بنفوس بارعات الأقلام، وطرز الطروس بأفصح منشور وأبلغ منظوم على أبدع نظام، والصلاة المتواصلة مدا الأزمان، يتلوها سلام السلام على أفصح من نطق بالضاد واسطة عقد عدنان، وعلى آله ذوي الفضائل والفواضل والمحاسن والإحسان، وأصحابه بدور الصدور وصدور البدور ما تعاقب المَلَوَانُ[2].

أما بعد : فإن أرق ما حواه رق من اللطائف والبدائع، وأدق ما اشتمل عليه قرطاس من الدرر اللوامع، إنشاء بديع زمانه الليث الهصور، مسترق جنود الأقلام بكلامه الخالي عن التقصير والقصور، حامل لواء المنظوم والمنثور، قاطع أوداج التنافر والغرابة والتعقيد بسيف بلاغته المنصور، من غاص بحر الفصاحة لاقتناء جواهره النفيسة، فأصبحت يتيمة دره خدمة له وأنيسه، أعني من صار لبحر المعارف والأسرار صهيرج، الفقيه العلامة النحرير سيدي أحمد سكيرج أسعد الله طالعه، وأبقى شموس تحقيقاته في سماء الدروس طالعه،

وإن من أجل مقولاته الرائقة، وبنات أفكاره الفائقة، حديقته ذات القطوف الدانية، والثمار اليانعة الشاهية، المسلوك فيها طريق الحماسة في الخطاب، المجرد من منشيها الشخص المعاتب بأحلى العتاب، المصدرة بنثر يشهد لربه بالباع العريض، المعجزة بنظم منظوم فيه سلوك العقيان لم يسمع ما يقاربه عذوبة من القريض،

---

(1) أهتك الستر : أخرقه

(2) الملوان : الليل والنهار

ولما سرحت نظري في ذلك الروض الأريض، واقتطفت ثمار دوحه الغضيض[1]، هام فكري في تلك اللطائف وجال، وقلت وإن لم أكن من رجال ذلك المجال، معتذرا عن الشخص الملام، ومعارضا ما طغت فيه الأقلام، وقد التزمت قوافي تلك القصيدة على الترتيب، وما توفيقي إلا بالله عليه توكلت وإليه أنيب :

قَلْبِي بِحُبِّكُمُ وَاللَّهِ قَدْ شَغُلاَ * وَفِي هَوَاكُمْ هَوَى[2] مِنْ بَعْدِمَا شعلاَ
وَنَارُ وَجْدِي ذَكَتْ[3] وَالبَيْنُ[4] يُضْرِمُهَا * وَالجَفْنُ جَافَى الكَرَى بِالسُّهْدِ مُكْتَحِلاَ
وَالطَّرْفُ صُبَّ بِصَبِّ التِّبْرِ[5] فِي شغلٍ * عَنْ نَظْمِ عِقْيَانِهِ وَالعَقْلُ قَدْ ذَهِلاَ
مِنْ بَعْدِ بُعْدِكُمُ فَرَّ التَّصَبُّرُ لِمْ * وَالجَبْرُ مُنْكَسِرٌ وَالوَصْلُ قَدْ فُصِلاَ
مَا ذُقْتُ طَعْمَ الهَوَى بِالاخْتِيَارِ نَعَمْ * بِالصَّدِّ عَنْ نَهْجِهِ قَدْ كُنْتُ مُشْتَغِلاَ
فَكَمْ عَدَلْتُ عَلَى طُرْقِ الغَرَامِ وَكَمْ * عَزَّرْتُ مَنْ فِي سَبِيلِ العِشْقِ قَدْ عَذَلاَ
وَكَمْ حَلاَلِي المَلاَمُ فِي الغَرَامِ نَعَمْ * أَرَى المُحِبَّ عَنِ الإِنْصَافِ قَدْ عَدَلاَ
وَكَمْ أَقَمْتُ عَلَى العُشَّاقِ مِنْ حُجَجٍ[6] * حَتَّى رَأَوْا أَنَّنِي لِجِنْسِهِمْ ذُو قِلَى
وَكَمْ رَأَيْتُ الصَّبَا وَقْتَ الصِّبَا[7] نَصَباً * وَقُلْتُ لَيْتَ زَمَانِي بِالصَّبَا بَخِلاَ
لَوْ لَمْ يَكُنْ فِي الهَوَى سِوَى الرَّقِيبُ كَفَى * فَكَيْفَ وَالعَاذِلُ المَعْذُولُ مَا غَفَلاَ
حَتَّى رَمَانِي النَّوَى بِسَهْمِ فُرْقَةِ مَنْ * عَدِمْتُ مِنْ بَيْنِهِ الآمَالَ وَالأَمَلاَ
وَصِرْتُ مُضْنَى الحَشَا وَالشَّوْقُ يُقْلِقُنِي * وَالشَّمْلُ مُنْفَصِلٌ وَكَانَ مُتَّصِلاَ
وَلاَ أَنِيسَ لَهُ أَشْكُو فَيُؤْنِسُنِي * وَلاَ صَدِيقَ يَرِقُّ لِلَّذِي اشْتَعَلاَ
وَهَاجَ وَقْدُ الحَشَا وَالصَّبْرُ مُنْهَزِمٌ * وَالقَلْبُ فِي نَصَبٍ وَجِسْمِيَ انْخَزَلاَ[8]

---

(1) الغضيض : الطري الناضر

(2) هوى : سقط من علو إلى أسفل

(3) ذكت : اشتد لهيبها

(4) البين : البعد

(5) التبر : فتات الذهب أو الفضة قبل أن يصاغا

(6) حجج : جمع حجة، وهي الدليل والبرهان

(7) الصبا : الصغر والحداثة والشوق

(8) انخزل : انكسر

وَقَـدْ كَسَانِي الأَسَـى بِحُلَّةٍ طُـرِزَتْ * بِـأَصْفَرٍ فَـاقِعٍ[1] مِـنْ مُقْلَتِي انْهَمَلاَ[2]
وَلَـمْ أَجِـدْ لِـعُضَالِي حَـاذِقاً عَـلَّـهُ[3] * يُـزِيـلُ مَـا لَـمَّ بِـي وَيُـبْـرِئُ الـخَبَلاَ
وَيُنْعِشُ الـقَلْبَ مِمَّا قَدْ عَـرَاهُ مِـنَ الـ * ـجَـحِيمِ حَـتَّـى غَـدَا لِـلحُزْنِ مُحْتَمِلاَ
اللَّهُ فِـي مُـهْجَةٍ لَـوْ فِـي الخِضَمِّ[4] ثَـوَتْ * لَـغَـاضَ[5] مِـنْ حَـرِّهَـا وَأَعْـدَمَ الـبَلَلاَ
أَوْ حَـلَّ بَـعْـضَ الَّـذِي أَصَابَـهَا أُحُـداً * لَـصَـارَ دَكّـاً وَإِنْ لَـمْ يَـبْـلُغِ الأَجَـلاَ
وَلَـوْ رَأَى الـخَلْقُ مَـا فِـيهَا انْطَوَى صَعَقُوا * وَلَـمْ يُـطِـيقُـوا الَّـذِي بِـفِلْذَتِـي[6] فَـعَـلاَ
فَـهَـلْ يُـطِـيقُ فَـتًـى ذَوْقَ الـحِـمَامِ وَهَـلْ * يُـرِيـدُ ذُو مُـسْـكَـةٍ[7] صِـراً[8] وَفِـيهِ بَـلاَ[9]
أَمَـا كَـفَـاكُـمْ هُـيَـامُ مَـنْ بِـهِ كَـلِـفٌ * وَفِـي رِدَا الـهَـجْـرِ وَالأَسْـقَامِ قَـدْ رَفَـلاَ
وَلْـتَـرَحَّـمُوا كَـرَمـاً ذَا مُـهْـجَـةٍ تَـلَـفَتْ * فَــإِنَّ هَـجْـرَكُـمُ قَــدْ زَادَهُ عِـلَـلاَ
وَعَـلِّـلُـوهُ وَلَـــوْ بِـالـوَعْـدِ عَـلَّـهُ لاَ * يَـصِـيرُ مِـمَّـنْ عَـرَاهُ[10] الـوَجْـدُ فَانْتَقَلاَ
أَنْـتُـمْ ذَوُو كَــرَمٍ وَحِـلْـمُـكُمْ عَـلَـمٌ * عَـلَـيْـهِ نُـورٌ فَـلاَ أَبْـغِـي بِـكُـمْ بَـدَلاَ
عَـدِلْـتُـمُ جُـرْتُـمُ فَـالـرِّقُّ رِقُّـكُـمُ * لاَ يَرْتَـجِي غَـيْـرَكُمْ وَالـقَلْبُ مِـنْـهُ خَلاَ
دَعْـنِـي عَـذُولِـي[11] وَمَـنْ أَهْـوَى مَـوَدَّتَـهُ * قَـدْ هَـانَ لِـي فِـي الـهَوَى الـهَوَانُ مُذْ نَزَلاَ
أَمَـا تَـرَاهُ سَـمَـا[12] سَمَاالـسُّـعُـودِ بِـلاَ * مُـضَـارِعٍ وَعَـلَـى الـكِـيوَانِ[13] حَـقّاً عَـلاَ

---

(1) أصفر فاقع : صاف وناصع
(2) انهملت مقلتاه : فاضت بالدموع وسالت
(3) الحاذق : المراد به الطبيب الحاذق، أي الماهر بعلمه،
(4) الخضم : البحر
(5) غاض الماء : نزل في الأرض وغاب فيها
(6) فلدتي : كبدي ولحمي
(7) ذو مسكة : أي ذو رأي وعقل يرجع إليه
(8) الصر : البرد الشديد، ومنه قوله تعالى : كمثل ريح فيها صر أصابت حرث قوم ظلموا أنفسهم
(9) بلا : أي بلاء
(10) عراه : بمعنى اعتراه
(11) عذولي : لائمي
(12) سما : علا وارتفع
(13) الكيوان : كوكب زحل

كَأَنَّهُ المُرْتَضَى[1] البَحْرُ الخِضَمُّ الَّذِي * كُلُّ المَكَارِمِ وَالإِكْرَامِ قَدْ حَمَلاَ
العَالِمُ العَلَمُ النَّحْرِيرُ مَنْ فَعَلَتْ * أَخْلاَقُهُ بِذَوِي الأَلْبَابِ فِعْلَ طِلاَ
أَدِيبُ فَاسٍ لَبِيبُ العَصْرِ أَحْمَدُ مَنْ * عَلاَ بِفَضْلٍ لَهُ بَيْنَ الأَنَامِ جَلاَ
مَنْ سَادَ فِي مِصْرِهِ وَلَيْسَ يَلْحَقُهُ * فِي فَضْلِهِ أَحَدٌ وَمِنْهُ قَدْ نَقَلاَ
أَعْنِي سُكَيْرِجَ مَنْ حَلَّتْ مَآثِرُهُ * لاَزَالَ فِينَا لِأَمْرِ اللَّهِ مُمْتَثِلاَ
أَفْعَالُهُ جُمِلَتْ أَخْلاَقُهُ كَرُمَتْ * بِالجِدِّ وَالحَزْمِ فَاقَ كُلَّ مَنْ عَقَلاَ
لَبَّاهُ لَمَّا دَعَا النَّثْرُ النَّفِيسُ كَذَا الـ * ـقَرِيضُ وَهْوَ عَلَى الإِتْقَانِ قَدْ جُبِلاَ
وَقَدْ رَقَى لِمَقَامِ المَجْدِ يَحْرُسُهُ * بَدْرُ السُّعُودِ فَمِنْ عُلْيَاهُ فِينَا عَلاَ
تَغَارُ مِنْ لُطْفِهِ الصَّبَا وَلاَ عَجَب * فَإِنَّهُ فِي مَرَاقِي اللُّطْفِ قَدْ نَزَلاَ
حَوَى عُلُوماً عَلَيْهِ قَصْرُهَا قَمِنٌ[2] * مَهْمَا أَتَى سَائِلٌ يُنِلْهُ مَا سَأَلاَ
لَهُ بِلاَ مِرْيَةٍ فَخْرٌ وَلَيْسَ لَهُ * كُفْؤٌ[3] يُقَارِبُهُ وَالنُّطْقُ مِنْهُ حَلاَ
مَهْمَا أَتَى جَاهِلٌ بِحَلِّ مُشْكِلَةٍ * شَفَا الغَلِيلَ لَهُ فِي كُلِّ مَا جَهِلاَ
يَا أَيُّهَا العَالِمُ النَّحْرِيرُ صَفْحاً عَلَى الـ * ـمُسِيءِ مِثْلِي فَهَذَا شِيمَةُ[4] العُقَلاَ
أَنْتَ الفَقِيهُ النَّبِيهُ لَسْتَ تُلْحَقُ فِي * التَّحْقِيقِ بَيْنَ الوَرَى يَا نُخْبَةَ الفُضَلاَ
أَنْتَ الَّذِي فِي الوَرَى كُلُّ الفُحُولِ بِهِ * فِي العِلْمِ وَالحِلْمِ حَقّاً تَضْرِبُ المُثُلاَ
إِنِّي رَقِيقٌ لِرِقٍّ رِقٍّ رِقِّكُمُ * فَإِنْ قَبِلْتَ فَقَدْ حَصَّلْتُ خَيْرَ وِلاَ
وَلَسْتُ أُعْتِبُكُمْ عَلَى العِتَابِ بِلاَ * ذَنْبٍ وَإِنْ صُغْتُمُ[5] لِي بِالجَفَاءِ حِلاَ
إِنَّ المُحِبَّ مُحِبٌّ لِلحَبِيبِ وَمَا * يُحِبُّهُ وَيُحِبُّ كُلَّ مَا فَعَلاَ
لِأَنَّ فِعْلَ المَلِيحِ كُلَّهُ حَسَنٌ * وَكُلُّ مَا قَدْ أَتَى بِهِ فَقَدْ قُبِلاَ
حَاشَا أُرَى عَاذِلاً عَنْ طُرْقِ كُتْبِكُمُ * وَلَوْ جَفَيْتُمُ مِنْ وِصَالِنَا سُبُلاَ
مَا كَانَ قَطْعُ كِتَابِي مِنْ جَفَائِكَ لِي * فَقَلْبِي مِنْكَ يَطِيقُ كُلَّ مَا حمِلاَ
وَمَا إِلَيْهِ التِفَاتٌ عَنْ مَحَبَّتِكُمْ * لَوْ كَانَ هَجْرُكَ لِي وَلَوْ رَأَيْتُ قِلاَ

---

(1) تشبيها بالشيخ محمد مرتضى الزبيدي صاحب كتاب تاج العروس من جواهر القاموس

(2) قمن : جدير

(3) كفؤ : شبيه وند

(4) الشيمة : الخلق

(5) صغتم : سبكتم

وَاللَّهِ وَاللَّهِ إِنَّ النَّفْسَ فِي شَغَفٍ * بِكُمْ وَقَدْ أَسْلَمَتْ إِلَيْكُمُ الخَوَلاَ
هَبْنِي[1] مُسِيئاً رَعَاكَ اللَّهُ إِنِّي قَدْ * أَتَيْتُكُمْ تَائِباً فَلْتَسْتُرُوا الزَّلَلاَ
وَلْتَصْفَحُوا فَكِرَامُ النَّاسِ شَأْنُهُمُ * هَذَا وَأَنْ يُسْتِرُوا بَيْنَ الوَرَى زَلَلاَ
وَأَنْتُمُ أَسْعَدَ الرَّحْمَانُ طَالِعَكُمْ * أَجَلُّ مَنْ بِقَبُولِ العُذْرِ قَدْ شغلاَ
لِأَنَّكُمْ فُقْتُمُ كُلَّ الوَرَى أَدَباً * وَالصَّفْحُ مِنْكُمْ عَلَى كُلِّ الأَنَامِ جَلاَ
وَالحِلْمُ فِيكُمْ سَجِيَّةٌ وَلاَ عَجَبٌ * وَشَأْنُكُمْ وَصْلُ مَنْ قَدْ حُرِمَ الوصلاَ
أَنَا المُقِرُّ بِذَنْبِي جِئْتُ نَحْوَكُمُ * أَرْجُو القَبُولَ فَلاَ تَبْغُونَ بِي بَدَلاَ
وَحَقِّ وُدِّكُمُ إِنِّي لَذُو مِقَةٍ[2] * وَإِنَّ قَلْبِيَ وَقْفٌ لاَ مِرَاءَ عَلَى
أَسْعَى القَبُولَ لَهُ بِحَقِّ فَضْلِكُمُ * لِكَيْ أَرى لاَبِساً مِنْ صَفْحِكُمْ حُلَلاَ
بُشْرَايَ بُشْرَايَ إِنْ قُلْتُمْ قَبِلْتُ أَيَا * فُؤَادُ فَاسْكُنْ لَكَ البُشْرَى بِكُلِّ مَلاَ[3]
قُولُوا قُبِلْتَ وَفِيَّ العَهْدِ إِنَّكَ فِي * حِلٍّ قُبِلْتَ وَخَلُّوا عَنِّيَ الخَلَلاَ[4]
فَإِنَّ ذَيْلِي افْتِخَاراً قَدْ جَرَرْتُ عَلَى * آلِ الغَرَامِ بِكُمْ وَسِرْتُ بِالخُيَلاَ
لِأَنَّ لِي قَدَماً فِي حُبِّكُمْ رَسَخَتْ * مَنْ رَامَ إِدْرَاكَهَا أَرَاهُ مُنْتَحِلاَ[5]
شَأْنُ المُحِبِّينَ هَضْمُ النَّفْسِ إِنْ عَظُمَتْ * بِجَعْلِهَا تَحْتَ نَعْلٍ لِلَّذِى سَفُلاَ
وَكُلُّ مَنْ يَدَّعِي حُبَّ المِلاَحِ يُرَى * لِلضَّيْمِ بَيْنَ الوَرَى وَاللَّهِ مُحْتَمِلاَ
وَالصَّبْرُ حُلْوٌ لَدَى العُشَّاقِ إِنَّهُمُ * بِصَبْرِهِمْ بَلَغُوا الأَمَانَ وَالأَمَلاَ
عجْ فِي تَزَايُدِ عَجْبِي فِي مَلاَمِ فَتىً * يَهْوَى المَلِيحَ وَلاَ يَهْوَى الَّذِي عَمِلاَ
وَدَعْ مَلاَمَكَ إِنَّ اللَّوْمَ عِنْدَ ذَوِي الأَ * لْبَابِ[6] لُؤْمٌ وَلاَ يَرْضَاهُ مَنْ عَقَلاَ
وَخُذْ عَرُوساً تَمَامَ الحُسْنِ قَدْ جَمَعَتْ * لاَزِلْتَ بَدْراً مُنِيراً تُشْرِقُ السُّبُلاَ[7]

---

(1) هبني : بمعني افترض أني

(2) ذو مقة : أي ذو محبة فيكم

(3) ملا : بمعنى ملأ، وخففت للضرورة الشعرية

(4) الخلل : الفساد والضعف

(5) انتحل الشيء : ادعاه لنفسه وهو لغيره

(6) الألباب : العقول

(7) سبل : جمع سبيل، وهي الطريق

وكاتبته بهذه الأبيات مصدرا لها بما لم أحفظه بالتقييد :

مَـنْ شَـفِيعِي إِلَـى حَبِيبٍ جَفَانِي * وَأَنَــا فِــي سِــوَاهُ وَاللَّـهِ فَـانِي
ضِقْتُ ذَرْعـاً مِـنْ هَجْرِهِ فَلِهَذَا * لَـمْ تَـذُقْ لَـذَّةَ الـكَرَى أَجْفَانِي
وَلَـقَدْ كُـنْتُ وَاثِـقاً مِـنْهُ بِالعَهْـ * ـدِ الَّـذِي لاَ أَخُـونُهُ فِـي زَمَـانِي
عَـلِمَ الـلَّـهُ أَنَّـنِي عَـنْـهُ لاَ أَسْـ * ـلُــو وَلَـوْ كَـانَ بِالبِعَادِ رَمَـانِي
أَسْـأَلُ النَّاسَ عَـنْهُ فِـي كُـلِّ حِينٍ * وَهْوَ عِـنْدِي وَإِنْ يَغِبْ فِي جَنَانِي[1]
كُـلّ يَـوْمٍ أَقُــولُ سَــوْفَ يُـوَافِيـ * ـنِــي سَـلاَمٌ مِـنْ عِـنْدِهِ أَوْ يَـرَانِي
يَا أُهَيْلَ الـحِمَى وَمَنْ فِـي هَـوَاهُمْ * طَـابَ عِـنْدِي اعْـتِزَازُهُمْ وَهَـوَانِي
أَيُّـكُـمْ شَـافِـعِي لِـمَـالِكِ نَـفْـسِي * وَهْــوَ مَــوْلاَيَ عَـابِـدُ الـرَّحْـمَانِ
ذُو الـمَزَايَا الَّـتِي سَمَتْ فِي البَرَايَا * مَنْبَعُ الفَضْلِ ابْنُ الرِّضَى الزَّيْدَانِي
شَـادَ فِـي عَـصْرِهِ سِوَاهُ فَـأَضْحَى * فِــي كَـمَالٍ يَـعْـلُو عَـلَى الأَقْـرَانِ[2]
مَـا لَـهُ فِـي العُلاَ مَثِيلٌ يُضَاهِيـ * ـهِ بِــمَـا نَــالَـهُ مِـــنَ الـعِـرْفَانِ
فَـهْوَ بَـدْرٌ يُـرَى بِأُفْقِ الـمَعَالِي * وَهْـوَ شَـمْسٌ تُـضِيءُ كُـلَّ مَـكَانِ
وَهْــوَ غَــوْثٌ يُـغِيثُ كُـلَّ نِـدَاءٍ * وَهْــوَ غَـيْـثٌ يَـفِـيضُ بِـالإِحْـسَانِ
يَـا أُهَيْلَ الـحِمَى اشْفَعُوا لِي لَدَيْهِ * فَـعَـسَاهُ يَـجُـودُ لِــي بِـالتَّدَانِي
وَصِــفُـوا حَـالَـتِي إِلَـيْـهِ فَـإِنِّـي * مِـنْ هَـوَاهُ غَـدَوْتُ بِالشَّوْقِ فَانِي
فَـعَـلَيْهِ الـسَّلاَمُ مَـا قَـالَ صَـبٌّ * مَـنْ شَـفِيعِي إِلَـى حَبِيبٍ جَفَانِي

فأجاب بما اشتمل عليه هذا الكتاب ونصه: خلاصة الود والصفا، وشنشنة العلم والحلم والوفا، الأريب اللوذعي، والنحرير الألمعي، ناطورة بناء الأدب، ومصدر مفاخر لسان العرب، الجامع لأشتات كل فن موجود، نادرة الأوان وعلامة الوجود، الذي لا يماثله في أهل زمانه مولود، من اشتهر بالأوصاف الكريمة اشتهار حاتم[3] بالجود، العلامة الأكمل الأوحد، أبا العباس سيد أحمد، أدام الله وجودك وحفظك، ووفر من نشر عاطر بسط العرفان حظك، شعر :

---

(1) جناني : قلبي

(2) الأقران : الأصحاب والأصدقاء

(3) إشارة للشاعر العربي الجاهلي حاتم الطائي الذي يضرب به المثل في الكرم وشهامة العرب.

بَعْدَ التَّحِيَّةِ وَالسَّلاَمِ العَاطِرِ * وَدُعَاءِ وُدٍّ عَنْ صَمِيمِ الخَاطِرِ

فقد وافانا ما وشيت به معاصم الطروس، ومالت نشوة وطربا به النفوس، من بديع قريضك العجيب، ونظمك المرونق النسيب، الذي أطلقت فيه جواد اليراع في ميدان اللوم والثنى، وأبديت فيه ما عجز عنه ابن الخطيب[1] وغيره ممن له في هذا البساط ذكر وثنا، فلعمري لقد أبدعت فيه كل الإبداع، وأرانا تناسق الجواهر فيه اليراع، فتبارك من جعل هامة الأدب ساجدة لعلياك، وجمع فيك من الفصاحة والبلاغة والملامة بدون ذنب ما افترق في سواك

أَدَرْتَ عَلَى الأَرْوَاحِ مِنْ رَاحِكَ الصِّرْفَا * فَمِلْنَا بِهِ شَوْقاً وَنِلْنَا بِهِ عَطْفَا
بَدَائِعُ أَبْدَتْهَا بَرَاعَتُكَ الَّتِي * يَكِلُّ لِسَانِي أَنْ يُحِيطَ بِهَا وَصْفَا
تَبَدَّتْ نُجُوماً يُخْجِلُ الدُّرَّ حُسْنُهَا * وَمِنْ عَجَبٍ شَمْسُ الضُّحَى إِنْ بَدَتْ تُخْفَى
قَرِيضٌ سَمَا لَمَّا بَدَا مِنْكَ جَوْهَراً * فَرَقَّ[2] بِهِ الإِبْدَاعُ يَا حُسْنَهُ لُطْفَا
تَبَارَكَ مَنْ أَوْلاَكَ سِرَّ سَجِيَّةٍ[3] * تَخِرُّ لَهَا الأَقْوَالُ رَاغِمَةً[4] خَوْفَا
فَلاَزِلْتَ يَمَّ[5] الفَضْلِ لِلنَّاسِ زَاخِراً * وَمِنْ فَيْضِهِ الفَيَّاضِ نَلْتَمِسُ الغُرْفَا

فعندئذ هاج البلبال، واستيقظ ما كان منا بالبال، ونطق لسان القلم فقال، وإن كان غير معتبر بين ذوي المقال :

يَا عَذُولِي بِاللَّهِ رِفْقاً كَفَانِي * إِنَّنِي فِي الهَوَى وَحَقِّكَ فَانِي
لِمْ مَلاَمِي وَلَسْتُ فِي الحُبِّ جَانِي * بَيْدَ أَنِّي بِالتِّيهِ ذَابَ جَنَانِي
لَمْ أَطِقْ بَعْدَ بُعْدِ حِبِّيَ صَبْراً * دَعْ مَلاَمِي دَاعِي الغَرَامِ دَعَانِي
وَهَوَى فِي الهَوَى فُؤَادِي فَقُلْ لِي * كَيْفَ أَسْلُوا ووشكُ بَيْنٍ دَهَانِي

(1) إشارة للعلامة الأديب الشهير لسان الدين ابن الخطيب محمد بن عبد الله المتوفي عام 772 هـ

(2) رق : لان

(3) السجية : المَلَكَةُ

(4) راغمة : بمعنى على رغم أنفها وعلى كره منها

(5) اليم : البحر

ضَاقَ صَدْرِي مِنْ نَارِ شَوْقٍ تَلَظَّتْ[1] * وَجَفَتْ لَذَّةُ الكَرَى أَجْفَانِي
ضَعُفَتْ قُوَّتِي وَصِرْتُ مُعَنًّى * مِنْ نَوَاهُ[2] وَإِنْ ثَوَى فِي الجَنَانِ
لَيْتَ شِعْرِي مَتَى يَمُنُّ بِوَصْلٍ * دُونَ فَصْلٍ فَبَيْنُهُ أَفْنَانِي
لَيْتَ شِعْرِي فَهَلْ يُحَيِّي حَبِيبِي * حَيُّ مَنْ هَامَ فِيهِ بَيْنَ الحِسَانِ
يَا أُهَيْلَ الهَوَى هَوَانِيَ هَيْنٌ[3] * فِي هَوَى مَنْ بِغَيْرِ ذَنْبٍ لَحَانِي[4]
فَعَلَى مَ المَلاَمُ مِنْهُ لِصَبٍّ * وَهْوَ يَسْعَى فِي صَرْمِ[5] حَبْلِ التَّوَانِي
خَبِّرُوا مُنْيَتِي بِأَنِّي عَبْدٌ * طُولَ عُمْرِي وَلَوْ بِزَوْرٍ رَمَانِي
حَدِّثُوا بُغْيَتِي وُقِيتُمْ حَدِيثِي * أَنَّنِي مُوثَقٌ وَبِالحُبِّ عَانِي
وَسَلُو لِي بِمَا حَوَى مِنْ كَمَالٍ * جَبْرَ كَسْرِ المُتَيَّمِ الحَيْرَانِ
ثُمَّ قُولُوا قَتِيلَ هَجْرِكَ يَشْدُو * يَا غَزَالاً بِلُطْفِ غَنْجٍ[6] غَزَانِي
إِنَّنِي وَاثِقٌ بِعَهْدِكَ أَرْجُو * مِنْكَ وَصْلاً يَا عُنْصُرَ الإِحْسَانِ
فَتَحَنَّنْ عَلَى أَسِيرٍ كَسِيرٍ * قَدْ كَسَاهُ الهَوَى رِدَاءَ الهَوَانِ
دُمْتَ وِفْقَ المُرَادِ مَا قَالَ حَادٍ * يَا عَذُولِي بِاللَّهِ رِفْقاً كَفَانِي

ولم يصلني هذا الجواب إلا بعد مدة، فكتبت له رسالة تضمنت الأبيات المذكورة وبصحبتها هذه الأبيات :

أَأَلُومُ نَفْسِي أَمْ أَلُومُكَ فِي النَّوَى * أَمْ كَيْفَ أَعْمَلُ بَعْدَ بُعْدِكَ فِي الهَوَى
إِنِّي عَهِدْتُكَ ذَا وَفَاءٍ لَمْ تَخُنْ * عَهْدَ المُحِبِّ وَلَوْ يَمُدّ لَكَ النَّوَى
مِمَّا جَلَبْتَ عَلَيْهِ مِنْ حُبِّ الوَفَا * وَجَمِيلِ خُلْقٍ لِلكَمَالِ قَدِ احْتَوَى
قُلْ لِي رَعَاكَ اللَّهُ مَا سَبَبُ الجَفَا * وَالقَلْبُ مِنِّي قَدْ تَقَلَّبَ فِي الجَوَى

---

(1) تلظت النار : ازداد لهيبها
(2) النوى : البعد
(3) هَيْنٌ : أي هَيِّنٌ لَيِّنٌ
(4) لحاني : خاصمني ولامني
(5) صرم الحبل : جزمه
(6) الغنج : ما تتغنج به المرأة من عبارات وحركات تزيدها ملاحة

أَصْبَحْـتُ بَعْدَكَ فِي التَّشَوُّقِ مِثْلَ مَا * أَمْسَيْتُ أَحْمِلُ فِـي مَحَبَّتِهِ اللِّوَا[1]
آهٍ عَـلَـى مَـا فِـي النَّوَى عَايَنْتُهُ[2] * مِـنْ كُلِّ مَا قَلْبِي عَلَيْهِ قَدِ انْطَوَى
صَبْرِي لَـدَى كُـلِّ الشُّجُونِ وَجَدْتُهُ * وَلِـدَاءِ بُعْـدِكَ لَـمْ أَجِـدْ لِي مِـنْ دَوَا
الـلَّهُ فِــي كَـبِـدِي وَمَـا كَـابَدْتُهُ * مِـنْ نَـارِ وَجْدٍ فَوْقَهَا قَلْبِي انْشَوَى
إِنِّـي لَبِسْـتُ مِـنَ النُّحُولِ عَبَاءَةً * أَضْحَى بِهَا جِسْمِي هَبَاءً[3] فِي هَوَى
مَـنْ كَـانَ يَعْـرِفُنِي رَثَـى لِكَآبَتِي[4] * وَلِـحَالَتِي رَقَّ الـمُعَادِي وَارْعَوَى[5]
يَـا مُتْلِفِي مَنْ مِنْكَ يَوْماً مُنْصِفِي * وَأَنَا مِنْ اجْلِكَ قَدْ وَهَتْ[6] مِنِّي القُوَى
إِنْ رُمْـتُ سُلْوَانِي بِغَيْرِكَ مِثْلَ مَا * عَنِّي سَلَوْتَ بِـهِ جَفَا قَلْبِي السِّوَى[7]
وَأَرَدْتُ عَنْكَ الصَّبْرَ حَيْثُ هَجَرْتَنِي * لَكِنْ عُدِمْتُ الصَّبْرَ عَنْكَ مِنَ الجَوَى
أَشْكُو إِلَيْكَ الـهَجْرَ مِنْكَ لَعَلَّ أَنْ * تَقْضِي بِوَصْلٍ لَيْسَ فِيهِ مِنْ نَوَى
يَا سَيِّدِي الـمَوْلَى الكَبِير سَلِيل مَنْ * أَضْحَى عَظِيمَ القَدْرِ بَيْنَ ذَوِي اللِّوَا
أَشْـفِقْ بِعَبْدِكَ سَيِّدِي فَهْوَ الَّذِي * غُصْنُ الشَّبَابِ بِهِ بِهَجْرِكَ قَدْ ذَوَى[8]
فَجَنَابُكَ العَلَوِي يُجَلُّ بِـأَنْ يُـرَى * مَنْ يَحْتَمِي بِحِمَاكَ يُرْمَى فِي الهَوَى
حَاشَا بِأَنْ تَرْضَى الرَّدَى[9] بَعْدَ الرِّضَى * لِمَنِ اكْتَسَى بِرِدَا هَوَاكَ وَمَا غَوَى[10]
يَـا أَيُّهَا الـمَوْلَى النَّقِيبُ وَمَنْ حَوَى * كُـلُّ امْـرِئٍ مِـنْ فَضْلِهِ مَا قَدْ نَوَى
مِنِّي السَّلاَمُ عَلَيْكَ مَا اشْتَاقَتْ إِلَى * لُقْيَاكَ نَفْسِي فِي التَّقَرُّبِ وَالنَّوَى

---

(1) اللواء : العلم والراية
(2) عاينته : قاسيته
(3) الهباء : التراب الذي تطيره الريح ويلزق بالأشياء أو ينبث في الهواء فلا يبدو إلا في ضوء الشمس
(4) كآبتي : حزني
(5) ارعوى : كف وارتدع
(6) وهت : ضعفت
(7) السوى : الغير
(8) ذوى : ذبل ويبس وضعف
(9) الردى : الهلاك والموت
(10) غوى : أمعن في الضلال، ومنه قوله تعالى : ما ضل صاحبكم وما غوى

فأجاب بعد التصدرة[1] بقوله : الأديب الغطريف[2] النبيل، الحيي الأريحي، الناظم الناثر الأريب، المشتمل بكل خلق رفيع، المتصف بكل وصف شريف بديع، من اختص بدق اللهجة بقول حذام[3]، وشد على أسنى المكارم والفضائل أوثق حزام، من هو للمعارف والعلوم اللدنية أعظم صهيرج،

سَلاَمٌ كَنَشْرِ المِسْكِ تَحْمِلُ نَشْرَهُ * إِلَيْكُمْ شمالُ طيِّ أَوْعِيَّةِ العِطْرِ
يُصَافِحُ يُمْنَاكُمْ وَيَشْدُوا بِرَبْعِكُمْ * كَمَا صَافَحَ الأَزْهَارَ لُطْفاً حَيَا القَطْرِ

أما بعد توقد أشواقي، فقد صعد الروح إلى التراقي، بل أسالها دمعا من أحداقي، فهي منهلة الأماني ما بها ولا لها من راقي، فآه لها من حدق، صبحها الدمع ومساها الأرق، وكيف لا يصوب دمعها الغدق، فيقضي بالغرق، هياما بتلك الشمائل التي لو دنت من الصخر لرق وإلا انفلق، أو رنت إلى البحر لأصبح عذبا فراتا يشفي الحرق وإلا انفرق، ومن العجب أني مع هذا الحال المشروح، أغدوا وأرواح، ولكن من حلاوة الروح، وربما طار طير وهو مذبوح :

غَيْرِي إِذَا وَصَفَ الصَّبَابَةَ وَالأَسَى * أَحْصَتْ تَشَوُّقَهُ سُطُورُ كِتَابِهِ
وَأَنَا الَّذِي لَمْ تُحْصَى كَثْرَةُ شَوْقِهِ * مِنْ فَرْطِ لَوْعَتِهِ وَطُولِ خِطَابِهِ

هذا ومن ورود كتابك ذي القصيدتين النونية والواوية ما صحا القلم عن السكر براح الأفراح، ولا أفاق من نومة السرور والإنشراح، لينظم جواب تلك الدرر البديعة، واللآلئ الثمينة

---

(1) تصدرة الرسالة : طالعتها

(2) الغطريف : السيد السخي الكثير الخير

(3)حذام بنت ريان، قال عنها صاحب الأعلام : جاهلية يمانية، يضرب بها المثل في صدق الخبر، قالوا: إن عاطس بن خلاج زحف على أبيها في قبائل حمير وخثعم وجعفي وهمدان، فلقيهم أبوها في أربعة عشر حيا من أحياء اليمن، فاقتتلوا، ثم تحاجزوا، وشعر الريان بضعف جماعاته فرحل بهم ليلا، وأصبح عاطس فجد في طلبهم، فلما كان قريبا منهم رأت حذام أسرابا من القطا مقبلة عليهم، فخرجت تقول :

ألا يا قومي ارتحلوا وسيروا * فلو ترك القطا ليلا لناما

وقام زوجها واسمه في إحدى الروايات لجيم بن مصعب فأنشد :

إذا قالت حذام فصدقوها * فإن القول ما قالت حذام

فلجأ قومها إلى واد امتنعوا فيه من عاطس، ونجوا، وضربت العرب بصدقها المثل.

الرفيعة، فعند ذلك استعار من الفؤاد أذنا واعية، وإن كان مما حل فيه من الأشواق هوى في الهاوية، فصغى للخطاب، وأسرع للواوية بالجواب، فأرجو أن يلذ ويستطاب، ويبرئ ساحتنا من العتاب، ودونك نص الجواب،يا من فتح للجوى باب :

دَعْ عَنْكَ لَوْمِي يَا عَذُولِي فِي الهَوَى * فَالقَلْبُ فِي بَحْرِ الهَوَى غَضّاً هَوَى
دِينُ الصَّبَابَةِ مَذْهَبِي قَدَمِي بِهِ * رَسَخَتْ وَلَكِنِّي حَمَلْتُ بِهِ اللِّوَا
أَنَّى يُلاَمُ عَلَى الصَّبَابَةِ عَاشِقٌ * طِفْلاً عَلَى عَرْشِ الغَرَامِ قَدِ اسْتَوَى
أَمْ كَيْفَ يُمْكِنُ ذَا هَوًى مُتَوَلِّهاً[1] * يَرْعَى الذِّمَامَ بِأَنْ يَمِيلَ إِلَى السِّوَى
صَهْ[2] وَاتَّئِدْ فَاللَّوْمُ لُؤْمٌ يَا فَتَى * وَاتْرُكْ سَبِيلَ العَذْلِ عَنِّي وَلَوْ عَوَى
إِنِّي وَآيَاتُ الغَرَامِ لَمُغْرَمٌ * بِبَدِيعِ حُسْنِهِمُ وَإِنْ جَارَ[3] النَّوَى
مَالِي وَحَقِّ جَمَالِهِمْ مِنْ سُلْوَةٍ * عَنْهُمْ وَلَوْ قَلْبِي بِهَجْرِهِمُ انْكَوَى
يَا جِيرَةً سَكَنُوا الجَنَانَ بِحَقِّكُمْ * رِقُّوا فَقَلْبِي عَنْ هَوَاكُمْ مَا لَوَى
قَالُوا تَرُومُ الوَصْلَ قُلتُ لَهُمْ أَجَلْ * قَالُوا مُحَالٌ وَصْلُنَا يَا مَنْ غَوَى
قُلْتُ ارْحَمُونِي لَوْ بِطَيْفِ خَيَالِكُمْ * قَدْ حَانَ لِي بِصُدُودِكُمْ عَنِّي التَّوَى[4]
فَبِحُسْنِكُمْ وَدَلاَلِكُمْ وَجَلاَلِكُمْ * وَجَمَالِكُمْ لَوِصَالُكُمْ عِنْدِي الدَّوَا
قَالُوا وَقَلْبِي فِي لَظَى مُتَقَلِّبٌ * دَعْ عَنْكَ ذَا وَاصْبِرْ عَلَى حُرَقِ الجَوَى
قُلْتُ المُتَيَّمُ عِيلَ مِنْهُ الصَّبْرُ مُذْ * عَلَّلْتُمُوهُ الصَّبْرَ صَبْراً فَارْتَوَى
قَالُوا إِذَا رُمْتَ الخَلاَصَ فَلُذْ بِمَنْ * كُلَّ المَكَارِمِ وَالفَضَائِلِ قَدْ حَوَى
قُلْتُ المُحِبُّ سُكَيْرِجٍ قَالُوا بَلَى * قُلْتُ الفُؤَادُ عَلَى مَحَبَّتِهِ انْطَوَى
أَعْظِمْ بِهِ مِنْ سَيِّدٍ مَلَكَ القُلُو * بَ بِأَسْرِهَا بِبَشَاشَةٍ وَبِهَا ثَوَى
أَكْرِمْ بِهِ مِنْ أَحْمَدٍ سَلَبَ النُّهَى * بِلَطَافَةٍ وَشَفَى الَّذِي عُدِمَ القُوَى
بِاللَّهِ صِلْ فَصْلِي وَلاَ تُشْمِتْ بِيَ * الأَعْدَا فَجِسْمِي مِنْ جَفَائِكَ قَدْ ذَوَى[5]

---

(1) الموله : الذي اشتد حزنه حتى ذهب عقله وتحير من شدة الوجد

(2) صه : بمعنى اسكت

(3) جار : ظلم وعدل عن الحق

(4) التوى : الموت والهلاك

(5) ذوى : ييبس وجف ونحل

وَاجْبُرْ بِفَضْلٍ مِنْكَ كَسْرِي سَيِّدِي * وَارْحَمْ غَرِيماً بِالصُّدُودِ[1] قَدِ انْشَوَى
لاَ زِلْــتَ ذَا طَــرَبٍ بِقَوْلَةِ وَامِــقٍ * دَعْ عَنْكَ لَوْمِي يَا عَذُولِي فِي الهَوَى

وقلت مخاطبا له :

قَسَماً بِمَا أَحْـرَزْتَ مِـنْ آدَابِ * وَبِـمَا سَـمَوْتَ بِـهِ ذَوِي الأَلْبَابِ
وَبِمَا بِهِ أَصْبَحْتَ فِي أُولِي العُلاَ * شَمْساً بَدَتْ بِالأُفْقِ دُونَ حِجَابِ
مِنْ فَضْلِكَ العَالِي الَّذِي لَمْ نُحْصِهِ * فِـي كُـلِّ دِيـوَانٍ وَكـلِّ كِـتَابِ
لَأَنَا الَّذِي فِي نَهْجِ حُبِّكَ صَادِقٌ * وَلَأَنْـتَ عِـنْدِي أَفْـضَلُ الأَحْبَابِ
وَلَأَنْـتَ سَيِّدُ عَصْرِهِ بَيْنَ الوَرَى * وَجَـنَابُكَ الـعَالِي أَجَـلُّ جَـنَابِ
لاَزِلْتَ يَا مَوْلاَيَ فِي العُلْيَا تُرَى * بَـدْراً وَفِـي حِفْظٍ مَدَا الأَحْقَابِ

وقلت أيضا :

زَمَـنِي رَمَـانِي فِـي الـهَوَى بِهَوَانٍ[2] * وَإِنْ كَانَ غَيْرِي بِالنَّوَى يُخْلِفُ الوَعْدَا
أَحِبَّـتَـنَا وَالـلَّـهِ مَـالِـيَ عَـنْـكُمُ * سُـلُوٌّ[3] وَلاَ بِـالـهَجْرِ أَبْـدَلْتُمُ الـوُدَّا
مَـلَكْتُمْ فُـؤَادِي فِـي حَيَاتِي وَإِنَّنِي * يَحِقُّ الـهَنَا لِـي حَيْثُ كُنْتُ لَكُمْ عَبْدَا
وَلِـمْ لاَ يَـحِقُّ الـفَخْرُ لِي وَأَنَا الَّذِي * عَـلَيَّ أَرَى الـمَوْلَى الكَبِيرَ الثَّنَا أَبْدَى
مَـدَدْتُ هَـوَايَ فِـيهِ لَـكِنْ قَصَرْتُهُ * عَـلَيْهِ مَا وَلاَّنِي الأَمَانَ مِنَ الأَعْدَا
فَـلاَ زَالَ يَـحْظَى بِـالأَمَانِ وَبِـالمُنَى * وَأَحْـبَابُهُ تُـفْدَى وَأَعْـدَؤُهُ تُـرْدَى

وقلت أيضا :

---

(1) الصدود : الهجران
(2) الهوان : الذل والضعف
(3) السلو : النسيان

زَمَنِي رَمَانِي فِـي الـهَوَى بِـهَوَانِ * لَـمَّـا ابْـتَلاَنِي بِـالـنَّوَى وَكَـوَانِـي
مِــنْ بَعْـدِمَا أَلْـقَى عَـلَـيَّ قُـيُـودَهُ * وَعَـلَى الـمَهَاوِي فِـي الـهَوَى أَلْقَانِي
الـلَّهُ يَـا مَـنْ صِـرْتُ قَيْدَ غَـرَامِهِ * جُـدْ لِـي بِعَـفْـوٍ خُـفَّ بِـالرِّضْوَانِ
فَـأَنَا الـمُسِـيءُ بِـمَا جَنَيْتُ وَرُبَّـمَا * بِـذُنُـوبِـهِ يَـوْمـاً أَقَـرَّ[1] الـجَـانِـي
البُـعْدُ أَفْـنَانِي وَكَـانَ وِصَـالُ مَـنْ * أَهْـوَاهُ بَـيْـنَ ذَوِي الـهَـوَى أَحْيَـانِي
قَـدْ صِرْتُ لاَ أَدْرِي لِنَفْسِي ضُـرَّهَا * مِــنْ نَـفْـعِـهَا مِــنْ بَـعْـدِمَا أَقْـصَانِي[2]
أَشْكُـو لِـمَنْ أَلْـقَاهُ مِـمَّا فِـي الـنَّوَى * لاَقَـيْـتُـهُ بِـشِـكَـايَـةِ الـلَّـهْـفَـانِ[3]
فَـيَرِقُّ لِـي مَـن كَـانَ يَـعْرِفُنِي كَـمَا * يُـرثِـي لِـحَالاَتِـي الَّــذِي يَـلْحَانِي
وَأَظُـــنُّ أَنَّ شِـكَـايَـتِي سَـتُرِيـحُـنِي * فَــإِذَا بِــهِ قَــدْ زَادَنِــي الزَّيْـدَانِي
قَــدْ زَادَنِــي شَـوْقـاً إِلَـيْـهِ مُـبَرَّحاً[4] * يَــزْدَادُ تَـأْجِـيجاً[5] مَــدَا الأَحْـيَـانِ
مَـنْ لاَمَـنِي فِــي حُـبِّهِ قَـالَتْ لَـهُ * نَـفْـسِي لَـمَـا تَـلْـقَاهُ بِـالخَـفَـقَانِ[6]
نَـارُ الجَوَى بِـجَوَانِحِي[7] قَدْ أُضْـرِمَتْ * مَـنْ ذَا الَّـذِي يَـقْـوَى عَـلَى الـنِّيرَانِ
وَلَـكَـمْ تَـمَنَّيْـتُ الـلِّـقَاءَ بِـيَقْـظَـتِي * مِــنْ قَـبْـلِ أَنْ نُـحْـتَلَّ فِــي الأَكْـفَانِ
وَالـعَـيْـنُ مِـنِّـي لاَ تَــذُوقُ مَـنَامَـهَا * لَــكِـنَّـهَـا مَـفْـتُـوحَـةُ الأَجْــفَــانِ
وَطَـلَبْتُ نَـوْماً كَـيْ تَـرَى يَـوْماً بِـهِ * طَـيْـفاً مُـلِـمّاً مِـنْـهُ لِــي يَـلْـقَانِي
وَأُعَـلِّـلُ الـنَّـفْـسَ الـعَـلِيلَةَ بِـاللِّقَا * وَلِـقَاهُ عِـنْـدَ الـنَّـفْـسِ خَـيْـرُ أَمَـانِي
وَأَقُـولُ يَـا نَـفْسِي اصْـبِرِي فَـلَعَلَّ أَنْ * يَـسْـخُـو بِـوَصْـلٍ فِـي قَـرِيـبِ زَمَـانِ
فَـالـسَّـيِّـدُ الـمَـوْلَـى الـكَـبِيرُ مَـقَـامُهُ * يَـأْبَـى بِــأَنْ يُـبْـقِـيكَ فِــي هِـجْـرَانِ
فَـهْوَ الَّـذِي فِـي مَـقْعَدِ الـصِّدْقِ اسْـتَوَى * فِـيـنَا عَـلَـى عَــرْشِ الـعُـلاَ الـنُّـورَانِي
إِنَّ الـكَـبِـيـرَ إِذَا انْـتَـمَـى أَحَــدٌ لَــهُ * يَـوْمـاً غَــدَا مِــنْ جُـمْـلَـةِ الأَعْـيَـانِ

---

(1) أقر : اعترف

(2) أقصاني : أبعدني

(3) اللهفان : الحزين المتحسر على شيء فائت

(4) شوق مبرح : شديد

(5) تأجيجا : التهابا

(6) الخفقان : زيادة مؤقتة في سرعة نبضات القلب لانفعال أو إجهاد أو مرض

(7) الجوانح : جمع جانحة، وهي الضلع القصيرة مما يلي الصدر

وَمُـحِـبُّـهُ لاَبُــدَّ يَـعْـلُـو قَــدْرَهُ * بِـمَـرَاتِـبِ الـعُـلْيَا عَـلَـى الأَقْـرَانِ
فَـلِيَ الـفَـخَارُ عَلَى سِوَايَ بِحُبِّهِ * وَوِدَادُهُ عَـــنْ غَـيْـرِهِ أَغْـنَـانِـي
لَـوْ أَنَّنِي أَسْلَمْتُ نَفْسِي لَـمْ تَقُمْ * بِـوَفَـاءِ شُـكْـرِي مَـا بِـهِ حَابَانِي
فَــإِذَا أَرَدْتُ بَـيَانَ بَـعْـضِ صِفَاتِهِ * بَـيْـنَ الأَنَـامِ يَـكِلُّ[1] عَـنـهُ لِسَانِي
وَلِـذَا تَـرَانِـي دَائِـماً فِــي حَـيْرَةٍ * مَـهْـمَا كِـتَـابٌ مِـنْهُ لِـي وَافَـانِي
فَـالـنُّـطْقُ مِنِّي فِيهِ يُصْبِحُ أَخْرَساً * وَالـكـتْـبُ لَـمْ تَـقْـدِرْ عَـلَيْهِ بَنَانِي[2]
وَأُبَــدِّلُ الأَوْقَــاتَ عِـنْـدَ جَـوَابِـهِ * عَــلَّ الـجَـوَابَ يَـكُـونُ بِـالإِتْـقَانِ
فَـيَزِيدُنِي الـتَّأْخِيرُ حَـيْرَةَ مَنْطِقِي * فَــأَصِـيـرُ بِـالإِرْتَـاجِ[3] كَـالـوَلْـهَانِ
وَأَقُــولُ أَيْــنَ قَـرِيحَـتِي فَـيُـجِيبُنِي * إِنِّــي عَـجَـزْتُ لِـشُـكْـرِ مَـا أَوْلاَنِـي
فَـأَقُولُ وَيْـحَـكَ يَـا قَـرِيحَتِي الْهَجِي[4] * بِـثَـنَـائِـهِ فِـــي الـقَـوْمِ دُونَ تَـوَانِ[5]
أَوَلَـسْـتِ تَـدْرِي مَـالَـهُ مِـنْ رِفْـعَةٍ * قَـالَـتْ بَـلَى قَـدْ فَـاقَ أَهْـلَ زَمَـانِي
قُلْتُ اذْكُرِي لِي بَعْضَ حُسْنِ نُعُوتِهِ * قَـالَـتْ لَـهُ فِـي الـكَوْنِ كُـلُّ حِسَانِ
لَــوْ أَنَّـنِـي حَـبَّـرْتُ كُـلَّ صَحِيفَةٍ * بِـمَـدِيـحِهِ لَــمْ يُـحْـصِهِ بُـنْـيَانِي
لَـمْ يَـبْقَ لِـي إِلاَّ الـدُّعَاءُ لَـهُ بِـأَنْ * يُـبْـقِـيـهِ رَبِّــي ظَــافِـراً بِــأَمَـانِ
وَالـحِـفْظُ يَـشْـمَلُهُ عَـلَى رَغْـمِ العِدَا * مَـلْـحُـوظَ قَــدْرٍ سَـائِـرَ الأَحْـيَـانِ

وضمنت ذلك في رسالة أجاب بها عن الجميع بعد التصدرة بقوله : إنسان العين وأنسها، وأساس المحبة ورأسها، سلالة الأماجد، وسلافة الأناجد، تاج الأدباء، وواسطة عقد النبهاء، ذا الفضائل التي يقصر القلم عن استيفائها وإن طال، ويعجز التبليغ عن تبيانها وإن تسع المجال، من بلذيذ خطابه المعسول كل أزمة عنا تنفرج، ملاذي وأستاذي العلامة النحرير سيدي أحمد سكيرج، لازالت آمالك فوق أجنحة القبول الخافقة، ولابرحت ثمار فصاحتك يانعة على نخيل البلاغة باسقة،

---

(1) يكل : يتعب
(2) البنان : أطراف الأصابع، واحدته بنانة
(3) ارتج عليه الكلام : استغلق وأشكل عليه واستعصى
(4) لهج بالشيء : أولع به فثابر عليه واعتاده
(5) التواني : الفتور

وسلام يضوع شذاه العبوق، يناديك كل صبوح وغبوق، محمولا إليك على كامل الصبا، ما رن حاد بأحاديث الصبا.

أما بعد فقد ورد على حليف الوداد منكم كتاب أسفر عن صحة ذلك المزاج، وانهماكه في بحر بل بحور المسرة والابتهاج، فحمد الله تعالى وشكره، وأمعن النظر في تلك الجواهر وكرره، فإذا هو روض تدبجت أزهاره، وغردت بالبلاغة أطياره، رياض الأزهار منه تتنسم، وحياض الأنهار عن جداول أسطره تتقسم، فيالها من ورقة هي في الحقيقة بستان، ونميقة على أن منشئها بديع الزمان[1]، أقسم بالليل إذا يغشى، والنهار إذا تجلى، من نفسك وطرسك، لأنت منشيها في يومك وأمسك، فلا بدع إذ آمنت أمم البلاغة بمعجزة حدسك، فقد احتويت الطارف والتالد، وأناشد الله يا مولاي أنزل من ملكه لك عطارد، أم زهر المجرة تألفت، أم شهب البيان تألقت، أم الأنوار بيدي براعتك تفتقت.

فهلا يا إمام البلاغة، والمقدم أمام متقني الصياغة، والمزري بقدامة[2] وابن المراغة[3]، فلله ما أشهى قريضك وأحلاه، وأعذبه وأنفسه وأغلاه، فوحق الوداد لقد حرك مني ساكنا، وأنعش ما كان منذ زمان بالقلب كامنا، وأخرس لسان القلم عن جواب تلك اللآلئ الثمينة بما عراه من الاحتشام من الاحتشام، واعترف الذهن الفاتر بأنه ليس له في مقام الفصاحة والبلاغة من مقام، فعند ذلك لويت رأسي عند جناحي، وتيقنت في إقراري بالعجز عدم افتضاحي، واقتصرت على القصيدة المقولة على لساني، في الاعتذار لأديب النوع الإنساني، ونص المقول، والمرجو تلقيه بالقبول :

لَعِبَ الهَوَى بِفُؤَادِ صَبٍّ نَاءِي * وَسَقَاهُ كَأْسَيْ لَوْعَةٍ وَعَنَاءِ

---

(1) إشارة للعلامة الأديب الشهير، بديع الزمان أحمد بن الحسين بن يحيى الهمذاني، صاحب كتاب المقامات، وعلى منواله نسج الحريري مقاماته، واحتذى حذوه واقتفى أثره، واعترف في خطبته بفضله، وأنه الذي أرشده إلى سلوك ذلك المنهج، توفي سنة 398هـ ــ1008م، أنظر ترجمته في الأعلام، للزركلي 1 : 115

(2) قدامة بن جعفر بن قدامة بن زياد البغدادي أبو الفرج، كان نصرانيا وأسلم على يد المكتفي بالله ، من مشاهير البلغاء الفصحاء الذين يضرب بهم المثل في البلاغة، ومن الفلاسفة الذين يشار إليهم بالبنان في علم المنطق والفلسفة. وقد استكمل بعد ابن المعتز تأسيس مباحث علم(البديع)، وحمل لوائه، وتوضيح معالمه، وتحديد نهجه. توفي بمدينة بغداد عام 337 هـ، في أيام الخليفة المطيع.

(3) إشارة للشاعر العربي الشهير جرير، وهو أبو حرزة جرير بن عطية اليربوعي التميمي، شاعر ينتمي إلى قبيلة كليب من بني تميم، وهي قبيله متحضره في نجد، ولد في أثيثية (بلده تقع شمال غرب الرياض بالعربيه السعوديه بـ 180 كم تقريباً) في خلافة عثمان بن عفان، اشتهر في المدح والهجاء، توفي بعد موت الفرزدق بشهور سنة 110هـ.

القصيدة.. هذه وما أحلى لدى المحبين في الوصال ركوب الأخطار، على أنه ليس لغير سائس[1] مسافة سائس في هذا الإبان أضرارا، وما علمت السيادة بتبديد شمل حزب الفجار، وانمحاء أهل الزيغ بسيف عدل مولانا البطل الكرار، وبسط فرش الأمن والأمان في جميع الأقطار، وعلى كل حال فلا تحتاج إلى الطيران خوفا من بني مطير[2] إذا كان الشوق زوار، سيما وللسيادة مندوحة عن هذه الأعذار الواهية بسلوك سبيل بني عمار، فالبدار البدار، وبالله لما جعلت زيارتنا من أهم الأوطار، أقول : أما القصيدة فقد ضاعت من يدي، وكاتبته بهذه القصيدة وضمنتها بيتين كتبهما في كتاب لشيخنا العلامة الرئيس، سيدي الحاج عبد الكريم بنيس، يخاطبني بهما فيه على لسانه :

وَلاَئِـمَـةٍ فِــي الـحُـبِّ لاَ تَـقْـبَلُ الـعُـذْرَا * وَبِـالعَذْلِ مِـنَّا هَـيَّجَتْ فِـي النَّوَى الفِكْرَا
تَـقُـولُ أَمَـا يَـنْـهَاكَ عَـنْ وَرْطَـةِ الـهَـوَى * نُـهَـاكَ وَكَـمْ أَبْـصَـرْتَ فِـيـهِ أَمْـرِهِ مُـرَّا
وَكُــلُّ هَــوى يُـفْـضِي بِـصَاحِبِهِ إِلَــى * هَـوَانٍ فَـدَعْ عَـنكَ الـهَوَى لِـمَنْ اغْـتَرَّا
فَـقُـلْـتُ لَـهَا إِنَّ الـهَـوَى فِـيـهِ رَاحَـتِـي * وَرُبَّ هَـوَانٍ فِـي الـهَوَى كَـشَفَ الـضُّرَّا
فَـقَـالَـتْ أَمَــا شَـاهَـدْتَ مِـمَّـنْ تُـحِـبُّهُ * جَـفَـاءً بِــهِ حُـلْـوُ الـلِّـقَاءِ غَــدَا مُـرَّا
فَــأَوْلاَكَ هَـجْـراً دُونَ ذَنْــبٍ جَـنـيْـتَهُ * بِـهِ عِـنْدَ أَهْـلِ العَقْلِ تَـسْتَوْجِبُ الـهَجْرَا
وَتَـحْـمِلُ مِـنِّـي الـتِّـيهَ بِـالـذُّلِّ وَهْـوَ لاَ * يَـزِيـدُكَ إِلاَّ مَــا بِــهِ تُـعْـدِمُ الـصَّـبْرَا
يُـعَـاتِـبُ فِــي لاَ شَــيْءَ وَالـعَـتْبُ شَـأْنُـهُ * وَلَـوْ فِـي أُمُـورٍ لاَ تُـحِيطُ بِـهَا خبْـرَا
فَـقُـلْـتُ لَـهَـا أَكْـثَـرْتِ فِـي الـعَارِ فَـاتْرُكِي * مَـلاَمَـكِ فَـالـمَحْبُوبُ أَوْسَـعْـتُهُ صَـدْرَا
بِـنَـفْـسِيَ أُفْـدِيـهِ عَـلَـى كُـلِّ حَـالَـةٍ * وَإِنْ يُـرْضِـنِي يَـوْماً فِـدَاهُ فَـلِي الـبُشْرَى

---

(1) إشارة لسهل سائس الممتد على مسافة طويلة بين مدينتي فاس ومكناس، ولطول هذا السهل قال فيه العلامة سكيرج في كتابه الرحلة المكية :

يـا سائسا من طوله * أضحيت في هم طويل
قل لي متى لي تنقضي * فأجابني: بعد العويل

(2) بني مطير قبيلة توجد مواطنها بجنوب مدينة مكناس وجنوبها الشرقي، بطونها أيت بورزوين، وأيت حماد، وأيت نعمان، وأيت ورتيندي، وإيقدار، وءايت بوبيدمان، وءايت حرز الله، وآيت الحسن بن شعيب، وآيت وعلال بن بيطيط، وآيت سليمان.
وكانت طريق سائس وبني مطير من أصعب الطرق وأشقها، نظرا لطولها من جهة، ولكثرة ما بها من اللصوص وقطاع الطرق من جهة ثانية، وعن هذه الطريق يقول العلامة سكيرج في كتابه الرحلة المكية :
وسائس أرض بين فاس ومكناس بسيطة، تجهد السائر فيها لطول مسافته التي يريد قطعها في يوم واحد، وكان الغالب انقطاع الطريق بقطاعها من قبيلة بني مطير وغيرهم.

فَكَمْ فِـي رِضَـاهُ قَـدْ تَلَقَّيْتُ كُلَّمَا * يـحبّ بِـإِذْعَـانِي لَــهُ نَـهْياً أَوْ أَمْـرَا
وَكَــمْ بِــتُّ فِـــي بُسْتَانِهِ مُتَنَعِّماً * بِأُنْسِي بِـهِ لَـمْ أَخْشَى سُوءاً وَلاَ شَرَّا
فَـطَـوْراً يُـعَاطِنِي كُــؤُوسَ سُلاَفَـةٍ * أَزِيـدُ بِـهَا صَـحْواً إِذَا زَادَنِـي سُكْرَا
وَكُبْرَى وَصُـغْرَى مِـنْ حَبَابٍ[1] شَرَابِهَا * عَـلَـى ذَهَــبٍ أَضْـحَـتْ مُـنَظَّـمَـةً دُرًّا
فَـأَنْـظُرُهَا شَـمْـساً تَــلاَلأَ نُـورُهَـا * وَأَشْـرَبُـهَا شَـهْداً[2] إِذَا لَـمْ أَقُـلْ خَـمْـرَا
وَطَــوْراً يُنَاجِينِي بِـسِـحْرِ خِـطَـابِهِ * فَلَمْ أَرَى نَثْراً مِثْلَ مَـا قَـالَ أَوْ شِعْرَا
هُـوَ السِّحْرُ لاَ كَالسِّحْرِ فِيمَا عَرَفْتُهُ * وَرُبَّ فَـتًـى مِــنْ جَهْلِهِ ظَـنَّـهُ سِـحْرَا
فَـيَـأْخُـذُ بِـالأَلْـبَـابِ عِــنْـدَ سَـمَـاعِـهِ * وَهَـلْ هُـوَ إِلاَّ آيَـةٌ فِـي الـوَرَى كُبْرَى
فَـيَـا مَــنْ أَنَــا مَفْتُونُ عَـقْلٍ بِحُبِّـهِ * وَفِي حُبِّهِ قَدْ صِرْتُ مِنْ جُمْلَةِ الأَسْرَى
وَمَــا كُـنْتُ أَخْشَـى بَعْدَ قُرْبِيَ بَعْدَهُ * وَمَـنْ يَـأْمَنُ الدَّهْرَ الـخَؤُونَ يَرَى المَكْرَا
فَـمَـا لِـزَمَانِي قَــدْ رَمَـانِـي بِسَهْمِهِ * وَأَوْقَدَ فِي قَلْبِي بِهِ فِي النَّوَى الجَمْرَا
فَـأَظْهَرْتُ بِالـشَّكْوَى لَـهُ بَعْضَ مَا أَنَا * أُقَاسِيهِ دَهْـراً كَـادَ يُقْصِمُ[3] لِي الدَّهْرَا
فَــأُعْـذِلُـهُ طَـــوْراً وَأَقْـبَـلُ عُـــذْرَهُ * وَيُعْذِلُنِي طَــوْراً وَلاَ يَـقْبَلُ الـعُـذْرَا
وَكَمْ ظلتُ أَشْكُو مِـنْ نَوَائِبِ هَجْرِهِ * وَلَـمْ أَكُ مِنْ بَعْدِ النَّوَى أَحْمِلُ الصَّبْرَا
فَـأَصْـبَـحْتُ بَـوَّاحاً بِـحُـبِّي وَإِنَّـنِـي * لأَطْــوِي بِـــهِ طَـيّاً وَأَنْـشُـرُهُ نَـشْـرَا
أَقُــولُ لَـهُ قَـوْلَ امْـرِئٍ عِـيلَ صَـبْرُهُ * بِـهِجْرَانِ أَحْـبَابٍ لَــهُ يَطْلُبُ الغَفْرَا
أَحِـبَّـتَـنَا جُــــودُوا عَـلَـيْنَا بِـعَـطْـفَـةٍ * وَلاَ تَـجْعَلُوا مِـنْ بَعْدِ بُعْدِكُمُ الـهَجْرَا
وَهَـبْـنَـا[4] أَتَـيْـنَـا كُـــلَّ ذَنْـــبٍ فَـإِنَّـنَـا * مَـحَـوْنَاهُ كُـلَّ الـمَحْوِ بِالتَّوْبَةِ الـكُبْرَى
وَشَــأْنُ كِــرَامِ الـنَّـاسِ أَنْ يَقْبَلُوا الَّـذِي * يَـتُـوبُ وَلاَ يُـبْـقُونَ مِـنْ بَـعْـدِ ذَا كَـسْـرَا
فَـيَا مَـنْ غَـدَا فِي رُتْبَةِ الـمَجْدِ مُفْرَداً * يُرَى فِي مَعَالِي الفَضْلِ بَيْنَ الوَرَى بَدْرَا
وَمَـنْ جَـلَّ فِـي أُولِـي الـكَمَالِ مَقَامُهُ * وَفَــاقَ ذَوِي العُـلْيَا بِـمَا نَـالَهُ فَـخْـرَا
لِـبَابِكَ وَافَــتْ يَــا ابْــنَ زِيـدَانَ خـودَةٌ * تُـرِيدُ قَـبُـولاً مِـنْكَ يَـضْحَى لَـهَا مَـهْـرَا
أَتَــتْ لِـحِمَاكَ الـرَّحْبِ تَـبْـغِي قَـبُـولَهَا * وَحَـاشَـاكَ يَـا مَـوْلاَيَ لاَ تَـقْبَلُ العُـذْرَا

---

(1) الحباب : الفقاقيع التي تعلو الماء أو الخمر

(2) الشهد : عسل النحل ما دام لم يعصر من شمعه القطعة منه شهدة

(3) يقصم : يكسر

(4) وَهَبْنَا أتينا : احسبنا واعددنا

فَـإِنَّكَ يَـا ابْــنَ الأَكْرَمِينَ أَبـاً تُـرَى * مَـحَبَّتُكَ العُـظْمَى بِأَنْفُسِنَا تُـشْرَى
وَإِنَّـا عَـلَى الـوُدِّ القَدِيمِ مَـعَ الـوَفَا * كَـمَا أَنْـتَ تَـدْرِيهِ بِـرَغْمِ الـعِدَا طُـرَّا
فَقَدْ ضَـاعَ عُـمْرِي فِي تَتَبُّعِ وَصْفِكُمْ * لَعَـلِّيَ فِـي مَـدْحِي أُوَفِّـيكُمُ الشُّـكْرَا
فَـلَمْ أَطَّـلِعْ إِلاَّ عَـلَى بَعْضِ مَـا غَـدَا * عُـقُودَ جُمَانٍ نَظْماً قَـدْ زَيَّـنَ النَّـحْرَا
وَلَـمَّـا عَـلِمْتُ أَنَّـنِي لَـمْ أُحِـطْ بِـهِ * أَقَمْتُ بِعَـجْزِي عَـنْ ثَـنَاءٍ لَكُمْ عُـذْرَا
وَأَسْـأَلُكُمْ أَنْ تَقْبَلُوا الـعُـذْرَ سَـائِـلاً * مِـنَ اللَّهِ يُرْقِي فِـي المَعَالِي لَكُمْ قَدْرَا
وَلاَزَالَ فِــي العَـلْيَاءِ يَـرْقَي مَقَـامُكُمْ * وَيَرْعَـاكُمُ المَـوْلَى بِـدُنْيَا وَفِـي الآخْرَى

وكتبت له أيضا محركا بواعث الشوق إليه، وطالبا زيارة محبه وعطفته عليه :

هَلْ لِابْـنِ زِيـدَانَ شَوْقٌ مِثْلُ أَشْوَاقِي * بِــهِ يُـعَـمِّرُ سُـوقاً مِـثْلَ أَسْـوَاقِي
عَـمرت سُـوقاً بِـحُبِّي فِيهِ فِي عُمُرِي * فِـيهِ حَللتُ بِفَرْطِ الـشَّوْقِ أَطْوَاقِي
وَبِـعْتُ حُـبَّ سِـوَاهُ حِينَ صِرْتُ بِـهِ * غَـنِيَّ نَفْـسٍ عَـنِ السِّوَى بِإِطْلاَقِ
تَـرْتَاحُ نَفْـسِي عِـنْدَ ذِكْـرِهِ طَـرَباً * بِــهِ بِـقَلْبٍ شَـجٍ[1] بِالـشَّوْقِ خَـفَّاقِ
مَا مَـالَ إِلاَّ إِلَيْهِ فِي الحُضُورِ وَفِي * مَـغِيبِـهِ لَــمْ يَـزَلْ أَجَــلَّ عَـشَّـاقِ
مَا خَانَ عَهْداً لَهُ فِي الحُبِّ بَعْدَ نَوَى * وَلاَ نَــوَى مَــا بِــهِ تَـفِيضُ آمَـاقِ[2]
فَـاضَـتْ بِـأَدْمُعِـهَا مَمْزُوجَةً بِـدَمٍ * وَلَـمْ أَجِـدْ أَحَـداً يُـرْثِي لِأَشْـوَاقِـي
الـلَّـهُ فِــي كَـبِـدِي بِـمَا أُكَابِدُهُ[3] * وَغَــيْـرُ قُــرْبِـكَ لاَ أَرَاهُ تِرْيَـاقِـي[4]
فَارْحَمْ مُـحِبَّكَ لاَ تَـقْطَعْهُ عَـنْكَ بِـمَا * رَأَيْـتَ مِـنْ بُـعْدِهِ مِـنْ سُوءِ أَخْلاَقِي
فَـإِنَّنِي مِـنْ جَفَاكَ صِرْتُ فِـي نَصَبٍ * لَــهُ عِـدَايَ رَثَــوْا[5] بِـكُلِّ إِشْـفَاقِ
لَـوْ كُنْتَ أَبْصَرْتَ مِنْ بَعْدِ بِعَادِكَ مَا * مَـدَدْتَ مِـنْكَ الـنَّوَى يَـا أَيُّهَا الـرَّاقِي

---

(1) شج : بمعنى شجي، وخففت للضرورة الشعرية
(2) الأمق من العين : هو طرفها الذي يلي الأنف
(3) أكابده : أقاسيه
(4) الترياق : ما يُستعمل لدَفع السَّمّ من الأَدْوية والمَعاجِين
(5) رثوا : حنو وأشفقوا

رَقِيتَ أَوْجَ العُلاَ[1] فَصِرْتَ مُنْفَرِداً * وَفُقْتَ أَهْلَ العَلاَ فِينَا بِأَطْبَاقِ
لِلَّهِ مَا نِلْتَ مِنْ رَفِيعِ مَنْزِلَةٍ * غَدَوْتَ بَدْراً بِهَا مُنِيرَ آفَاقِ
أَضَاْتَ سُبْلَ الهُدَى فَضَاءَ كُلُّ فَضَا * وَازْدَدْتَ نُوراً عَلَى نُورٍ بِإِشْرَاقِ
فَدُمْ لَكَ السَّعْدُ دَامَ بِالسَّعَادَةِ فِي * دُنْيَا وَأَنْتَ بِالآخْرَى فِي العُلاَ رَاقِي

وخاطبته بعد رجوعي من رباط الفتح ومررت على مكناس :

إِلَيْكَ أَبَا زَيْدٍ يُحَرِّكُنِي الجَوَى * وَلَمْ أَرَى نَفْسِي بِي تَمِيلُ إِلَى السِّوَى
فَأَلْزَمْتُهَا بَعْدَ النَّوَى عَنْكَ صَبْرَهَا * فَلَمْ يُجْدِي شَيْئاً ذَاكَ بَعْدَكَ فِي النَّوَى
وَعَلَّلْتُهَا بِالقُرْبِ يَوْماً لَعَلَّهَا * يَزُولُ بِهِ عَنًى[2] بِهِ تَسْقُطُ القُوَى
فَعُدْنَا إِلَى فَاسٍ وَكَانَ رِبَاطُهَا * وَثِيقاً بِمِكْنَاسٍ وَقُرْبُكَ لِي دَوَا
وَإِنْ لَمْ نَزُرْ مِكْنَاسَةً فِي رُجُوعِهَا * فَقَلْبِيَ فِي مِكْنَاسَةٍ دَائِماً ثَوَى[3]
وَإِنِّي بِقَلْبِي قَدْ حَلَلْتُ مُخَيِّماً * وَقَلْبِي عَلَى صِدْقِ مَحَبَّتِكَ انْطَوَى
وَإِنِّي عَلَى عَهْدِ المَوَدَّةِ دَائِماً * مُقِيمٌ وَعَهْدِي لاَ يُغَيِّرُهُ نَوَى[4]
فَرَاعِ بِفَضْلٍ مِنْكَ عَهْدَكَ لِي وَدُمْ * عَلَى الوُدِّ رَغْماً لِلحَسُودِ الَّذِي غَوَى

وكاتبته بقولي :

يَا نَفْحَةً هَبَّتْ بِمَا أَحْيَانِي * فَتَضَوَّعَتْ[5] مِنْ طَيِّهَا أَحْيَانِي
وَلَطَالَمَا قَدْ بِتُّ مُنْتَظِراً لَهَا * وَالشَّوْقُ مِنْ إِضْرَامِهِ أَفْنَانِي
مِنْ بَعْدِمَا كَانَ الحَبِيبُ مُوَاصِلِي * بِرِيَاضِهِ المُتَنَاسِقِ الأَفْنَانِ[6]

---

(1) أوج العلا : أعلاه

(2) العنا : التعب

(3) ثوى : أقام فهو مقيم

(4) النوى : البعد

(5) تضوعت : طابت ووفاحت

(6) الأفنان : جمع فنن، وهو الغصن المستقيم

وَالـيَوْمَ لَـمَّا عِـيلَ صَبْرِي وَانْقَضَى * جَلَدِي[1] أَتَـتْ تُـحْيِّي فُؤَادِي العَانِي
هَبَّتْ عَلَيَّ مِنَ ابْنِ زِيدَانِ الرِّضَى * ذِي الـفَضْلِ وَالإِفْـضَالِ وَالإِحْسَانِ
إِنِّـي مَـعَ الـسَّـادَاتِ أَعْـلَـمُ أَنَّـهُ * فَــرْدُ الـزَّمَـانِ وَعَــادِمُ الأَقْـرَانِ
وَبِـفَـضْلِهِ شَـهِدَتْ ذَوُو الـعَلْيَا كَمَا * شَـهِـدَتْ بِـذَاكَ لَـهُ ذَوُو الـعُدْوَانِ
إِنْ كَانَ ذُو شَرَفٍ يُبَجَّلُ فِي الوَرَى * فَـلِـذَا الـشَّـرِيفِ وَحَـقِّـهِ شَـرَفَانِ
شَــرَفُ لَــهُ طِـينِـي وَدِيـنِـي زَانَـهُ * أَدَبٌ وَعِــلْـمٌ كَــامِـلُ الـرُّجْـحَانِ
وَلَـقَـدْ كَـلِفْتُ بِـحُـبِّهِ وَبِـمَدْحِهِ * وَهُـمَا عَـلَيَّ فِـي الـوَرَى فَـرْضَانِ
لاَ زِلْـتُ أَشْـكُرُهُ وَأَشْـكُرُ كُلَّ مَنْ * يُـنْـمَى لَـهُ[2] مِــنْ شَـاسِـعٍ أَوْ دَانِ
لاَزَالَ مَـيْـمُونَ الـطَّـلِـيعَةِ ظَـافِـراً * دِيـنـاً وَفِـي الآخْـرَى بِـكُلِّ أَمَـانِ

وكاتبني أيضا بعد الرجوع لفاس من رحلتي الأولى بكتاب نثبته هنا تحلية لصدر هذه الرحلة كما اثبتنا غيره حفظا لذلك الدر النفيس المفروغ في سحر الخطاب، والتفنن الذي يسلكه في كل كتاب وجواب، غير ملتفت لما وراء ذلك من الثناء علي في جله، لكوني أتحقق أن مدحه فِي موضوع في غير محله، وإنما كان يرى محاسنه ومزاياه في مرءاها فيصفني بما هو متصف به، والمومن مرءاة أخيه، وكفى ما قلته معذرة، عند من نظر إلى ما نقلناه بعين منكرة، ونص كتابه بعد التصدرة :

رأس عين الأدب، وغاية المنى والأرب، نابغة زمانه، ووحيد أوانه، من زهت الأيام بوجوده، وتيامنت بطلعة سعادة سعوده، الأجل الأمثل البارع، الذي ليس له في كل فضيلة منازع، صاحب المزايا العديدة، والتآليف المفيدة، من هو بجداول بحر الأسرار الأحمدية صهيرج، أبا العباس سيدي أحمد سكيرج، حيا الله بمنه تلك السيادة، وجعل فضائله عليها في الزيادة، ما تفتقت الأفنان عن أزهارها، وتدفقت السلسبيل على أنوارها، ورحمة الله وبركاته، ما غنى طير وأطربت نغماته .

أما بعد : فبينما نحن في أشرف الساعات، وأبرك الأوقات، إذ طلع علينا من حيكم كتاب ألفاظه ألطف من وجنات ورد غرارها الآس، وأسحر من عيون الغيد إذا غار لها النعاس، زين برد البلاغة ووشاه، وتغاير على أخذ الرقة لفظه ومعناه، غنت بلابل حسنه على أفنان حديقته الزاهرة،

---

(1) جلدي : تحملي وصبري

(2) ينمى له : ينسب له

فأيقظت من عهد الألفاظ عيون المعاني الفاترة، أسفر عن صفاء المحب مع السلامة والعافية، وخالص الوداد كما هو منا ومنكم الإعتقاد،

فحمدنا الله على عافيتكم، وسلامة أحوالكم، وسألناه سبحانه أن يحكم سيوف التداني في جيد الفراق، ويطوي مادة البين بالتلاق، فوحق آية تصعد زفرات الهوى، وما من لواعج الأشواق قلبي حوى، لقد تلهبت الأنفس إلى نواكم، وكادت الأفئدة أن تطير إلى حيث سراكم، وصارت تقطع من فيافي السهر كل ميدان، وتوانس من كان مثلها في غربة الأوطان، تسائل عنكم الغوادي والروائح، وتعلل منكم بهبوب الروائح، وهيهات لم يزدها الهبوب إلا وريا للزناد، حتى صارت مثلا بين البلاد والعباد، وقد نفث الخاطر، وهو في بحور الحب حائر، حين الكتب بقصيد، لا يعد شيئا في النشيد، ونصها :

جَفَا الجَفْنُ مِنِّي الكَرَى عِنْدَمَا * رَمَانِي النَّوَى وَبَكَى عَنْدَمَا[1]
وَجِسْمِي ذَوَى[2] مِنْ أَلِيمِ الجَفَا * وَفَرَّ اصْطِبَارِي وَسُقْمِي نَمَا
وَقَلْبِي صَبَا لِنَسِيمِ الصَّبَا * وَمَهْمَا تَهُبُّ يَزِدْ وَصَمَا[3]
وَذُقْتُ وَحَقِّ الهَوَى نَصَباً * وَضَاقَ نِطَاقِي[4] وَمَا انْصَرَمَا[5]
بِحَقِّكِ سُعْدَى فَمُنِّي عَلَى * أَسِيرِ غَرَامٍ قَتِيلِ اللَّمَا
صِلِي فَصْلَهُ وَاجْبُرِي كَسْرَهُ * وَجُودِي بِوَصْلٍ لَهُ كَرَمَا
وَمَمْدُودُ هَجْرِكِ عَنْهُ اقْصُرِي * بِكُلِّ كَمَالٍ إِلَيْكَ انْتَمَا
وَلاَسِيَمَا وَلَيَالٍ مَضَتْ * لَنَا مَعَكُمْ فِي سُرُورٍ سَمَا
وَرَاحَ البُرُورُ بِرَاحِ الهَنَا * يَرُوحُ وَشَمْلِي بِكُمْ نظمَا
وَرِيحُ التَّدَانِي تُرَوِّحُنَا * وَتُنْعِشُ أَرْوَاحَنَا دَائِمَا
جُعِلْتُ فِدَاكُمْ عَلَيَّ اقْبَلُوا * وَمِنِّي اسْمَعُوا وَارْعُوا لِي ذِمَمَا[6]

---

(1) العندم : صبغ أحمر معروف،وقال بعضهم العَنْدَمُ دمُ الغَزال بِلِحاء الأَرْطى يطبخان جميعاً حتى ينعقدا فتختضب به الجواري

(2) ذوى : يبس ونحل

(3) الوصم : العيب يكون في الإنسان وفي كل شيء

(4) النطاق : الأفق والطاقة

(5) انصرم الحبل : انقطع

(6) الذمم : جمع ذمة، وهي العهد والأمان

وَحَـقِّ مَـوَاثِـيقِ عَـهْـدِ الـهَـوَى	*	لَـقَـدْ زَادَنِــي بَيْنُـكُمْ أَلَـمَـا
وَصَـيَّرَنِـي فِــي الــوَرَى مِثْلَهُ	*	فَـصِـرْتُ أُسَـامِرُ نَـجْمَ السَّمَا
وَطَــالَ انْـتِـظَـارِي إِلَــى أَوْبَـةٍ	*	تُـزِيلُ أَسًـى فِي الحَشَا مُحْكَمَا
وَتُـطْـفِـي لَـوَاعِـجَ نَـارِ الـجَـوَى	*	وَمَــا بِـفُـؤَادِي غَــدَا مُـضْـرِمَا
أُهَـيْـلَ الـغَـرَامِ لَـكُـمْ أَشْـتَـكِي	*	لِـكَـيْ أَتَّـخِـذَ مِـنْـكُمُ حَـكَـمَا
حَـفِـظْـتُ عُـهُـودَ حَـبِـيـبِي وَلَـمْ	*	يــراع غَـريـمـاً غَــدَا مُـغـرمَا
فَـهَـلْ مُـنْـصِفِي مِـنْ أَلِـيفٍ أَبَـى	*	زِيَــارَةَ خِــدْنٍ غَــدَا مـغـنـمَا
وَلَـمْ يُـعْـهَـدِ الـهَـجْـرُ مِـنْـهُ لَـنَـا	*	زَمَــانَ الـتَّـصَـابِـي وَلاَ عُـلِـمَـا
أَتُـبْدِي مَـلاَمـاً وَأَنْــتَ الَّــذِي	*	رَغِـبْـتَ عَــنِ الـوَصْـلِ خَـبِّرْ لِـمَا
سُـقِـمْـتُ بِـهَـجْـرِكَ يَــا بُـغْـيَـتِي	*	وَصِــرْتُ بِـلَـوْمِـكَ لِــي أَسْـقَـمَا
صَــرَمْـتَ حِـبَـالَ الـوُصُـولِ وَمَــا	*	رَثَـيْـتَ لِـمَـنْ لِـعُـلاَكَ انْـتَـمَا
فَـجُـدْ بِـالـتَّـدَانِي وَكُــنْ رَاحِـمـاً	*	وَأَبْــرِدْ لَـظَـى بِـالـحَشَا أَضْـرَمَا
وَسَـامِـحْ بِـوَصْـلِـكَ لِــي عَـاجِـلاً	*	فَـلاَزِلْـتَ تُـبْـدِي لَـنَـا حِـكَـمَا
بِــجَـاهِ رَسُـــولٍ جَــلاَ فَـخْـرُهُ	*	وَوَحْــيُ الإِلَــهِ بِـــهِ خُـتِـمَا

هذا وقد يسر الله سبحانه في تشطير الأبيات المنامية وتخميسها،لإلحاقها بكتابنا شرب المدام[1]، ونص التشطير :

---

(1) شرب المدام، بتخميس أبيات رأيتها في المنام، من مؤلفات العلامة سيدي أحمد سكيرج يذكر في مقدمته أنه رآى في منامه قصيدة في مدح سيدنا العباس بن عبد المطلب عم النبي صلى الله عليه وسلم. وهي ذات قافية سينية. ختمت بثلاثة أبيات بلون مخالف لباقي القصيدة. وهو الأحمر.ونص هذه الأبيات الثلاث :

خـذ سنـة الله بيـن خلـقه أبـدا	*	ولـتجعلنها لـديك خير قسطاس
ما عظم المرء آل البيت دون مرا	*	إلا وعـظـم عـنـد الله والـنـاس
فـالحظ بـعين كمال الفضل قدرهم	*	واخضع لهم دائما بالقلب والراس

وقد ظلت هذه الأبيات الثلاث راسخة في ذهنه بعد استيقاظه من النوم. ففرح برؤياه المذكورة أيما فرح. كما طلب من كافة أصدقائه العمل على تخميس هذه الأبيات. فلبت طلبه في ذلك جماعة من خيرة علماء وأدباء جيله. مما دفعه لجمع هذه التخاميس بين دفتي كتاب واحد سماه: شرب المدام بتخميس أبيات رأيتها في المنام

وقد بلغ عدد الذين خمسوا هذه الأبيات ثمانية وأربعين عالما وأديبا. معظمهم من المغاربة. باستثناء أربعة سنغاليين وتونسي واحد.

خُـذْ سُنَّـةَ اللَّهِ بَيْـنَ خَلْقِهِ أَبَـدَا * يَـا مَـنْ يُـرِيدُ فَـخَاراً بَيْنَ أَجْنَاسِ
فَلْتَحْفَظَنْهَا تَـنَلْ مُنَاكَ عَنْ عَجَلٍ * وَلْتَـجْعَلَنْهَا لَـدَيْك خَيْرَ قُـسْطَاسِ
مَـاعَظَّمَ الـمَرْءُ آلَ الـبَيْتِ دُونَ مِرَا * إلاَّ وَنَــالَ الـمُـنَى بِـغَيْـرِ إِلْـبَاسِ
وَلاَ حَـبَاهُمُ ذُو حُـبٍّ وَعَـظَّـمَـهُـمْ * إلاَّ وَعُـظِّـمَ عِـنْدَ الـلَّهِ وَالـنَّاسِ
فَالْحَظْ بِعَيْنِ كَمَالِ الفَضْلِ قَدْرَهُمُ * فَـاللَّهُ طَـهَّرَهُمْ قَـطْعاً مِـن أَرْجَاسِ
وَالْــزَمْ مَـحَـبَّتَهُمْ فَـاللَّهُ أَوْجَـبَـهَـا * وَاخْضَعْ لَهُمْ دَائِماً بِالقَلْبِ وَالرَّاسِ

ونص التخميس :

يَـا مَـنْ بِـحَقِّ إِلَـهِ الـنَّاسِ قَدْ عـبدَا * وَمَـنْ بِـذِكْرٍ سِـوَى مَـوْلاَهُ مَـا وجدَا
وَمُـرْشِداً فِـي الوَرَى فِـي أَمْرِهِ رشدَا * خُـذْ سُـنَّةَ اللَّهِ بَـيـنَ خَلْقِهِ أَبَـدَا
وَلـتَـجْعَلَنْهَا لَـدَيْكَ خَـيْـرَ قُـسْـطَاسِ
وَيَـا نَـبِيلاً عَـلَى الإِسْلاَمِ قَـدْ فُـطِرَا * وَبِـالـنَّبَاهَةِ بَيْـنَ الـنَّاسِ قَـدْ شُـهِرَا
عِـي قَوْلَ ذِي مِقَةٍ بِالصِّدْقِ مُشْتَهِرَا * مَـا عَـظَّمَ الـمَرْءُ آلَ الـبَيْتِ دُونَ مِـرَا
إلاَّ وَعُـظِّـمَ عِـنْـدَ الـلَّـهِ وَالـنَّـاسِ
الـلَّـهُ أَكْـرَمَـهُمْ وَأَعْـلَـى أَمْـرَهُـمُ * وَأَبْدَى رَغْماً عَلَى الأَعْدَاءِ فَخْرَهُمُ
أَبَـانَ فِـي مُـحْـكَمِ التَّنْزِيلِ طهْرَهُمُ * فَـالْحَظْ بِـعَيْنِ كَمَالِ الفَضْلِ قَدْرَهُمُ
وَاخْـضَعْ لَـهُمْ دَائِماً بِالقَلْبِ وَالرَّاسِ

وقد شطرها أيضا بعض الشرفاء، وهو عبد الله بن محمد بن عبد الله العلوي الاسماعيلي، ونص التشطير :

خُـذْ سُـنَّـةَ الـلَّـهِ بَـيْـنَ خَـلْـقِـهِ أَبَـدَا * وَانْـهَـجْ مَـنَاهِجَ أَهْلِ الفَضْلِ فِي النَّاسِ
وَلْـتَـدْأَبَـنَّ عَـلَـيْـهَا صَـــاحِ مُلْتَزِماً * وَلْـتَـجْـعَـلَنْهَا لَـدَيْـكَ خَـيْـرَ قُـسْـطَاسِ
مَـاعَـظَّـمَ الـمَرْءُ آلَ الـبَيْتِ دُونَ مِـرَا * إلاَّ أَتَــاهُ الـغِـنَـى مِــنْ غَـيْـرِ إِفْـلاَسِ
وَلاَ حَـبَـاهُـمُ ذُو حُـــبٍّ وَعَـظَّـمَـهُـمْ * إلاَّ وَعُـظِّـمَ عِـنْـدَ الـلَّـهِ وَالـنَّـاسِ

فَالْحَظْ بِعَيْنِ كَمَالِ الفَضْلِ قَدْرَهُمُ * وَاعْذِلْ ذَوِي العَذْلِ مَا عَلَيْكَ مِنْ بَاسِ
وَالْزَمْ مَوَدَّتَهُمْ فَاللَّهُ أَوْصَى بِهَا * وَاخْضَعْ لَهُمْ دَائِماً بِالقَلْبِ وَالرَّاسِ

وقد أطلعت عليها محب الجانبين، صاحب نظم اللآلي، الفقيه الأجل السيد الغالي، فشطرها وخمسها، ونص تشطيرها :

خُذْ سُنَّةَ اللَّهِ بَيْنَ خَلْقِهِ أَبَدَا * وَمِنْ سَنَاهَا اقْتَبِسْ مِنْ نُورِ مِقْبَاسِ
وَلْتَعْتَمِدْ هَدْيَهَا تَفُزْ بِمَكْرُمَةٍ * وَلْتَجْعَلَنْهَا لَدَيْكَ خَيْرَ قُسْطَاسِ
مَا عَظَّمَ المَرْءَ آلَ البَيْتِ دُونَ مِرَا * وَلَمْ يَكُنْ لِعَلِيِّ الشَّأْنِ بِالنَّاسِ
وَلاَ رَأَى فِي الوَرَى عَظِيمَ مَنْصِبِهِمْ * إلاَّ وَعُظِّمَ عِنْدَ اللَّهِ وَالنَّاسِ
فَالْحَظْ بِعَيْنِ كَمَالِ الفَضْلِ قَدْرَهُمُ * وَطِبْ بِهِ مَسْمَعاً لِطِيبِ أَنْفَاسِ
وَقَبِّلِ الأَرْضَ إِنْ مَسَّتْ لَهُمْ قَدَماً * وَاخْضَعْ لَهُمْ دَائِماً بِالقَلْبِ وَالرَّاسِ

أما التخميس فهو :

يَا مَنْ تَدَيَّنَ بِالسَّمْحَاءِ مُنْذُ بَدَا * وَمَنْ بِالإِخْلَاصِ قَصْدَ رَبِّهِ عَبَدَا
فِي صَفْوِ ذَا الدِّينِ إِنْ مَا تَبْتَغِي لَبَدَا * خُذْ سُنَّةَ اللَّهِ بَيْنَ خَلْقِهِ أَبَدَا
وَلْتَجْعَلَنْهَا لَدَيْكَ خَيْرَ قُسْطَاسِ
وَكُنْ بِهَدْيٍّ سَنَاهَا الدَّهْرَ مُؤْتَمِراً * وَلاتِّبَاعِ رَسُولِ اللَّهِ مُشْتَمِراً
مُعَظِّماً مَعْهُ آلاً أَمْرُهُمْ آمِرَا * مَا عَظَّمَ المَرْءُ آلَ البَيْتِ دُونَ مِرَا
إلاَّ وَعُظِّمَ عِنْدَ اللَّهِ وَالنَّاسِ
أَرَاهُمُ صَفْوَةً فِي النَّاسِ صَدْرُهُمُ * وَفِي غَيَاهِبِ لَيْلِ الجَهْلِ بَدْرُهُمُ
إِنْ تَبْتَغِي الفَوْزَ مِمَّنْ زَانَ بِشْرُهُمُ * فَالْحَظْ بِعَيْنِ كَمَالِ الفَضْلِ قَدْرَهُمُ
وَاخْضَعْ لَهُمْ دَائِماً بِالقَلْبِ وَالرَّاسِ

وقرظت تأليفه المسمى بتغيير الأسعار على من عاب الأشعار بهذه القصيدة :

وَصَلَتْ وَصَالَتْ بَعْدَ طُولِ نِفَارِ[1] * عَـذْرَا وَفِيهَا قَدْ خَلَعْتُ عِذَارِي
وَلَطَالَمَا اسْتَمْنَحْتُ[2] مِنْهَا القُرْبَ كَيْ * تُنْفِي كُرُوبَ القَلْبِ قَبْلَ بَوَارِي[3]
فَتَجُرُّ ذَيْلَ التِّيهِ عَنِّي بَعْدَمَا * أَصْبَحْتُ عَنْ ثَوْبِ اصْطِبَارِي عَارِي
وَلَبِسْتُ مِنْ نَسْجِ النُّحُولِ[4] مَلاَبِساً * فِيهَا غَدَوْتُ عَنِ العِدَا مُتَوَارِي[5]
فَأَمُرُّ مِنْ بَيْنِ الوُشَاةِ فَلاَ يَرَى * شَخْصِي النَّحِيلَ لَدَى المَمَرِّ مُمَارِي[6]
وَالآنَ قَدْ جَادَتْ عَلَيَّ فَلَمْ أَزَلْ * فِي جَنَّةٍ وَعَوَاذِلِي فِي نَارِ
قَالَتْ أَمَا تُرْضِيكَ مِنِّي عَطْفَةٌ * تُشْفِي الضَّنَى مِنْ بَعْدِ شَطِّ مَزَارِ
فَأَجَبْتُهَا هَاذِي مُنَايَ فَدَارِكِي[7] * قَبْلَ المَنَايَا صَبَّكِ المُتَوَارِي
فَأَزَالَتِ الحُجُبَ الَّتِي كَانَتْ بِهَا * مَحْجُوبَةً فَظَفِرْتُ بِالأَوْطَارِ
وَبَلَغْتُ مَا أَمَّلْتُهُ مِنْ وِدِّهَا * رَغْماً عَلَى أَنْفِ العِدَا الأَغْمَارِ[8]
فَكَأَنَّ وَقْتَ مَسَرَّتِي بِمَزَارِهَا * وَقْتٌ بِمِكْنَاسٍ لَدَى المِزْوَارِ[9]
ذَاكَ النَّقِيبُ أَبُو المَوَدَّةِ ذُو العَلاَ الـ * ـعَلَوِي الرِّضَى المَمْنُوحُ بِالأَسْرَارِ
ذَاكَ النَّقِيبُ أَبُو الهُدَى السَّنَدُ الَّذِي * لِعُلاَهُ أَذْعَنَ سَائِرُ الأَحْرَارِ
ذَاكَ الرِّضَى المَوْلَى أَبُو زَيْدٍ مَحَـ * ـلُّ الفَضْلِ وَالعِرْفَانِ وَالأَنْوَارِ
لِلَّهِ سَاعَاتٌ تَقَضَّتْ عِنْدَهُ * لَمْ أَنْسَهَا فِي لَيْلَتِي وَنَهَارِي

---

(1) النفار : بمعنى الهجر

(2) استمنحت منها : طلبت منها أن تمنحني

(3) البوار : الأرض التي لم تزرع

(4) النحول : من النحالة وهي الهزال والضعف

(5) متواري : مستتر

(6) مماري : مجادل، ومنه قوله تعالى : فبأي آلاء ربك تتمارى

(7) دارك : اسم فعل بمعنى أدرك

(8) الأغمار : الذين يحملون الحقد والغل والعداوة

(9) المزوار: يعني المقدم والنقيب، والمراد به هنا العلامة سيدي عبد الرحمان بن زيدان

قَـدْ كَـانَ حَفَّنِيَ الـسُّرُورُ بِقُرْبِـهِ * فِـي مَجْمَعٍ قَـدْ حُفَّ[1] بِالأَخْيَارِ
وَرَأَيْـتُ مِـمَّا قَـدْ أَرَانِـي جُمْلَةً * مِـمَّـا يُؤَلِّـفُـهُ مِــنَ الأَسْـفَـارِ
طَالَعْتُهَا فَـرَأَيْتُ سِـرّاً بَـاهِراً * وَعُـلُـومَ فَـتْحٍ أَذْهَـبَتْ أَكْـدَارِي[2]
مِـنْهَا تَآلِيفُ المَدِيحِ أَتَـى بِـهَا * فِــي خِـدْمَـةٍ لِـجَلَالَةِ الـمُـخْتَارِ
وَأَتَــى بِتَغْيِّيرٍ لِأَسْـعَـارٍ عَـلَـى * مَنْ عَـابَ أَهْلَ الـشِّعْرَ فِي الأَشْعَارِ
فَـرَأَيْتُهُ أَغْـنَـى بِـهِ عَــنْ غَـيْـرِهِ * مِـمَّـا بِــهِ يُـشْفِي مِــنَ الأَغْـيَارِ
لِـلَّـهِ مَــا أَبْــدَاهُ فِـيـهِ كَـأَنَّـهُ * سِـحْرٌ قَـدِ اسْتَوْلَى عَلَى النُّظَّارِ
بِـفَصَاحَةٍ قَــدْ زُيِّـنَـتْ بِـبَلَاغَةٍ * فِيهَا الـسِّوَى بِوَغَاهُ غَيْرُ مُجَارِ
فِـي كُـلِّ عِلْمٍ إِنْ تَـكَلَّمَ لَـمْ يَـدَعْ * لِـسِوَاهُ قَـوْلاً وَهْـوَ قُـطْبُ مَـدَارِ
إِنْ رُمْـتَ تَـشْهَدُ مَا ذَكَـرْتُ فَهَذِهِ * كُـتُـبٌ لَــهُ مَـنْـشُورَةٌ لِـلـقَارِي
فَـتَرَى مُـطَالِعَهَا يُطَالِعُهَا وَقَـدْ * أَخَـذَتْـهُ مِـنْـهُ نَـشْـوَةُ الـتِّـذْكَارِ
فَانْظُرْ رَعَـاكَ الـلَّهُ مِنْهَا مَـا أَزَا * لَ بِـهِ عَـنِ الـشُّعَرَاءِ وَصْـفَ العَارِ
وَلِـمَنْ يُعِيبُ الـشِّعْرَ وَجِّهْهُ وَيَـا * لِـلَّـهِ مَــا أَبْــدَاهُ مِــنْ آثَــارِ
وَكَفَى بِأَنْ كَافَى الَّذِي قَدْ عَابَ قَرْ * ضَ الـشِّـعْرِ بِـالتَّغْيِّيرِ لِـلأَشْـعَارِ
وَلَقَدْ عَـجِبْتُ لِـمَنْ يُعِيبُ الشِّعْرَ إِنْ * يَـكُ فِـي القَرِيضِ يُرَى أَخَا اسْتِشْعَارِ
وَالـشِّعْرُ يُـنْبِئُ عَــنْ نَـبَاهَةِ قَـائِ * لِـيـهِ لِأَنَّــهُ الـمِـعْيَارُ لِـلأَفْـكَارِ
مَـا عَـابَهُ مَـنْ كَـانَ يُـحْسِنُ وَزْنَـهُ * أَوْ كَــانَ يَـعْـرِفُـهُ مَــعَ اسْـتِبْصَارِ
أَمَّـا الَّـذِي عَـجَزَتْ قَرِيحَتُهُ عَـنِ الـ * ـإِفْـصَاحِ عَـنْهُ فَـهْوَ فِـيهِ يُـمَارِي
يُثْنِي عَـلَى الأَشْعَارِ مَـنْ يَدْرِي مَعَا * نِـيـهَا وَعَــنْ عَــارِ الـجَهَالَةِ عَـارِي
لَـوْ لَـمْ يَـكُنْ لِلشِّعْرِ وَالـشُّعَرَاءِ قَدْ * رُ بِـالـشُّـعُورِ بِـرِفْـعَـةِ الـمِـقْدَارِ
لَـمْ يَـفْتَخِرْ يَـوْمًا بِـهِ العَرَبُ الأُلَى * فَــاقُـوا بِـفِـقْهِهِمُ عَـلَـى الأَنْـظَارِ
وَيُـرَى لَـدَيْـهِمْ فِـي مَـحَافِلِ حَـافِلٍ * يُـصْـغَى لَـدَيْـهِ بِـسَائِرِ الأَقْـطَارِ

(1) حف به : حفاف الشيء ما استدار حوله وأحدق به

(2) أكداري : أحزاني

لَـوْ لَـمْ يَكُنْ لِلشِّعْرِ فِيهِمْ رُتْبَةٌ * مَـــا عَـلَّـقُوهُ بِـكَعْبَةِ الأَنْـــوَارِ[1]
يَسْتَشْهِدُ العُلَمَا بِـهِ فِي العِلْمِ إِنْ * رَامُـــوا اتِّـضَـاحَ الـعِـلْـمِ لِـلنُّظَّارِ
لَوْ لَمْ يَكُنْ لِلشِّعْرِ شَأْنٌ مَا أَتَى الـ * ـقُـــرْآنُ نَـثْـراً فَـائِـقَ الأَشْـعَــارِ
فَأَتَى الـكِتَابُ وَلَيْسَ شِعْراً مُعْجِزاً * فِــي نَـثْـرِهِ الـشُّـعَرَا ذَوِي الأَفْـكَـارِ
أَكْـرِمْ بِـهِ نَثْراً يَـفُوقُ الـشِّعْرَ فِـي * إِعْـجَـازِهِ فِـــي الـحُـكْـمِ وَالأَسْـرَارِ
مَـا كَـانَ لِلعَرَبِ احْتِفَالٌ بِـالكَلاَ * مِ النَّثْرِ مِثْلَ الشِّعْرِ فِي اسْتِمْرَارِ
مِـنْ حَيْثُ أَنَّ النَّثْرَ مُقْتَدَرٌ عَلَى * إِنْـشَـائِـهِ وَالـشِّـعْـرُ ذُو مِـقْـدَارِ
وَأَتَـاهُـمُ الـقُـرْآنُ نَـثْـراً مـعـجباً * لَـهُـمْ وَمُعْجِزَهُمْ بِـلاَ اسْتِنْكَارِ
لَــمْ يَـقْدِرُوا يَـاتُوا بِـسُورَةِ مِثْلِهِ * نَـثْـراً فَـأَحْرَى الـشِّعْرَ لِـلشُّعَّارِ
لَـوْ جَـاءَهُمْ شِـعْراً لَقَالُوا مِثْلَ مَـا * قَـــدْ قَــالَ جَـاحِـدُهُ مِــنَ الـفُـجَّارِ
مَـا كَـانَ فِي الـشُّعَرَا وَقَالُوا شَاعِرٌ * وَمُـرَادُهُـمْ بِـالـشِّعْرِ رَمْــيُ الـعَـارِ
فَـوَقَـاهُ شَـرَّهُـمُ الإِلَــهُ وَلَـمْ يَـعُدْ * إِلاَّ عَـلَـيْـهِـمْ عَــارُهُـمْ بِـخَـسَـارِ
وَلَـقَـدْ تَـنَـزَّهَ أَنْ يَـكُـونَ بِـشَـاعِرٍ * وَالـشِّـعْـرُ يُـقْـصِيهِ لِـلاسْـتِكْبَارِ
وَمَـتَـى يُـــذَمُّ لِـوِجْـهَةٍ فَـلِأَوْجُـهٍ * قَـــدْ صَـــارَ يَـمْـدَحُهُ ذَوُو الأَنْـظَـارِ
وَتَـخَـالُفُ الأَحْـكَـامِ قَـدْ تَـعْرُوهُ فِـي * أَطْـــوَارِهِ فِـــي وَرْطَـــةِ الأَوْطَــارِ
لَـكِـنَّهُ إِنْ عِـيـبَ فَـهْـوَ لِـعَـارِضٍ * وَالأَصْــلُ فِـيـهِ الـمَـدْحُ دُونَ تَـمَـارِ
فَـبِـهِ تَـمَـثَّلَ مَــنْ لَــهُ لاَ يَـنْـبَغِي * إِنْ لَــمْ يَـكُـنْ يُـنْـشِئُهُ فِــي آثَـارِ
وَلَـكَمْ صَـحَابِي قَـامَ يُـنْشِدُ شِـعْرَهُ * فِـي مَـحْفِلِ الأَصْـحَابِ وَالـمُخْتَارِ

---

(1) المعلقات : هي القصائد السبع الطوال التي سمتها العرب السموط، لأنها مختزن حكمتهم، ومستقر بلاغتهم، وغاية ما وصل إليه الخيال من شاعريتهم، وقد قال بعض الرواة أنهم من فرط شغفهم بهذه القصائد وشدة إكبارهم لها كتبوها بماء الذهب على القباطي وعلقوها على الكعبة، الأولى من هذه القصائد لامرئ القيس، والثانية لطرفة بن العبد البكري، والثالثة لزهير بن أبي سلمى المزني، والرابعة للبيد بن ربيعة، والخامسة لعمرو بن كلثوم التغلبي، والسادسة لعنترة بن شداد العبسي، والسابعة للحارث بن حلزة اليشكري، أنظر مجموع مهمات المتون ص 783-822،

وَأَجَـازَهُ الـمُخْتَارُ خَـيْـرَ جَـوَائِـزٍ * وَأَتَــتْ بِــذَاكَ جُـمْـلَـةُ الأَخْـبَـارِ[1]
هَـذَا وَقَـدْ وَافَـى النَّـقِيبُ بِمَا بِـهِ * يُشْـفِي الغَـلِيلَ لِطَالِبِ الأَشْعَارِ
وَأَتَــى بِـأَبْـكَارِ الـفُنُونِ تَـزَيَّـنَتْ * فِــي رَوْضَــةٍ بِـنَـتَائِجِ الأَفْـكَارِ
فَـالـلَّـهُ يَـمْـنَـحُـهُ كَـمَـالَ عِـنَـايَـةٍ * وَيَـحُـوطُـهُ مِــنْ سَـائِـرِ الأَشْـرَارِ
وَيُـنِـيـلُـهُ بَـيْـنَ الأَنَــامِ بِـفَـضْـلِـهِ * دُنْـيَـا وَأُخْــرَى سَـائِـرَ الأَوْطَــارِ

فلما وصلته هذه القصيدة كتب إليَّ زاد الله في معناه:

حَـيَّـتْ فَـأَحْيَتْ بَـعْدَ شَـطِّ مَـزَارِ * خَـوْدٌ بِـهَا صَـبْرِي غَـدَا مُتَوَارِي
تَـاهَـتْ فَـتَـاةَ غَـرِيمُـهَا بِجَمَالِهَا * بِــمَـفَـاوِزِ الأَوْعَــارِ[2] وَالأَخْــطَـارِ
وَرَمَـتْ عَلَى عَـمَدٍ قَـتِيلَ غَـرَامِهَا * بِـرِمَـاحِ جَـفْـنٍ فَـاتِـنٍ سَـحَّـارِ
عَـيْـنُ الـمَـهَا كَـادَتْ تُـمَاثِلُ لَـحْظَهَا * وَالأُسُّ[3] يَـحْـكِي عَـرْفَـهَا الـمِعْطَارِ
وَالـبَـانُ[4] يُـشْـبِـهُ قَـدَّهَـا لَــوْ أَنَّــهُ * قَــدْ جَـمَّـلَـتْهُ نَـفَـائِسُ الأَزْهَــارِ
رَقَّـــتْ شَـمَـائِـلُـهَا وَرَاقَ مَـدِيـحُـهَا * لِـرَقِـيـقِـهَا بِـرَقَـائِـقِ الأَشْــعَـارِ
فَـكَـأَنَّـهَا شَـمْـسُ الـضُّـحَى أَوْ أَنَّـهَـا * بَــدْرُ الـدُّجَا يَـسْنُوا عَلَى الـسُّمَّارِ[5]

---

(1) من هذا القبيل ما ذكره الحافظ ابن حجر في كتابه الإصابة، في تمييز الصحابة، عن سعيد بن المسيب قال : لما انتهى إلى كعب بن زهير قتل بن خطل، وكان بلغه أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أوعده بما أوعد به خطل، قيل لكعب : إن لم تدارك نفسك قتلت، فقدم المدينة، فسأل عن أرق أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، فدل على أبي بكر، فأخبره خبره، فمشى أبو بكر وكعب على أثره، وقد التثم حتى صار بين يدي النبي صلى الله عليه وآله وسلم، فقال : رجل يبايعك، فمد النبي صلى الله عليه وآله وسلم يده، فمد كعب يده فبايعه، وأسفر عن وجهه، فأنشده قصيدته التي يقول فيها :

نبئت أن رسول الله أوعدني * والعفو عند رسول الله مأمول

وفيها :

إن الرسول لنور يستضاء به * مهندٌ من سيوف الله مسلول

فكساه النبي صلى الله عليه وآله وسلم بردة له، فاشتراها معاوية من ولده، فهي التي يلبسها الخلفاء في الأعياد.

(2) الأوعار : جمع وعر، وهو المكان المخيف

(3) الآس : شجر دائم الخضرة، بيضي الورق، أبيض الزهر أو ورديه، عطري، وثماره لبية سود، تؤكل غضة، وتجفف فتكون من التوابل

(4) ضرب من الشجر، سبط القوام لين، ورقه كورق الصفصاف، ويشبه به الحسان في الطول واللين

(5) السمار : جمع سامر، وهو الذي يجلس للحديث مع أصدقائه ليلا

أَوْ أَنَّهَا نَظْمُ الأَدِيبِ المُرْتَضَى * بَحْرِ العُلُومِ نُخْبَةِ الأَخْيَارِ
مَنْ سَادَ أَهْلَ زَمَانِهِ بِفَخَارِهِ * مُبْدِي المَعَارِفِ شَامِخِ المِقْدَارِ
حَامِي حِمَى الأَدَبِ الرَّطِيبِ اليَانِعِ الـ * غَضِّ الطَّرِيِّ بِسَائِرِ الأَمْصَارِ
أَعْنِي السَّرِيَّ سُكَيْرِجَ المَمْنُوحِ بِالتَّـ * عْظِيمِ وَالتَّبْجِيلِ فِي الأَقْطَارِ
ذَاكَ المُفَدَّى أَحْمَدُ الأَفْعَالِ مَنْ * لِذَكَاهُ قَدْ خَضَعَتْ ذَوُو الأَنْظَارِ
عَارٍ عَنِ الأَكْدَارِ إِلاَّ أَنَّهُ * طِفْلٌ تَجَرَّدَ مِنْ مَلاَبِسِ عَارِ
وَلِبَانُ عِرْفَانٍ تَغَدَّى وَارْتَدَى * بِرِدَا التُّقَى مُتَأَزِّراً بِوَقَارِ
لِلَّهِ مَا أَبْدَاهُ فِي تَقْرِيظِهِ الرَّ * وْضَ الأَرِيضَ نُزْهَةَ الأَبْصَارِ
وَشَّى بِهِ جِيدَ الطُّرُوسِ مُفَاخِراً * بِكِتَابِنَا التَّغْيِيرِ لِلأَسْعَارِ
فَجَزَاهُ مَنْ أَوْلاَهُ كُلَّ فَضِيلَةٍ * بِوِقَايَةٍ مِنْ سَائِرِ الأَكْدَارِ
وَأَنَالَهُ فَوْراً تَمَامَ مَرَامِهِ * بِمُحَمَّدٍ وَبِآلِهِ الأَطْهَارِ
صَلَّى عَلَيْهِ اللَّهُ مَا هَبَّتْ صَبَا * وَسَمَا الغَرِيمُ بِنَسْمَةِ الأَسْحَارِ
وَعَلَى ذَوِيهِ ذَوِي المَكَارِمِ وَالنَّدَى * وَصِحَابِهِ أَهْلِ التُّقَى الأَبْرَارِ
مَا قَالَ ذُو وَجْدٍ غَرِيمٍ شَيِّقٍ * حَيَّتْ فَأَحْيَتْ بَعْدَ شَطِّ مَزَارِ

وكتبت له رسالة ضمنها :

كِتَابِي إِنْ وَصَلْتَ إِلَى حَبِيبِي * فَقَبِّلْ كَفَّهُ بَطْناً وَظَهْرَا
وَخَبِّرْهُ بِأَشْوَاقِي إِلَيْهِ * عَسَاهُ بِمَا لَقِيتُ يُحِيطُ خبْرَا

وهذه الأبيات إلا أني لم أراع فيها الروي الأصلي فجعلته نونا :

مَا بَالُ مَحْبُوبِ قَلْبِي صَارَ يعْذِلُنِي * وَكُنْتُ أَعْهَدُهُ مِنْ قَبْلِ يعذرني
وَلَمْ أَكُنْ نَاقِصاً لِلعَهْدِ بَعْدَ نَوَى * مَا كَانَ قَلْبِي نَوَى[1] بِهِ يُعَذِّبُنِي
قَدْ كُنْتُ سَالِيَ بَالٍ لَمْ أُبَالِ بِمَنْ * فِي الحُبِّ عَنَّفَنِي أَوْ فِيهِ يَرْحَمُنِي

---

(1) نوى : بمعنى ظن

حَـتَّـى تَـمَـكَّنَ مِـنِّـي حُـبُّـهُ وَبِـهِ * قَــدْ قَـادَنِي وَبِـحَبْلِ الـوُدِّ قَيَّدَنِي
وَزَادَنِـي فِـيهِ عِـشْقاً فِـي نَـوَاهُ وَفِـي * قُـرْبِـي لَـهُ صِـدْقُ حُـبٍّ مِنْـهُ قَرَّبَـنِي
مَـنْ مُنْـصِفِي مِنْهُ وَهْـوَ مَـالِكِي وَأَنَـا * لَـمْ أَلْـفَى مِـنْ شَافِعٍ لَدَيْهِ يُنْصِفُنِي
حَاشَا ابْـنَ زَيْدَان فَهْوَ كَادَ يُنْصِفُ لِي * مِـنْ نَـفْسِهِ بَـعْدَمَا قَـدْ كَـانَ أَبْـعَدَنِي
نَـفْسِي فِـدَاهُ وَإِنْ مَـدَّ الـنَّوَى وَأَنَـا * قَـصَّرْتُ حُـبِّي عَـلَيْهِ وَهْـوَ يُعَذِّبُنِي
يَا سَاكِنَ القَلْبِ هَلْ لِلقُرْبِ تَضْمَنُ لِي * مِـنْكَ الـرُّجُوعَ فَكُرْبِي كَـادَ يُعْدِمُنِي
إِنْ لَـمْ تُـلاَفِي بِـعَوْدٍ أَحْـمَدٍ رَمَقِي * أَيْـقَـنْتُ أَنَّــكَ قَــدْ أَرَدْتَ تُـتْلِفُنِي
مَـاذَا الـجَفَاءُ أَبَـا زَيْـدٍ وَتُـنْسِبُ لِـي * بِـتُـهْـمَةٍ أَنَّـنِي جَافِيكَ فِـي زَمَـنِي
إِنْ كُنْتَ مُتَّهِمِي فِي الحُبِّ بَعْدَ نَوَى * فَـاللَّهُ يَـعْلَمُ أَنَّ الـقَلْبَ فِـيكَ فَـنِي
عَـجِبْتُ مِـنْكَ وَمِـنِّي كَـيْفَ تُـحْمِلُنِي * عَـلَـى الـجَفَا وَبِــهِ أَرَاكَ مُـمْتَحِنِي
وَكُـلَّـمَا زِدْتَـنِـي هَـجْـراً أَزِيــدُ بِــهِ * حُـبّاً وَمِنْ بَعْدِ بُعْدِي لَسْتُ عَنْكَ عَنِي
فَـكُنْ كَـمَا كُـنْتَ قَبْلُ رَاعِـيّاً ذِمَـمِي * وَالـلَّهُ يَـرْعَاكَ فِـي سِـرٍّ وَفِـي عَـلَنِ

وكتبت هذه القطعة لينشدها في الروضة الشريفة عندمَا يصل إليها قبالة الضريح النبوي عندمَا مر بطنجة قاصدا الديار الحجازية وكنت بها مقيما :

سَـيِّدِي أَطْلُبُ الـمَمَاةَ عَـلَى الـحُسْـ * ـنَى وَأُعْطَى الحُسْنَى وَحُسْنَ الزِّيَادَهْ[1]
وَأَنَــالَ الـرِّضَـا مِـنَ الـلَّهِ فِـي الـدَّا * رَيْـنِ لِـي وَالـمُنَى وَطُـولِ الـسَّعَادَهْ
وَغِنًى فِي الدُّنْيَا وَالأُخْرَى عَنِ الغَيْـ * ـرِ وَحُـسْـنِ الـقَبُولِ ثُــمَّ الـشَّهَادَهْ
وَبُـلُـوغَ الـمُـنَى بِـرُؤْيَـةِ وَجْــهٍ * لَـكَ فِـيهِ عِـنْدِي كَـمَالُ الـعِبَادَهْ
وَكَـمَـالَ الـغِنَى بِـرُؤْيَـةِ وَجْـهِ الـ * ـلَّـهِ وَالـفَـوْزِ فِـي خَـوَارِقِ عَـادَهْ
وَلِأَهْــلِـي مَـــعَ الأَحِـبَّـةِ طُـــرّاً * وَلِـكُـلِّ الإِخْـوَانِ أَهْـلِ الـسِّيَادَهْ

فواعدني أمنه الله بإنشادها هناك، وقد فعل وكتب لي تحتها :

(1) إشارة لقوله تعالى : للذين أحسنوا الحسنى وزيادة

حِلْفَ الوِدَادِ أَبَا العَبَّاسِ أَحْمَدَ مَنْ * حَازَ الكَمَالَ وَنَالَ كُلَّ إِحْسَانِ
أَبْشِرْ وَفَاكَ الَّذِي تَرْجُو وَتَأْمُلُهُ * فَوْراً وَحُزْتَ المُنَى بِكُلِّ سُلْوَانِ

وكاتبته معاتبا على نفوره من غير سبب وقطع مكاتبته :

كَفَى مَا أُلاَقِي فِي النَّوَى مِنْكَ مِنْ جَوَى * وَمَنْ حُرْقُ قَلْبِيَ الكَئِيبِ بِهَا انْكَوَى
زَعَمْتَ بِأَنِّي عَنْكَ قَدْ صِرْتُ سَالِياً * وَكَيْفَ سُلُوِّي عَنْكَ يُوجَدُ بِالسِّوَى
أَمَا وَسُوَيْعَاتٍ بِهَا كُنْتُ فِي هَنَا * بِوُدِّكَ لِي رَغْماً عَلَى أَنْفِ مَنْ عَوَى[1]
لِأَنِّي كَمَا تَدْرِي عَلَى العَهْدِ لَمْ أَحِدْ * عَنِ العَهْدِ فِي الحَالَيْنِ فِي القُرْبِ وَالنَّوَى
فَمَنْ مُنْصِفِي يَا مَالِكِي مِنْكَ فِي المَلاَ[2] * وَقَدْ زَادَنِي الزِّيدَانُ فِيكَ هَوًى ثَوَى
يَرَى اللَّوْمَ مِنِّي أَنَّنِي أَسْتَحِقُّهُ * فَقَصَّرْتُ مِنْ لَوْمِي لَدَيْهِ لِيَرْعَوَى[3]
أَبَا زَيْدٍ اتْرُكْ عَنْكَ هَجْرِي وَعُدْ إِلَى * رِيَاضٍ قَرِيبٍ مِنْكَ هَا غَرْسُهُ ذَوَى[4]
عَهِدْتُ بِهِ الأَفْنَانَ يَانِعَةً وَقَدْ * دَنَتْ لِقُطُوفٍ لِلمُحِبِّ بِمَا نَوَى[5]
فَمَا سَبَبُ الإِعْرَاضِ عَنِّي وَلَمْ يَكُنْ * لَدَيْكَ مِنَ أَغْرَاضٍ تُسَبِّبُ الإِنْزِوَا
وَمَا زَالَ حُبِّي فِيكَ غَيْرَ مُعَلَّلٍ * بِشَيْءٍ إِذَا كَانَ الهَوَى يُفْسِدُ الهَوَى
فَعُدْ لِي كَمَا قَدْ كُنْتَ خِلاًّ[6] مُلاَطِفاً * فَإِنِّي مِنْكَ اعْتَدْتُ مَا فِيهِ لِي الدَّوَا
عَلَيْكَ سَلاَمٌ طَيِّبٌ مِنْ سُكَيْرِجٍ * عَلَى صِدْقِ حُبٍّ فِيكُمُ قَلْبُهُ انْطَوَى[7]

وقلت في ذلك:

---

(1) عوى : صوت الكلب والذئب وابن آوى، لوى خطمه ثم صاح صياحا ممدودا ليس بنباح، فهو عاو، والمراد به هنا عواء الكذابين الذين يمشون بين الناس بالغيبة والنميمة
(2) الملا : الجماعة وأشراف القوم وسراتهم
(3) ليرعوى : لينكف وينزجر
(4) ذوى : ييبس وجف
(5) بما نوى : بما قصد
(6) الخل : الصديق المختص
(7) انطوى : اندرج

مَـا لِابْـنِ زِيـدَانَ زَادَ فِـي تَـحَامُلِهِ * عَـلَيَّ مِـنْ بَعْدِمَا قَدْ كَانَ فِي عَضُدِي[1]
كَـأَنَّـهُ نَـسِـيَ الـعُـهُـودَ أَوْ نَـقَضَ[2] الـ * ـإِخَـاءَ أَوْ بَـثَّ فِـيـهِ الـبُـغْضَ ذُو حَـسَدِ
أُعِـيـذُهُ مِـنْ دَوَامِ الـهَـجْرِ لِـي وَدَوَا * عِـي الـشَّرِّ لِـي عِـنْدَهُ بِـالوَاحِدِ الأَحَـدِ
وَكَـمْ أَطَلْتُ لَـهُ الـدُّعَا وَحَـاشَ بِـأَنْ * لاَ يَـسْـتَجِيبَ وَلَـكِـنْ كَـيْفَ لَـمْ تـجدِ
عَـهْـدِي بِـأَنَّـكَ لاَ تَـرْضَـى مُـقَاطَعَتِي * بِـاللَّـهِ قُـلْ لِّـيَ مَـا فَـعَلْتُ مِـنْ أَوَدِ[3]
وَمَـا بِـهِ عِـنْدَكَ اسْـتَـوْجَبْتُ مَـعْـصِيَةً * فِـي الـحُبِّ حَـتَّى تَـرَكْتَ الـوُدَّ فِي جَلَدِي
وَأَنْـتَ سَـامَـحَكَ الـمَوْلَى تَـرَكْتَ عَـلَى * عَـمْـدٍ جَـوَابِي بِـهَا أَنْ سَـاءَ مُـعْتَقَدِي
مَـهْـلاً عَـلَـيْكَ أَبَـا زَيْـدٍ فَـمَا سَـبَبُ الـ * ـجَـفَاءِ قُـلْ لِـي عَـسَى أَتُوبُ مِنْ لَدَدِي[4]
كَـمْ مِـنْ مُـحِـبٍّ يَـوَدُّ أَنْ أُكَـاتِـبَهُ * وَلاَ يَـزَالُ حَـرِيـصاً عَـنْ جَـوَابِ يَـدِي
وَأَنْـتَ أَنْـتَ الَّـذِي عَـمْداً تُـعَامِلُنِي * بِـالـهَـجْرِ مِـنْـكَ وَبِـالـجَوَابِ لَـمْ تَـجُدِ
وَاهًا[5] عَـلَـيْكَ فَـوَاهًا لَـوْ أَجَـبْتَ وَلَـوْ * بِـالـلَّـوْمِ وَالـشَّـتْمِ وَالـتَّـوْبِيخِ وَالـحَـرَدِ
وَإِنَّـمَا الـنَّفْسُ فِـيكَ فِـي الـوِدَادِ وَفِـي الـ * ـمَـلاَمِ حِـرْصاً عَـلَى إِرْغَـامِ مُـنْتَقِدِ
وَكَـمْ أُعَـلِّلُـهَا فِـي كَـشْـفِ عِـلَّتِـهَا * مِـمَّا تُـلاَقِيهِ مِـنْكَ الـيَوْمَ قَـبْلَ غَـدِ
وَبَـعْدَ هَـذَا إِذَا أَطَـلْتَ فِـي تَـعَبِـي * أَقُـولُ صَـبْراً فَـغَيْرُ الـصَّبْرِ لَـمْ يُـفِدِ

وقلت فيه :

يَا ظَبْيُ فِي مكنسٍ[6] فِي حَيِّ مِكْنَاسِ * هَلْ أَنْتَ تَعْرِفُ أَنَّ الظَّبْيَ مِنْ نَاسِي
ظَـبْيِي ابْـنُ زِيدَانَ لاَ ظَبْيَ الفَلاَةِ وَهَلْ * دَرَى بِـإِيـحَاشِهِ عَـدِمْـتُ إِيَـنَـاسِي
لاَ أَوْحَـشَ الـلَّـهُ رَبْـعاً كَـانَ سَاكِنَهُ * فَـإِنَّـنِي كَـمْ بِـهِ تَـطِيبُ أَنْـفَاسِي

---

(1) عضدي : ناصري ومعيني
(2) نقض الشيء : أفسده وأبطله بعد إحكامه
(3) الأود : الإعوجاج
(4) اللدد : الخصومة الشديدة
(5) وها : كلمة تعجب من طيب كل شيء، يقال واها له وبه ما أطيبه، وتأتي للتلهف فيقال واها على ما فات
(6) المكنس : الكناس يأوي إليه الوحش من الظباء والبقر في الحر

إِيـهِ[1] أَبَــا زَيْــدٍ الـمَلْحُوظ مَنْصِبُهُ * مَـا فِي وِصَالِكَ لِي وَاللَّهِ مِنْ بَاسِ
دَعْ عَنْكَ هَجْرِي وَعُدْ لِمَا عُهِدْتَ بِهِ * مِـنْ حُسْـنِ وُدٍّ بِـهِ أَذْهَبْتَ وَسْوَاسِي
مَـا كُنْتُ أَعْـهَدُ مِنْكَ أَنْ تَمُدَّ نَوَى * عَـهِدْتُهَا قصرتْ مِـنْ بَيْنِ جُلاَسِي
كُـنَّا عَلَى الـوُدِّ لاَ نَخْشَى مُعَادِيَنَا * وَالـدَّهْرُ يَعْنُـو[2] لَنَا بِـالقَلْبِ وَالـرَّاسِ
وَمَـا ظَنَنْتُ بِـأَنْ تَنْسى عُـهُودَكَ لِي * فَـإِنَّنِي عِـنْدَكَ الـمَحْبُوبُ فِـي الـنَّاسِ
مَـاذَا الـجَفَاءُ أَبَـا زَيْدٍ وَمَا سَبَبُ الـ * ـهِجْرَانِ مِـنْ غَيْرِ إِفْلاَسِي وَإِبْلاَسِي[3]
قُلْ لِي بِعَيْشِكَ مَا هَذَا الـجَفَاءُ إِلَى * أَنْ صِرْتُ عِنْدَكَ فِي خُسْرَانِ قُسْطَاسِ[4]
لَـوْ كُنْتَ تُنْصِفُنِي عَذَرْتَنِي وَعَـذَلْـ * ـتَ النَّفْسَ مِنْكَ لِهَجْرِي بَيْنَ جُلاَّسِي
اشْـرَحْ قَضَايَاكَ لِي أَفْصِلْ مَشَاكِلَهَا * فَـأَنْتَ عِـنْدِيَ طَوْدٌ فِي العُلاَ رَاسِي
وَأَنْـتَ عِـنْدِي حَبِيبٌ كَيْفَ كُنْتَ لَنَا * وَلَـسْتُ فِـي الـنَّاسِ لِلحَبِيبِ بِـالنَّاسِي

ولسيدنا النقيب هذه الأبيات المتوجة باسم الصحابي الجليل سيدنا عمران بن حصين رضي الله عنه:

عَـلَيْكَ اعْـتِمَادِي فِـي رَخَـاءٍ وَشِـدَّةٍ * وَمَا لِي انْزِوَاءٌ عَـنْكَ فِـي كُلِّ كُرْبَةِ
مَعَادِي مَلاَذِي رُوحُ رُوحِي وَرَاحَتِي * مُـفَرِّجُ ضَيْقِ الصَّدْرِ مُؤْنِسُ وَحْشَتِي
رَبِيعُ جَنَانِي قُـوتُ قَلْبِي وَنَاصِرِي * مُـجِيبُ دُعَـاءِي إِنْ دَعَـوْتُ بِسُرْعَةِ
أَنِلْنِي الـمُنَى مَوْلاَيَ وَارْحَمْ تَمَلُّقِي * وَخُـذْ بِيَدِي وَاغْـفِرْ بِـفَضْلِكَ زَلَّتِي
نُـؤَمِّـلُ مِـنْ جَـدْوَاكَ فَتْحاً وَمِـنَّةً * وَيُـسْرًا بِـلاَ عُـسْرٍ وَتَعْجِيلَ طِلْبَتِي
أَرَبِّ أَعِـنِّي واغْـنِنِي وَاكْفِنِي العِدَا * وَكُــلَّ حَـسُـودٍ يَـا عَـلِيمَ الـخَفِيَّةِ
بِـحُبِّكَ خَيْرِ الـخَلْقِ أَفْـضَلِ مُرْسَلٍ * وَأَكْــرَمِ مَـخْلُوقٍ كَـرِيـمِ الـسَّجِيَّةِ
نَـبِيِّ الـهُدَى مَـنْ جَاءَ بِالحَقِّ هَادِياً * إِلَى الحَقِّ مُنْجِي الخَلْقِ مِنْ كُلِّ أَزْمَةِ
صَـفِيِّكَ رُوحِ الـكَوْنِ أَصْـلِ وُجُـودِهِ * عَـلَيْهِ صَـلاَةٌ مِنْكَ فِـي كُـلِّ لَـمْحَةِ
يُـوَاصِلُهَا الـتَّسْلِيمُ مَـا فَـاحَ فَائِحُ * مَــعَ الآلِ وَالأَصْـحَـابِ آلِ الـمَزِيَّةِ

---

(1) إيه : إسم فعل للإستزادة من حديث أو فعل

(2) يعنو : يخضع

(3) الإبلاس : الإنكسار والحزن وقيل القنوط

(4) القسطاس : أضبط الموازين وأقومها

نُجُومِ الـهُـدَى وَالـتَّـابِعِينَ وَمَـنْ بِـهِمْ * جَـمِـيـعُ الـمَـزَايَا وَالـفَـضَـائِـلُ تَـمَّـتِ [1]

وله هذه الأبيات في مدح الرسول عليه السلام :

نَـبِيُّ الـهُدَى مِنْ كُلِّ خَطْبٍ وِقَايَتِي * وَحِصْنِي وَدِرْعِي عُمْدَتِي وَحِمَايَتِي
مُـحَـمَّـدٌ الـهَـادِي وَسِـيـلَـةُ دَعْـوَتِي * وَعِـزِّي الَّـذِي أُحْمَى بِهِ فِي القِيَامَةِ
عَـلَيْهِ اسْتِنَادِي وَاتِّكَالِي وَلَيْسَ لِي * مَـلاَذٌ سِـوَاهُ جَابِراً كَسْرَ حَالَتِي
أَمَـوْلَايَ يَـا خَيْرَ الـكِرَامِ وَمَـنْ بِـهِ * أَنَـالُ الـمُـنَـى وَالأَمْـنَ أَنْـتَ عِـنَـايَـتِي
أَمَـوْلَايَ يَـا بَـحْرَ الـمَكَارِمِ وَالـنَّدَى * بِـجَاهِكَ عِـنْدَ اللَّـهِ فَـارْحَمْ صَـبَابَتِي
وَحِطْنِي مِنَ الأَعْدَا وَكُنْ لِيَ حَافِظاً * وَأَعْـزِزْ جَـنَـانِي يَـا عَـلِيَّ الـمَـكَانَـةِ
وَخُـذْ لِـي بِـثَأْرِي مِـنْ وُشَاةٍ تَطَاوَلُوا * عَــلَـيَّ بِــزَوْرٍ يَـطْـلُـبُـونَ إِهَـانَـتِي
أَيَـا سَـيِّـدَ الأَرْسَـالِ يَـا خَـيْرَ مُـؤْمِلٍ * بِسَبْطَيْكَ دَمِّرْ مَنْ سَعَى فِي إِذَايَتِي
عَـلَـيْكَ صَـلاَةٌ مَـعْ سَـلاَمٌ مُـؤَبَّـدٌ * وَآلٍ وَأَصْـحَـابٍ بُـدُورِ الـهِـدَايَـةِ
عَـلَى عَـدَدِ الحَصْبَاءِ مَا قَالَ مُنْشِدٌ * نَـبِيُّ الـهُدَى مِنْ كُلِّ خَطْبٍ وِقَايَتِي

---

(1)قالها على منوال قصيدة للعلامة الولي الصالح سيدي محمد العربي بن السائح، متوجة باسم الصحابي نفسه، وهو عمران بن حصين رضي الله عنه، الذي جاء في حقه أن من عرف اسمه دخل الجنة، ونص هذه القصيدة :

ع.. عودتني منك إحسانا وثقت بـه * و حــاش فـضـلـك أن أراه ممنوعا
م.. ما زلت تولي العطايا لمن عصاك و لم * يـكن عـطاك لأجـل الذنب مقطوعا
ر.. رب البرية يـا مـن لـم يـزل أبـدا * دعـاء كـل امـرئ دعـاه مسموعا
ا.. إنـي دعوتـك مضطرا أخا كـمد * ركن اصطباري أضحى منه مصدوعا
ن.. نفّسه عنّي يـا مولاي عن عجل * حتى أرى غيمه في الحين مقلوعا
ا.. إنـي سألتك بالمختار أفضل من * بـه كـفيت الـورى أذى و ترويعا
ب.. بحر المكارم تاج الرسل خاتمهم * مـن لـم يـزل ذكره لـديك مرفوعا
ن.. نور الهدى من بدا في أصل فطرته * على التقى و الحيا و الزهد مطبوعا
ح.. حماه أوسع بـي إن أزمة دهمت * و ظـل مـن أجلها ذو الحلم مصروعا
ص.. صـلِّ عليه إلهي كـل آونـة * مـا دام لـلجود و الإحسان ينبوعا
ي.. يا رب وارض عن الصحاب أفضل من * بـذكرهم ظـل بـاب الفتح مقروعا
ن.. ناهيك من سادة حازوا الكمال بمن * ســاد الـخلائق تابعا و متبوعا

ولنحبس عنان القلم عن الجولان في تسطير مَا بقي مما جرى في هذه الرحلة، التي لولا ما اشتملت عليه من أسماء السادة الذين اجتمعنا بهم فيها من الأعيان، مع الأدبيات التي قيدناها عنهم من غير تأنق منا في الخطاب، في هذا الكتاب، لكان كلامي فيها من سقط المتاع، الذي لا يشترى ولا يباع،

ولقد طوينا أوراقه على ما بها مما لا نبالي معهُ فيه بما في ضمن ذلك من الثناء عليّ في تلك الرسائل العالية، والأبيات الغالية، فإن الأدب يقضي بتقييد مَا تجود به الأفكار، ولو كان غير جيد ينظم عقودا يَتحلى به جيد الأفكار، فإن المرء مغرم بشعره ونثره، حريص على التنويه به، ينشده بين أهل عصره، ولم ينظر إلى ما وراء ذلك من انتقاد منتقد يفرق بين الرديء والجيد، ولا يقبل عذرا فيما ينظر إليه شزرا، وخليق بالأدباء ذلك،

غير أني أستلفت نظرهم إلى أن مَا قيدناه لم نستظهر به في مظهر التبجح، وإن كانت الأحوال تقضي به في بساط التمدح، فلنقف أمامهم خجلا لقبول اعتذاري في المقول والمنقول، والعذر عند كرام الناس مقبول، ملتمسا ممن وقف عليه قبول المعذرة، والدعاء لي بالرحمة والمغفرة، وأجره على الله، سائلا من المولى أن يجعلنا في زمرة الذين أنعم الله عليهم من النبيئين والصديقين والشهداء والصالحين، والحمد لله رب العالمين. انتهى. إهـ

الفهرس

الرحلة الزيدانية

الفهرس